

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام
قسم الدعوة والاحتساب

وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة

في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الدعوة والاحتساب

إعداد الطالب/

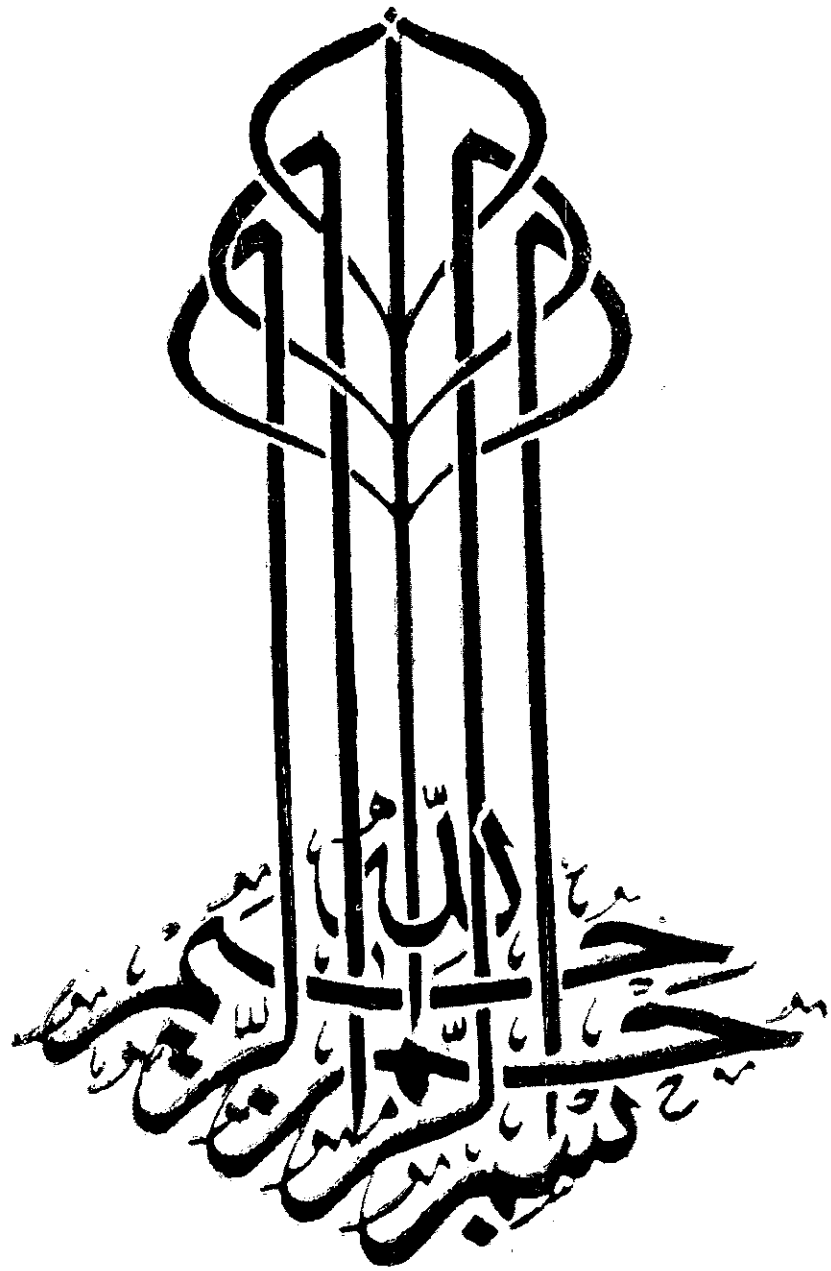
عبد الله عثمان آدم حامد

إشراف فضيلة الدكتور/

محيي الدين بن عفيفي أحمد عبد المجيد

الأستاذ المشارك في قسم الدعوة والاحتساب

العام الجامعي ١٤٢٤ هـ / ١٤٢٥ هـ



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ^(١) — صلى الله عليه وسلم — .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٢﴾) ^(٢)
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ^٣ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ^٤ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١٢٣﴾) ^(٣) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿١٢٤﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿١٢٥﴾) ^(٤)
أما بعد :

فإن الدعوة الإسلامية منذ أن بدأت في مكة المكرمة وانتشر ضوؤها حول أم القرى يوماً بعد يوم وقويت شوكتها رغم محاولة أعدائها للقضاء عليها في مهدها كما قال عز وجل : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤٠﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِأَهْدَىٰ دِينٍ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١٤١﴾) ^(٥) فانتشر الإسلام في ربوع المعمورة واكتسبت الدعوة الإسلامية مكتسبات بشرية وجغرافية واقتصادية ، فدخل الناس في دين الله أفواجا شعوبا وقبائل زرافات ووحداناً،

^١ - رواه مسلم في كتاب الجمعة ٧ باب تخفيف الصلاة والخطبة ١٣ حديث ٨٦٨ ص ٣٣٥ ط، ١ - ١٤١٩ هـ -

١٩٩٨ م، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع ،الرياض

^٢ - آل عمران آية : ١٠٢

^٣ - النساء آية : ١

^٤ - الأحزاب الآيات : ٧٠-٧١

^٥ - الصف الآيات : ٨-٩

وذلك لما أدركوا مافي الدعوة الإسلامية من البراهين الساطعة، والحجج الواضحة، والدلائل الناطقة بوحداية الله عز وجل والإخلاص له في السر والعلانية، وأيضاً لما لمسوا من تشريعات عادلة لا تفرق بين غني وفقير وأسود وأبيض وأن الناس من آدم وآدم من تراب، وأخلاق عالية طاهرة فاضلة وشيم حميدة، وألفة ومحبة، وتعاون على البر والتقوى كل ذلك وغيره من محاسن الإسلام جذب الناس في الانضواء تحت لوائه.

أما عن المكتسبات الجغرافية ففي عهد النبي صلى الله عليه وسلم قد فتحت الجزيرة العربية ب ثم في عهد خلفائه الراشدين رضي الله عنهم امتدت الفتوحات شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً لتشمل أراضي الدولة الفارسية بعد هزيمتها وكثيراً من الأراضي التي كانت تحت الدولة الرومية كالشام ومصر وما جاورها من بلاد النوبة، وشمال إفريقيا .

وبالنسبة للمكتسبات الاقتصادية فقد اكتسبت الدعوة مكتسبات اقتصادية ضخمة بعد أن فتحت هذه الأراضي الشاسعة، فصار المسلمون أغنياء بعد أن كانوا فقراء، وأكثرية بعد أن كانوا قلة، وأقوياء أعزاء بعد أن كانوا ضعفاء يحاصرون في شعب أبي طالب ويهاجرون فراراً بدينهم إلى الحبشة، ثم المدينة، كما قال تعالى في حالهم ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١)

وقد حرص النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون رضي الله عنهم ومن كان معهم من التابعين لهم بإحسان في الحفاظ على تلك المكتسبات بالوسائل والطرق المختلفة باذلين في ذلك كل غال ونفيس وأن استخدام هذه الوسائل أو بعضها اليوم هي كفيلة في إعادة العزة والكرامة للإسلام والمسلمين بإذن الله .
وفيما يلي الحديث عن التعريف بمفردات البحث

التعريف بمفردات البحث

(وسائل) الوسيلة في اللغة :

هي ما يتوسل به إلى الشيء ويتقرب به ، جمعها وسائل^(١)

وفي الاصطلاح :

هي ما يتقرب به إلى الغير^(٢) ، و(نريد بالوسائل ما يستعين به الداعي على تبليغ الدعوة إلى الله على نحو نافع مثمر)^(٣) .

ووسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة هي : كل وسيلة مشرعة تعين في الحفاظ على منجزات الدعوة .

(الحفاظ) الحفظ نقيض النسيان وهو التعاهد وقلة الغفلة ، ويقال احتفظت بالشيء لنفسي ، ويقال استحفظت فلانا مالا إذا سألته أن يحفظه لك وحفظت الشيء حفظاً : أي حرصته^(٤) ، والمقصود بالحفاظ هنا حراسة الدعوة والذود عن منجزاتها(المكتسبات) الكسب (طلب الرزق وأصله الجمع وكَسَبَ أصاب)^(٥) ، ويقصد بمكتسبات الدعوة كل ما كسبته وجمعته واستفادته وأنجزته سواء كان ذلك في الناحية البشرية والمعنوية أو الجغرافية والمادية .

الدعوة في اللغة :

لها عدة معان ، منها النداء والطلب والتجمع ، يقال : دعا الرجل دعواً ودُعَاءً : ناداه ، والاسم الدعوة . ودعوتُ فلاناً أي صِحت به واستدعيتَه . وتداعى القوم : دعا بعضهم بعضاً حتى يجتمعوا^(٦)^١ - لسان العرب ابن منظور الإفريقي المصري ، مادة ، وسل ، ج ١١ ص ٧٢٤ ، دار صادر ، بيروت ، بدوت تاريخ

طبع

^٢ - التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني ص ٢٥٢ ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م دار الكتب العلمية بيروت^٣ - أصول الدعوة ، عبد الكريم زيدان ص ٤٢٩ ، ط ٣ ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م ، دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر ، الإسكندرية^٤ - لسان العرب ، مادة ، حفظ ، ج ٧ ص ٤٤١^٥ - المرجع السابق ، مادة ، كسب ، ج ١ ص ٧١٦^٦ - المرجع السابق ، مادة دعا ، ج ١٤ ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

الدعوة في الاصطلاح :

عرفت بتعريفات عدة منها : هي (العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق)^(١) ومنها : (جمع الناس على الخير ودلا لتهم على الرشد بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر)^(٢) ومنها : (حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل)^(٣) ومنها : (تبليغ الإسلام ، وتعليمه إياهم ، وتطبيقه في واقع الحياة)^(٤) وأنسبها لهذا البحث أن الدعوة إلى الله (هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به ، وطاعتهم فيما أمروا به ، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة ، إيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، والدعوة إلى الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت ، والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يعبد ربه كأنه يراه)^(٥)

أما (في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم) العهد : الزمان^(٦) ، والخلفاء : استخلف فلانا من فلان جعله مكانه ، وخلف فلان فلانا إذا كان خليفته ، يقال خلفه في قومه خلافة ، وفي الترتيل العزيز : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾^(٧) .

والخليفة الذي يستخلف ممن قبله والجمع خلفاء^(٨) ، والمقصود بالعهد هنا : زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وزمن خلفائه الراشدين رضي الله عنهم ، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم .

^١ - الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ، د/ أحمد غلوش ص ١٠ ، ط ٢ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، دار الكتاب المصري ، القاهرة

^٢ - أسس الدعوة وآداب الدعاء / د/ محمد السيد الوكيل ص ٩ ، ط ٣ ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، دار الوفاء ، مصر

^٣ - هداية المرشدين الشيخ / علي محفوظ ، ص ١٧ ، ط ٩ ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، دار الاعتصام

^٤ - المدخل إلى علم الدعوة / د/ محمد أبو الفتح البيانوني ص ١٧ ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت

^٥ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، عبد الرحمن بن قاسم ، ج ١٥ ص ١٥٧ - ١٥٨ ط إدارة المساحة العسكرية القاهرة ١٤٠٤هـ

^٦ - لسان العرب ، مادة ، عهد ، ج ٣ ص ٣١٥

^٧ - الأعراف آية : ١٤٢

^٨ - المرجع السابق ، مادة ، خلف ، ج ٩ ص ٨٣

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

أهمية هذا البحث تكمن فيما يلي :

- أ — أنه يبحث في مكتسبات الدعوة في فترة من أعز وأعظم فترات الدعوة لما تحقق فيهما من التمكين والعز للإسلام والمسلمين وهي فترة النبوة والخلافة الراشدة .
- ب — أنه يبحث في وسائل الحفاظ على مبادئ الأمة ومرتكزاتها ومكتسبات دعوتها.
- ج — أنه يبحث في الوسائل التي استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم في الحفاظ على مكتسبات الدعوة.
- د — أنه يبحث أيضاً في الوسائل التي استخدمها الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم في الحفاظ على مكتسبات الدعوة الذين حموا بفضل الله تعالى حوزة الدين من المرتدين وجميع المتربصين ونشروه في مناطق واسعة من العالم .
- هـ — إن إبراز أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة وعدم التفريط فيها لا يقل أهمية عن نشرها .
- و — ومن الأسباب التي دعيتي لاختيار هذا الموضوع عدم وجود كتاب أو رسالة تناولت وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة وعالجته معالجة علمية.
- ز — حاجة الأمة اليوم إلى التأصيل في الرجوع إلى وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة والاستفادة منها .

الدراسات السابقة :

لا يوجد كتاب أو رسالة مستقلة تتحدث عن وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة حسب ما اطلعت عليه وغاية ما هو موجود بعض الجزئيات التي لها علاقة ببعض فقرات الموضوع ، فمثلاً د/ عبد الكريم زيدان تحدث في كتابه (أصول الدعوة) عن جواز الاستعانة بغير المسلم بغرض حماية الداعي ، واستدل على ذلك بحماية أبي طالب للرسول صلى الله عليه وسلم ، وحماية المطعم بن عدي له في دخوله مكة عند عودته من الطائف .

أما الكتاب الذي له صلة وثيقة في جزء من البحث مع الفارق الكبير هو كتاب (منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية ، للطيب برغوث)

قسم الباحث بحثه إلى ثلاثة أبواب :

الباب الأول : غاية الدعوة الإسلامية وخصائصها المبدئية الكبرى ، وقسمه إلى فصلين :

الفصل الأول : غاية الدعوة الإسلامية وآفاقها الرسالية الكبرى .

الفصل الثاني : الخصائص الكبرى للدعوة الإسلامية .

الباب الثاني : طبيعة المرحلة المكية وأهداف الدعوة فيها ، وقسمه إلى ثلاثة فصول .

الفصل الأول : بيئة الدعوة في المرحلة المكية .

الفصل الثاني : التكليف الرسالي للنبي صلى الله عليه وسلم وبداية الدعوة .

الفصل الثالث : أهداف الدعوة في المرحلة المكية .

الباب الثالث : التحديات التي واجهتها الدعوة في الفترة المكية ومنهج مواجهتها ، وقسمه

إلى ثلاثة فصول .

الفصل الأول : مشكلات الدعوة في المرحلة التأسيسية الأولى و منهج مواجهتها .

الفصل الثاني : تحديات المرحلة التأسيسية الثانية و منهج مواجهتها .

الفصل الثالث : تحديات المرحلة التأسيسية الثالثة و منهج مواجهتها .

وينتهي أبواب وفصول البحث إلى ما قبل الهجرة النبوية ، ومن خلال هذا العرض تتضح

الفروق التالية بين بحثي وهذا البحث :

أولاً : دراسي تركزت في الحديث عن مكتسبات الدعوة ووسائل الحفاظ عليها بينما البحث المذكور قد ركز في منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة في العهد المكي .
ثانياً : دراسي شملت العهد المكي والمدني وعهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم بينما البحث السابق خاصاً بالعهد المكي فقط .
ثالثاً : هناك جانب قد يكون فيه الاشتراك في الألفاظ ولا يلزم منه الاشتراك في المضمون مثل لفظ الحفاظ ، ومع هذه الفروق استفدت من الكتاب في الجزئية التي تتعلق بوسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة في المرحلة المكية ، وجزى الله كاتبه خيراً على ما ساهم به من إيضاح المنهج النبوي في حماية الدعوة في المرحلة المكية .^(١)

مشكلة البحث

مشكلة البحث هي (ماذا يأمل الباحث على وجه التحديد في حله)^(٢) ومن المعروف أن كل مبدأ أو صرح لابد أن توجد له وسائل وعوامل حفاظ وحماية تكون سداً منيعاً عن النيل منه ، تضمن له الاستمرارية والعطاء والتماسك ، ومن خلال تأملات الباحث في نصوص الكتاب والسنة والسيرة والتاريخ مع النظر في أحوال واقعا المعاصر تبين له أن هناك وسائل عديدة استخدمت في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه الراشدين رضي الله عنهم ، وإن هذا البحث هو محاولة للكشف عن تلك الوسائل ليستفاد منها في العصر الحاضر والمستقبل في الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

^١ - والكتاب قام بطبعه المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، سلسلة قضايا الفكر الإسلامي (١٧) ط، ١ - ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م

^٢ - أصول البحث العلمي ومناهجه ، د/ أحمد بدر، ص ٨٧ ، وكالة المطبوعات ، الكويت

ويقول د/ الغريب عبد الكريم عن المشكلة البحثية (إن مشكلة أي بحث ما هي في الواقع إلا سؤال لا توجد إجابة عليه في ذهن الباحث ، وهو عادة يتضمن مسائل بعيدة عن الحياة الشخصية أو قريبة أحياناً يلزم الإجابة عليه لتحقيق فائدة معينة أو نفع خاص للمجتمع أو إضافة العلم أو التراث النظري) انظر: البحث العلمي التصميم والمنهج والإجراءات ص ٧٩ ، محطة الرمل ، الإسكندرية .

تساؤلات البحث:

من طبيعة كل بحث أن يجيب عن عدد من التساؤلات ، وقد سعيت بتوفيق من الله عز وجل من خلال هذا البحث الإجابة عن التساؤلات التالية :

- ١- ما المقصود بمكتسبات الدعوة ؟
- ٢- ما مدى إسهام التعليم في الحفاظ على مكتسبات الدعوة ؟
- ٣- كيف ساعد الاحتساب في الحفاظ على مكتسبات الدعوة ؟
- ٤- ما أثر الهجرة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة؟
- ٥- ما مدى تأثير العدالة وإقامة الحدود في الحفاظ على مكتسبات الدعوة ؟
- ٦- ما مدى إسهام إرسال الرسل والمعاهدات والصلح في الحفاظ على مكتسبات الدعوة ؟
- ٧- كيف كان الجهاد في سبيل الله وسيلة هامة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة ؟
- ٨- ما أوجه الاستفادة من وسائل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في العصر الحاضر ؟.

منهج البحث

وبما أن الموضوع يبحث عن وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد النبي وعهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم والاستفادة منه في العصر الحاضر ، استخدمت المنهج " الاستقرائي " حيث قمت بتوفيق من الله تعالى ، باستقراء وحصر كافة الجزئيات المتعلقة بموضوع " وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم .

والاستقراء لا يستغني عن الاستنباط ، فالباحث يجمع بيانات لها علاقة بالمشكلة التي يريد بحثها، ثم ييورها وينظمها، معتمدا على خبرته ، والغرض من هذه البيانات هو الوصول إلى الفرض الصوري الذي يستنبط منه النتائج ^(١) ، لذا فإن الاستنباط أيضاً كان أحد المناهج التي سرت عليها في هذا البحث .

واستخدمت أيضاً : " المنهج التاريخي ، وهو يعتمد على الوثائق ونقدها ، وتحديد الحقائق التاريخية ، ثم يحاول الباحث بعد مرحلة التحليل هذه الدخول إلى مرحلة أخرى هي مرحلة التركيب ، حيث سيتم التأليف بين هذه الحقائق وتفسيرها وذلك كله من أجل فهم الماضي ومحاولة فهم الحاضر على ضوء الأحداث ، والتطورات الماضية" ^(٢) وعلى ضوء هذه المناهج قمت بعون الله تعالى بالتعرف وجمع ما أمكن من مكتسبات الدعوة ووسائل الحفاظ عليها وأوجه الاستفادة من تلك الوسائل في العصر الحاضر .

أما طريقي في كتابة هذا البحث تتلخص في التالي :

- ١ — كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني ، وعزوها إلى سورها مع ذكر أرقامها .
- ٢ — تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية مع الحكم عليها من أقوال المتخصصين ، ولم أورد حديثاً درجته تقل عن الحسن إلا ما ندر ، وأما إن كان الحديث في الصحيحين فذكرته دون الحكم لاتفاق الأمة على صحتهما .
- ٣ — حرصت على جمع المعلومات من المصادر القديمة الموثوقة مع الاستفادة من المراجع الحديثة .

^١ - انظر : أساسيات البحث العلمي بين النظرية والتطبيق . د/ حنان عيسى سلطان. د/ غانم العبيدي ، ط، ١ - ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م ، دار العلوم ، الرياض

^٢ - أصول البحث العلمي ومناهجه د/ أحمد بدر . ص ٢٢٢-٢٢٣

٤ — التركيز في كل فصل من فصول البحث في الجوانب التي لها صلة وثيقة بمجال الحفاظ على مكتسبات الدعوة مع البعد عن الإطالة وتجنب التعمق في مسائل الخلاف التي تشغل القارئ عن المقصود.

٥ — لم أترجم للأعلام إلا ما ندر لكثرتها، ومحافة تضخم الرسالة وخروج البحث عن مجاله وقد ذيلت الرسالة بعدد من الفهارس هي :

فهرس الآيات القرآنية .

فهرس الأحاديث النبوية .

فهرس القبائل.

فهر الأعلام .

فهر الأماكن والبلدان .

فهرس المصادر والمراجع .

فهرس الموضوعات .

الصعوبات التي واجهت الباحث :

مما لاشك فيه أن كل باحث لا بد وأن تواجهه بعض المشكلات والصعوبات في

إخراج بحثه بالصورة المثلى ، والصعوبات التي واجهتني أو جزها في التالي :

١ — عدم وجود أي بحث تحدث ولو في جانب مما يتعلق في مكتسبات الدعوة أسترشد به وبالتالي استغرق مني وقتاً طويلاً في التفكير وجمع المادة من بطون كتب السيرة والتاريخ ، ثم صياغتها باختصار لضيق المساحة المتاحة لها في البحث وهو مبحث واحد في التمهيد .

٢ — طول الفترة الزمنية لموضوع البحث وهي ثلاث وخمسون سنة من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى وفاة آخر خليفة من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم سنة أربعين هجرية

٣ — أن كل فصل من فصول البحث بإمكان أن يكتب فيه بحث مستقل في نفس المجال ، فاجتمع عليّ طول المدة والمادة ومع ذلك بعون من الله حاولت جمع الموضوع واستخلاص الجوانب التي تتعلق بالبحث والله الحمد .

شكر و عرفان

أحمد الله تعالى وأشكره على نعمه التي لا تحصى و منها توفيقى على إكمال هذا البحث ثم أتقدم بالشكر إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة في كلية الدعوة والإعلام قسم الدعوة والاحتساب على إتاحة الفرصة لي في مواصلة الدراسة في المراحل المختلفة فأسأل الله أن يجزي القائمين على هذه الجامعة خير الجزاء وأن يحفظها من كل سوء ، كما أخص بالشكر شيخى وأستاذى الفاضل الدكتور/ محي الدين عفيفي أحمد الذي كان لتوجيهاته وإرشاداته الأثر الكبير والفعال في هذا البحث أسأل الله أن يبارك له في عمره ووقته ويسدد خطاه في كل ما يحبه ويرضاه ، فقد بذل الجهد الكبير وتحمل العناء في سبيل إرشادي ونصحي وتوجيهي وتصويب أخطائي تارة بالاتصال وأخرى باللقاء المباشر فله مني جزيل الشكر وخالص الدعاء ، كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر لكل من قدم لي النصح ووقف بجانبى في إخراج هذا البحث من أساتذتي وزملائي الطلاب فجزى الله الجميع خير الجزاء .

خطة البحث بالتفصيل

قسمت البحث إلى تمهيد وسبعة فصول وخاتمة وفهارس :

الفصل التمهيدي ، وتحت مبحثان:

المبحث الأول : مكتسبات الدعوة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم ، وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول : مكتسبات الدعوة في المرحلة المكية

المطلب الثاني : مكتسبات الدعوة في المرحلة المدنية

المطلب الثالث : مكتسبات الدعوة في مرحلة خلافة الصديق رضي الله عنه

المطلب الرابع : مكتسبات الدعوة في مرحلة خلافة الفاروق رضي الله عنه

المطلب الخامس : مكتسبات الدعوة في مرحلة خلافة عثمان رضي الله عنه

المطلب السادس : مكتسبات الدعوة في مرحلة خلافة علي رضي الله عنه

المبحث الثاني : أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة ، وتحت مطلبان .

المطلب الأول : أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

المطلب الثاني : أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

الفصل الأول : الاهتمام بالتعليم حفاظاً على مكتسبات الدعوة وتحت مبحثان

المبحث الأول : أهمية التعليم حفاظاً على مكتسبات الدعوة ، وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : الاهتمام بالعلم في القرآن الكريم حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المطلب الثاني : الاهتمام بالعلم في السنة النبوية حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المطلب الثالث : أهمية طلب العلم والبعثات التعليمية ، والنهي عن كتمان العلم حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المبحث الثاني : إقامة مؤسسات التعليم حفاظاً على مكتسبات الدعوة ، وتحت ثلاثة مطالب

المطلب الأول : الكتابات

المطلب الثاني : البيوت

المطلب الثالث : المساجد

الفصل الثاني : الحسبة حفاظاً على مكتسبات الدعوة وتحتة مبحثان

المبحث الأول : أهمية القيام بالحسبة حفاظاً على مكتسبات الدعوة ، وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : القيام بالحسبة من مهام الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم

المطلب الثاني : القيام بالحسبة حفاظاً على مكتسبات الدعوة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

المطلب الثالث : القيام بالحسبة في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

المبحث الثاني : مجالات الحسبة ودرجات الاحتساب حفاظاً على مكتسبات الدعوة وتحتة مطلبان .

المطلب الأول : مجالات الحسبة حفاظاً على مكتسبات الدعوة .

المطلب الثاني : درجات الاحتساب حفاظاً على مكتسبات الدعوة.

الفصل الثالث : الهجرة حفاظاً على مكتسبات الدعوة ، وتحتة ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : مشروعية الهجرة حفاظاً على مكتسبات الدعوة .

المبحث الثاني : الهجرة إلى الحبشة والتخطيط لها حفاظاً على مكتسبات الدعوة.

المبحث الثالث : الهجرة إلى المدينة والتخطيط لها حفاظاً على مكتسبات الدعوة ، وتحتة ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : مقدمات الهجرة إلى المدينة .

المطلب الثاني : هجرة الصحابة رضي الله عنهم والتخطيط لها حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المطلب الثالث : هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم والتخطيط لها حفاظاً على مكتسبات الدعوة.

الفصل الرابع العدالة وإقامة الحدود والعقوبات التعزيرية حفاظاً على مكتسبات الدعوة ، وتحتة ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : الاهتمام بالعدل حفاظاً على مكتسبات الدعوة ، وتحتة مطلبان .

المطلب الأول : عموم أدلة الكتاب والسنة في وجوب العدل حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المطلب الثاني : مواقف من العدل في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم حفاظاً على مكتسبات الدعوة.

المبحث الثاني : إقامة الحدود حفاظاً على مكتسبات الدعوة ، وتحت ست مطالب .
 المطلب الأول : إقامة حد الزنا والقذف حفاظاً على مكتسبات الدعوة .
 المطلب الثاني : إقامة حد الخمر حفاظاً على مكتسبات الدعوة .
 المطلب الثالث : إقامة حد السرقة ، والحراية حفاظاً على مكتسبات الدعوة .
 المطلب الرابع : قتال البيغاة حفظاً على مكتسبات الدعوة .
 المطلب الخامس : إقامة حد الردة حفاظاً على مكتسبات الدعوة .
 المطلب السادس : تنفيذ القصاص حفاظاً على مكتسبات الدعوة .
 المبحث الثاني : إيقاع العقوبات التعزيرية حفاظاً على مكتسبات الدعوة ، وتحت أربعة مطالب .

المطلب الأول : عقوبة الحبس ، والجلد حفاظاً على مكتسبات الدعوة .
 المطلب الثاني : عقوبة الوعظ ، والهجر ، والتوبيخ حفاظاً على مكتسبات الدعوة .
 المطلب الثالث : عقوبة التهديد والتشهير حفاظاً على مكتسبات الدعوة .
 المطلب الرابع : عقوبات تعزيرية أخرى حفاظاً على مكتسبات الدعوة .
 الفصل الخامس : إرسال الرسل والمعاهدات والصلح حفاظاً على مكتسبات الدعوة وتحت مبحثان .

المبحث الأول : إرسال الرسل والكتب حفاظاً على مكتسبات الدعوة وفيه ثلاثة مطالب .
 المطلب الأول : إرسال الرسل إلى الملوك حفاظاً على مكتسبات الدعوة .
 المطلب الثاني : إرسال الكتب إلى القبائل وزعمائها وبعض الأفراد حفاظاً على مكتسبات الدعوة .

المطلب الثالث : رسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

المبحث الثاني : المعاهدات والصلح حفاظاً على مكتسبات الدعوة وتحت مطلبان .
 المطلب الأول : المعاهدات والصلح والهدنة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم حفاظاً على مكتسبات الدعوة .

المطلب الثاني : المعاهدات والصلح والهدنة في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم
حفاظاً على مكتسبات الدعوة.

الفصل السادس : القيام بالجهاد في سبيل الله حفاظاً على مكتسبات الدعوة ، وتحت ثلاثة
مباحث .

المبحث الأول : الظروف التي شرع فيها الجهاد حفاظاً على مكتسبات الدعوة وفيه
مطلبان .

المطلب الأول : الظروف التي سبقت تشريع الجهاد .

المطلب الثاني : التدرج في تشريع الجهاد حفاظاً على مكتسبات الدعوة .

المبحث الثاني : الإعداد للجهاد حفاظاً على مكتسبات الدعوة ، وفيه مطلبان .

المطلب الأول : الإعداد البشري حفاظاً على مكتسبات الدعوة .

المطلب الثاني : الإعداد المادي حفاظاً على مكتسبات الدعوة .

المبحث الثالث : الأخذ بعوامل النصر حفاظاً على مكتسبات الدعوة ، وفيه ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : الإيمان بالله والتوكل عليه والتحريض على الجهاد حفاظاً على مكتسبات
الدعوة .

المطلب الثاني : الوحدة وطاعة الأمير، وعدم الاغترار بالقوة في الجهاد حفاظاً على
مكتسبات الدعوة.

المطلب الثالث : الصبر والذكر والدعاء في الجهاد حفاظاً على مكتسبات الدعوة.

الفصل السابع : أوجه الاستفادة من وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عصر النبي
صلى الله عليه وسلم وعصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم في العصر الحاضر ، وتحت
مبحثان .

المبحث الأول : أوجه الاستفادة من وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة في مواجهة
الأخطار الداخلية ، وتحت ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : الاستفادة من وسيلة التعليم في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في العصر
الحاضر .

المطلب الثاني : الاستفادة من وسيلة الحسبة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في العصر الحاضر.

المطلب الثالث : الاستفادة من وسيلة العدالة وإقامة الحدود ، والعقوبات التعزيرية في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في العصر الحاضر .

المبحث الثاني : أوجه الاستفادة من وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة في مواجهة الأخطار الخارجية ، وتحت ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : الاستفادة من وسيلة الهجرة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في العصر الحاضر .

المطلب الثاني : الاستفادة من وسيلة إرسال الرسل والرسائل والمعاهدات والصلح في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في العصر الحاضر .

المطلب الثالث : الاستفادة من وسيلة الجهاد في سبيل الله في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في العصر الحاضر .

الخاتمة وهي تشتمل على أهم النتائج والمقترحات .

الفصل التمهيدي

المبحث الأول : مكتسبات الدعوة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

وعهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم .

المبحث الثاني : أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

تمهيد :

من يوم أن نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء وعاد إلى بيته في مكة وأخبر بما أوحى إليه بدأت الدعوة تكتسب مكتسبات بشرية، ومادية ومعنوية ولصعوبة حصر جميع المكتسبات وأهمية الحفاظ عليها في فصل يعد تمهيداً للبحث ستكون الكتابة إن شاء الله عن المكتسبات البشرية والجغرافية والاقتصادية والمعنوية والحفاظ عليها بنوع من التفصيل، وذلك مع عدم وجود إحصائيات دقيقة لهذه الجوانب في فترة البحث لأن الإحصائيات السكانية ووضع الحدود الجغرافية وإحصاء الموارد الاقتصادية لم يأت الاهتمام والتدقيق فيها إلا في الزمن المتأخر، ولكن مع ذلك يمكن الاستفادة والاستدلال ببعض الأحداث والمعلومات التي تدل أو تشير إلى الجوانب المذكورة وسيأتي الحديث عن هذه الجوانب في مراحل متوالية وفترات متتالية بدءاً بالمرحلة المكية ثم المدنية يلي ذلك عهد الصديق ثم الفاروق ثم عثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين ، وأسأل الله الإعانة والتوفيق .

المطلب الأول : مكتسبات الدعوة في المرحلة المكية

تعد المرحلة المكية أساساً لبناء الدعوة الشامخ والمتماسك الذي لا يتأثر بتقادم الزمن وعوامل التأثير الأخرى بل يزداد قوة واتساعاً، وكل من أراد أن ينال منه صار مثله كمثل من قيل فيه:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل^(١)

ولاشك من أن الأعداء الذين كانوا يرفضون تأسيس هذا البناء كثر والذين أرادوا هدمه أكثر، ولكن الدين محفوظ بحفظ الله له، ثم دعائه وحماته الذين يدافعون عنه بكل غال ونفيس وينشرونه في أرجاء المعمورة، ومن المهم أن يكون التركيز في هذه المرحلة على المكتسبات البشرية والمعنوية، لأن المكتسبات الجغرافية والمادية لم تكن وجدت فهذه المرحلة وإن وجدت فكانت قليلة جداً ومن المؤكد أن الدعوة قد اكتسبت في تلك الفترة مكتسبات بشرية متميزة، صارت نواة مثمرة وبدوراً في أرض مخصبة قال عزوجل في حقهم ﴿ كَرَّعَ أَخْرَجَ شَطَطَهُ، فَفَازَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ ﴾^(٢).

وقد بدأت المكتسبات البشرية بإسلام خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة ثم أسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنهم وقام بدعوة كل من يثق به، فأسلم بدعوته الكثير من كبار الصحابة قال: ابن هشام (فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه أظهر إسلامه، ودعا إلى الله وإلى رسوله - وبدعائه أسلم عثمان بن عفان، و الزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله فحاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له فأسلموا وصلوا - ثم أسلم أبو عبيدة بن الجراح وأبو سلمة والأرقم بن أبي الأرقم)^(٣)، (فكان هؤلاء نفرهم الذين سبقوا إلى الإسلام، ثم تتابع الناس في الإسلام حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به الناس)^(٤) وكان صلى الله عليه وسلم (في السنين الثلاث - الأولى - مستتراً بدعوته لا يظهرها إلا لمن يثق به وكان أصحابه إذا أرادوا الصلاة ذهبوا إلى الشعاب فاستخفوا)^(٥) فيها خشية أن تعلم بهم قريش فيؤذونهم، وفي تلك الفترة كان المخبأ

^١ - البيت للأعشى، انظر شرح القصائد العشرة للبريزي، ط، ٤/٤٠٠هـ - ١٩٨٠م دار الآفاق الجديدة

^٢ - الفتح آية : ٢٩

^٣ - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٤٠-٢٥٣ مؤسسه علوم القرآن، بدون تاريخ طبع

^٤ - الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج ٢ ص ٥٩ دار صادر، بيروت - ١٤٨٥-١٩٦٥م

^٥ - المرجع السابق ج ٢ ص ٦٠

الذي اختاره صلى الله عليه وسلم للاختفاء من قريش وممارسة الدعوة سرّاً دار الأرقم ابن أبي الأرقم عند الصفا، وتزايد عدد المسلمين، حتى تكاملوا أربعين رجلاً مسلماً، وكان آخر هم إسلاما عمر بن الخطاب، فلما تكاملوا أربعين رجلاً خرجوا^(١) من دار الأرقم معلنين دعوتهم ومخبرين قريشاً أن زمن الاختفاء والسرية قد ولى ليعقبه الظهور وإعلان الدعوة في المحافل وأمام زوار وحجاج بيت الله الحرام الذين يفدون من الأقطار المختلفة موضعين بذلك أن دعوتهم دعوة عالمية .

وبإسلام عمر بن الخطاب، وحمزة بن عبد المطلب من قبل اكتسبت الدعوة مكتسباتاً عظيماً حيث القوة والمنعة والتصدي للأعداء وحماية الدعوة من المتر بصين بها، ولاشك أن عظماء الرجال تقوم على أكتافهم الأمور العظيمة والمهام الجسيمة ويسعد بهم أقوام ويشقى آخرون قال: ابن إسحاق (أسلم عمر بن الخطاب وكان رجلاً ذا شكيمة لا يرام^(٢) ما وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمزة حتى عازوا قريشاً. قال: عبد الله بن مسعود إن إسلام عمر كان فتحاً وهجرته كانت نصراً وإن إمارته كانت رحمة ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه^(٣)، وقال (مازلنا أعزة منذ أسلم عمر)^(٤) .

فهذا يوضح المكتسبات المعنوية التي تحققت بإسلام عمر وحمزة مع المكتسبات البشرية، وشقت الدعوة طريقها في نفوس الناس وتزايد عدد الداخلين عليها قال: ابن إسحاق (ثم إن الإسلام جعل يفشو بمكة في قبائل قريش في الرجال والنساء، وقريش تجس من قدرت على حبسه وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين)^(٥)

^١ - انظر: هامش سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٥٣

^٢ - يرام: فعل مضارع مجهول، من الروم - بفتح الراء - وهو الطلب أي لا يُطلب . انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ١٢ ص ٢٥٨

^٣ - سيرة ابن هشام، ج ١ ص ٣٤٢

^٤ - رواه البخاري كتاب فضائل الصحابة ٦٢ باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي ٦ حديث ٣٦٨٤ ص ٧٥٥، ط ١ - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض

^٥ - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٩٤

(وبالجملة فلم يخل أحد من المسلمين من أذية لحقته ولكن كل ذلك ضاع سدى تلقاء ثباتهم وعظيم إيمانهم فإنهم لم يسلموا لغرض دنيوي يرجون حصوله فيسهل إرجاعهم ولكن وفقهم الله لإدراك حقيقة الإيمان فرأوا كل شئ دونه سهلاً) (١)

ونظمت الدعوة خطوة إلى الأمام باكتسابها مكتسبات بشرية ومعنوية خارج مكة في قبائل العرب عن طريق وفود الحجاج والمعتمرين وأرادت قريش أن تسد هذا الباب واتفق زعمائها أن يقولوا في القرآن أنه سحر وأن محمداً ساحر (فجعلوا يجلسون بسبل الناس حتى قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره - فجاء الأمر عكس ما خططوا له - وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها) (٢) .

ولما رأت قريش هذا الانتشار زادت من ضغوطها على المسلمين وحينها أشار عليهم صلى الله عليه وسلم بالمهجرة إلى الحبشة، فحيثئذ (هاجر عشرة رجال وأربع نسوة ثم زاد عددهم حتى بلغ ثلاثة وثمانين رجلاً وسبع عشرة امرأة سوى الصبيان وكلهم من بطون قريش) (٣) فصار عدد المهاجرين مائة سوى الصبيان و بضم هذا العدد إلى من بقي في مكة ومن أسلم من وفود العرب يتبين أن الدعوة حققت مكتسبات بشرية لا بأس بها في وقت مبكر.

وقد ظفرت الدعوة بمكسب عظيم حين أسلم ملك الحبشة على أيدي المهاجرين الذين أوضحوا له حقيقة العقيدة الإسلامية، ولاشك أن هؤلاء المهاجرين الذين أثروا على الملك أثروا على الشعب، وإن لم تتعرض المصادر التي بين أيدينا في عدد الذين أسلموا في أرض الحبشة في تلك الفترة، وعلى هذا صارت الدعوة تحقق مكتسبات بشرية ومعنوية خارج مكة بل خارج الجزيرة العربية في وقت مبكر من عمرها .

أما في الجزيرة العربية أيضاً - قد استطاعت الدعوة في هذه الفترة كذلك أن تتجاوز إطار مكة وقريش إلى مناطق أخرى، كما دل على ذلك إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه وجزء كبير من قبيلته؛ ليكون سندا للدعوة في مرحلة قيام الدولة وإسلام عمر بن عبسة

^١ - نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الشيخ محمد الخضرى بك ص ٥٣ دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان بدون ذكر الطبعة وتاريخ الطبع

^٢ - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧١-٢٧٢

^٣ - تاريخ الإسلام حسن إبراهيم حسن ج ١ ص ٨٨، ط-٧-١٩٦٤م، بدون ذكر الناشر

السلمي مبكراً في مكة والذي رغب أن يجاور فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له (إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني) ^(١)، ليقوم بدوره بنشر الدعوة وكسب أنصار آخرين لها تتقوى بهم عند اللزوم ^(٢) ويكثر بهم سواد المسلمين .

ومن الذين أسلموا وعادوا دعاة إلى قومهم في تلك الفترة ضماد الأزدي (عن ابن عباس، أن ضماداً قدم مكة، وكان من أزد شنوءة، وكان يرقى من هذه الريح، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون إن محمداً مجنون فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي، قال فلقية، فقال يا محمد إني أرقى من هذه الريح، وإن الله يشفي على يدي من يشاء، فهل لك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الحمد لله، نحمده ونستعينه من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد" قال فقال أعد عليّ كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، قال فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن ناعوس البحر، قال فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام، قال فبايعه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وعلى قومك) قال على قومي ^(٣) .

وأيضاً (قد وفد على الرسول بعد الخروج من الشعب - شعب أبي طالب الذي كان يحاصر فيه- وفد من نصارى نجران بلغهم خبره من مهاجري الحبشة فسارعوا بالقدوم عليه حتى يروا صفاته مع ما ذكر منها في كتبهم وكانوا عشرين رجلاً أو قريباً من ذلك فقرأ عليهم القرآن فآمنوا كلهم فقال لهم أبو جهل: ما رأينا ركبا أحق منكم أرسلكم قومكم تعلمون خير هذا الرجل فصبأتم فقالوا: سلام عليكم لا نجاهلكم، لكم ما أنتم عليه ولنا ما اخترناه وأنزل الله في ذلك ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾

^١ - رواه مسلم كتاب صلاة ٦ باب إسلام عمرو بن عبسة ٢٥ حديث ٨٣٢ ص ٣٢٣

^٢ - منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية، الطيب برغوث ص ٣١٥، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط-١-١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

^٣ - رواه مسلم كتاب الجمعة ٧ باب تخفيف الصلاة والخطبة ١٣ حديث ٨٦٨ ص ٣٣٥

وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِمْ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٢٣﴾ أَوْلَيْتِكَ
يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢٤﴾
وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي
الْجَنَّةَ لِيَوْمِ ﴿٢٥﴾ ﴿١﴾ .

كان من المفروض أن يشجع إيمان هؤلاء النصارى وهم أهل كتاب كفار قريش بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم والإيمان بما جاء به ولكن من يضل الله فلا هادي له فازدادوا بعدا وتكديفاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتضييقاً عليه وعلى أصحابه وفي تلك الفترة أيضاً أسلم وفد همدان وعادوا دعاء إلى قومهم^(٢)

ومن تلك الوفود التي توسعت بها دائرة مكتسبات الدعوة وفد دوس فقد وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مكة الطفيل بن عمرو الدوسي ، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً فهداه الله للإسلام وسمع القرآن رغم تحذير قريش له من لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم واستماع ما يقول ، فلما سمع القرآن ووقر الإيمان في قلبه أبدى استعداداً للعودة إلى قومه ودعوتهم للإسلام فوافقهم صلى الله عليه وسلم على ذلك ، ودعا له ، فأسلم بعضهم ، ثم جاءه مرة أخرى وشكى إليه ما يلاقه من عدم سرعة الاستجابة من قومه فقال — صلى الله عليه وسلم — : (اللهم اهد دوساً ، واثبت بهم) ^(٣) ارجع إلى قومك فادعهم ورفق بهم ^(٤) ففعل وأسلم على يده جمع غفير من قومه ، أضيف إلى رصيد مكتسبات الدعوة البشرية والمعنوية .

ولاشك من أن هذه المكتسبات وجدت نتيجة لجهود واجتهاد وتخطيط سليم وتوجيهات صائبة من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد سلك طرق مختلفة في سبيل

^١ - القصص ، الآيات ٥٢-٥٥

^٢ - انظر منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة الطيب برغوث ، ص ٣٦٣ .

^٣ - رواه البخاري كتاب الجهاد ٥٦ باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم ١٠٠ حديث ٢٩٣٧ ص ٥٩٥ ، ومسلم

كتاب فضائل الصحابة ٤٤ باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزية وتميم ودوس وطى ٤٧٤

حديث ٢٥٢٤ ص ١٠٢٠

^٤ - انظر : سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٨٢-٣٨٥

نشر الدعوة والبحث عن المكتسبات البشرية في البلاد المختلفة ، فعند ما رأى الإعراض والتضييق على دعوته من أهل مكة ، وأنهم ليسوا أهلاً لحمل الدعوة ونشرها وحماتها في تلك الفترة ، بدأ يبحث عن موطن قدم لها خارج مكة لعله يجد موقعا مناسباً لانطلاق الدعوة العالمية في ربوع المعمورة .

ومن أجل هذه المهمة النبيلة توجه صلى الله عليه وسلم (إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة بهم من قومه ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى)^(١) فلم يجد منهم القبول ، بل ردوه رداً غير لائق بمقامه الرفيع صلى الله عليه وسلم ، فإنهم ألجأوا عليه صبيانهم وعبيدهم يسبونهم ويضحون به فقد قال صلى الله عليه وسلم (وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجيني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي . فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره ما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال : يا محمد ، فقال : ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين "فقال النبي صلى الله عليه وسلم " بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً)^(٢) فاضطر للعودة إلى مكة في جوار المطعم بن عدي .

وبدأ يعرض نفسه صلى الله عليه وسلم على القبائل القادمين إلى مكة للحج والعمرة ويقول (يا بني فلان إني رسول الله إليكم أمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وأن تحلحوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي وتمنعوني حتى آيين عن الله ما بعثني به)^(٣) .

فبينما هو مستمر على هذا النهج والقبائل منهم من يعلن رفضه مبدئياً ومنهم من يشترط أن يكون له الأمر في المستقبل ويرد عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله

^١ - البداية والنهاية ، للحافظ ابن كثير دمشقي ج ٣ ص ١٣٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان

^٢ - رواه البخاري كتاب بدء الخلق ٥٩ باب إذا قال أحدكم "أمين" والملاحكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى

غفر له ما تقدم من ذنبه ٧ حديث ٣٢٣١ ص ٦٦١

^٣ - البداية والنهاية ابن كثير ج ٣ ص ١٣٦

(الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء)^(١) إذ ظفر بمكتسب عظيم وركب كريم من أهل يثرب عرض عليهم الإسلام فبادروا بالقبول والإذعان لما جاءهم به من الله عز وجل، وكانوا (ستة نفر كلهم من الخزرج)^(٢) وقيل (سبعة)^(٣) فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعواهم إلى الإسلام حتى فشافهم فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً^(٤) فالتقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة فبايعوه (وبعث صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير ٠٠ وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام)^(٥) وعلى يده اهتدى الكثير من زعماء الأوس والخزرج الذين كان لهم التأثير على من تحتهم من الرعية ، وفشا الإسلام في الأنصار^(٦) ، وعاد مصعب في الموسم التالي يتقدم وقد الأنصار (وهم سبعون رجلاً ، معهم امرأتان)^(٧) فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته ، والنصر لنبية وإعزاز الإسلام وأهله ، وإذلال الشرك وأهله^(٨) .

وقد تمت بيعة العقبة الثانية على أساس هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وضمان نصرته وحمايته من قبل الأنصار الذين جاءوا لهذا الغرض النبيل ، ويتضح من مجيء هذا الوفد الكبير من المدينة وتعهدهم بالنصرة والحماية أن عدد من وفدوا من عندهم أضعاف هذا العدد ، وإذا أضيف إليهم المهاجرون إلى الحبشة ، ومن بقي في مكة ، ومن أسلم من قبيلة دوس وأفراد القبائل الأخرى يشير كل هذا إشارة واضحة أن الدعوة حققت مكتسبات بشرية كبيرة في المرحلة المكية كما حققت مكتسبات معنوية بالهجرة إلى الحبشة

١- الكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٩٣

٢- البداية والنهاية ابن كثير ج ٣ ص ١٤٧

٣- الكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٩٦

٤- البداية والنهاية ابن كثير ج ٣ ص ١٤٧ ، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٣١

٥- الكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٩٦

٦- قال إبراهيم العلي بعد أن أورد طرق حديث إرسال مصعب إلى المدينة "حسن" ، انظر صحيح

السيرة النبوية ص ١٠٧ ، ط ٢ ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م دار النفائس ، عمان ، الأردن

٧- الكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٩٨

٨- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٣٨

ووجود الأمن والاستقرار ووقوف ملك الحبشة إلى جانب الدعوة ونصرة المهاجرين يضاف إلى ذلك إعلان الهجرة إلى المدينة وما صاحبها من استقبال الأنصار للمهاجرين بصدر رحب مما كان له وقع كبير في نفوس المهاجرين، والأنصار معا، يدل ذلك على ذلك قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١)

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية (الأوس والخزرج الذين آمنوا بالله ورسوله طوعا ومحبة واختياراً وآووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنعوه من الأحمر والأسود وتبوعوا دار الهجرة والإيمان حتى صارت موثلاً ومرجعاً يرجع إليه المؤمنون، ويلجأ إليه المهاجرون ويسكن بحماه المسلمون إذ كانت البلدان كلها بلدان حرب وشرك وشر فلم يزل أنصار الدين يأوون إلى الأنصار، حتى انتشر الإسلام وقوي وجعل يزداد شيئاً فشيئاً حتى فتحو القلوب بالعلم والإيمان والقرآن والبلدان بالسيف والسنان (٢).

لئن كانت الهجرة بهذه الأهمية من رفع الروح المعنوية للمسلمين بإيمان المؤمن في حد ذاته له الأهمية الكبرى في رفع روحه المعنوية، ولا أدل على ذلك من صبر المستضعفين من المؤمنين في مكة أمثال بلال بن رباح الذي كان يردد - أحد أحد - ولا يبالي بالتعذيب في سبيل العقيدة، وصهيب الرومي وآل ياسر، وغيرهم فهؤلاء كانوا في قمة ارتفاع الروح المعنوية رضي الله عنهم أجمعين .

وبالجملة فإن المرحلة المكية اكتسبت فيها الدعوة مكتسبات بشرية ومعنوية متميزة

كانت النواة والأساس لما بعدها من مراحل الدعوة المباركة، وتلخص في التالي:

١- إن الدعوة بدأت سراً مع الأقارب والأصدقاء حتى تمكنت من اكتساب فئة من الأخيار

١- الحشر، آية ٩

٢- تيسر الكرم الرحمن في تفسير كلام المنان الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص ٧٨٨، ط ٢، ١٤١٧هـ -

الذين استطاعوا عند الجهر بما بيان معالمها وبذل الجهد في تبليغها رغم ما تعرضوا له من الضغوط والاضطهاد .

٢- بعد الجهر بالدعوة انتشر صداها وانقسم الناس بين مؤيد وهم قلة ومعارض وهم كثرة وأصحاب السلطة الذين أرادوا كبتها وإخفاءها ، ولكن انتشرت أخبارها خارج مكة في الجزيرة العربية مع الحجاج والزائرين .

٣- نتيجة للدور الإعلامي الذي اكتسبته الدعوة خارج مكة جاءت وفود للتأكد من صدق ما يقال : وتمثل هذه الوفود في قدوم أبي ذر الغفاري ، والطفيل بن عمرو الدوسي ، وعمرو بن عبسة ، ووفد همدان ، ونصاري نجران ، ووفود الأنصار فيما بعد ، وكل هذه الوفود آمنت والتحقت بموكب الدعوة وعادت دعاة إلى قومها وجلبت للدعوة مكتسبات بشرية ومعنوية .

٤- الهجرة إلى الحبشة كان لها أثر فعال في المكتسبات البشرية والمعنوية حيث بدأت الدعوة تنتشر في بلاد الحبشة ، وعلى رأس من استهدفتهم ملك الحبشة الذي آمن بالدعوة بعد التأكد من سلامة المنهج ، وصدق الدعاة .

٥- تمكنت الدعوة من إيجاد موقع مناسب تأوي إليه ، وتنطلق منه في أنحاء المعورة ، ويتمثل في المدينة النبوية التي استقبلت المهاجرين من كل مكان بحفاوة وتكريم .

٦- كان للدعاة دوراً بارزاً في استقطاب الناس وتجمهرهم حول الدعوة وحبهم لها ، لما عرف به هؤلاء الدعاة من الأخلاق الحميدة والمجادلة والتي هي أحسن ، أمثال مصعب بن عمير رضي الله عنه .

٧- وأخيراً اكتسبت الدعوة في المرحلة المكية ، ففة عظيمة من الدعاة من المهاجرين والأنصار كانوا سنداً للنبي صلى الله عليه وسلم في حياته ، وقاموا بعده بنشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها .

المطلب الثاني : مكتسبات الدعوة في المرحلة المدنية

تعتبر المرحلة المدنية هي التي تحقق فيها طموحات وتطلعات المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لأن الدعوة حققت في المرحلة المدنية مكتسبات بشرية وجغرافية ، ومادية كبيرة فقد دانت كل الجزيرة العربية بالإسلام وخضعت له وأكمل الله تعالي دينه ، وأنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم في آخر المطاف وفي حجة الوداع ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾^(١).

و من المناسب أن تكون بداية هذه المرحلة برحلة الرسول صلى الله عليه وسلم في هجرته إلى المدينة ، لأنه تحصل على بعض المكتسبات البشرية وهو في طريقه إليها^(٢) ، فعند ما اتجه صلى الله عليه وسلم صوب المدينة مرّ في طريقه على أم معبد الخزاعية ، وشاهدت المعجزات النبوية وأخبرت بذلك أبا معبد، فأبدى استعداده لقبول الدعوة وقال : (هذا والله صاحب قریش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر ولو كنت وافقته يا أم معبد لا التمتست أن أصبحبه ولأفعلنّ إن وجدت إلى ذلك سبيلاً)^(٣) ، وبينما كان يواصل رحلته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة (وفي الطريق لقي صلى الله عليه وسلم بريدة بن الحصين الأسلمي ومعه نحو ثمانين بيتاً فأسلم وأسلموا ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء الآخرة فصلوا خلفه ، وأقام بريدة بأرض قومه حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد)^(٤) .

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فواصل سيره إلى المدينة متطلعا إلى المزيد من المكتسبات ونصر الله وتمكين دينه في الأرض بروح عالية وعزيمة لا تكل ولا تمل ووصل المدينة فاستقبله الصحابة بفرح وسرور وفي عدة وعتاد واستعداد للجهاد طارحين أمامه كل قواهم البشرية والمادية في سبيل نشر الدعوة والدفاع عنها (وقد استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينشر دينه بين أهل المدينة وأن يجد من بينهم أتباعاً كثيرين في فترة قصيرة كما

^١ - المائدة آية ٣ :

^٢ - للهجرة فصل مستقل في هذا البحث انظر ص ٢٣٥

^٣ - الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٣١ دار صادر ، بيروت ، لبنان ، قال : إبراهيم العلي ، بعد أن ذكر شواهد له (وبهذه الشواهد يكون الحديث حسناً إن شاء الله) انظر : صحيح السيرة النبوية ص ١٢٩ ،

^٤ - الرحيق المختوم ، صفى الرحمن المباركفوري ص ٢٤٣ ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، دار الكتاب والسنة ، باكستان

استطاع أن يصلح ذات بينهم ويوطد السلم بين عشائهم ويعقد حلفاً بين المسلمين من مهاجرين وأنصار، وبين اليهود^(١)، فصارت المدينة معقل الإسلام ومأوى المهاجرين والأنصار، وهي أكبر مكتسب جغرافي ومعنوي تحقق للدعوة في تلك الفترة، بل حتى بعدها لأن المدينة صارت منطلقاً للدعوة ومقراً لدولة الإسلام الراشدة .

ثم شرع الجهاد لنصرة المستضعفين ونشر الدعوة وحمايتها قال تعالى ﴿ أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هَدَمْتَ سَوَامِعَ وَبِيَعٍ وَصَلَوَاتٍ وَمَسْجِدٍ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢﴾ فهي رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه للمواجهة والمنازلة لكل من يقف أمام نشر الدعوة بادئاً بأهل مكة الذين كانوا يضطهدون الصحابة رضي الله عنهم وينهبون أموالهم وممتلكاتهم .

فأرسل السرايا وغزا بنفسه صلى الله عليه وسلم ، فكانت هناك مناوشات لم ترق إلى مستوى القتال قبل سرية عبد الله بن جحش التي أرسلها صلى الله عليه وسلم إلى نخلة في رجب من السنة الثانية ، وعدد أفرادها عشرة تحلف عنهم في الطريق اثنان لضياح بعيرهما ووصل الثمانية الموقع وأداروا معركة مع أربعة من القرشيين في عير لقريش ، (فقتلوا عمرو بن الحضرمي وأسروا عثمان والحكم وهرب نوفل واستاقوا العير وهي أول غنيمة غنمها المسلمون من أعدائهم)^(٣)، فهذا مكتسب مادي حققته الدعوة ، ومعنوي أيضا حيث أدار هؤلاء المجاهدون المعركة في أطراف مكة وعادوا سالمين غانمين لم يمسههم سوء .

١- تاريخ الإسلام حسن إبراهيم حسن ج ١ ص ١٠١

٢- الحج ، الآيتان : ٣٩-٤٠

٣- ، وانظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٦٠٣ ، والمغازي للواقدي ج ١ ص ١٣ ، تحقيق د/مارسدن جونس ط، ٢- ١٤٠٤-١٩٨٤م ، عالم الكتب ، و نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ، الشيخ محمد الخضريك ص، ١٠ ، قال د/بريك العمري بعد أن أورد طرقه ، فجميع هذه الطرق التي ورد بها الخبر تؤيد رأي ابن حجر في تصحيحه له حيث تتعاضد فيما بينها لتكسبه القوة ، انظر السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ص ١٠١ ، ط، ١- ١٤١٧ هـ ١٩٩٦م ، دار ابن الجوزي ، الدمام

أما أول غزوة حصل فيها القتال والانتصار فهي غزوة بدر الكبرى - التي كانت (لسبع عشرة من رمضان في يوم الجمعة) ^(١) من السنة الثانية من الهجرة (وكان جملة من شهد بدرًا من المسلمين ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠ . أما جمع المشركين فإنهم ٠٠ كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف ٠٠ قتل منهم سبعون وأسر سبعون) ^(٢) ومكث النبي صلى الله عليه وسلم في موقع المعركة ثلاثة أيام ثم قفل عائداً إلى المدينة وقسم الغنائم على من حضر المعركة ومن استشهد والذين كلفهم الرسول صلى الله عليه وسلم ببعض المهام فلم يتمكنوا من حضور الغزوة ^(٣) ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مظفراً منصوراً قد خافه كل عدوله بالمدينة وحولها فأسلم بشر كثير من أهل المدينة) ^(٤) .

(وكانت أصداء بدر عميقة في المدينة ومكة وأرجاء الجزيرة العربية فقد استعلى المؤمنون في المدينة على اليهود وبقايا المشركين ، فانخذل اليهود وظهرت أحقادهم التي دفعت بهم إلى المجاهرة بالعداء ، فقد غاظتهم النتيجة التي ما كانوا يتوقعونها فلم يعودوا يسيطرون على أفعالهم وأقوالهم التي تنم على الغضب والحقد المأججين . فاندفعوا نحو العدوان مما أدى إلى إجلاء بني قينقاع عن المدينة .

ودخل الكثيرون في الإسلام ، وبعضهم دخل حماية لمصلحه بعد أن شعر برجحان كفة المسلمين) ^(٥) وبذلك حققت الدعوة مكتسبات بشرية وجغرافية ومادية ومعنوية (فقد هُددت طرق تجارة المكيين وهي عصب حياتهم وأضعفت هية أهل مكة ونفوذهم على العرب

^١ - كتاب المغازي لابن أبي شيبة، دراسة وتحقيق د/ عبد العزيز بن إبراهيم العمري، وقال سنده متصل ورجاله ثقات وله شواهد مختلفة. ص ١٧٤، ط، ١ - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار إشبيلية، الرياض

^٢ - البداية والنهاية ابن كثير ج ٣ ص ٣٢٦-٣٢٨

^٣ - انظر نور اليقين محمد الخضري بك ص ١١١

^٤ - انظر الرحيق المختوم المباركفوري ص ٣١٦

^٥ - السيرة النبوية الصحيحة د/ أكرم ضياء العمري ج ٢ ص ٣٧٢، ط، ٥ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة،

، ونمت قوة الإسلام وعززت دولته الجديدة في المدينة وانفسح المجال لنشر دعوته ، وازداد التضامن بين المهاجرين والأنصار قوة وتماسكاً^(١) .

وتواصلت الانتصارات ففي شوال (نقلت استخبارات المدينة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد بدر أن بني سليم ، وبني غطفان تحشد قواتها لغزو المدينة فباغتهم النبي صلى الله عليه وسلم في مائتي راكب في عقر دارهم ، وبلغ منازلهم في موضع يقال له - الكدر - ففر بنو سليم وتركوا في الوادي خمسمائة بعير استولى عليها جيش المدينة ، وقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد إخراج الخمس فأصاب كل رجل منهم بعيرين ، وأصاب غلاماً يقال له يسار فأعتقه وأقام النبي صلى الله عليه وسلم في دارهم ثلاثة أيام ثم رجع إلى المدينة^(٢) .

وفي تلك الفترة جاء إلى المدينة عمير بن وهب الجمحي بعد أن اتفق مع صفوان بن أمية على اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم فلما وصل المدينة لم يستطع تنفيذ مهمته وأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بما جاء من أجله وما جرى بينه وبين صفوان فأسلم وحسن إسلامه (ثم قال : يا رسول الله إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل وأنا أحب أن تأذن لي ، فأقدم مكة ، فأدعوهم إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإلى الإسلام ، لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ويؤذي من خالفه أذى شديداً فأسلم على يده ناس كثير^(٣))

وفي شوال من السنة الثانية من الهجرة ٠٠ حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قينقاع ، بعد أن نقضوا العهد ، ثم نزلوا على حكمه ٠٠ فأمر بإجلائهم ، وأغرم الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ما كان لهم من مال - ولم تكن لهم أرضون إنما كانوا صاغة - فأخذ رسول الله

^١ - دراسة في السيرة د/ عماد الدين خليل ص ١٨٦ مؤسسة الرسالة ، بدون تاريخ طبع

^٢ - الرحيق المختوم المبارك كفوري ص ٣٢٢ ، والطبقات الكبرى ابن سعد ج ٢ ص ٣١

^٣ - ١ نظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٦٦٢-٦٦٣ ، قال : إبراهيم العلي في صحيح السيرة النبوية بعد أن ذكر طرقه

وإسناد ابن مندة ظاهره أنه حسن

صلى الله عليه وسلم لهم سلاحاً كثيراً وآلة صياغة^(١) وبإجلاء هؤلاء اليهود من المدينة بعد نقضهم للعهد اكتسبت الدعوة مكتسبات مادية ومعنوية بسلب أموالهم وإخراجهم من المدينة أذلة صاغرين ليكونوا عبرة للمعتبرين ولكل من تسول له نفسه بمثل فعلهم .

وفي جمادى الآخرة من السنة الثالثة تلقى صلى الله عليه وسلم خير قافلة قريش وهي تسلك طريق نجد متجهة إلى الشام (فجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لوقته حملة قوامها مائة راكب في قيادة زيد بن حارثة الكلبي، وأسرع زيد حتى دهم القافلة بغتة على حين غرة وهي تنزل على ماء في أرض نجد يقال له -قردة- بالفتح فالتسكون فاستولى عليها كلها، ولم يكن لصفوان ومن معه من حرس القافلة إلا الفرار بدون أي مقاومة .

وأسر المسلمون دليل القافلة -فرات بن حيان، ورجلين غيره- وحملوا غنيمة كبيرة من الأواني والفضة كانت تحملها القافلة قدرت قيمتها بمائة ألف، وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الغنيمة على أفراد السرية^(٢) بعد أخذ الخمس الذي قدر به -عشرين ألفاً^(٣) وأسلم فرات بن حيان عنده صلى الله عليه وسلم، فهذه ضربة قاصمة أخرى تلقتها قريش على أيدي المجاهدين المؤمنين حيث أخذت أموالهم وقطعت عليهم كل الطرق المؤدية إلى الشام .

وفي شوال من السنة الثانية^(٤) كانت وقعة -أحد- التي كان عدد المسلمين فيها ألف قبل أن يعود عبد الله بن أبي بلث الجيش، أما الكفار فكان عددهم ثلاثة آلاف مقاتل، ومع ذلك كان الانتصار في الجولة الأولى للمسلمين إلا أنه حصلت بعد المخالفة من الرماة لأوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتخلوا عن مواقعهم من غير قصد مما ساعد جنيل المشركين في الالتفاف من الخلف لتحقيق بعض الانتصارات الخاطفة ولم يكن انتصاراً كاملاً لأمر منها ١- لم يتمكنوا من اقتحام المدينة ٢- لم يستطيعوا البقاء في ميدان المعركة بعد

^١ - انظر تاريخ الطبري لأبي جعفر الطبري ج ٢ ص ٤٨٠-٤٨١ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت،

لبنان . والبداية والنهاية ابن كثير ج ٤ ص ٤

^٢ - الرحيق المختوم المباركفوري ص ٣٣٧-٣٣٨، والبداية والنهاية ابن كثير ج ٤ ص ٥

^٣ - تاريخ الطبري ابن جرير ج ٢ ص ٤٩٣

^٤ - البداية والنهاية ابن كثير ج ٤ ص ١٠

نهایتها ، بل رجعوا إلى مكة هارين في وقتهم ٣- لم يتمكنوا من أسر أحد من المسلمين^(١)
 ٤- قام صلى الله عليه وسلم في اليوم التالي بمطاردتهم فوصل إلى حمراء الأسد ، وواصل
 المشركون هروبهم إلى مكة .

وقد تجرأت بعض القبائل في مهاجمة المسلمين بعد أحد ولكن كان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يباغتهم في ديارهم ، ففي محرم من السنة الرابعة بعث رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أبا سلمة في سرية إلى بني أسد الذين كانوا يعدون العدة لها جهة المدينة وكان عدد
 السرية (خمسون ومائة ٠٠ فلما انتهوا إلى أرضهم تفرقوا وتركوا نعما كثيراً لهم من الإبل
 والغنم فأخذ ذلك كله أبو سلمة ، وأسر منهم معه ثلاثة ممالك وأقبل راجعاً^(٢) بعد إلحاق
 الهزيمة العسكرية والنفسية بالعدو ، ورفع الروح المعنوية للمسلمين .

وأيضاً مكتسب آخر حققه المسلمون ضد يهود بني النضير الذين نقضوا العهد
 فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أجلاهم إلى أذرعات^(٣) الشام وخيبر (ولم
 يخمس رسول الله ما أخذ من بني النضير فإنه فيء لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ، ومثل هذا
 يكون لمعدات الحرب وللرسول يطعم منه أهله ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن
 السبيل قال تعالى في سورة الحشر ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
 وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا
 آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾^(٤)
 ، فأعطى عليه السلام من هذا الفياء فقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، وردوا
 لإخوانهم من الأنصار ما كانوا قد أخذوه منهم أيام هجرتهم وأخذ عليه السلام أرضاً يزرعها
 ويدخر منها قوت أهله عاماً^(٥) .

وهكذا تمّ تطهير المدينة تدريجياً من رجس اليهود الغادرين والاستيلاء على ممتلكاتهم
 وأرضهم ليضاف إلى مكتسبات الدعوة .

^١ - انظر الرحيق المختوم المباركفوري ص ٣٨٩

^٢ - البداية والنهاية ابن كثير ج ٤ ص ٦٤ والطبقات الكبرى ابن سعد ج ٢ ص ٥٠

^٣ - أذرعات : بلد في أطراف الشام بجوار أرض البلقاء وعمان . انظر : معجم البلدان للحموي ج ١ ص ١٣٠ . دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ طبع .

^٤ - الحشر آية ٧

^٥ - البداية والنهاية ابن كثير ج ٤ ص ٧٦-٧٧ ، والطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٧ ونور اليقين ، محمد الحضري بك ص ١٣٧

وفي شعبان من السنة الرابعة كانت غزوة - بدر الآخرة - وفاءً بالوعد الذي ربطوه مع أبي سفيان يوم أحد، خرج إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف وخمسمائة من أصحابه وهو أكبر عدد يخرج به قبل الخندق، فلم يجد بها أحداً لأن أبا سفيان خرج بجيشه ثم خاف وعاد أدراجه، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم (فأقام عليه ثماني ليال ينتظر أبا سفيان)^(١) ثم عاد إلى المدينة معزراً مكرماً قد أوفى بالوعد وأخاف الأعداء والتربصين .

وفي ربيع الأول سنة خمس كانت غزوة - دومة الجندل - والتي خرج إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف من الصحابة كان أهلها يظلمون من مر بهم فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤد بهم كما أراد أن يقترب من أرض الشام ويخيف قيصرها فكان يسير الليل، ويكمن النهار، ولما قرب من دومة الجندل هجم على ماشيتهم ورعائهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب وجاء الخبر إلى أهل دومة الجندل فتفرقوا ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحتهم فلم يجديها أحداً فأقام بها أياماً^(٢) ثم عاد إلى المدينة بمكتسباته المادية والمعنوية معزراً مكرماً لم يمسه سوء والله الحمد .

وفي شوال من السنة الخامسة كانت غزوة - الخندق - التي حرض إليها نفر من اليهود الذين أجلوا من المدينة فاستجابت لدعوتهم قريش وغطفان وبنو مرة وبنو أشجع وبنو سليم وبنو أسد، وعدة الجميع عشرة آلاف محارب وكل قبيلة لها قائدها الخاص والقائد العام أبو سفيان، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر هذا الحشد استشار الصحابة فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق، وأخذ برأيه، وكان عدة جيش المسلمين ثلاثة آلاف مجاهد واستمر الحصار لمدة شهر، وتقضت بنو قريظة عهدها فصارت تهدد المدينة من الداخل وفي تلك الحال أيدت الدعوة بمكتسب كبير، حيث جاء نعيم بن مسعود مسلماً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني قد أسلمت وأن قومي لم يعلموا بإسلامي فمربي ما شئت، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة ، وكان نعيم حليفاً وندبياً وموضع ثقة لدى

^١ - سيرة ابن هشام ج ٣-٤ ص ٢٠٩، والطبقات الكبرى ابن سعد ج ٢ ص ٥٩، والسيرة النبوية الصحيحة، د/ أكرم

ضياء العمري ج ٢ ص ٤٠١

^٢ - انظر البداية والنهاية ابن كثير ج ٤ ص ٩٣، والطبقات الكبرى ابن سعد ج ٢ ص ٦٢

الأحزاب مع ذكاء وفطنة وكياسة وحسن السياسة مما جعله يقوم بمهمة التخذيل خير قيام ، مبتدئاً بقرينة ثم قريش ومن معها من بقية الأحزاب ، فأوقع بينهم التنافر والتباغض وعدم الثقة وأرسل الله عليهم ريحا وقذف في قلوبهم الرعب ففرقوا قال تعالى ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ (١)

(وكان لطول أمد الحصار أسوأ الأثر في نفوس الأحزاب المتحالفة مع قريش مما جعل لإخفاقها ورجوعها تجر أذيال الخيبة وتندب الآمال التي كانت تحلم بها، أثر كبير في سرعة انتشار الإسلام بين قبائل العرب) (٢) .

وهذا الانتصار عزز بانتصار آخر على بني قريظة (٣) آخر من تبقى من يهود المدينة ففي ظهر يوم رجوعه من الأحزاب ندب أصحابه صلى الله عليه وسلم للخروج إليهم ، فحاصروهم خمسة وعشرون يوماً ، ثم نزلوا على حكمه، فحكم عليهم سعد بن معاذ بقتل الرجال ، وسبي النساء والذراري .

ويعد هذا من أكبر المكتسبات التي تحققت للدعوة في تلك الفترة ، حيث طهرت أرض المدينة من رجس اليهود وتحرشاتهم وصارت أرضاً إسلامية بحتة مع ما تحقق من المكاسب الأخرى ، وقد كانت انتصارات الجيوش الإسلامية تجذب كل يوم أفراداً من شتى القبائل ، لا سيما من كان يقيم منهم في جوار المدينة ليزداد بهم صفوف أتباع النبي صلى الله عليه وسلم وكثيراً ما كان يفد أحد أفراد القبيلة على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، ثم يعود إلى قومه داعياً إلى الإسلام جاداً في تحويل أخوته إليه) (٤) .

كما بعثت بنو سعد بن بكر واحداً منها يقال له ضممام بن ثعلبة رسولاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبعد مناقشة طويلة وأسئلة عن فروض الإسلام أسلم وعاد إلى قومه ، وقص عليهم من أمر النبي صلى الله عليه وسلم (٥) (وما زال يقص عليهم حتى لم يأت المساء إلا

١- الأحزاب آية : ٢٥

٢- تاريخ الإسلام ، حسن إبراهيم ج ١ ص ١٢٠

٣- الطبقات الكبرى ابن سعد ج ٢ ص ٧٤

٤- تاريخ الإسلام حسن إبراهيم ج ١ ص ١٢١

٥- انظر : المرجع السابق ج ١ ص ١٢١-١٢٢

وقد أسلم كل من في الحي رجالاً ونساء^(١) وأيضاً (كان عمرو بن مرة من جهينة التي كانت تقيم بين المدينة والبحر الأحمر مثلاً آخر لهؤلاء الدعاة . . . فقد بعته رسول الله إلى قومه يرغب في الإسلام ، فتكللت جهوده بالنصر حتى لم يبق هناك إلا رجل واحد هو الذي استعصى على الترغيب)^(٢) .

وأول سرية بعد الخندق وقريظة كانت سرية محمد بن مسلمة في محرم سنة ست وعدد أفرادها ثلاثون راكباً وجهتها قبل مجده إلى بطن من بني بكر بن كلاب ، فلما أغارت عليهم هربوا ، فاستاق المسلمون نعماً وشاء وقدموا معهم بشمامة بن أثال الحنفي سيد بني حنيفة ، فربطوه في سارية المسجد ، وبعد أن دار حوار بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، أمر بإطلاقه ثم أسلم وقال (يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليّ ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله إليّ ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليّ ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة ، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له قائل : أصبوت؟ فقال : لا ولكني أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا والله لا يأتاكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم)^(٣) .

من المعلوم أنّ إسلام عظماء الرجال والقادة الكبار الذين لهم وزهم في المجتمع كسب عظيم للدعوة من أمثال حمزة بن عبد المطلب ، وعمر بن الخطاب في مكة ، والنجاشي في الحبشة ، والسعدان^(٤) في المدينة وثمامة في نجد ، ومكانة ثمامة ونفوذه في قومه خاصة وأهل نجد عامة يؤهله أن يستجيب لدعوته جمع غفير وإن لم تذكر المصادر التي بين أيدينا عدد من أسلم على يده (وقد كان لهذا الرجل الكريم الأصل قدم راسخة فالإسلام عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حينما ارتد أكثر أهل بلاده ، فكان ينهى قومه عن اتباع

^١ - تاريخ الإسلام حسن إبراهيم ج ١ ص ١٢٢

^٢ - المرجع السابق ج ١ ص ١٢٢

^٣ - رواه مسلم في كتاب الجهاد ٣٢ باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه ١٩ حديث ١٧٦٤ ، ص ٧٣٢ وانظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن قيم الجوزية ج ٣ ص ٢٧٧ ، ط ١٥ ، ١٤٠٧ هـ - مؤسسة الرسالة

^٤ - هما سعد بن عبادة وسعد بن معاذ رضي الله عنهما

مسليمة ويقول إياكم وأمرًا مظلماً لا نور فيه وإنه لشقاء كتبه الله على من اتبعه فثبت معه كثير من قومه رضي الله عنه^(١) .

ويمكن هنا ذكر جملة من السرايا التي نالت بعض المكتسبات في السنة السادسة :

١- سرية عكاشة بن محصن في ربيع الأول خرج في أربعين رجلاً إلى - القمر - ماء لبني أسد ، ففر القوم وأصاب المسلمون مائتي بعير ساقوها إلى المدينة^(٢) .

٢- سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى - ذي القصة - في ربيع الآخر، ومعه أربعون رجلاً ووافوا بني ثعلبة مع الصبح فأغاروا عليهم فأصابوا رجلاً واحداً فأسلم وغنموا نعماً وشاء^(٣)

٣- سرية زيد بن حارثة إلى - الجموم - في ربيع الآخر أصابوا نعماً وشاء وأسرى من بني سليم^(٤) .

٣ - سرية زيد إلى - العيص - في جماد الأولى في سبعين ومائة راكب وفيها أخذت أموال عير قريش وقائدها أبو العاص أفلت واستجار بزینب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد إليه الأموال فسلمها لقريش ثم أسلم^(٥)

٥- سرية زيد أيضاً إلى - الطرف - في جماد الآخرة ومعه خمسة عشر رجلاً إلى بني ثعلبة ، فهربوا وأصاب من نعمهم عشرين بعيراً^(٦)

٦- سرية عبد الرحمن بن عوف في شعبان إلى - دومة الجندل - قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هم أطاعوا فتزوج بنت ملكهم ، فأسلم القوم ، وتزوج عبد الرحمن بنت ملكهم^(٧) .

^١- نور اليقين محمد الحضري بك ، ص ١٥٨

^٢- انظر: البداية والنهاية ابن كثير ج ٤ ص ٨٠

^٣- انظر: الطبقات الكبرى ابن سعد ص ٨٦ والبداية والنهاية ابن كثير ج ٤ ص ٨٠

^٤- انظر: المرجع السابق ج ٤ ص ٨٠

^٥- انظر: الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٨٧

^٦- انظر: المرجع السابق ج ٢ ص ٨٧

^٧- البداية والنهاية ابن كثير ج ٤ ص ٨١ ، والطبقات الكبرى ابن سعد ج ٢ ص ٨٩

٧ - سرية علي بن أبي طالب في شعبان إلى بني سعد بن بكر بـ -فدك- في مائتي رجل فأغار عليهم علي رضي الله عنه فأخذ خمسمائة بعير وألفي شاة وهرب بنو سعد بالظعن^(١). هذه البعوث والسرايا قد أثبتت قدرتها على التصدي للأعداء وآتت ثمارها، فجاءت بمكتسبات بشرية وما دية ومعنوية في فترة وجيزة والله الحمد والمنة .

وفي شعبان سنة ست غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بني مصطلق من خزاعة وقتل من قتل منهم، ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم، فأفأء هم عليه، وكان من جملة السبي جويرية بنت الحارث سيد القوم وقعت في سهم ثابت بن قيس فكتبها، فأدى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها فأعتق المسلمون بسبب هذا التزويج مائة أهل بيت من بني المصطلق، قد أسلموا وقالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها (فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها)^(٢) حيث أعتق بسببها هذا الجمع الكبير من رق العبودية وذلها، فبينما كانوا مكتسبات مادية قابلين للبيع والشراء أصبحوا مكتسبات بشرية تعزز الدعوة وتنصرها .

وفي ذي القعدة سنة ست كانت غزوة الحديبية التي وقع فيها الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش، وقد تلى هذا الصلح الفتح والنصر على جميع المخاور (قال الهزري: فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه إنما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة وضعت الحرب، وأمن الناس بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك الستين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر قال ابن هشام: والدليل على ما قال الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة رجل^(٣) في قول جابر، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بستين في عشرة آلاف)^(٤)، و(كان من مكاسب هذا الصلح اعتراف قريش بمكانة المسلمين وتسليمهم لهم كفريق قوي كريم، تبرم

^١ - انظر: البداية والنهاية ابن كثير ج ٤ ص ١٨١، والطبقات الكبرى ج ٢ ص ٨٩

^٢ - انظر سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٨٩-٥٩٥

^٣ - استدلال ابن هشام رحمه الله قد يوهم أن هذا العدد هو أكبر عدد خرج به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زمن الحديبية، ولكن الواقع أنه قد خرج إلى الأحزاب وبني قريظة بثلاثة آلاف مجاهد.

^٤ - سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٢٢ والبداية والنهاية ابن كثير ج ٤ ص ١٧٢

مع المعاهدات ويتفق معه على مفاوضات- واستفاد بهذه الهدنة المستضعفون في مكة، وقد أسلم على يد أبي جندل عدد كبير من أبناء قريش في مكة وضاق قريش ذرعاً بهذا الداعي إلى الإسلام وانتشار الإسلام في مكة، ولحقوا بأبي بصير، وصار مركز دعوة وقوة للإسلام، وتكلمت في شأنهم قريش وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلحقهم به في المدينة ففعل ونجوا من الضيق الذي كانوا فيه بمكة وكان كل ذلك من حسنات هذا الصلح وفوائد هذه الهدنة، وكان صلح الحديبية فتحاً للقلوب، فدخل في الإسلام خالد بن الوليد الذي كان قائد الفرسان لقريش وبطل معارك عظيمة، وقد سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم "سيف الله" وهو الذي أبلى في الله بلاء حسناً وفتح الله على يده الشام، ودخل عمرو بن العاص -أحد كبار القادة والأمراء وفتح مصر من بعد وقدما المدينة بعد صلح الحديبية، فأسلما وحسن إسلامهما^(١) .

صلح الحديبية في ظاهره كان لمصلحة قريش وفي حقيقته صار فتحاً ونصراً للإسلام وتحققت به مكتسبات عظيمة لم تكن في حسابان الصحابة .

(وفي السنة السابعة جاء الطفيل بن عمرو من اليمن ومعه عدد يتراوح بين السبعين والثمانين أسرة من قومه كان الإسلام قد ظفر بانضمامهم إليه)^(٢) .

وفي محرم سنة سبع كانت غزوة - خيبر - التي لم يطرأ فيها زيادة على عدد المجاهدين الذين خرج بهم صلى الله عليه وسلم في الحديبية (فلم يخرج إلا أصحاب الشجرة وهم ألف وأربعمائة)^(٣) كما سبق، أما يهود خيبر فكان عدد مقاتليهم عشرة آلاف ومع ذلك كان لا تتصار المسلمون فيها انتصاراً رائعاً وقع كبير في قلوب القبائل العربية التي لم تسلم بعد، فقد كانت تعرف قوة اليهود في خيبر الحربية وما كانوا يتمتعون به من غنى ورفاهية وثروة زراعية غذائية ووفور السلاح، والكراع وقوة الحصون والآطام واستعصائها على الزاحفين المهاجمين)^(٤) .

١- انظر السيرة النبوية أبو الحسن علي الحسيني الندوي ص ٢٣٥-٢٣٧، ط ٣، ١٤٠١هـ - ١٩٨١ م، دار الشروق،

٢- تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم ج ١ ص ١٣٠

٣- الرحيق المختوم المباركفوري ص ٤٨٥

٤- السيرة النبوية، الندوي ص ٢٦٦

ومع كل هذه الإمكانيات واصل المجاهدون هجومهم وتوالى سقوط الحصون وعندما تبقى آخر حصن في يد اليهود طلبوا حقت دمائهم وأن يخرجوا من أرض خيبر بذرائعهم لا يصطحب الواحد منهم إلا ثوباً واحداً على ظهره، فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك وغنم المسلمون مغنم كثيرة ومن حصني - الوطيح والسلام - فقط غنموا مائة درع وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة قوس عربية، وعثروا على حلي حبي بن أخطب فودوا أساور، ودمالج وخلاخيل، وقرطة وخواتيم الذهب وعقود الجواهر والزمرد وغيرها، وصالح أهل - فذك - على حقت الدماء وترك الأموال للمسلمين .

أما أهل - وادي القرى - فأبوا إلا المقاتلة فقاتلهم صلى الله عليه وسلم وغنم منهم مغنم كثيرة خمسها عليه السلام وترك الأرض في أيدي أهلها يزرعونها، وصالح أهل - تيماء - بدفع الجزية مع البقاء في أرضهم^(١) .

إن غزوة خيبر حققت مكتسبات رائعة في مختلف الميادين الجغرافية والمادية والمعنوية ، وفي تلك الفترة (قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عمه جعفر بن أبي طالب وأصحابه ومعهم الأشعريون عبدالله بن قيس وأبو موسى وأصحابه)^(٢) وفرح صلى الله عليه وسلم بقدمهم وأشركهم في مغنم خيبر .

ومن الممكن هنا ذكر بعض السرايا التي تمكنت من إحراز مكتسبات مختلفة في السنة السابعة .

أ - في صفر أو ربيع الأول كانت سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوح بكديد فشنوا الغارة في الليل فقتلوا من قتلوا وساقوا النعم^(٣)

ب - وفي رمضان كانت سرية أخرى لغالب إلى بني عوال وبني عبد بن ثعلبة باليفعة^(٤)، وقيل إلى حرقان من جهينة في مائة وثلاثين رجلاً فهجموا عليهم وقتلوا من أشرف عليهم واستاقوا نعماً وشاء^(٥) .

^١ - انظر نور اليقين محمد الحضري بك ١٧٩-١٨٤ بتصرف

^٢ - زاد المعاد ابن القيم ج ٣ ص ٣٣٢

^٣ - انظر: الطبقات الكبرى ابن سعد ج ٢ ص ١٢٤

^٤ - هي أرض مرتفعة . انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، (يفع) ج ٨ ص ٤١٤ .

^٥ - انظر: الطبقات الكبرى ابن سعد ج ٢ ص ١١٩

ج - وفي شوال كانت سرية بشير بن سعد الأنصاري في ثلاثمائة من المسلمين إلى يمن وجبار أرض لغطفان، وقيل لفزارة وعذرة، فلما بلغهم سير بشير هربوا، وأصاب بشير نعماً كثيرة وأسر رجلين قدم بهما المدينة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلما.

د- سرية أبي حدرد الأسلمي إلى الغابة لتحرير أخبار حشم بن معاوية، ووصلوا القوم مع غروب الشمس فكنموا، ثم حملوا على القوم بعد قتل رئيسهم فما كان من القوم إلا الفرار، واستاق المسلمون وعددهم ثلاثة الكثير من الإبل والغنم^(١)

ومما لا شك فيه أن الأوضاع الاقتصادية لدى المسلمين قد تحسنت بشكل كبير بعد الحصول على غنائم خيبر وأرضها الزراعية بالإضافة إلى غنائم هذه السرايا التي تابعت على المسلمين ويعد هذا كسب كبير تمكنت منه الدعوة في فترة وجيزة .

أما السنة الثامنة أيضاً فكان فيها الكثير من المكتسبات والإنجازات الدعوية فمن ذلك كانت في صفر سرية غالب بن عبد الله في مائتي راكب إلى فدك، فأصابوا من العدو نعماً وقتلوا منهم قتلى .

وفي ربيع الأول من السنة الثامنة كانت سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى بني هوازن في خمسة وعشرين رجلاً فاستاقوا نعماً من العدو ولم يلحقوا كيداً .^(٢)

وفي جمادى الأولى من السنة الثامنة كانت غزوة مؤتة في بلاد الشام، فتجهز المسلمون وهم ثلاثة آلاف، فلما وصلوا مؤتة وجدوا الروم في مائة ألف وانضم إليهم من لخم، وجزام وبلقين، وبهراء، وبلبي مائة ألف^(٣)، ورغم كثرة الروم وحلفائهم، خاض المسلمون المعركة وقاتلوا قتلاً شرساً ومستميتاً حتى أربهوا العدو ثم انسحب الفريقان من موقع المعركة بعد أن أخذ المسلمون تجربة في قتال الروم والتعرف على بلاد الشام .

سرية عمرو بن العاص في جمادى الآخرة إلى قضاة وراء وادي القرى في ثلاثمائة رجل، ثم أمده صلى الله عليه وسلم بأبي عبيدة بن الجراح في مائتين فيهم أبو بكر وعمر، ولما

^١ - انظر البداية والنهاية ابن كثير ج ٤ ص، ٢٢٣، وزاد المعاد ابن القيم ج ٣ ص ٣٦٤

^٢ - انظر البداية والنهاية ابن كثير ج ٤ ص، ٢٤٠، والرحيق المباركفوري ص ٥١٣

^٣ - انظر زاد المعاد ابن القيم ج ٣ ص، ٣٨١-٣٨٢

حلوا بساحة القوم حملوا عليهم فلم يكن أكثر من ساعة حتى تفرق الأعداء منهزمين ، فجمعوا غنائمهم ثم رجعوا إلى المدينة ظافرين ^(١) .

ومن هنا بدأت قيادة عمرو بن العاص للجيوش الإسلامية وخالد بن الوليد من قبل في غزوة مؤتة ، وقد أثبت كل منهما جدارته في أول الغزوة التي تولى فيها القيادة، فخالد غير من التكتيك الحربي مع العدو فنحى بالجيش الإسلامي في مؤتة ، فأثنى صلى الله عليه وسلم على فعله ، وعمرو بن العاص حينما كان يقرب من العدو منع من إيقاظ النار، ثم بعد الانتصار على العدو منع من متابعته ومطاردته ، وأجنب فصلى بالتييم وأنكر عليه أصحابه ولكن لما بين السبب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أثنى عليه بخير ودعاه ، وكان إسلامهما قبل تلك المعركتين بقليل .

أما فتح مكة (الذي أعز الله به دينه ، ورسوله وجنده وحزبه الأمين ، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين ، هو الفتح الذي استبشر به أهل السماء ، وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ، ودخل الناس به في دين الله أفواجا ، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجا ، خرج له رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتائب الإسلام وجنود الرحمن سنة ثمان لعشر مضين من رمضان) ^(٢) ، وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف ^(٣) دخل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دون مقاومة تذكر إلا ما كان من بعض سفهاء قريش الذين تجمعوا عند الخندمة ، وأبدوا بعض المقاومة ، ثم فروا وأصبحت مكة وأهلها مكتسباً من مكتسبات الدعوة (وهذه الغزوة الفاصلة فتحت أعين الناس وأزالت عنها آخر الستور التي كانت تحول بينها وبين الإسلام وبهذا الفتح سيطر المسلمون على الموقف السياسي والديني كليهما معا في طول جزيرة العرب وعرضها ، فقد انتقلت إليهم الصدارة الدينية والزعامة الدنيوية) ^(٤) نتيجة هذا الفتح المبين الذي حقق للدعوة مكاسب بشرية تعد بالألوف ، فيوم الفتح فقط أسلمت قريش بأكملها ،

^١ - زاد المعاد ابن القيم ج ٣ ص ٣٨٦ ، ونور اليقين محمد الحضري بك ١٩٠ بتصرف

^٢ - زاد المعاد ابن القيم ج ٣ ص ٣٩٤

^٣ - البداية والنهاية ابن كثير ج ٤ ص ٣٠٨

^٤ - الرحيق المختوم المباركفوري ص ٥٤٥

وخرج مع الرسول صلى الله عليه وسلم يوم حنين ألفين من أهل مكة دون من بقي من الرجال والنساء في مكة، ويضاف إلى المكتسبات البشرية المكتسبات المعنوية والجغرافية، حيث كانت كل القبائل العربية تنتظر أهل مكة وما يؤول إليه أمرهم لأن مكة تعتبر عاصمة الجزيرة العربية ويسقوطها في أيدي المسلمين تسقط بقية المقاطعات والقرى والبلدات يقول المولى عز وجل ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ ﴾^(١) (زمرًا وأرسالاً القبيلة بأسرها والقوم بأجمعهم من غير قتال .

قال : الحسن لما فتح الله عز وجل مكة على رسوله قالت: العرب بعضها البعض إذا ظفر محمد بأهل الحرم وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان، فكانوا يدخلون في دين الله أفواجاً بعد أن كانوا يدخلون واحداً واحداً واثنين اثنين^(٢) .

وبعد فتح مكة بأيام بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن هوازن وثقيف يستعدون لحربه فأجمع رأيهم على المسير إليهم، وخرج معه اثنا عشر ألف غاز منهم ألفان من أهل مكة والباقيون هم الذين أتوا معه من المدينة)^(٣)، وقال : بعض الصحابة حينما رأى هذا الجمع الغفير من المجاهدين لن تغلب اليوم من قلة، وحصلت المواجهة في حنين فانهزم المسلمون في بادئ الأمر ثم تراجعوا وانتصروا على عدوهم قال تعالى ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۗ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ۖ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۗ ﴾^(٤) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۗ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٥) .

^١ - النصر الآيات: ١-٢

^٢ - مختصر تفسير البغوي د/عبد الله بن أحمد بن علي الزيد ج٢ص١٠٣٦، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

مكتبة المعارف للنشر والتوزيع

^٣ - نور اليقين محمد الخضري بك ص٢٠٤

^٤ - التوبة الآيات ٢٥-٢٧

وكان قائد المشركين مالك بن عوف النصري قد جمع مع الجيش أبناءهم ونساءهم وأموالهم ليدافعوا عنها ولكن النتيجة جاءت خلاف ما توقع، ففروا ولم يلتفتوا إلى النساء والأولاد والأموال لتصبح لقمة جاهزة للمجاهدين) وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبي والغنائم أن تجمع، فجمع ذلك كله، ووجهوه إلى الجعرانة وكان السبي ستة آلاف رأس والإبل أربعة وعشرين ألفاً والغنم أكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضة^(١).

ثم مضى صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، فحاصرها ولم يفتحها ورجع عنها إلى الجعرانة (فلما رجع إلى الجعرانة قدمت عليه وفود هوازن مسلمين، فأعتق أبناءهم ونساءهم كلهم)^(٢) وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل؟ فقالوا هو في الطائف مع ثقيف فقال صلى الله عليه وسلم أخبروا مالكا أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل - فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركه بالجعرانة - أو مكة - فرد عليه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل، وأسلم فحسن إسلامه واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعلى من أسلم من تلك القبائل حول الطائف: ثمالة وسلمة وفهم، فكان يقاتل بهم ثقيفاً لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم^(٣)، ثم جاء وفد ثقيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عودته من تبوك^(٤).

وبإسلام قريش حامية الحرم وسدنة البيت الحرام، وهوازن كبرى القبائل العربية وثقيف أهل الطائف، تحقق للدعوة الإسلامية مكتسبات بشرية وجغرافية ومادية ومعنوية، جعل من القبائل العربية الأخرى في الجزيرة العربية تتوافد إلى المدينة مدعنة ومعلنة إسلامها، وقبل الحديث عن الوفود يجدر الإشارة إلى غزوة **تبوك** التي خرج إليها صلى الله عليه وسلم بثلاثين ألف مجاهد، وذلك بعد أن عاد من فتح مكة وغزوة حنين وحصار الطائف (أقام صلا الله عليه وسلم بالمدينة ما بين ذي الحجة إلى رجب ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم)^(٥)

^١ - زاد المعاد ابن القيم ج ٣ ص ٤٧٢-٤٧٣

^٢ - تاريخ الطبري محمد بن جرير ج ٣ ص ٨٢

^٣ - المرجع السابق ج ٣ ص ٨٩

^٤ - انظر: سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٥٣٧

^٥ - المرجع السابق ج ٤ ص ٥١٦

الذين بلغه عنهم (أن هرقل قد هيا جيشاً عرمرماً قوامه أربعون ألف مقاتل وأعطى قيادته لعظيم من عظماء الروم وأنه أجلب معهم قبائل لحم وجذام وغيرهما من متنصرة العرب)^(١) فواصل صلى الله عليه وسلم السير نحوهم إلى أن وصل تبوك فلما سمعت الروم بقدمه هابت وتفرق جمعها ومكث صلى الله عليه وسلم في تبوك أياماً يعقد الصلح مع أهل المناطق المجاورة لها ثم عاد إلى المدينة معززاً مكرماً منتصراً قد هابه القاصي والداي .

وبعد عودته صلى الله عليه وسلم من تبوك انمالت عليه الوفود من كل أرجاء الجزيرة العربية من اليمن والبحرين ونجد وغيرها وسمي العام التاسع عام الوفود لكثرة من وفد من القبائل العربية التي أعلنت إسلامها، وإن كان القليل من هذه القبائل قد وفد قبل الفتح ، وتواصلت الوفود حتى كان آخر وفد جاء (في منتصف محرم سنة ١١هـ وتتابع هذه الوفود يدل على مدى ما نالت الدعوة الإسلامية من القبول التام وبسط السيطرة والنفوذ على أنحاء جزيرة العرب وأرجائها)^(٢)، (والوفود التي سردها أهل المغازي يزيد عددها على سبعين وفداً)^(٣) . وقد جاءت هذه الوفود في أعداد غفيرة ومن أماكن وقبائل مختلفة ، ثم عادت تبشر بالإسلام وتنتشره على من خلفها حتى عم جزيرة العرب (وفي السنة العاشرة للهجرة خرج الرسول صلى الله عليه وسلم للحج في أكثر من مائة ألف رجل من المسلمين)^(٤) .

ويمكن تلخيص المكتسبات الدعوية في المرحلة المدنية في التالي :

^١ - الرحيق المختوم المباركفوري ص ٥٦٨

^٢ - المرجع السابق ص ٥٩٧

^٣ - المرجع السابق ص ٥٨٥

^٤ - تاريخ الإسلام ، حسن إبراهيم ج ١ ص ١٤٩

- ١- الهجرة المباركة وما صاحبها من بناء الدولة وتثبيت أركانها في المدينة حيث صارت مأوى المسلمين ومطلق الدعوة إلى أقطار المعمورة .
 - ٢- مشروعية الجهاد وما تحقق بسببه من المكتسبات البشرية والجغرافية والمادية، حيث كان الخيار أمام الأعداء ، الإسلام ، أو دفع الجزية والخضوع لسلطان الإسلام ، أو القتال ، فبالخيار الأول تحققت المكتسبات البشرية والمعنوية والجغرافية ، وبالخيار الثاني تحققت المكتسبات المعنوية والمادية ، وبمرور الزمن أيضاً كانت تتحقق المكتسبات البشرية والجغرافية بتحول المعاهدين إلى الإسلام أفراداً أو جماعات ، أما الخيار الأخير وهو القتال كان النصر في الغالب حليف المسلمين وبه تحققت جميع المكتسبات .
 - ٣- الكتب والرسائل التي بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم للملوك والزعماء كان لها أثر كبير في تحقيق مكتسبات الدعوة حيث استجاب عدد من الملوك والزعماء فمنهم من أسلم ومنهم من رد رداً جميلاً ، وقليل منهم أساء الرد ، فكانت عاقبته وخيمة .
 - ٤- الدعاة الذين كان يرسلهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المناطق المختلفة أمثال ، معاذ بن جبل إلى اليمن كان لهم دور بارز في نشر الدعوة وهداية الناس إلى الطريق المستقيم .
 - ٥- الوفود التي جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم مدعنة للإسلام ، ثم عادت تبشر به كان لها أثر فعال في توسيع دائرة المكتسبات الدعوية ، حيث جاءت هذه الوفود من جميع أقطار الجزيرة العربية ، وبه تمت السيطرة الكاملة للدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية .
- هذه المكتسبات البشرية والجغرافية والمادية والمعنوية أكثرها تحقق خلال السنوات الثلاثة الأخيرة قبل وفات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبعد أن أقر الله عينه برؤية الجمع الغفير من المسلمين في حجة الوداع ، وأكمل الله الدين وتمت النعمة وأمر صلى الله عليه وسلم المسلمين بالاستعداد لقتال الروم ، اختاره الله لجواره ولحق بالرفيق الأعلى .
- وبهذا وضحت مرحلة من مراحل الدعوة ويأتي الحديث عن المرحلة التالية .

المطلب الثالث: مكتسبات الدعوة في مرحلة خلافة الصديق رضي الله عنه .

ابتدأت هذه المرحلة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ومبايعة أبي بكر رضي الله عنه بالخلافة (لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول من السنة الحادية عشرة)^(١) .

وفي بداية هذه المرحلة تعرضت المكتسبات الدعوية التي تحققت في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بعض الهزات والتراجع، نتيجة للعوامل الداخلية والخارجية التي صاحبت هذه الفترة عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم ما لبثت أن تغلبت الدعوة في تلك العوامل بقوة وصرامة حتى استعادت مكانتها بل ازدادت قوة وانتشاراً في وقت وجيز، وتمثلت العوامل الداخلية في عاملين .

العامل الأول: يظهر في بوادر الخلاف الذي حصل فيمن يلي الخلافة، وحسم بتولية أبي بكر رضي الله عنه، أما العامل الثاني: فيبرز في ظهور حركة الردة في القبائل التي اعتنقت الإسلام متأخرة .

والعوامل الخارجية تتمثل في تهديد الدولة الرومية، والدولة الفارسية للدولة الإسلامية الفتية التي ولدت في الجزيرة العربية والقضاء عليها في مهدها، ولكن بفضل الله تعالى ثم بصدق الإيمان وقوة الثبات وصلابة الموقف مع البصيرة السياسة الحسنة (نجح الصديق رضي الله عنه في أن يلم شمل الأمة، وأن يقضي على حركة الارتداد كما استطاعت الأولوية الإسلامية أن تثبت كفاءتها العسكرية في هذا الميدان)^(٢) .

وأول عمل قام به الصديق رضي الله عنه في خلافته، تنفيذ جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه الذي أمره النبي صلى الله عليه وسلم بتسييره إلى تخوم البلقاء من الشام حيث قتل زيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة رضي الله عنهم، فكان خروج - الجيش - في ذلك الوقت من أكبر المصالح، فساروا لا يمرون بحج من أحياء العرب إلا أربعوا منهم وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة، فقاموا أربعين يوماً، ويقال سبعين يوماً، ثم أتوا سالمين غانمين^(٣) .

^١ - إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء الشيخ محمد الحضري بك ص ١٥، دار الاتحاد العربي للطباعة، مصر بدون تاريخ طبع

^٢ - عصر الخلفاء الراشدين د/ فتحة عبد الفتاح ص ٨، ط ٢، دار اللواء، الرياض، بدون تاريخ طبع

^٣ - انظر البداية والنهاية ابن كثير ج ٦ ص ٣٠٨،

وفي تنفيذ جيش أسامة طاعة وتعظيماً ومتابعة لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم من أبي بكر رضي الله عنه ، كما كان تهيئةً للقبائل التي مر عليها أو سمعت بمسيره عن الارتداد، وأيضاً كان فيه إنذاراً وتخويفاً للدولة الرومية لئلا تفكر في مهاجمة المسلمين منتهزة فرصة انشغالهم بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي أثناء غياب جيش أسامة أراد الأعراب المرتدون أن يغيروا على المدينة (فركب الصديق في أهل المدينة وأمراء الأتقاب قاصداً الأعراب فقاتلهم حتى نزل- بذى القصة- فكانت هذه الواقعة من أكبر العون على نصر الإسلام ، وأهله وذلك أنه عزّ المسلمون في كل قبيلة وذل الكفار في كل قبيلة ، ورجع أبو بكر إلى المدينة مؤيداً منصوراً سالماً غانماً ، وطرقت المدينة في الليل صدقات عدي بن حاتم ، وصفوان ، والزبيرقان وذلك على رأس ستين ليلة من متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قدم أسامة بن زيد بعد ذلك ليلال فاستخلفه أبو بكر على المدينة ، وأمرهم أن يريحوا ظهرهم ، ثم ركب أبو بكر في الذين كانوا معه في الواقعة المتقدمة ، إلى ذي القصة^(١) لتأديب بعض القبائل المرتدة .

هذه المعارك التي خاضها الصديق بنفسه ضد المرتدين كان لها وقع خاص في تحطيم معنويات المرتدين ورفع معنويات المجاهدين ، وتأمين المدينة عاصمة الإسلام من أطماع المرتدين وكل المتربصين ثم أقدم أبو بكر في خطوة أخرى جريئة قصد منها القضاء على المرتدين في الجزيرة العربية (فعقد أحد عشر لواء^(٢)) ووجه كل لواء إلى أهل منطقة معينة من المرتدين (واستطاعت الجيوش الإسلامية بعد سلسلة من الاصطدامات والمعارك في أطراف بلاد العرب ووسطها أن تطفئ لهب الردة وأن تعيد إلى الدولة التي خلفها الرسول صلى الله عليه وسلم مظهر وحدتها وإلى المدينة مكانتها في قيادة الجزيرة وتوجيهها^(٣)) .

وبعد أن عادت المياه إلى مجاريها ، والأمور إلى نصابها ، وازدادت الجيوش الإسلامية قوة ومنعة وخبرة في ميدان القتال شرع الصديق في فتوح البلدان المجاورة التي كانت تحت

^١ - البداية والنهاية ابن كثير ج ٦ ص ٣١٧-٣٨١ بتصرف وتاريخ الطبري محمد بن جرير ج ٣ ص ٢٤٦-٢٤٨

^٢ - البداية والنهاية المرجع السابق ج ٦ ص ٣١٩ ، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٤٦

^٣ - حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول ، شكري فيصل ص ٣٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، بدون ذكر الطبعة

السيطرة الفارسية والرومية عملاً بقوله تعالى (يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَتَنَلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ
مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) ﴿١﴾

فبدأ بفتح العراق التي كانت تسيطر عليها الدولة الفارسية ،قال ابن كثير رحمه الله(لما فرغ
خالد بن الوليد من اليمامة بعث إليه الصديق أن يسير إلى العراق وأن يبدأ بفرج الهند وهي
الأبلة ويأتي العراق من أعاليها وأن يتألف الناس ويدعوهم إلى الله عز وجل فإن أجابوا وإلا
أخذ منهم الجزية فإن امتنعوا عن ذلك قاتلهم ،وأمره أن لا يكره أ حداً على المسير معه ،ولا
يستعين بمن ارتد عن الإسلام وإن كان عاد إليه ،وأمره أن يستصحب كل امرئ مر به من
المسلمين ،وشرع أبو بكر في تجهيز السرايا والبعوث والجيوش إمداداً لخالد رضي الله عنه^(٢)
حتى تكامل عدد جيشه ثمانية عشر ألفاً ،وأول أرض وطقتها أقدام المجاهدين من أرض العراق
القريات من السواد يقال لها -بانغيا وباروسما - فصالح خالد أهلها على ألف درهم ثم
قدم الحيرة ودعا أهلها إلى الإسلام فقبلوا بالجزية تسعين ألفاً وفي رواية مائتي ألف درهم
فكانت أول جزية حملت من العراق إلى المدينة هي والقريات قبلها^(٣) .

ويعتبر هذا أول مكتسب مالي وجغرافي ومعنوي استفادته الدعوة في أرض العراق
التي تتابع فيها الفتوح والانتصارات فكانت أول مواجهة مع الفرس كاظمة^(٤) التي جاء
إليها هرمز قائد الفرس بجمع كبير وطلب من خالد بن الوليد المبارزة ،فيرز إليه وقتله وانهمز
جيش فارس وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ،واستحوذ المسلمون على أمتعتهم
وسلاحهم ،وأرسل خالد بالفتح والبشارة والخمس إلى الصديق^(٥) كما بعث خالد الأمراء
في الجهات المختلفة لفتح بعض المناطق ،فحاصروا حصونها ،وفتحوها عنوة وصلحاً
واكتسبوا منها أموالاً جمة ، ولم يكن خالد يتعرض للفلاحين من لم يقاتل منهم ولا أولادهم

١- التوبة آية ١٢٣

٢- البداية والنهاية ابن كثير ج ٦ ص ٣٤٧

٣- المرجع السابق ٣٤٨ بتصرف والكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٣٨٤

٤- موقعة كاظمة أو الأبلة كانت في محرم سنة ١٢، من الهجرة، انظر الخلفاء الراشدون عبد الوهاب النجار ص ٧٧ ،

دار التراث القاهرة بدون ذكر الطبعة وتاريخ الطبع

٥- انظر الكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٣٨٦

بل المقاتلة من أهل فارس ، فكانت كاظمة أول معركة كسر فيها جيش الأكاصرة منبئة بشؤم المعارك القادمة ، بينما كانت مكتسبا وفتحا عظيماً ييشر بالنصر والتمكن للمجاهدين ، وكانت هذه المعركة في سنة اثنتي عشرة من الهجرة .

ثم كانت وقعة المدار في صفر من هذه السنة ، والتي قتل فيها قائد الفرس قارن وقتل من جيشه ثلاثين ألفاً وغرق كثير منهم في الأنهار والمياه ، وأقام خالد بالمدار ، وسلم الأسلاب إلى من قتل ، وجمع بقية الغنيمة وخمسها وبعث بالخمس والفتح والبشارة إلى الصديق ^(١) .

وفي صفر أيضاً كانت معركة الولجة وكان قائد الفرس فيها الأندرغر ودارت المعركة واقتتلوا قتالاً شديداً هو أشد مما قبله ، ثم حمل عليهم جيش خالد حملة فرقت جيش الأعاجم فلم يعرف رجل منهم مقتل صاحبه ، وهرب الأندرغر من الوقعة فمات عطشاً وقام خالد في الناس خطيباً فرغب في بلاد الأعاجم ، وزهدهم في بلاد العرب وقال : ألا ترون ما هاهنا من الأطعمات ؟ وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في سبيل الله والدعاء إلى الإسلام ، ولم يكن إلا المعاش لكان الرأي أن نقاتل على هذا الريف ، حتى نكون أولى به ، ونولي الجوع والإقلال من تولاه ممن اتاقل عما أنتم عليه ، ثم خمس الغنيمة ، وقسم أربعة أخماسها بين الغانمين وبعث الخمس إلى الصديق وأسر من أسر من ذراري المقاتلة ، وأقر الفلاحين بالجزية .

وفي صفر أيضاً كانت وقعة أليس التي تحالف فيها نصارى العرب مع الفرس ضد جيش خالد ووقعت مقتلة عظيمة هزم فيها التحالف وتبعهم المسلمون قتلاً وأسراً ، فبلغ عدد القتلى من التحالف سبعين ألفاً ونصر الله المجاهدين نصراً مؤزرراً ، وغنموا مغنماً عظيماً قسمه خالد بين الغانمين فأصاب الفارس بعد النفل ألفاً وخمسمائة غير ما هياً له مما قبله ، وبعث خالد بالبشارة والفتح والخمس من الأموال والسي ^(٢) .

وكل هذه الانتصارات والمكتسبات تحققت في شهر صفر فقط وعلى يد القائد الكبير خالد بن الوليد سيف الله المسلول على المشركين ، خالد الذي ما دخل معركة إلا خرج منها منتصراً بإذن الله خالد الذي قال : فيه الصديق رضي الله عنه (عجزت النساء أن

^١ - انظر الكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٣٨٦

^٢ - انظر البداية والنهاية ابن كثير ج ٦ ص ٣٤٨ - ٣٥١ والكامل ج ٢ ص ٣٨٨ - ٣٨٩

يلدن مثل خالد^(١)، ثم كتب خالد كتاب صلح لأهل الحيرة وأهل الأنبار بعد معارك ومفاوضات جعلتهم يقبلون بشروطه^(٢)، وأيضاً كان تحالفاً آخر شكل في عين التمرين العجم بقيادة مهران ونصارى العرب بقيادة عقة ثم استأذن عقة من مهران لمواجهة خالد وقال: إن العرب أعلم بقتال العرب^(٣)، وبينما كان عقة يساوى في الصفوف احتضنه خالد وأسرته وهزم جيش عقة دون مقاومة، فلما علم مهران بذلك ولى هارباً ودخل فلان العرب الحصن ولحق بهم خالد فقتلهم وقتل عقة أيضاً واستولى على ما في الحصن من الأموال والذراري.

ثم توجه خالد إلى دومة الجندل للقضاء على القبائل المتحزبة ضد المسلمين فتغلب عليهم وسبى ذراريهم^(٤).

ثم كانت وقعة الحصيد والمصيخ: فأما الحصيد فأرسل إليه خالد القعقاع بن عمرو فالتقى بجموع العجم فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم انهزم العجم وقتل منهم المسلمون خلقاً كثيراً وغنموا منهم شيئاً كثيراً، وأما المصيخ، فقصدها خالد بنفسه فأغار عليهم ليلاً وهم نائمون فأنا مهم ولم يفلت منهم إلا اليسير^(٥).

ثم كانت وقعة الشني والزميل بيت فيها خالد الأعداء فلم يفلت منهم مخير فغنم وسبى وأرسل إلى الصديق بالبشارة^(٦) ثم سار خالد ومن معه من المسلمين إلى وقعة الفراض وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة فأقام هناك شهر رمضان مفطراً لشغله بالأعداء وجمعت الروم جموع كثيرة واستمدوا تغلب وإياد والتمر فاقتتلوا قتالاً عظيماً ثم هزم الله جموع الروم وتمكن المسلمون من اقتفائهم فقتل في هذه المعركة مائة ألف^(٧).

١- الكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٣٨٩

٢- انظر تاريخ الطبري محمد بن جرير ج ٣ ص ٣٦٠-٣٧٥

٣- المرجع السابق ج ٢ ص ٣٧٦

٤- المرجع السابق ج ٣ ص ٣٧٨ والكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٣٩٥

٥- انظر المرجع السابق ص ٣٨٠-٣٨١ المرجع السابق ج ٣ ص ٣٩٧

٦- انظر تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٨٢ والكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٣٩٨

٧- البداية والنهاية ابن كثير ج ٦ ص ٣٥٦ والكامل ابن الأثير ج ٣ ص ٣٩٩

و بهذه المعركة انتهت المرحلة الأولى من فتح العراق وبلاد فارس بعد أن أخضع خالد أهل العراق للإسلام طوعاً أو كرهاً، وبعد سلسلة من المعارك الدامية والمتتالية قال: ابن كثير رحمه الله (وهو مع ذلك لا يكل ولا يمل ولا يهن ولا يحزن بل كلما له في قوة وصرامة وشدة وشهامة، ومثل هذا إنما خلقه الله عزاً للإسلام وأهله وذلاً للكفر وشتات شمله وقال الصديق رضي الله عنه عجزت النساء أن يلدن مثل خالد بن الوليد)^(١) وقال: والله لأشغلن النصارى عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد، وأمره أن يستخلف على العراق ويمضي إلى الشام لنصرة المجاهدين هناك فاستخلف المثني بن حارثة الشيباني، ويمم وجهته إلى الشام .

ومعلوم أن فتح الشام كان الاهتمام به كبيراً حتى في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كما سبق في غزوة مؤتة وتبوك وبعث جيش أسامة بن زيد، وفي السنة الثالثة عشر من الهجرة عقد أبو بكر رضي الله عنه الألوية لفتح الشام، فيقال أول لواء عقده لخالد بن سعيد بن العاص ووجهته إلى تيماء، ويزيد بن أبي سفيان ووجهته دمشق، وأبو عبيدة بن الجراح ووجهته حصن، وعمرو بن العاص ووجهته فلسطين، ولما انتهى خالد بن سعيد إلى تيماء اجتمع له جنود من الروم في جمع كثير من نصارى العرب فتقدم إليهم خالد، فلما اقترب منهم تفرقوا عنه، ودخل كثير منهم الإسلام^(٢) فهذا أول مكتسب دعوي أحرزه المسلمون في هذه الحملة التي قصد منها فتح الشام .

أما خالد بن الوليد فقد وصل إلى بصرى بعد أن أخضع لسلطة الإسلام المناطق التي مر عليها في طريقه من العراق إلى الشام ، فوجد بصرى محاصرة من قبل شرحبيل بن حسنة واستطاع خالد بن الوليد أن يستولي عليها بمعونة واليها روما نوس الذي اعتنق الإسلام وسلم المدينة للمسلمين بعد أن دهم على الدخول إليها من سرداب تحت سورها^(٣) .

^١ -البداية والنهاية ابن كثير ج ٦ ص ٣٥١

^٢ -المرجع السابق ج ٧ ص ٤-٥

^٣ - انظر تاريخ الإسلام حسن إبراهيم ج ١ ص ٢٢٦

قال : ابن كثير (فكانت أول مدينة فتحت من الشام والله الحمد) (١) .

ثم توجهت الجيوش الإسلامية تجاه اليرموك ، فتكامل جيش الصحابة ستة وثلاثين ألفاً إلى أربعين ألفاً ، وتكامل جيش الروم في مائتي ألف وأربعين ألف مقاتل (٢) ، وكان القائد العام للجيوش لإسلامية خالد بن الوليد ، وقائد الروم ماهان واشتد القتال ، ثم كسر جيش الروم كسراً لم يلتئم بعده في معركة أمام جحافل المجاهدين الفاتحين ، و في أثناء المعركة جاء البريد ب وفاة الصديق ، وخلافة الفاروق ، وعزل خالد ، وتولية إمرة الأمراء لأبي عبيدة فكتب خالد ذلك عن المسلمين لئلا يقع وهن ، وبعد الانتصار كشف لهم الأمر (٣) .

وتتلخص مكتسبات الدعوة في عهد الصديق رضي الله عنه فيما يلي :

- ١- توحيد الأمة تحت سلطة خليفة واحد بعد أن بدرت عوامل الاختلاف في الخلافة، وهي تعد أول تجربة سياسية اكتسبتها الأمة الإسلامية بعد وفاة نبيها محمد صلى الله عليه وسلم .
- ٢- استعادة النظام في الجزيرة العربية والقضاء على المرتدين بمختلف طوائفهم بعد معارك دامية تصدر قيادتها الصديق رضي الله عنه .
- ٣- فتح الجبهة العراقية وما نتج عنها من مكتسبات بشرية وجغرافية ومادية حيث خضعت كثير من المقاطعات التي كانت موالية للدولة الفارسية أو كانت تحت سيطرتها بعد معارك طاحنة قادها خالد بن الوليد كللت بالنجاح .
- ٤- محاصرة المدن الشامية من قبل القادة الذين عينهم الصديق ، وضم خالد بن الوليد إليهم لإكمال الفتح .
- ٥- رفع الروح المعنوية ، والقدرات القتالية للجيش الإسلامي بعد التجارب الكبيرة التي مرت عليه مع المرتدين والفرس ، والروم .

١- البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ٦ ، والكامل ابن الأثير ج ٣ ص ٤٠٩

٢- البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ٧ ، والمصادر تختلف في عدد المسلمين وأيضاً عدد الروم كما تختلف في هذه المعركة الفاصلة هل هي اليرموك أم أجنادين وتتفق على أن أحدهما كانت في السنة الثالثة عشر التي توفي فيها الصديق والأخرى في الخامسة عشر، كما تتفق أن القائد في الأولى خالد بن الوليد، وابن كثير بعد أن ذكر الخلاف في المقدمة مسنهما قدم اليرموك ، وخطاب الصديق لخالد بن الوليد يبين أنها اليرموك فقد قال: " أن سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك ، فإنهم قد شحوا وأشحوا " المرجع السابق ج ٦/٣٥٧ .

٣- المرجع السابق ج ٧ ص ١٦ والكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٤١٠-٤١٤

وبعد حياة حافلة بالعطاء والدعوة إلى الإسلام وصحبة المصطفى صلى الله عليه وسلم سقراً وحضراً، وبذل كل جهد مادي ومعنوي في سبيل نشر الإسلام، ثم تثبيت دعائم الدولة الإسلامية، والقضاء على المرتدين، والقيام بمهام الفتح المبارك في البلاد الواقعة تحت سيطرة الفرس، والروم، وبوادر انقيار الدولتين توفي الصديق رضي الله عنه .

المطلب الرابع : مكتسبات الدعوة في مرحلة خلافة الفاروق رضي الله عنه .

بويح الفاروق رضي الله عنه بالخلافة صبيحة وفاة أبي بكر رضي الله عنه لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة^(١)، وبدأ عهد جديد في خلافة الفاروق خير خلف لخير سلف، فواصل الفتوحات التي بدأها الصديق رضي الله عنه في الشام وفارس .

أما أبو عبيدة بعد الانتصار العظيم في اليرموك وتسليم الإمارة له من خالد شرع في جمع الغنيمة وتحميسها وبعث بالفتح والخمس إلى الحجاز، ثم نادى بالرحيل إلى دمشق^(٢) . وحاصرها حصاراً شديداً سبعين ليلة وقيل غير ذلك ثم فتحت واستخلف أبو عبيدة على دمشق يزيد بن أبي سفيان ، وتمثل دمشق عاصمة بلاد الشام قديماً وحديثاً وفتحتها تابعت الفتوحات وازدادت المكتسبات الدعوية في الجبهة الشامية .

ثم كانت وقعة فحل بقيادة شرحبيل بن حسنة، وقائد الروم سقلاب بن مخراق ، ودارت المعركة وقتل من الروم ما يقارب الثمانين ألفاً لم ينج منهم إلا الشريد وغنموا منهم شيئاً كثيراً ومالاً جزيلاً^(٣)، ثم أراد الروم استعادة دمشق، فأرسلوا جيشاً بقيادة تودرا، فبرز إليه يزيد بن أبي سفيان من دمشق فاقتتلوا وجاء خالد بن الوليد وهم في المعركة، فجعل يقتلهم من ورائهم ويزيد يفصل فيهم من أمامهم حتى أناموهم ولم يفلت منهم إلا الشارد وقتل خالد تودرا، وأخذوا من الروم أموالاً عظيمة فاقسمها^(٤) .

أما أبو عبيدة فتوجه إلى حمص فحاصرها حصاراً شديداً وطويلاً ثم صالحهم على ما صالحوا عليه أهل دمشق على نصف المنازل وضرب الخراج على الأرض وأخذ الجزية على الرقاب بحسب الغنى والفقر، وبعث أبو عبيدة بالأحماس والبشارة إلى عمر رضي الله عنه ، كما توجه خالد بن الوليد بأمر من أبي عبيدة إلى قيسرين، وقائد الروم فيها ميتاس ولما اشتدت المعركة هرب الروم إلى الحصون فقال لهم خالد مقولته المشهورة إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا ولم يزل بهم حتى فتحها الله عليه والله الحمد، وفي

^١- إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، الشيخ محمد الحضري بك، ص ٥٠ .

^٢- انظر: البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٦ .

^٣- المرجع السابق ج ٧ ص ٢٥ وذكر ابن كثير هذه الواقعة وما قبلها في سنة ١٣ والكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٤٢٩-٤٣٠ .

^٤- انظر: البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ٥٣ .

هذه السنة وهي سنة خمس عشرة قال: هرقل عليك السلام يا سورية سلاما لا اجتماع بعده وتقهر بجنوده وارتحل عن بلاد الشام إلى بلاد الروم، ثم سار حتى نزل القسطنطينية واستقر بها ملكه (١) .

أما معاوية بن أبي سفيان فتقدم إلى قيسارية واقتتل مع الروم قتالا عظيما حتى قتل منهم نحواً من ثمانين ألفاً وأكمل المائة الألف من الذين انهزموا عن المعركة وبعث بالفتح والأخماس إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه (٢) .

وعززت هذه الانتصارات بانتصار آخر في أجنادين بقيادة عمرو بن العاص، والروم بقيادة الأرتابون فاقتلوا بأجنادين قتالاً عظيماً كقتال اليرموك، ثم هزم الروم وهرب باقيهم إلى بيت المقدس (٣)، وكان من أثر هذا الانتصار (أن أذعنت لسلطان العرب (المسلمين) كل من يافا، ونابلس، وأسقلان، وغزة، والرملة، وعكا، وبيروت، وولد، والجبلة، وفتحت لهم أبوابها من غير قتال (٤) .

أما بيت المقدس فقد تم حصارها من قبل عمرو بن العاص مدة أربعة أشهر لم ينقطع فيها القتال ثم طلب أهلها الصلح على يد عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه فأجابهم على ذلك (٥) .

وبفتح بيت المقدس العاصمة المقدسة وقبلها دمشق العاصمة السياسية لبلاد الشام تمت السيطرة الكاملة للدعوة الإسلامية في بلاد الشام، وبه قد حققت الدعوة مكتسبات بشرية وجغرافية ومادية ومعنوية عظيمة في فترة لا تتجاوز السنتين تقريبا بعد معارك دامية مع الدولة الرومية التي بذلت كل ما في وسعها للحفاظ على بلاد الشام، وجندت كل قواها المادية والمعنوية، ومع ذلك تماوت كل القوة التي أعدت للدفاع عنها أمام جحافل

١- انظر: البداية والنهاية ابن كثير ج ٤ ص ٥٤

٢- انظر الكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٤٩٧ و البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ٥٥-

٣- البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ٥٥-٥٦ و الكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٤٩٨

٤- تاريخ الإسلام حسن إبراهيم ج ١ ص ٢٣٠

٥- المرجع السابق ٣٠ و البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ٥٦-٥٨

المجاهدين الفاتحين الذين كان شعارهم إما الشهادة أو النصر فتحقق لهم كلا المقصدين، فبعد استشهاده عدد كبير نالوا النصر والتمكين بإذن الله عز وجل .

وبعد الفراغ من الإشارة لمكتسبات الدعوة في البلاد الشامية في عهد الصديق والفراروق رضي الله عنهما، يجدر بنا العودة إلى مكتسبات الدعوة في البلاد الفارسية التي بدأ فتحها الصديق رضي الله عنه، وواصل الفراروق رضي الله عنه فتحها، فندب الناس بعد وفاة الصديق لغزو فارس بقيادة أبي عبيد، فأول وقعة حصلت بينه وبين الفرس هي وقعة النمارق فاقتلوا هنالك قتالاً شديداً وهزم الله الفرس وأسر جابان قائد الفرس، وركب أبو عبيد في آثار من انهزم منهم وقد لجأوا إلى مدينة كسكر فقهروهم أبو عبيد وغنم منهم شيئاً كثيراً وأطعمات كثيرة جداً والله الحمد، وبعث بخمس ما غنم من المال والطعام إلى عمر بن الخطاب بالمدينة، وتلى هذه الواقعة بعض الفتوحات والمكتسبات الدعوية .

ثم كانت وقعة جسر أبي عبيد الذي حصلت فيه مقتلة عظيمة بين الجانبين قتل فيها أبو عبيد وعدد كبير من أصحابه رحمهم الله، وبعدها كانت وقعة البويب التي اقتصر فيها المسلمون من الفرس بقيادة المثني بن حارثة والفرس بقيادة مهران، وكان ذلك في رمضان من السنة الثالثة عشر، فاقتلوا قتالاً شديداً هزم فيها جيش الفرس وقتل قائدهم مهران، ويقال إنه قتل منهم يومئذٍ وغرق قريب من مائة ألف والله الحمد والمنة وغنم المسلمون مالاً جزيلاً وطعاماً كثيراً وبعثوا بالبشارة والأخماس إلى عمر رضي الله عنه، وذلت لهذه الواقعة رقاب الفرس، وتمكن المسلمون من الغارات في بلادهم فيما بين الفرات ودجلة، فغنموا شيئاً عظيماً لا يمكن حصره، وكانت هذه الواقعة بالعراق نظير اليرموك بالشام^(١) .

وفي السنة الثالثة عشر أيضاً كانت وقعة الحنافس والإغارة على سوق بغداد من قبل المثني فقد أغار على الحنافس يوم سوقها فسلب أموالاً كثيرة، ثم توجه إلى سوق بغداد (آخر الليل فعبث إليهم فصبحهم في أسواقهم فوضع فيهم السيف فقتل، وأخذوا ما شاعوا، وقال المثني : لا تأخذوا إلا الذهب والفضة ولا تأخذوا من المتاع إلا ما يقدر الرجل منكم على

^١ - انظر البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ٢٦-٣٠ بتصرف والطبري محمد بن جرير ج ٣ ص ٤٤٦-٤٧٢ والكامل

ابن الأثير ج ٢ ص ٤٣٤-٤٤٥

حمله على دابته ، وهرب أهل الأسواق وملاً المسلمون أيديهم من الصفراء والبيضاء والحر من كل شيء^(١) .

وفي محرم سنة أربع عشرة من الهجرة بعث الفاروق سعد بن مالك الزهري أميراً على العراق وأمدّه بالجيش حتى اجتمع معه يوم القادسية ثلاثون ألفاً وقيل ستة وثلاثون ، وقائد الفرس رستم بن الخرخزاد الأرميني في ثمانين ألفاً وقيل مائة ألف وعشرين ألفاً يتبعها ثمانون ألفاً ، فاقتتل الفريقان قتالاً عظيماً أربع أيام لباليهن انهزمت الفرس بعدها عن بكرة أبيهم ولحقهم المسلمون في أقفائهم فقتلوا منهم عدداً كبيراً

وقد غنم المسلمون من وقعة القادسية هذه من الأموال والسلاح ما لا يحصى ولا يوصف كثرة ، فحصلت الغنائم بعد صرف الأسلاب وخمست ، فبعث بالخمس والبشارة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٢) .

هذه الهزيمة التي لحقت بالفرس في القادسية عجلت بزوال ملكهم ، فقد دخل سعد بعدها عاصمتهم المدائن دون مقاومة تذكر بعد أن اقتحم دجلة بفرسه واقتحم الناس لم يتخلف عنه أحد ، فساروا فيها كأنما يسرون على وجه الأرض ، وقد أمرهم سعد أن يقولوا: نستعين بالله ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، فلما دخل المدائن تلا قوله تعالى:

﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا

فَاكِهِينَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾^(٣) واتخذ سعد الإيوان مصلى^(٤) وقد

غنموا الكثير من الأنعام والثياب والمتاع والآنية والألطف والأدهان ما لا يدري قيمته

^١ - تاريخ الطبري محمد بن جرير ج ٣ ص ٤٧٤-

^٢ - الكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٤٥٠ - ٤٨٤ بتصرف والبدية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ٣٦-٤٥ وقيل القادسية كانت سنة ست عشرة ٠٠ وكان بعض أهل الكوفة يقولون : إنها كانت سنة خمس عشرة ، انظر الكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٤٨٥

^٣ - الدخان الآيات: ٢٥-٢٨

^٤ - انظر الطبري محمد بن جرير ج ٤ ص ١٦ والبدية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ٣٨-٤٥ والكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٥١٤

فحصل كل واحد من الفرسان اثني عشر ألفاً وبعثوا بالخمس والبشارة بالفتح إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ^(١)

وبفتح المدائن سقطت الدولة الفارسية، وحلت محلها دولة الإسلام دولة العدل والمساواة دولة لا تعرف الطبقة شعارها لا فضل لعربي على الأعجمي ولا الأبيض على الأسود ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ^(٢) دولة جاءت لتخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد دولة تسعى لإسعاد البشرية في الدنيا والآخرة .

وفي صفر سنة ست عشرة كانت وقعة جلولاء بقيادة هشام بن عتبة والفرس بقيادة مهرا، وبعد معارك متواصلة انهزم الفرس وقتل قائدهم مهرا كما تل منهم مائة ألف حتى جلولوا وجه الأرض بالقتلى فلذلك سميت جلولاء ، وغنم المسلمون دواب كثيرة ومن الأموال والسلاح والذهب والفضة قريباً مما غنموا من المدائن قبلها كما أسروا سبايا كثيرة .

وفي حلبان كان القائد القعقاع بن عمرو وقائد الفرس خسرو شنوم ، فاقتتلوا هناك قتالاً شديداً ، ثم فتح الله على المسلمين وهزم الفرس ودخلها المسلمون فغنموا وسبوا وأقاموا بها وضربوا الجزية على من حولها من الكور والأقاليم ^(٣) ، وكلما تجمع الفرس للمقاومة قصدتهم المسلمون في عقر دارهم وقضوا على المقاومين متخذين في ذلك سياسة المباغثة والمفاجأة .

وفي تكريت، والموصل كان القائد عبد الله بن المعتم وقائد الكفار الأنطاق ، فحاصروهم عبد الله أربعين يوماً وزاحفوه في هذه المدة أربعاً وعشرين مرة ما من مرة إلا ويتنصر عليهم ، وأرسل عبد الله إلى من هناك من الأعراب يدعوهم إلى الإسلام ، فأسلموا وحاربوا بجانبه ، فهجم عبد الله على أهل البلد فقتلهم عن بكرة أبيهم ولم يسلم إلا من أسلم من الأعراب من إياد وتغلب والنمر ، وهاجم ربعي بن الأكفل الموصل فأجاب أهلها إلى

^١ - انظر الكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٥١٨

^٢ - الحجرات جزء من آية ١٣

^٣ - انظر : البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ٧٠-٧٢ بتصرف والكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٥١٩-٥٢٢ .

الصلح ثم قسمت الأموال التي حصلت من تكريت فبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف وسهم الراجل ألف درهم وبعثوا بالأخماس والفتح^(١) .

ويعد إسلام قبائل إياد وتغلب والنمر من أعظم مكتسبات الدعوة البشرية والمعنوية بالإضافة إلى المكتسبات الجغرافية والمادية التي تحققت في هذه المواقع ، لأن هذه القبائل كثيرا ما تحالفت ضد المسلمين في المواقع السابقة مثل موقعة الفرائض المتقدمة بقيادة خالد بن الوليد .

وفي فتح ماشيتذان كان القائد ضرار بن الخطاب ، وفي مقدمته ابن الهزيل الأسدي وقائد الفرس آذين بن الهرمزان ، فأسره ابن الهزيل ، وهزم جيشه ثم ضرب عنقه ، ودخل المدينة عنوة وهرب أهلها في الجبال فدعاهم ابن الهزيل فاستجابوا له وضرب على من لم يسلم الجزية ، وحاصر عمر بن مالك قرقيسياء ، وهيت ، ثم صالح أهلها على الجزية^(٢) فضرب الجزية له وقع فيمن لم يقبل الإسلام منهم مما يوحي أنه أسلم من أهل هذه البلاد جمع غفير لم يحدد ، كما نالت الدعوة مكتسبات جغرافية في رقعة واسعة ، ومادية من الغنيمة والجزية ومعنوية باستسلام العدو للأمر الواقع وإرهاب من لم تصل إليهم الدعوة .

وفي سنة سبع عشرة فتحت الجزيرة صلحاً^(٣) ، وأهلها عرب أنقوا من تسمية الجزية فقبلوا أن تضاعف عليهم الصدقة ولا تسمى جزية فقال لهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتم سموها كما شئتم أما نحن فنسميها جزية^(٤) وأهل هذه الجزر هم من نصارى العرب وكانوا يناصرون الروم ضد المسلمين ، فقصدهم المسلمون في عقر دارهم وشغلوهم بأنفسهم عن مناصرة الروم والتحزب معهم .

^١ - انظر : تاريخ الطبري محمد بن جرير ج ٤ ص ٣٥-٣٦ والبداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ٧٤ والكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٥٢٣-٥٢٤ .

^٢ - انظر : البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ٧٤ بتصرف وتاريخ الطبري محمد بن جرير ج ٤ ص ٣٧-٣٨ .

^٣ - يراد بالجزيرة هنا ما بين دجلة والفرات من جهة الشام ويسمى جزيرة أقور وهي تشتمل على ديار مضر وديار بكر ، ومن أمهات مدنها حرّان والرها والرقعة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وآمد وميفارقين والموصل وغير ذلك : انظر : معجم البلدان للحموي ج ٢ ، ص ١٣٤ (جزيرة) .

^٤ - البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ٧٨ والكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٥٣٢ .

وفي سنة سبع عشرة أيضا كان فتح الأهواز، ومناذر، وهرتيري على يد جيش أبي موسى من البصرة وعتبة بن غزوان من الكوفة، فنصرهم الله على الهرمزان ملك هذه البلاد وأخذوا منه ما بين دجلة إلى دجيل وغنموا من جيشه ما أرادوا وقتلوا من أرادوا، ثم صالحوه في بقية بلاده، وبعثوا بالأخماس والبشارة إلى عمر رصي الله عنه، ثم نقض العهد فاستلبوا منه ما بيده من الأقاليم والبلدان إلى تستر فتحصن بها، ثم صالحوه على رامهرمز وتستر، وجند سابور ومدائن أخرى^(١) لتتسع بذلك الرقعة الواقعة تحت سيطر الدعوة الإسلامية وترتفع معنويات المجاهدين بالانتصارات المتتالية وفي جبهات متعددة .

وفي السنة نفسها خرج المسلمون إلى بلاد فارس من البحرين على سفن بقيادة خليلد ابن المنذر بن سلوى، فبعد معارك متفرقة مع العدو أراد العودة عن طريق البر فقطع العدو الطريق وحاصره في طاوس وجاء المدد لانقاذهم بقيادة أبوسيرة بن أبي هرم فكسر أبو سيرة المشركين كسرة عظيمة وقتل منهم مقتلة عظيمة جداً وأخذ منهم أموالاً جزيلة باهرة واستنقذ خليلد أومن معه من المسلمين من أيديهم وأعز به الإسلام وأهله ودفع الترك وذله والله الحمد والمنة^(٢) .

ثم كان فتح تستر ثانية وأسر الهرمزان الذي نقض العهد مرات عديدة وذلك أن أهل فارس وأهل الأهواز تعاهدوا وتعاهدوا على حرب المسلمين، فخرج إليهم من الكوفة جيشاً كثيفاً بقيادة النعمان بن مقرن ومن البصرة بقيادة سهيل بن عدي أمير الجميع أبو سيرة بن أبي رهم بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فتقدم أهل الكوفة فاقتتلوا مع الهرمزان في رام هرmez قتالاً شديداً هزم فيه الهرمزان وفر إلى تستر وترك رام هرمز، فتسلمها النعمان عنوة وأخذ ما فيها من الحواصل والذخائر والسلاح والعدد، ثم حاصر الجميع تستر وبعد قتال شديد دخلها المسلمون عنوة وأسروا الهرمزان وتسلموا ما في البلد من الأموال والحواصل فاقتسموا أربعة أخماسه فنال كل فارس ثلاثة آلاف وكل راجل

^١ - انظر: الطبري محمد بن جرير ج ٤ ص ٨٣ والبدية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ٨٤-٨٥ والكامل ابن الأثير ج ص

^٢ - البدية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ٨٧ والكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٥٣٨ والطبري محمد بن جرير ج ٤ ص ٧٩ .

ألف درهم، وبعث أبو سيرة بالخمسة والهرمزان على المدينة فأسلم وحسن إسلامه^(١)، وكف الله المؤمنين بأسه وثوراته المتلاحقة وجعله الله كسبا للدعوة الإسلامية .

وفي سنة سبع عشرة أيضاً كان فتح السوس على يد القائد أبو سيرة صلحاً بعد حصار ومنازلة قوية، وفتح زر بن عبد الله العقيمي مدينة جند سابور فاستوثقت تلك البلاد للمسلمين، وما زال يزيد جرد ملك الفرس يحل من بلد إلى بلد حتى انتهى أمره إلى الإقامة بأصبهان، وقد كان صرف طائفة من أشرف أصحابه قريبا من ثلاثمائة من العظماء عليهم رجل يقال له سياه، فكانوا يفرون من المسلمين من بلد إلى بلد حتى فتح المسلمون تستر واصطنخر فقال: سياه لأصحابه إن هؤلاء بعد الشقاء والذلة ملكوا أماكن الملوك الأقدمين، ولا يلقون جنداً إلا كسروه والله ما هذا عن باطل ودخل في قلبه الإسلام وعظمته، فقالوا له: نحن تبع لك وبعث عمار بن ياسر في غضون ذلك يدعوهم إلى الله فأرسلوا إلى أبي موسى الأشعري بإسلامهم، وكتب فيهم إلى عمر في ذلك فأمره أن يفرض لهم في ألفين ألفين، وفرض لستة منهم في ألفين وخمسمائة، وحسن إسلامهم وكان لهم نكايه عظيمة في قتال قومهم حتى بلغ من أمرهم أنهم حاصروا حصنا فامتنع عليهم فجاء أحدهم^(٢) فرمى بنفسه في الليل على باب الحصن وضمخ ثيابه بدم فلما نظروا إليه حسبوا أنه منهم ففتحوه إليه باب الحصن ليأووه فثار إلى البواب فقتله، وجاء بقية أصحابه ففتحوه ذلك الحصن، وقتلوا من فيه من المجوس وغير ذلك من الأمور العجيبة والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم^(٣)، وانضمام العظماء وأصحاب الرأي والفطنة وكبار القواد والقوات الخاصة في ركب الدعوة والجهاد يعد من أكبر المكتسبات البشرية والمعنوية للدعوة الإسلامية .

وفي سنة إحدى وعشرين كانت وقعة فهاوند، وهي وقعة عظيمة جداً لها شأن رفيع ونبأ عجيب كان المسلمون يسمونها فتح الفتوح وسببها أن ملك الفرس يزيد جرد الذي

^١ - انظر: البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ٨٧ والكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٤٦٥ والطبري محمد بن جرير ج ٤ ص ٨٣ .

^٢ - ذكر ابن الأثير، أنه سياه قائدهم، الكامل ج ٢ ص ٥٥٢ .

^٣ - البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ٨٩-٩١ وانظر: تاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ٩٦٧ دار الكتاب اللبناني، بدون

ذكر الطبعة وتاريخ الطبع، والكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٥٥٠-٥٥٢ .

تقهقر كتب إلى ناحية نهاوند وما والاها من الجبال والبلدان، فتجمعوا وتراسلوا حتى كمل لهم من الجنود ما لم يجتمع لهم قبل ذلك مائة ألف وخمسون ألف تحت قيادة الفيرزان وقيل بندار ويقال ذوالحاجب، أما القائد العام للقوات الإسلامية فكان النعمان بن مقرن في ثلاثين ألفاً، وبدأ القتال يوم الأربعاء، فاقتتلوا ذلك اليوم والذي بعده والحرب سجال، ولما كان يوم الجمعة اقتتلوا قتالاً لم يعهد مثله في موقف من المواقف المتقدمة ولا سمع السامعون بوقعة مثلها قتل من المشركين ما بين الزوال إلى الظلام من القتل ما طبق وجه الأرض دماً بحيث إن الدواب كان تطبع فيه، فلما أظلم الليل انهزم المشركون مدبرين وتبعهم المسلمون فهلك من المشركين بشر كثير نحو مائة ألف أو يزيد سوى من قتل في المعركة ولم يفلت منهم إلا الشريد كما قتل أميرهم الفيرزان، وقتل قائد المجاهدين النعمان بن مقرن رضي الله عنه، ودخل المسلمون نهاوند عنوة وجمعوا الأسلاب والمغانم، فغنم المسلمون غنيمة عظيمة أصاب الفارس ستة آلاف والراجل ألفان، وصالحهم أهل همذان بعد حصار، في هذه السنة أيضاً افتتح المسلمون مدينة جبي وهي مدينة إصبهان صلحاً بعد قتال كثير وأمور طويلة، وفيها افتتح أبو موسى قم وقاشان، وافتتح سهيل بن عدي مدينة كرمان^(١) وبعد وقعة نهاوند كسرت شوكة الفرس فلم تثبت لهم قدم وكلما قاموا به يعد محاولات يائسة، وقد نالت الدعوة الكثير من المكتسبات المادية والمعنوية ساعد في المزيد من توسيع الرقعة الجغرافية والمكتسبات البشرية .

وفي سنة اثنتين وعشرين قصد نعيم بن مقرن الري فلقي جمعا كثيراً من المشركين فاقتتلوا عند سفح جبل الري فصبروا صبراً عظيماً ثم انهزم المشركون فقتل منهم نعيم مقتلة عظيمة وغنم منهم غنيمة عظيمة قريباً مما غنم المسلمون من المدائن، وصالح أبو الفرخان على الري، ثم كتب نعيم إلى عمر بالفتح والأحساس والله الحمد والمنة .

وخرج سويد بن مقرن إلى قوس فلم يقيم له شيء حتى أخذها سلماً وعسكر بها وكتب لأهلها كتاب أمان وصلح وجاء إليه أهل بلدان شتى منها جرجان وطبرستان وغيرهما يسألونه الصلح على الجزية، فصالح الجميع، وكتب لأهل كل بلد كتاب أمان

١- انظر: البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٠٧-١١٤ بتصرف والطبري محمد بن جرير ج ٤ ص ١١٤-١٤٣ .

وصلح، وفتحت أذربيجان صلحاً بعد معارك متفرقة شارك فيها بكير بن عبد الله وسماك بن خرشة وعتبة بن فرقد، وبعثوا بالفتح والأحماس إلى عمر رضي الله عنه (١).

وقد توالفت الفتوحات والمكتسبات الدعوية على جميع الصعيد، فتوجه إلى الباب سراقه بن عمرو وعلى مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة، فلما قارب عبد الرحمن الباب كاتبه ملكها شهريزار مستأمناً لياثيه فأمنه وتفاوض معه ثم حوله إلى سراقه وتم الصلح على أن يكون يداً واحدة على العدو، ولا تفرض عليهم الجزية ما داموا على ذلك ووافق عمر بن الخطاب على هذا الصلح (٢) قال: الشيخ محمد الخضر في تعليقه على هذا الصلح (وهذه سنة في عهد عمر بن الخطاب فليست الاستعانة بالمخالفين في الدين من أهل الشرك ووضع جزية الحماية عنهم بدعة جديدة)، ولا شك إنه إن جاز أن يقاس على هذه الحادثة مثلها فإنها تساهم في حل كثير من مشاكل العصر.

وفي أول غزو لبلاد الترك أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه عبد الرحمن بن ربيعة بغزو الترك فسار حتى قطع الباب فقاتل الترك وسار في بلاد بَلَجْرُون مائتي فرسخ وغدا مرات متعددة (٣) كما أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه الأحنف بن قيس بغزو بلاد خراسان، فركب الأحنف في جيش كثيف قاصداً يزدجرد فدخل هراة عنوة، ثم مرو الشاهجان فهرب يزدجرد إلى مرو الروذ فلحقه الأحنف ثم هرب إلى بلخ فلحقه أيضاً فكانت المواجهة هناك هزم فيها يزدجرد، وهرب بمن بقي من جيشه وعبر النهر، واستوثق ملك خراسان على يد لأحنف واستخلف في كل بلد دخله أميراً، ثم استقر في مرو الروذ، وكتب إلى عمر بما فتح الله عليه من بلاد خراسان بكاملها، ونهاه عمر أن يعبر إلى ما وراء النهر وقال: احفظ ما بيدك من بلاد خراسان، وعاد يزدجرد بجنود عظيمة ومعه ملك التتار خاقسان فوصل بلخ واسترجعها وقصد مرو الروذ فبرز إليه الأحنف واقتلوا أياماً، ثم هزم يزدجرد ومن معه من الترك وتراجعوا، وأرسل الأحنف إلى عمر بكتاب الفتح وما أفاء الله

^١ انظر: البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٢٥-١٢٦ والكامل ابن الأثير ج ٣ ص ٢٤-٢٧.

^٢ انظر: البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٢٦ والكامل ابن الأثير ج ٣ ص ٢٨ ومحاضرات تاريخ الأمم الإسلامية

الدولة الأموية الشيخ / محمد الخضري بك ج ١ ص ٢٢٥

^٣ الكامل ابن الأثير ج ٣ ص ٢٩ والبداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٢٦-١٢٧.

عليهم من أموال الترك ومن كان معهم ^(١) ، وبالتوغل في بلاد الترك والسيطرة على بلاد خراسان بكاملها وما سبق ذلك من فتوحات ومكتسبات هائلة تعتبر الدعوة قفزت إلى الأمام قفزات متتالية جعل منها القوة الوحيدة التي تصول وتجول شرقاً وغرباً حول العالم بعد تقلص نفوذ الدولة الفارسية في بلاد فارس والرومية في بلاد الشام .

وفي سنة ثلاث وعشرين فتح مجاشع بن مسعود تُوَّج بعد أن قتل من الفرس مقتلة عظيمة وغنم منهم غنائم حمة ثم ضرب الجزية على أهلها وبعث بالفتح وخمس الغنائم إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفتح عثمان بن أبي العاص جور بعد قتال شديد وإصطخر وهذه المرة الثانية بعد أن نقض أهلها العهد ووضع عليهم الجزية وبعث بالفتح والخمس إلى عمر رضي الله عنه ، وخرج سارية بن زينم قاصداً فساودار أبجورد فاجتمع له جموع عظيمة من الفرس والأكراد وبعد قتال شديد نصره الله على عدوه وفتح البلد وغنم شيئاً كثيراً وبعث بالفتح والغنائم إلى عمر رضي الله عنه ، وفتحت كرمان على يد سهيل بن عدي وقيل على يد عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، كما فتحت سجستان على يد عاصم بن عمرو ، بعد قتال شديد وكانت ثغورها متسعة وبلادها متناهية ما بين السند إلى نهر بلخ وفتحت مكران على يد الحكم بن عمرو بعد قتال مع ملك السند ، فهزم الله جموع السند وغنم المسلمون منهم غنائم كثيرة ، وكتب الحكم بالفتح والأخماس إلى عمر رضي الله عنه .

وخرج أبو موسى قاصداً جماعة من الأكراد التف إليهم طائفة من الفرس اجتمعوا لمحاربة المسلمين ، فلقبهم أبو موسى بمكان من أرض بيروذ قريب من نهر تيري ثم سار عنهم أبو موسى إلى أصبهان ، واستخلف على حربهم الربيع بن زياد بعد مقتل أخيه المهاجر بن زياد ، فتسلم الحرب وحنق عليهم ، فهزم الله العدو ولله الحمد والمنة ، وبعث عمر رضي الله عنه سلمة بن قيس الأشجعي إلى الأكراد على سرية فساروا ، فلقوا جمعاً من المشركين ، فدعوههم إلى إحدى ثلاث خلال فأبوا إلا القتال ، فقاتلهم فقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم وغنموا أموالهم ، ثم أرسل سلمة إلى عمر بالفتح والغنائم ^(٢) .

^١ - انظر: البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٣٠-١٣٣ والكامل ابن الأثير ج ٣ ص ٣٣-٣٧ .

^٢ - انظر: تاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ٩٨٨-٩٩٢ والكامل ابن الأثير ج ٣ ص ٣٩-٤٨ والبداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٣٣-١٣٧ .

وبعد معارك متواصلة وفتوحات متتالية بلغت الدعوة في تلك الفترة الأتراك والأكراد وأهل السند بالإضافة إلى الفرس من قبل وتوسعت في المكتسبات الجغرافية لتشمل بلاد سجستان بكاملها مع المكتسبات المادية والمعنوية والبشرية التي تحققت في تلك البلاد وفي أعهد الخليفة عمر رضي الله عنه ، وبعد استعراض مكتسبات الدعوة في البلاد الفارسية وما جاورها في خلافة عمر رضي الله عنه يأتي دور الحديث عن مكتسبات الدعوة في الجبهة المصرية التي قادها عمرو بن العاص في سنة عشرين .

فتح مصر بعد استكمال فتح الجبهة الشامية بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمرو ابن العاص لفتح مصر، وأردفه بالزبير بن العوام، فدعاهم عمرو إلى الإسلام أو الجزية، وأمهلهم خمسة أيام بطلب منهم، ثم رأوا أن يبيت المسلمين قبل تمام المدة ففعلوا ولم يظفروا بشيء، بل قتل منهم طائفة من ضمنهم الأربطون الذي أمر بتبئيت المسلمين، وحاصر المسلمون عين الشمس من مصر، فقبلوا بالصلح فصالحهم عمرو رضي الله عنه، أما السببا فخيرهم بأمر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمنهم من اختار الإسلام ومنهم من عاد إلى دينه، ثم أرسل عمرو جيشا إلى الإسكندرية فلما حاصروها قبل المقوقس بأداء الجزية، فبعث عمرو إلى عمر بالفتح والأخماس^(١) والله الحمد والمنة .

وبفتح مصر اتسعت دائرة المكتسبات الدعوية في جميع المجالات، فقد أسلم الكثير منهم وحتى الأسرى بعضهم اختار الإسلام لما رأى سماحة الإسلام ومعاملة المسلمين لهم، وغنم المسلمون غنائم مادية كثيرة، وأيضا المكتسبات الجغرافية كان لها وقع خاص في نفوس الناس حيث خضعت أرض مصر للإسلام، كما صارت البوابة الوحيدة لفتح إفريقية والمغرب والأندلس، وخلاصة القول: أن الدعوة الإسلامية في مرحلة خلافة الفاروق حققت المكتسبات التالية:

تم تحقيق النصر الكامل في الجبهة الشامية حيث تساقطت المدن الشامية في أيدي المجاهدين الفاتحين وعلى رأسها بيت المقدس العاصمة المقدسة لبلاد الشام، ودمشق العاصمة السياسية وهذه المدن منها ما فتح عنوة ومنها ما فتح صلحاً .

فتحت مصر بقيادة عمرو بن العاص ومساعدة الزبير بن العوام، كما تقدمت طلائع المجاهدين إلى شمال إفريقية .

واصل الفاروق الفتوحات في الجبهة الشرقية، فتمت السيطرة على كامل الأراضي الواقعة تحت الحكم الفارسي، كما تقدمت الدعوة لتصل مناطق الأتراك ومعظم مناطق الأكراد وبلاد الهند وسجستان .

نتيجة لهذه الفتوحات الكثيرة شرقاً وغرباً وشمالاً في تلك البلاد الغنية بمواردها الطبيعية اكتسبت الدعوة مكتسبات مادية هائلة بالإضافة إلى المكتسبات البشرية والمعنوية،

^١ - انظر: البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٠٠-١٠٢ والكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٥٦٤ ٥٦٨ .

فلذلك وضع الفاروق السياسة المالية وفرض لكل أحد من المسلمين ما يستحقه من بيت المال ، وكانت الإيرادات تجمع من الصدقات ومن أخماس الغنائم ومن الفبيء وهي جزية أهل الذمة ومن الخراج ومن العشور ومن موارث من ليس لهم وارث من موتى المسلمين .
وبه تم المقصود من الإشارة إلى مكتسبات الدعوة في فترة خلافة الفاروق رضي الله عنه .

المطلب الخامس: مكتسبات الدعوة في مرحلة خلافة عثمان رضي الله عنه .

بويح عثمان رضي الله عنه بالخلافة في بداية محرم سنة أربع وعشرين للهجرة ، وتواصلت سلسلة المكتسبات الدعوية التي حققها المسلمون في عصر الصديق والفاروق رضي الله عنهما فتحت إفريقية وقبرص وغيرها كما عمل المسلمون لاستعادة النظام في بعض المناطق التي خلعت يد الطاعة وامتنعت عن أداء ما صالحت عليه من الجزية وغيرها وخاصة في الجبهة الفارسية وما جاورها .

ففي (سنة أربع وعشرين غزا الوليد بن عقبة أذربيجان وأرمينية حيث منع أهلها ما كانوا صالحوا عليه أهل الإسلام في أيام عمر بن الخطاب ، فغنم وسبى وأخذ أموالاً جزيلة ثم صالحهم على الجزية وعاد سالماً غانماً^(١) بمكتسبات مادية ومعنوية وجغرافية .

وفي سنة ست وعشرين افتتح عثمان بن أبي العاص سابور صلحاً على ثلاثة آلاف ألف وثلاثمائة ألف^(٢) ، وافتتح سعيد بن العاص طبرستان سنة ثلاثين وذلك حينما ركب في جيش فيه الحسن والحسين والعبادة الأربعة^(٣) وحذيفة بن اليمان في خلق من الصحابة ، فسار بهم ومر على بلدان شتى يصلحونها على أموال جزيلة حتى انتهى إلى بلد معاملة جرجان ، فقاتلوه ثم سأل أهل ذلك الحصن الأمان فأعطاهم على أن لا يقتل منهم رجلاً واحداً ففتحوا الحصن فقتلهم إلا رجلاً واحداً وحوى ما كان في الحصن^(٤) ، وقد اضطر المسلمون في هذه الموقعة أن يصلوا صلاة الخوف لشدة المعركة ولكن الله نصرهم ومكنهم من رقاب عدوهم وأرضهم وممتلكاتهم .

وفي سنة إحدى وثلاثين واثنين وثلاثين تم استعادة النظام على بلدان ومناطق كثيرة في بلاد الفرس وما جاورها قد نقضت ما صالحت عليه من قبل ، مثل ، مرو ، الطالقان ، الفارياب ، الجوزجان ، وطخرستان ، والباب ، وبلنجر ، وكرمان ، وسجستان ،

^١ - انظر: البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٥٥ والكامل ابن الأثير ج ٣ ص ٨٣

^٢ - البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٥٧

^٣ - يطلق لفظ العبادة الأربعة على عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير .

^٤ - انظر: الكامل ابن الأثير ج ٣ ص ١٠٣ والبداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٦٠

وخراسان، وبلخ ^(١) وغير ذلك، وقد غنم المسلمون من هذه البلاد غنائم عظيمة، وفرضوا الجزية على أهلها فكانت مصدر دخل وإعانة في تجهيز الجيوش الإسلامية لفتح المناطق الأخرى.

أما ما يتعلق بالفتوحات والمكتسبات الدعوية في الجبهة الرومية في عهد عثمان رضي الله عنه ففي سنة أربع وعشرين جاشت ^(٢) الروم حتى خاف أهل الشام فبعثوا إلى عثمان رضي الله عنه، فبعث إلى الوليد بن عقبة بالعراق أن يبعث جيشاً إلى الشام، فبعث ثمانية آلاف بقيادة حبيب بن مسلم الفهري، فلما اجتمع الجيشان شنوا الغارة على بلاد الروم فغنموا وسبوا شيئاً كثيراً وفتحوا حصوناً كثيرة ولله الحمد ^(٣).

تبرز هذه الواقعة وغيرها من الوقائع المشابهة لها وهي كثيرة جداً يقظة عيون المسلمين في ذلك الوقت وسرعة انتقال الجيش الإسلامي لتبني العدو في عقر داره قبل تنفيذ خططه، كما تدل على السعي والمبادرة لتحقيق مكتسبات الدعوة في المجالات المختلفة.

وفي سنة ثمان وعشرين فتحت **قبرص** على يد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ركب إليها في جيش كثيف من المسلمين ركب البحر في مراكب فأنتهى إليها ووافاه عبد الله بن سعد بن أبي سرح إليها من الجانب الآخر فالتقيا على أهلها، فقتلوا خلقاً كثيراً وسبوا سبايا كثيرة وغنموا ما لا جزيلاً جداً، ثم صالحهم معاوية على سبعة آلاف دينار في كل سنة وهداهم ^(٤).

لا شك أن فتح قبرص وضمها في مكتسبات الدعوة كان له شأن خاص في نفوس المسلمين، حيث كانوا يتطلعون إليه في خلافة الفاروق رضي الله عنه، فلم يأذن لهم خوفاً عليهم من ركوب البحر، وتحقق لهم هذا الحلم في خلافة عثمان رضي الله عنه.

وفي سنة اثنتين وثلاثين غزا معاوية بلاد الروم حتى بلغ المضيق **مضيق القسطنطينية** ^(٥) ثم عاد بمعنويات عالية بعد أن قام بالتضييق على الروم وإخافتهم.

^١ - انظر: تفاصيل ذلك في البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٦٦-١٦٧

^٢ - جاشت : هاجت ، وجاشت الروم : كناية عن الحرب . انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، (جيش) ج ٦ ص ٢٧٧ .

^٣ - المرجع السابق ج ٧ ص ١٥٥ والكامل ابن الأثير ج ٣ ص ٨٣ وتاريخ ابن خلدون ج ٤ ص ١٠٠٠

^٤ - انظر: البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٥٩ والكامل ابن الأثير ج ٣ ص ٩٥ وتاريخ خليفة بن خياط ص ١٦٠ ط،

٢-١٤٠٥ هـ دار طيبة للنشر

^٥ - انظر الكامل ابن الأثير ج ٣ ص ١٣١ والبداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٦٦

أما ما يتعلق باستعادة النظام على الإسكندرية، وفتح إفريقية والأندلس في عهد خلافة عثمان رضي الله عنه، في سنة خمس وعشرين نقض أهل الإسكندرية العهد، فغزاهم عمرو بن العاص في ربيع الأول ففتح الأرض عنوة وفتح المدينة صلحاً^(١)، واستتب الأمر للمسلمين بعد أن أخذ أهل الإسكندرية درسا من نقضهم .

وفي سنة سبع وعشرين أمر عثمان رضي الله عنه عبد الله بن سعد بن أبي سرح أن يغزو بلاد إفريقية، فإذا فتحها الله عليه فله خمس الخمس من الغنيمة نفلأً، فسار إليها في عشرة آلاف ففتح سهلها، وجبلها وقتل خلقاً كثيراً من أهلها، ثم اجتمعوا على الطاعة والإسلام وحسن إسلامهم، وأخذ عبد الله بن سعد خمس الخمس من الغنيمة وبعث بأربعة أحماسه إلى عثمان وقسم أربعة أحماس الغنيمة بين الجيش فأصاب الفارس ثلاثة آلاف دينار والراجل ألف دينار^(٢) .

وقد دخلت الدعوة الإسلامية من قبل القارة الإفريقية من الشرق وذلك عند ما هاجر بعض الصحابة رضي الله عنهم إلى الحبشة فراراً بالدين وطلباً للحماية، أما هذه المرة دخلت الدعوة من شمال إفريقية بالجهاد معززة مكرمة منتصرة على كل من يقف أمام تحقيق مكتسباتها فالأول: كان في مرحلة ضعف وخوف وطلب الحماية والآخر في مرحلة القوة والاستخلاف والتمكين والأمن، فسبحان مقلب الأحوال قال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣) .

وفي سنة سبع وعشرين أيضاً كان فتح بلاد البربر بإفريقية على يد القائد عبد الله بن سعد بن أبي سرح ومعه عشرون ألفاً من المجاهدين، والبربر بقيادة ملكهم جرجير في عشرين ومائة وقيل في مائتي ألف، وبعد معارك شديدة قتل جرجير وهزم جيشه، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، وغنموا غنائم جمّة وأموالاً كثيرة وسيياً عظيماً وذلك بيلد يقال له

^١ - البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٥٦ والكامل ابن الأثير ج ٣ ص ٨١

^٢ - المرجع السابق ج ٣ ص ٨٨-٩٠ والبدية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٥٧

^٣ - النور، آية: ٥٥

سيطة على يومين من القيروان ^(١)، وبهزيمة جيش جرجير وقتله والسيطرة على أرضه وممتلكاته استكملت الدعوة مكتسباتها في شمال إفريقية لتنتقل إلى قارة أوروبا عبر الأندلس قال: ابن كثير رحمه الله .

(ولما افتتحت إفريقية بعث عثمان إلى عبد الله بن نافع بن عبد قيس ،وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهريين من فورهما إلى الأندلس فأتياها من البحر ،وكتب عثمان إلى الذين خرجوا إليها يقول إن القسطنطينية إنما تفتح من قبل البحر ،وأنتم إذا اقتحمت الأندلس أنتم شركاء لمن يفتح قسطنطينية في الأجر آخر الزمان ،والسلام ،قال فساروا إليها فافتحموها والله الحمد والمنة ^(٢) ،فهذه تعد محاولة أولى لفتح الأندلس ليطم استكمالها فيما بعد ولاشك أنها محاولة ناجحة مهدت الطريق للفتح .

وفي سنة إحدى وثلاثين كانت غزوة ذات الصواري في البحر وسببها أنه لما أصاب عبد الله بن سعد بن أبي سرح من أصحاب الفرنج والبربر ببلاد إفريقية والأندلس حميت الروم واجتمعت على قسطنطين بن هرقل ،وساروا إلى المسلمين في جمع لم ير مثله منذ كان الإسلام ،خرجوا في خمسمائة مركب ،وقصدوا عبد الله بن أبي سرح في أصحابه من المسلمين الذين ببلاد المغرب ،فالتقوا وربطوا السفن بعضها على بعض وبدأت المعركة بالسيوف والخناجر وصير المسلمون يومئذ صبراً لم يعهد مثله قط وقتل منهم بشر كثير ،ومن الروم أضعاف ذلك ،ثم أنزل الله نصره على المسلمين ،فهرب قسطنطين وجيشه وأقام عبد الله بن سعد بذات الصواري أياماً ثم رجع مؤيداً منصوراً ^(٣) والله الحمد والمنة .

وتعد هذه المعركة من المعارك الناجحة التي خاضها المجاهدون في عرض البحر ،ويبدو من هذه الواقعة أن البحرية الإسلامية قد أعدت أسطولها البحري لحماية شواطئها ومياهاها من أي غزو خارجي ،أما قسطنطين فكان يراهن بتفوقه العسكري في البحر وأسطوله الضخم مما يمكنه من هزيمة المسلمين في البحر ،ومع ذلك كانت الدائرة عليه والله الحمد .

وخلاصة القول في مكتسبات الدعوة في عهد عثمان رضي الله عنه تلخص في التالي :

^١ - البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ص ١٥٨ والكامل ابن الأثير ج ٣ص ٨٨-٩١

^٢ - انظر: تاريخ الطبري محمد بن جرير ج ٤ص ٢٥٥ و**البداية والنهاية** ابن كثير ج ٧ص ١٥٨

^٣ - انظر : المرجع السابق ج ٧ص ١٦٣-١٦٤ والكامل ابن الأثير ج ٣ص ١١٧

- ١- تواصلت الفتوحات في الجهة الشرقية، ففتحت طبرستان والمناطق المجاورة لها، كما أعيدت مدن ومناطق كثيرة إلى الطاعة بعد أن نقض أهلها ما عاهدوا عليه في زمن عمر رضي الله عنه .
- ٢- في الجهة الرومية فتحت قبرص وواصل المجاهدون غزواتهم إلى أن وصلوا مضيق القسطنطينية .
- ٣- فتحت شمال إفريقية بعد معارك دامية مع البربر ومناصريهم من الروم، كما وصلت طلائع المجاهدين الأندلس .
- ٤- نتيجة لهذه الفتوحات وما سبقها في عهد الفاروق توسعت الموارد المالية فزاد عثمان من عطاءات الناس ومخصصاتهم .
- وبه تم المقصود من الإشارة إلى المكتسبات الدعوية في عهد عثمان رضي الله عنه .

المطلب السادس : مكتسبات الدعوة في مرحلة خلافة علي رضي الله

عنه .

ابتدأت خلافة علي رضي الله عنه بعد أن بايعه المسلمون بالخلافة لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين^(١) وخلافته كانت حافلة بالفتن، فقد بويع بالخلافة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، فكانت أيامه فيها فتن ومعارك دامية صرفت المسلمين مؤقتاً عن إتمام رسالتهم العالمية بالفتوحات التي بدأت في عهد أبي بكر واستمرت طيلة عهد عمر وشطراً كبيراً من عهد عثمان، ولذلك لم يتح له أن يتم الفتوحات ويتفرغ للإصلاح والبناء^(٢) قال الشيخ محمد الخضر بك معلقاً على الحالة التي صار إليها الوضع بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، (قتل عثمان فافتقرت الأمة إذ ليس هذا بالأمر الهين حتى يقابل بالغض . . فريق ناظم علي قتله ويود قبل كل شيء إقامة حداً لله والقصاص من قاتليه، ثم يجتمع رجال الحل والعقد من الأمة فينتخبون بدله ومن هؤلاء عامة عشيرة عثمان ورأسهم وكبيرهم معاوية بن أبي سفيان أمير الشام وكثير غيره من الصحابة كطلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة وعمرو بن العاص وغيرهم، وفريق رأوا أن الأولى بالمسلمين أن يبدؤوا بإقامة خليفة لهم ثم ينفذ حكم الله في القاتلين بعد أن تهدأ الأحوال ولا يتعسر أمر القصاص وتجتمع جنود المسلمين للقدرة على الثائرين ومن هؤلاء علي بن أبي طالب وكثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والفريق الثالث قتلة عثمان يرون بالطبع أنهم أصابوا فيما صنعوا ولا يستحقون قصاصاً^(٣) .

ونتيجة لهذا الاختلاف وقعت موقعة الجمل بين طلحة والزبير وعائشة من جهة وأمير المؤمنين علي من جهة أخرى رضي الله عنهم أجمعين، ثم كانت وقعة صفين بعد ذلك بين أمير المؤمنين علي وأمير الشام معاوية رضي الله عن الجميع، أعقب ذلك قتال الخوارج الذين انفصلوا من جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وكلما قضى على فئة خرجت أخرى وتراجع نفوذه في البلاد التي كانت تحت سيطرته بانضمام مصر إلى معاوية بعد مقتل

^١ - إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء محمد الخضري بك ص ١٧٠

^٢ - انظر : محاضرات في تاريخ الإسلام د/ أمين القضاة و محمد عوض، ص ٧٢ دار عمار، بدون تاريخ طبع

^٣ - إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء محمد الخضري بك ص ٢٠٩

والسيها من قبل أمير المؤمنين محمد بن أبي بكر، ثم انضمت إلى معاوية الحجاز واليمن (فلم يعد متمسكاً ببيعة أمير المؤمنين إلا العراق وما حولها من بلاد فارس وكلها نار تضطرم بالخلاف والشقاق فريق شيعة وآخرون خوارج ، وفي السنة الأربعين من الهجرة النبوية أراحه الله من هذا الشقاق المتتابع والخلاف المستعصي ، فضمه إلى إخوانه من الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، فقتله عبد الرحمن بن ملجم الخارجي وهو خارج إلى صلاة الصبح ليلة الجمعة لسبع خلون من رمضان ^(١) رضي الله عنه .

هذا ملخص ما جرى في مدة خلافته من الأحداث المؤلمة ، أما ما يتعلق بمكتسبات الدعوة في مرحلة خلافته فلم تفتح بلاد جديدة في تلك الفترة يجنى من خلالها مكتسبات للأسباب المتقدمة ، وإن كان رضي الله عنه قد شارك غيره في المكتسبات السابقة وكان له اليد الطولى في كثير منها ، وهو أقرب العشرة المشهود لهم بالجنة نسبا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أنه من أهل بيعة الرضوان ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ ^(٢) ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزواته كلها إلا غزوة تبوك ، فإنه خلفه في أهل بيته ، ومن البارزين يوم بدر وممن ثبت يوم أحد وحنين وعلى يده فتحت خيبر ، وأمره صلى الله عليه بقرأة أوائل التوبة في موسم الحج إيداناً ببراءة الله ورسوله من المشركين ، وكان خير وزير للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم يستشيرونه في مهامهم ، وكثيراً ما كان يستخلفه عمر على المدينة إذا غاب عنها ، وكان رضي الله عنه يرى أولاً القضاء على الفتن إما بقوة السلاح أو الصلح ، ثم التفرغ للفتوحات والمكتسبات الدعوية الجديدة ، وكل ذلك قد خاضه وجربه ولكن أمر الله قدراً مقدوراً ، والله المستعان ، وبه تم مبحث مكتسبات الدعوة ويليه مبحث أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

^١ - انظر: إتمام الرفاء في سيرة الخلفاء محمد الخضري بك ص ١٩٩-٢٠٠م

^٢ - الفتح آية ١٨

المبحث الثاني : أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة :

ويتضمن مطلبين :

المطلب الأول : أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد النبي صلى

الله عليه وسلم .

المطلب الثاني : أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد الخلفاء

الراشدين رضي الله عنهم

المطلب الأول : أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد النبي صلى الله

عليه وسلم، وفيه فرعان:

الفرع الأول : أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في المرحلة المكية

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يهتم بالحفاظ على مكتسبات الدعوة كما كان يهتم بنشرها وإبلاغها، ففي السنوات الثلاثة الأولى من بدء الدعوة كانت الدعوة في سرية كاملة ريثما يقوى جانب العقيدة في نفوس أتباعها ويتأهلوا لتحمل تبعاتها .

قال ابن هشام رحمه الله (وكان بين ما أخفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين - فيما بلغني- من مبعثه .. وكان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا في الشعاب ، فاستخفوا بصلاتهم من قومهم)^(١) مخافة أن يطلعوا عليهم فيعرضوهم للمضايقة والمسائلة والإكراه للعودة إلى الشرك دين الآباء والأجداد من قبل الأهل والأقارب أو سلطة المشركين المسيطرة بصفة عامة ، ويمكن تقسيم هذا الفرع إلى عدد من الفروع .

الفرع الأول: تعليم الدعاة وتأهيلهم للدعوة :

وكان من الطبيعي أن يعرض الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام أولاً على ألق الناس به من أهل بيته وأصدقائه فدعاهم إلى الإسلام ودعا كل من توسم فيه الخير ممن يعرفهم ويعرفونه ، يعرفهم بحب الحق والخير ويعرفونه بتحري الصدق والصلاح)^(٢) .
وقام أبو بكر الصديق يمثل ذلك (ولما دخل في الدين ما يربو على الثلاثين كان من اللازم اجتماع الرسول بهم ليرشدهم ويعلمهم اختار لذلك دار الأرقم بن أبي الأرقم)^(٣) .
هذا هو الموقع السري الذي كان يستخدمه صلى الله عليه وسلم في ممارسة مهامه الدعوية في تلك الفترة مستخفياً عن أنظار المشركين حفاظاً على مكتسبات الدعوة .

١- سورة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٢-٢٦٣

٢- الرحيق المختوم المباركفوري ص ١١١

٣- نور اليقين محمد الحضري ي بك ص ٤١

وقد منح صلى الله عليه وسلم الأولوية لتعليم الدعاة وتأهيلهم ، وهو أول وأهم إجراء منهجي حكيم لحماية أية دعوة والحفاظ على منجزاتها، وتمكينها من السير قدماً نحو الأهداف المنشودة ذلك لأن نجاح أي مشروع متوقف — بعد توفيق الله عزوجل — على مدى استيعاب أصحابه له وتفاعلهم معه واستعدادهم للثبات عليه والبذل من أجله وهو ما كان النبي صلى الله عليه وسلم على وعي به فتوجه همه الأكبر لبناء القدرات الذاتية التي كانت تتمثل في هذه المرحلة في إعداد نواة الجهاد الأولى ، التي سيقوم عليها ببيان الدعوة في المراحل اللاحقة .

وقد اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم من التدابير ما كان له دخل كبير في ضمان حماية الدعوة والحفاظ على منجزاتها ، كما يدل ذلك تركيزه على مد القاعدة البشرية للدعوة لتشمل تمثيل كل أوجل مناطق المجتمع وفئاته ، الأمر الذي جعلها — أي الدعوة — تستعصي على الاحتواء والاستئصال بعد ذلك ، وتجنّبها محاذير الصراع القبلي إلى حد كبير بل ووظف القبيلة لخدمة الدعوة بهذا التوزع والانتشار الواسع للأتباع .

الفرع الثاني : تفادي المواجهة المبكرة مع المشركين

كما انتهج عليه السلام سياسة تفادي المواجهة المبكرة مع المشركين هو ثاني إجراء منهجي حكيم اعتمده النبي صلى الله عليه وسلم لحماية الدعوة والحفاظ على منجزاتها منذ خطواتها الأولى في بيئة يحكمها هم القبلي ، ويوجهها الفكر الوثني يحتاج إلى انتهاج سياسة محكمة تتيح الفرصة للدعوة لكي تتحرك بعيداً عن أجواء الإرهاب والمواجهة المكشوفة التي تؤثر على سيرها ومصيرها^(١)

وبعد فترة الهدوء وسرية الدعوة التي استمرت ثلاث سنين أنزل الله على رسوله ﴿ فَأَصْدَغَ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٢) فهياً نفسه صلى الله عليه وسلم للتعامل مع المعطيات الجديدة ومواجهة المشركين بالتوحيد علانية في مجامعهم ونواديهم وأسواقهم الأمر الذي عظم على المشركين قال تعالى ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾

^١ - انظر: منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة والحفاظ على منجزاتها خلال الفترة المكية الطيب برغوث

ص ٣٠٧-٣٠٩

^٢ - الحجر آية ٩٤

﴿ ٣ ﴾ ^(١) من التوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى ونبذ الشرك وعبادة الأوثان والأصنام وحينئذ هاجت ضده الوثنية ولاقى منها الكثير من المتاعب والمشقة والاضطهاد في النفس والأصحاب ، ولكن كل ذلك يهون في سبيل كلمة التوحيد التي قضى معظم زمان الرسالة في الدعوة إليها (لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قضى ثلاثاً وعشرين سنة في الدعوة إلى الله - هي عهد النبوة - ثلاث عشر سنة في مكة جلها كان في الدعوة الى تحقيق (لا اله إلا الله محمد رسول الله).. ومنها عشر سنين في المدينة، كانت موزعة بين تشريع الأحكام وتثبيت العقيدة والحفاظ عليها وحمايتها من الشبهات ، والجهاد في سبيلها ، أي أن أغلبها في تقرير عقيدة التوحيد ، وأصول الدين، ومن ذلك مجادلة أهل الكتاب وبيان بطلان معتقداتهم المحرفة والتصدي لشبهاتهم وشبهات المنافقين ، وصد كيدهم للإسلام والمسلمين وكل هذا في حماية العقيدة قبل كل شيء . فأي دعوة لا تولي أمر العقيدة من الاهتمام كما أولاهها رسول الله صلى الله عليه وسلم - علماً وعملاً - فهي ناقصة ^(٢) لأن العقيدة هي الأساس الذي يبنى عليه دين الشخص وهي السياج والحصن الذي يحمي القلب من نفوذ الشرك والشبه والبدع إليه .

فهي من أجل ما يحافظ به على مكتسبات الدعوة البشرية وأعظم ما يكتسب به، وقد وضع صلى الله عليه وسلم خيارات وحلول عملية في سبيل مواجهة التحديات والاستفزازات التي واجهت الدعوة بعد الصدع بها ، حفاظاً على مكتسبات الدعوة .

الفرع الثالث : الإصرار ، و الثبات :

ومن هذه الخيارات التي لا مفر منها الإصرار والثبات على المبدأ والجهربه في أوساط المشركين مهما كان الأمر ويظهر هذا في مواقف كثيرة يمكن الاكتفاء منها بمثال واحد خشية الإطالة . وذلك عندما جاء كفار قريش إلى أبي طالب في المرة الأولى (فقالوا : يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا ، وإما أن تحلي بيننا وبينه ، فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيكه فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً وردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه .

^١ - الشورى آية ١٣

^٢ - انظر: مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، د/ ناصر بن عبد الكريم

العقل ص ٢٤-٢٥ ، ط ١ ، دار الوطن

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه يظهر دينه ويدعو إليه ^(١) واثقاً بوعد الله ونصره وإظهار دينه كما قال تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾ ^(٢) وقوله عز وجل ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ ^(٣)

ولما رأى المشركون استمرار الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته بكل عزيمة وتفان رغم ما يتعرض له من قبلهم من الاستهزاء والسخرية والمضايقات والنيل منه ومن أصحابه دون جدوى ذهبوا إلى أبي طالب مرة ثانية يطلبون منه إيقاف جميع أنشطته غير القانونية في نظرهم أو يستعد لحرب غير متكافئة وذلك بعد أن استعطفوه بمكانته عندهم من الشرف والسيادة فقالوا له: (يا أبا طالب إن لك سنا وشرفاً ومثلة فينا وإنا قد استهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لا نصير على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آهتنا حتى تكفه أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين) ^(٤) .

وحينها تيقن أبو طالب بزيادة التواتر، وأن المواجهة بلغت ذروتها ولا بد من تقديم بعض التنازلات لتخفيف الوضع ما أمكن ذلك وأطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمطالب وفد قريش وطلب منه أن يخفف من لهجته الخطابية لهم فقال (فأبق علىّ وعلى نفسك ، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق) ^(٥) .

وعندما شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعف موقف عمه عن نصرته ، أكد له أن قضيته غير قابلة للمساومات والتنازلات لأنها قضية رسالة إلهية ولا بد من تبليغها وإيصالها على من أرسلت لهم مهما كلف الأمر وقال له صلى الله عليه وسلم مقولته المشهورة (يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهر الله أو أهلك فيه ما تركته) ^(٦) . وحينما سمع أبو طالب هذا الإصرار والثبات على

١- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٥

٢- غافر آية ٥١

٣- التوبة آية ٣٣

٤- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٦

٥- المرجع السابق ج ١ ص ٢٦٦

٦- المرجع السابق ج ١ ص ٢٦٦

المبدأ من ابن أخيه طمأنه فقال : اذهب يا ابن أخي ، فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً^(١) .

ولا شك أن هذا الموقف المشرف من أبي طالب تجاه ابن أخيه كان له وقع خاص في نفسه صلى الله عليه وسلم .

الفرع الرابع : التثبيت :

ومن الحلول التي اتخذها صلى الله عليه وسلم للتخفيف من الهجمات الشرسة التي تعرض لها الصحابة من قبل قريش التثبيت مع التبشير بالجنة لمن صبر حفاظاً على مكتسبات الدعوة لأن الصحابة قد واجهوا الكثير من العناء والتعذيب مع السخرية والاستهزاء وجميع أنواع التعذيب الجسدي . قال ابن اسحاق : ثم إن قريشاً تأمروا على من في القبائل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه . فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم^(٢) .

وكان عمار بن ياسر رضي الله عنه مولى لبني مخزوم أسلم هو وأبوه وأمه فكان المشركون - وعلى رأسهم أبو جهل - يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء فيعذبونهم بحرماً .

ومر بهم النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعذبونهم فقال : صبراً آل ياسر! فإن موعدكم الجنة ، فمات ياسر في العذاب وطعن أبو جهل سمية أم عمار في قبلها بحرته فماتت وهي أول شهيدة في الإسلام^(٣)

وقد مرت مثل هذه المحنة بكثير من الصحابة أمثال بلال بن رباح وعامر بن فهيرة وأبو فكيهة ، وخباب بن الأرت وغيرهم كثير . وقد تحملوا الأذى في سبيل الحفاظ على عقيدتهم .

١- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٦

٢- السيرة النبوية ، لابن كثير ج ١ ص ٤٧٦ ، ط ٢ ، ١٣٩٨ هـ - دار الفكر ، بدون ذكر البلد

٣- الرحيق المختوم المباركفوري ص ١٣٠

الفرع الخامس : تسلية الصحابة رضي الله عنهم بما أصاب من قبلهم :

وأيضاً من الاجراءات التي اتخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الحفاظ على مكتسبات الدعوة تذكير الصحابة بما كان يقع بالمؤمنين من قبلهم من المحن والفتن والتعذيب وصبرهم على ذلك ، مع التبشير بالمستقبل المشرق .

ويظهر ذلك في حديث خباب رضي الله عنه حيث قال: (أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة فقلت ألا تدعو الله لنا؟ فقعد وهو محمرٌ وجهه فقال : لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع الميثاق على مفرق رأسه فيشق باثني ما يصرفه عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله (زاد بيان الذئب على غنمه) ^(١) .

هذا التذكير والتبشير من الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدفع الصحابة رضوان الله عليهم إلى تحمل المشاق والتغلب على الأزمات كما كان يزرع في نفوسهم روح الأمل بقرب الانفراج قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَمَثَلْنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ ^(٢) .

مع هذا الأمل الذي كان يزرعه في نفوس الصحابة للتخفيف من آلامهم بتلاوة آيات الصبر وقرب النصر . أيضاً كان صلى الله عليه وسلم يتطلع إلى إجراء آخر يتمثل في البحث عن مكان آمن خارج مكة فأمرهم بالهجرة إلى الحبشة حتى يجعل الله لهم فرجاً مما هم فيه من الاضطهاد فهاجروا إليها ^(٣) .

ومن الخيارات أيضاً التي استفاد منها صلى الله عليه وسلم في سبيل الحفاظ على مكتسبات الدعوة وكانت مهمة جداً .

^١ - رواه البخاري كتاب مناقب الأنصار ٦٣ باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة

٢٩ حديث ٣٨٥٢ ص ٧٨٧

^٢ - الصافات الآيات ١٧١-١٧٣

^٣ - سياتي الحديث عن الهجرة في فصل مستقل ص ٢٣٥

الفرع السادس : الاستفادة من الجانب القبلي الذي كان سائداً في المجتمع

فقد استطاع صلى الله عليه وسلم بأسلوبه الحكيم وسياسته الراشدة أن يستعطف إلى جانبه بني هاشم وبني عبد المطلب الذين رفضوا الرضوخ أمام مطالب قريش لتسليم الرسول صلى الله عليه وسلم عصبية فتحملوا الحصار والمقاطعة لمدة ثلاث سنوات عجاف لاقوا فيها شدة وضنكاً وجوعاً وعرياً حتى كانوا يأكلون أوراق الشجر وكانوا يزيدون تحملاً وثباتاً .. وكان أعداؤهم يبالغون في التضييق عليهم ومنع الاتصال بهم والاتجار معهم أو حتى بيع القوت عليهم .

وقد أحدث هذا الظلم قوة إيمان وثباتاً وحسن تربية وزهداً لدى المسلمين من بني عبد مناف وأحدث في غير المسلمين منهم تعلقاً بالمسلمين ألفة لهم وبغضاً لقريش الذين قسوا عليهم كل هذه القسوة وأحدث بين صفوف قريش خلافاً وتباعداً في الآراء إذ ثارت نائرة الرحمة والعطف عند بعضهم فصار أحدهم وهو كافر يحمل بغيراً زاداً ثم يطلق عنانه ويوجهه إلى الشعب ليصل إلى المقاطعين ^(١) .

وقد استخدم صلى الله عليه وسلم المجال القبلي الذي كان سائداً في مواقف كثيرة في سبيل الحفاظ على مكتسبات الدعوة ونشرها كما استخدمه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم .

الفرع السابع : قيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعقد بعض العبيد

المستضعفين في دينهم :

وأيضاً من الإجراءات التي اتخذها صلى الله عليه وسلم في تلك الفترة في سبيل الحفاظ على مكتسبات الدعوة قيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعقد بعض العبيد المستضعفين في دينهم ، ولا شك أن ذلك كان بمشورة ومباركة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد أعنت رضي الله عنه (على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب بلال سابعهم ^(٢)) وكان أسيادهم يعذبونهم بأشد أنواع العقوبات رجاء في ثنيهم عن الإسلام

^١ - النهج الحمدي ، عبد العزيز المسند ص ٦٧-٦٨ ، في ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، النادي الأدبي - الرياض ، بدون ذكر

الطبعة

^٢ - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣١٨

وتشفياً منهم لاعتناقهم ديناً يخالف دين أسيادهم دون إذنهم ورضاهم ومع ذلك صبروا وحافظوا على عقيدتهم حتى جعل الله لهم فرجاً ومخرجاً .

الفرع الثامن : الاستفادة من بعض الأعراف السائدة في المجتمع .

ومن الإجراءات التي اتخذها صلى الله عليه وسلم في سبيل الحفاظ على مكتسبات الدعوة الاستفادة من الأعراف السائدة في المجتمع في تخفيف المعانات على المسلمين ويتمثل ذلك في دخول بعض الصحابة في جوار المشركين قصد الحماية من الاعتداء عليهم أو منعهم من أداء شعائر دينهم فبعد أن عاد المهاجرون من الحبشة إلى مكة (لم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفياً . فكان من دخل منهم بجوار فمن سمى لنا عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحي ، دخل بجوار من الوليد بن مغيرة وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال . دخل بجوار من أبي طالب ابن عبد المطلب ^(١) .

كما دخل أبو بكر رضي الله عنه في جوار ابن الدغنة حينما عرض عليه الجوار وعدم الهجرة إلى الحبشة ^(٢) بل ودخل صلى الله عليه وسلم بنفسه في جوار المطعم بن عدي حينما عاد من الطائف ^(٣) ، مما يدل على أهمية الجوار في الحفاظ على مكتسبات الدعوة ومشروعيته إذا اقتضى الأمر ذلك .

الفرع التاسع : البحث عن موقع آمن للدعوة :

ومن الإجراءات التي اتخذها صلى الله عليه وسلم في سبيل الحفاظ على مكتسبات الدعوة البحث عن محور آمن يحمي الدعوة وتنطلق منه في أرجاء المعمورة بعد أن تأكد أن أهل مكة غير مستعدين أن يكونوا أهلاً لمثل هذا الشرف النبيل ومن أجل ذلك (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل) ^(٤) .

^١- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٦٤-٣٦٩

^٢- المرجع السابق ج ١ ص ٣٧٢

^٣- انظر: الطبقات الكبرى ابن سعد ج ١ ص ٢١٢

^٤- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤١٩

هذه المحاولة لم تحقق الهدف المنشود ولكن كان فيها إقامة الحجة على أهل الطائف ، أما أهل الطائف فلم يكونوا أوفر حظاً من أهل مكة فردوه صلى الله عليه وسلم رداً سيئاً فعاد إلى مكة في جوار المطعم بن عدي كما سبق ، ولم يكل صلى الله عليه وسلم بل قام بمحاولات أخرى إلى أن حقق الهدف الذي حدده ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في المواسم إذا كانت ، على قبائل العرب يدعوهم إلى الله عز وجل ويخبرهم أنه نبي الله مرسل ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به ^(١) .

فكانت ردودهم تختلف فمنهم من يطلب أن يكون الأمر لهم بعده فيرد عليهم صلى الله عليه وسلم بقوله : (الأمر لله يضعه حيث يشاء) ^(٢) .

ومنهم من يعتذر إلى أن هياً الله له وفد أهل يثرب الذين أكرمهم الله بهذا الشرف الرفيع وسماهم الله الأنصار .

وخلاصة القول إن أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في المرحلة المكية تتمثل في

التالي :

- ١- بدء الدعوة سراً ، مع الأقارب والأصدقاء ريثما يقوى جانب العقيدة في نفوس أتباعها ، وبناء القدرات الذاتية للدعوة الإسلامية .
- ٢- تفادي المواجهة المبكرة مع المجتمع والبعد عن كل ما يجر إلى المواجهة المكشوفة التي تؤثر على سير الدعوة ومصيرها في الحاضر والمستقبل .
- ٣- عند ما تعرض الصحابة للاضطهاد من قبل قريش كان صلى الله عليه وسلم يحثهم على الصبر ، ويبيشهم بالجنة ويذكرهم بما تعرض له المؤمنون من قبلهم تخفيفاً عليهم ، كما كان يبيشهم بالمستقبل المشرق للدعوة .
- ٤- الاستفادة من الجانب القبلي ، حيث استطاع صلى الله عليه وسلم بأسلوبه الحكيم وسياسته الراشدة أن يستعطف إلى جانبه بني هاشم وبني عبد المطلب الذين رفضوا الرضوخ أمام مطالب قريش لتسليمه إليهم .

١- انظر: السيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ١٥٥

٢- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٢٥

- ٥- قيام أبي بكر بعق بعض العبيد المستضعفين في دينهم حفاظاً عليهم وعلى عقيدتهم مما أصابهم من الأذى .
- ٦- الاستفادة من بعض الأعراف السائدة في المجتمع، مثل الدخول في الجوار من أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة .
- ٧- البحث عن محور آمن تنطلق منه الدعوة، ومن أجل ذلك ذهب صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، كما كان يعرض نفسه على القبائل في المواسم .
- هذه معظم الإجراءات التي اتخذها صلى الله عليه وسلم في الفترة المكية في سبيل الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

الفرع الثاني: أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في الفترة المدنية :

ظروف المرحلة المدنية تختلف عن المرحلة المكية لأن في مكة كانت السلطة للمشركين ، أما في المدينة فكان الحاكم الفعلي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما شرعت وسائل للحفاظ على مكتسبات الدعوة لم تكن مشروعة من قبل .
والمجتمع المكي كان يتكون من فئتين مشركين وهم الأكثرية والسلطة الحاكمة والمسيطرة ، ومسلمين ويُعتبرون قلة مضطهدة بينما كان المجتمع المدني يتكون من مسلمين وهم الأكثرية وسلطة الحكم بيدهم، ويهود، ومشركين تلاشى وجودهم في المدينة بعد أربع سنين من قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها، المسلمون يتكونون من فئتين فئة المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ، وغصبت ممتلكاتهم، وفئة الأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان .

المهاجرون فقدوا كل شيء إلا إيمانهم بالله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم فهم في حاجة إلى مأوى وإغاثة عاجلة وعددهم يتزايد يوماً بعد يوم فهذه مشكلة تحتاج إلى حل عاجل ودائم في نفس الوقت .

فماذا فعل صلى الله عليه وسلم في حل هذه المشكلة؟ هل أقام مخيمات للمهاجرين وطلب مساعدات خارجية؟ الذي فعله صلى الله عليه وسلم هو دمج المهاجرين مع الأنصار في مؤاخاة بينهم حتى لا يشعر المهاجر بالغرابة والأنصاري بأنه مواطن لا بد أن تحفظ له حقوقه الخاصة ، بل أخوة الإسلام تجمعهم وأرض الله تسعهم .

واستقبل الأنصار إخوانهم المهاجرين بكل حفاوة وتكريم وشاطروهم كل ما يملكون بطيب نفس بل وآثروهم على أنفسهم كما قال عز وجل في وصفهم ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا تَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(١) قال الشيخ عبد الرحمن السعدى رحمه الله في تفسير قوله ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ أي ومن أوصاف الأنصار التي

فاقوا بها غيرهم وتميزوا بها عن سواهم الإيثار وهو أكمال أنواع الجود وهو الإيثار بمحباب النفس من الأموال وغيرها وبذلها للغير مع الحاجة إليها بل مع الضرورة والخصاصة وهذا لا يكون إلا من خلق زكي ومحبة لله تعالى تقدمه على شهوات النفس ولذا^(١).

وقد تنافس الأنصار في استقبال المهاجرين وإكرامهم حتى (حكموا القرعة بينهم فما نزل مهاجر على أنصاري إلا بقرعة)^(٢) وبهذا الإحياء والمحبة والتعاون على البر والتقوى حلت مشكلة المهاجرين .

أما فيما يتعلق بمجتمع المدينة بصفة عامة وكما سبق أنه كان يتكون من طوائف متعددة ، ولا بد من وضع دستور أو ميثاق تعايش بين تلك الطوائف ، تعرف كل طائفة بموجبه ما يلزمها تجاه الطائفة الأخرى ، وما يلزم الجميع تجاه العدو الخارجي لو حصل اعتداء على المدينة للدفاع عنها وبخصوص هذا الموضوع (كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً هو بالنسبة للمؤمنين أمر من الله تعالى بتنظيم مجتمعهم وتعاونهم الاجتماعي والاقتصادي وتنظيم الشؤون السياسية بينهم وتأليف بين بطونهم وقبائلهم ، وتعاون على إقامة الخير ودفع الشر ، وبيان حكم الإسلام في العمل على منع الظلم والتظالم بينهم آحاداً وجماعات .

وجعل ما يسري على المؤمنين في شعوبهم وقبائلهم يسري على اليهود وغيرهم على أن يكون لهم ما للمؤمنين وعليهم ما عليهم لا يضارون في دينهم ولا يتعدى عليهم في اعتقادهم وعلى أن تكون الرياسة الكبرى للنبي صلى الله عليه وسلم)^(٣).

هذا ملخص للكتاب أو الوثيقة التي أوضح فيها صلى الله عليه وسلم أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة وياشر بنفسه تنفيذها على المجتمع المدني .

ومن الأمور السيئة التي كان يعاني منها المجتمع المدني قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المشكلة الصحية بسبب وباء الحمى التي كانت منتشرة عليها وقد فتكت هذه الحمى بأجسام المهاجرين الذين لم يتعودوا في مثل هذه الأجواء الموبوءة فأصاهم وباء وسقم ، قالت عائشة رضي الله عنها : (

^١ - تيسير الكرم الرحمن الشيخ عبد الرحمن السعدي ص ٧٨٩

^٢ - نور اليقين محمد الحضري بك ص ٨٦

^٣ - خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، الإمام محمد أبو زهرة ج ٢ ص ٥٦٢، دار الفكر العربي، بدون ذكر الطبعة ، والتاريخ .

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم - المدينة - وَعَكَ أَبُو بكر وبلال ، قالت فدخلت عليهما فقلت يا أبت كيف تجددك ؟ ويا بلال كيف تجددك ؟ قالت : وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل إمري مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا ألقع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحوالي إذخر وجيليل

وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل ييدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال: اللهم حبيب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها ، وبارك لنا في صاعها ومدها ، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة (١) .

فاستجاب الله دعاء نبيه ورفع الوباء وحبب المدينة في قلوب المؤمنين وتوافدوا إليها من كل مكان لتصبح عاصمة الإسلام ومنطلق الدعوة .

وبعد أن أكملت في المدينة عوامل الاستقرار والأمن والتعاون والوثام في المجتمع المدني بجميع فئاته ، تفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم للعدو الخارجي المتمثل في قريش فكان يرسل سرايا ويخرج بنفسه غازياً لمطاردة قريش وملاحقة تجارهم وإلى أن حصلت وقعة بدر الكبرى لم يكن هنالك عدو يهدد مكتسبات الدعوة غير قريش .

وبعد أن حصل أول تمرد من يهود بني قينقاع فنقضوا العهد وآذوا المسلمين فأخرجهم منها صلى الله عليه وسلم صاغرين كما سبق (٢) وذلك حفاظاً على مكتسبات الدعوة لأنهم عرضوا الأمن داخل المدينة للخطر فلا بد من قمع تمردهم ليعود للمدنية أمنها واستقرارها .

الانتقام من الشخصيات الإجرامية التي تتزعم التحريض على الإسلام والمسلمين وتعرض مكتسبات الدعوة للخطر وكان ذلك بالانتقام من كعب بن الأشرف عدو الله أحد رؤساء اليهود بعد بدر ذهب إلى مكة وجعل يجرس على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينشد الأشعار ويبكي

١- رواه البخاري كتاب المرضى ٧٥ باب من دعا برفع الوباء والحمى ٢٢ حديث ٥٦٧٧ ص ١٢٢١

٢- انظر : ص ٣٠

أصحاب القليب، ويقول لباطن الأرض خير من ظهرها بعد هؤلاء . ثم عاد إلى المدينة فثبب بنساء المسلمين حتى آذاهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : (من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله)^(١) فانتدب له خمسة رجال من الأوس بقيادة محمد بن مسلمة، فاستدرجوه في خطة محكمة فائقة الدقة مأمونة النجاح في إصابة الهدف دون عوائق ، فقضوا عليه ثم عادوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل يبشرونه بنجاح العملية الفدائية ، وكان صلى الله عليه وسلم بعد أن ودعهم عاد إلى بيته وقام يصلي ويدعوا لهم بالنجاح والتوفيق في مهمتهم . وقد تركت هذه العملية رعباً شديداً وإرهاباً وتخويفاً في نفوس اليهود، ومن على شاكلتهم من المنافقين والمتربصين قال عنها منفذو العملية (ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود لوقتتنا بعدوا الله ، فليس بها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه)^(٢) من جند الله الساهرين على حماية الدعوة بكل ما أوتوا من قوة .

مبادرة الرسول صلى الله عليه وسلم في إطفاء نار الفتنة والخلاف قبل

استفحالتها يدل على أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة ويبرز ذلك في الفتنة التي أراد أن يوقعها اليهودي شماس ابن قيس بين الأوس والخزرج حينما رأهم يجلسون معاً في ألفة وتحابب فأرسل إليهم غلام يهودي ينشد أشعار حرب الجاهلية بينهم فلما سمعوا تواتب رجلان من الفريقين وقال أحدهما لصاحبه إن شئتم رددناها الآن جذعة فغضب الحاضرون من الفريقين وقالوا موعد اللقاء الظاهرة.

فلما علم صلى الله عليه وسلم بالخبر خرج مسرعاً فيمن معه من المهاجرين، فلما جاءهم قال : يا معشر المسلمين الله الله أبدوى الجاهلية ، وأنا بين ظهركم، بعد أن هداكم الله تعالى للإسلام وأكرمكم به وقطع عنكم به أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم ،وعندها أدرك الأنصار أنها نزعة شيطانية وكيد من عدوهم ،فبكوا وعانق بعضهم بعضاً^(٣) .

^١-رواه البخاري كتاب المغازي ٦٤ باب قتل كعب بن الأشرف ١٥ حديث ٤٠٣٧ ص: ٨٢٩ .

^٢- سيرة ابن هشام ج٣ ص-٥٧

^٣- انظر: خانم النبيين محمد أبو زهرة ص٦٥٨-٦٥٩، بتصرف

وعمثل هذه السرعة كان صلى الله عليه وسلم يحافظ على مكتسبات الدعوة ويزرع في نفوس الصحابة المحبة والألفة والإخاء والصدقة الحميمة بينهم ، أما اليهود لعنهم الله رغم توقيعهم المعاهدة مع الرسول صلى الله عليه وسلم نظرياً إلا أن نفوسهم الخبيثة والخسيسة تأبى إلا الغدر والخيانة كلما سنحت لهم فرصة، فبنوا النضير حينما رأوا الفرصة مواتية أرادوا أن يغدروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فعصمه الله منهم وأطلعه على خطتهم فحاصرهم ثم أجلاهم من المدينة، لأن بعملهم هذا أصبحوا أعضاء غير صالحين للتعايش معهم في المدينة فالحفاظ على مكتسبات الدعوة يقتضي إبعادهم عنها .

ومن طبيعة اليهود أنهم لا يأخذون العبر من الآخرين إنما يعرضون نفوسهم ليكونوا عبرة للمعتبرين ، ويبدو أن ذلك من شدة طمعهم في الغدر والحسد والمكر ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله فبنو قريظة لم يأخذوا الدرس من إخوانهم (قينقاع والنضير) ^(١) ، فخططوا لظعن المسلمين بجنجر مسموم من الخلف في أحلك الأوقات وعند إحاطة الأحزاب بالمدينة ، فكان جزاءهم القضاء عليهم كلية، كما أرادوا أن يقضوا على المسلمين ليكونوا عبرة للمعتبرين.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا علم من قبيلة معاهدة نقضت العهد ، أو أخرى تسببت في قتل أو ضرر للمسلمين، أو أنها تنهياً لغزو المسلمين بادرها في عقر دارها ففرق شملها وسعى في القضاء عليها قبل تحقيق أهدافها ، حفاظاً على مكتسبات الدعوة ، وسبقت أمثلة كثيرة من هذا في مبحث مكتسبات الدعوة مما يغني عن إيرادها مرة أخرى.

عملية جهادية جريئة ضد سلام بن أبي الحقيق اليهودي الذي كان فيمن حزب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتدب له خمسة من الخزرج تحت إمرة عبد الله بن عتيك فلما وصلوا خبير مساء تأكدوا من المدخل والمخارج دون أن يشعر بهم أهلها ثم بقوا إلى أن نام أهل البلد ثم تسللوا إلى موقع العملية حسب الخريطة التي رسموها وأغلقوا الأبواب دونهم لتأمين تنفيذ العملية دون عوائق ، فلما دخلوا على سلام وجدوه نائماً في بيته فلم يستيقظ من نومه إلا في وقع السيوف ولم تغن عنه صيحات امرأته ، فلما تأكدوا من

^١ - سبق الحديث عن مصير قبائل اليهود في مبحث مكتسبات الدعوة ، ص : ٣٣ ، ٣٥ ، أما هنا المقصود الإشارة

إلى أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة فقط

قضى نجه عادوا إلى المدينة وبشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنجاح العملية وسلامتهم والله الحمد والمنة، وكان هذا بعد الخندق (١).

عملية جهادية أخرى نفذت على خالد بن سفيان الهذلي على يد المجاهد عبد الله بن أنيس الذي قال: (دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنه قد بلغني إن خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي يجمع لي الناس ليغزوني وهو بعرنة فأته فاقتله قال قلت: يا رسول الله انعته لي حتى أعرفه قال إذا رأيته وجدت له قشعريرة قال فخرجت متوشحاً سيفي حتى وقعت عليه وهو بعرنة مع ظعن يرتاد لمن متراً وحين كان وقت العصر فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من القشعريرة فأقبلت نحوه وخشيت أن يكون بسيني ويينه محاولة تشغلي عن الصلاة فصليت وأنا أمشي نحوه أومئ برأسي للركوع والسجود فلما انتهيت إليه قال: من الرجل؟ قلت رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك قال: أجل أنا ذلك قال فمشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنتني حملت عليه السيف حتى قتلته ثم خرجت وتركت ظعائنه - نساءه - منكبات عليه، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآني قال: أفلح الوجه قال قلت قتلته يا رسول الله قال صدقت قال ثم قام معي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بيته فأعطاني عصاً فقال: أمسك هذا عندك يا عبد الله بن أنيس) (٢).

فالقصة تحكي اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل القوة والرزانة للقيام بالمهام الصعبة ثم مكافأهم بالجوائز المعنوية والعينية تشجيعاً لهم لقيامهم بالحفاظ على مكتسبات الدعوة.

إجراء تأديبي اتخذه صلى الله عليه وسلم في إطفاء نكرة حزبية وقبلية كادت أن تشق عصي المسلمين مما يدل على البعد السياسي الكبير الذي كان يتمتع به صلى الله عليه وسلم، وذلك بعد غزوة بني المصطلق عندما حصل شجار في ماء بين مهاجري وأنصاري فقال الأنصاري يا معشر الأنصار والمهاجري يا معشر المهاجرين فانتهز هذه الفرصة عبد الله

١- انظر: سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٧٣-٢٧٥، والبدية والنهاية ابن كثير ج ٤ ص ١٣٩-١٤٢، والحديث عن قصة قتل أبي الحقيق بطوله، البخاري كتاب المغازي ٦٤ باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق ١٦ حديث ٤٠٣٨-٤٠٣٩.

٤٠٤٠-، ص ٨٣٠-٨٣١.

٢- رواه أحمد في المسند ج ٣ ص ٤٩٦، والبدية والنهاية ابن كثير ج ٤ ص ١٤٣.

ابن سلول ليذكي من خلالها نار الفتنة فقال : (أو قد فعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما أعدنا وجلايب قريش إلا كما قال الأول سمن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) فأشار عمر بن الخطاب بقتله أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه) فالقضية تخضع لمعايير خارجية وداخلية ، خارجية من تشويه سمعة الدعوة أو الصّدّ من الدخول فيها ، وداخلية ربما يجد من ينتصر له من قومه خاصة أنه كان يعد الملك والزعيم في قومه قبل الإسلام.

(ولكن أذن بالرحيل ، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحل فيها فارتحل الناس ... ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح وصدر من يومهم ذلك حتى آذهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقوا نياماً ، وإنما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي) ^(١)

وبهذا الإجراء الحكيم حافظ صلى الله عليه وسلم على مكتسبات الدعوة وتفادى وقوع الفتنة بين المهاجرين والأنصار أما عبد الله بن أبي فقد وقف ابنه عبد الله أمامه عند دخوله المدينة فمنعه من دخولها حتى أذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدخول .

فداء أسرى المسلمين و أهميته في الحفاظ على مكتسبات الدعوة :

عندما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق في سرية إلى بني فزارة بعد غزوة خيبر وانتصر عليهم ، وأسر منهم ، وكان من ضمن الأسرى امرأة جميلة وقعت في نصيب سلمة بن الأكوع فاستوهبها منه صلى الله عليه وسلم (فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة ، ففدى بها ناساً من المسلمين كانوا أسروا بمكة) ^(٢) رغبة منه في تخلص المسلمين من يد الكفار وإذلالهم ، وإعادةهم في صفوف المسلمين للقيام بمهامهم الدعوية .

^١ - انظر: سيرة بن هشام ج ٣ ص ٢٨٩-٢٩٣ ، والبداية والنهاية ابن كثير ج ٤ ص ١٥٧-١٦٠ .

^٢ - رواه مسلم كتاب الجهاد والسير ٣٢ باب التنفيل وفداء المسلمين بالأسارى ١٤ ص ٧٢٨ ، و انظر البداية والنهاية

ابن كثير ج ٤ ص ٢٢١

استدراج بعض الخصوم والقضاء عليهم:

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة خيبر أن يسير ابن رزام اليهودي يجمع غطفان ليغزوه بهم فبعث إليه عبد الله بن رواحة بثلاثين راكباً فوجدوه في خيبر فقالوا أرسلنا إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستعملك على خيبر فلم يزالوا به حتى تبعهم في ثلاثين رجلاً مع كل رجل منهم رديف من المسلمين، فلما بلغوا قرقرة نيار - وهي من خيبر على ستة أميال - ندم رزام، فأهوى بيده إلى سيف عبد الله بن رواحة ففطن له عبد الله وضرب به رجل رزام فقطعها وضرب رزام عبد الله على وجهه وشجحه شجة مأمومة وإنكفاً كل رجل من المسلمين على رديفة فقتله غير رجل واحد من اليهود أعجزهم شداً ولم يصب من المسلمين وبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في شجة عبد الله بن رواحة فلم تقيح ولم تؤذ حتى مات^(١).

كل التجارب التي مرت على اليهود لم تكف لتكون درساً لرزام وأمثاله. فحاول أن يجمع الأحزاب ضد المسلمين ثم بعد ذلك يطمع ليتولى مسؤولية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، طبيعة عجيبة، فالحزم هو التخلص من أمثال هؤلاء حفاظاً على مكتسبات الدعوة، خاصة وأن خيبر كانت للمسلمين في ذلك الوقت.

التأليف بالجاء والعمو عما سلف حفاظاً على مكتسبات الدعوة :

كان أبوسفیان بن حرب -رضي الله عنه - قبل الإسلام يتمتع بالقيادة والسيادة في قريش فلما أسلم طلب العباس من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون له شيء يفتخر به، ويحفظ به ماء وجهه وتطيباً لخطره، فاتخذ صلى الله عليه وسلم قراراً بتوليته إعلان الملاذات الآمنة تحت حماية وإشراف أبي سفيان، وفرح أبوسفیان لهذا الشرف والتقدير وذهب مسرعاً إلى قومه (حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن..... قالوا: قاتلك الله وما تغنى عنا دارك، قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن

١- انظر: البداية والنهاية ابن كثير ج ٤ ص ٢٢١-٢٢٢، بتصرف

فانصرف الناس إلى دورهم وإلى المسجد (١)، وأصبح أبوسفیان منذ ذلك اليوم من حماة الدعوة والمحافظين عليها بينما كان عدواً لدوداً يتربص بها الدوائر.

وأعلن صلى الله عليه وسلم العفو العام عن أهل مكة بعد أن قدر عليهم حتى عن بعض من أهدر دمه ترغيباً لهم في الدخول إلى الإسلام وقال لهم " اذهبوا فأنتم الطلقاء " وقوبل هذا الإعلان بارتياح كامل من قبل أهل مكة ، الذين كانوا يسعون في السابق للفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم والقضاء على دعوته بكل ما أوتوا من قوة ، لكن أخلاقه الحليمة والكرامة صلى الله عليه وسلم تأبى تجاه هؤلاء القرشيين إلا أن يمثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٢)

فانقلب حالهم من العداوة والمنابذة إلى الصداقة والموالاتة فخرج منهم بعد أيام قلائل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ألفان من أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة والدفاع عنها في غزوة حنين .

التأليف بالمال حفاظاً على مكتسبات الدعوة :

معلوم أن المال محبب على النفس قال تعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ (٣) فبذله من عوامل الحفاظ على مكتسبات الدعوة للمبدول إليه فهو يجيبه للمعطي فإذا أحبه قبل ما يلقي إليه من الأفكار وقد قال صلى الله عليه وسلم (تهادوا تحابوا) (٤) واستخدم صلى الله عليه وسلم سياسة التأليف بالمال ، فكانت نتائجها وتأثيرها كبير على المؤلفة قلوبهم في تحبيب الإسلام إليهم ، فعندما قسم غنائم هوازن بعد معركة حنين وحصار الطائف أعطى رؤساء القبائل وأهل الشرف فيهم أموالاً جزيلة، (فأعطى أباسفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل فقال: ابني يزيد؟ فقال: " أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل "

١- سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٤٠٣

٢- فصلت آية ٣٤

٣- الفجر آية ٢٠

٤- أخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم ٥٩٤، وقال الألباني حسن، انظر: إرواء الغليل ، محمد ناصر الدين الألباني

ط، ٢-١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م ، المكتب الإسلامي ج ٦ ص ٤٤ ، رقم الحديث ١٦٠١

فقال :ابني معاوية فقال: "أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل "وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل ثم سأله مائة أخرى فأعطاه (١).

وأعطى عدداً كبيراً غيرهم في مائة من الإبل ثم تنازل العطاء إلى خمسين، ثم إلى أربعين ثم إلى أقل من ذلك ويبدو أن ذلك كان على حسب شرف الشخص ومكانته في قومه ، وكسب هؤلاء القادة كان كسباً لشعوبهم ، وكثير منهم قد أبلى في الإسلام فيما بعد بلاءً حسناً وحافظ على مكتسبات الدعوة.

(و) عن أنس أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم غنماً بين جبلين فأعطاه إياه ، فأتى قومه فقال : أي قوم أسلموا ، فوالله إن محمداً يعطي عطاء ما يخاف الفقر . فقال أنس : إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا ، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها (٢) .

(قال صفوان والله لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني ، وإنه لأبغض الناس إليّ ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ) (٣) .

المسارعة إلى تجلية الأمور وتطبيب النفوس، حفاظاً على مكتسبات الدعوة :

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى لقاء خاص بالأنصار دون المهاجرين وسائر المسلمين ، وذلك عندما بلغه عنهم أنهم أخذوا في أنفسهم شئ من العطاء الذي أعطاه لقريش والقبائل الأخرى دون الأنصار وجاء سعد بن عباد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بمأخذ الأنصار ، فقال له صلى الله عليه وسلم "اجمع لي قومك في هذه الحظيرة" وبعد أن اجتمعوا "أتاهم صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم ذكرهم بحالتهم قبل الإسلام ثم أتبع ذلك حالهم بعد الإسلام فقال : " يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتني عنكم ، وجدة وجد تموها في أنفسكم ، ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : الله ورسوله آمن وأفضل ، ثم ذكر لهم صلى الله عليه وسلم حال نفسه قبل أن يهاجر إليهم ثم قال : "ألا تجيبوني يا معشر

^١-زاد المعاد ابن القيم ج ٣ ص ٤٧٣

^٢- رواه مسلم في كتاب الفضائل ٤٣ باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال : لا ، وكثرة عطائه ١٤ ، حديث ٢٣١٢ ص ٩٤٦

^٣- رواه مسلم في كتاب الفضائل ٤٣ باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال : لا ، وكثرة عطائه ١٤ حديث ٢٣١٣ ص ٩٤٧

الأنصار؟" قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله صلى الله ، لله ولرسوله المنّ والفضل قال : "أما والله لو شئتم لقتلتم فلصدقتم ولصدقتم : أتيتنا مكذباً فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك وطريداً فأوينناك وعائلاً فأسينناك" ثم ذكر لهم السبب الذي من أجله لم يعطيهم كما أعطى غيرهم ومكانتهم عنده صلى الله عليه وسلم فقال : (أوجدتم عليّ يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعباءة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم) ألا ترضون أن يذهب الناس باشاه والإبل، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ الأنصار شعار والناس دثار، لولا الهجرة لكننت امرأة من الأنصار ، ولو سلك الناس وادياً وشعباً لسلكت وادي الأنصار وشعبهم) (١)

استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسلوبه السلس وسياسته الحكيمة أن يحول موقف الأنصار في لحظات قلائل من الاستياء إلى الارتياح ومن الهواجس والتخيلات إلى تأنيب النفس وانهمار الدموع حباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعتذاراً لما صدر منهم رضي الله عنهم.

الحرص على السمعة الحسنة للدعوة: لها أهمية كبيرة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة . فقد كان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على نقاء الدعوة من إصاق الشبه بها والبعد عن كل ما يراه أنه يسيء إلى سمعتها في الداخل والخارج ، ويبدو ذلك واضحاً في تعامله مع المنافقين المحسوسين من أصحابه في الظاهر فكان لا يعاقبهم بما ييدر منهم ، بل يحسن صحبتهم ويتحمل سقطاتهم وأذيتهم له ولم يقبل قول عمر بن الخطاب حينما أشار بقتل المنافق عبد الله ابن أبي الذي قال : في غزوة بني المصطلق ﴿لِيُخْرِجَنَ﴾ الْأَعْرُؤُ مِنْهَا الْأَذْلَ ﴿٣﴾ فقال عمر: ألا نقتل يانبي الله هذا الخبيث ؟ لعبد الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم (لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه) (٣) .

١- رواه مسلم كتاب الزكاة ١٢ باب إعطاء المؤلفلة قلوبهم على الإسلام وتصر من قوي إيمانه ٤٦ حديث ١٠٦١ ص

٤٠٨ وانظر: زاد المعاد ابن القيم ج ٣ ص ٤٧٣-٤٧٤ وسيرة ابن هشام ج ٤ ص ٤٩٩

٢- المنافقون آية ٨

٣- رواه البخاري كتاب المناقب ٦١ باب ما يُنهى من دعوة الجاهلية ٨ حديث ٣٥١٨ ص ٧٢٣ ، وانظر: سيرة ابن

هشام ج ٣ ص ٢٩١

وفي غزوة تبوك دبر المنافقون مكيدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أخبره الصحابة بمكيدتهم قال الصحابة (أو لا تأمر بهم يا رسول الله إذا ، فنضرب أعناقهم قال "أكره أن يتحدث الناس ويقولون أن محمداً قد وضع يده في أصحابه")^(١) .

قال ابن القيم رحمه الله في تعليقه على هذه الحادثة: (كان في ترك قتلهم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم مصلحة تتضمن تأليف القلوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمع كلمة الناس عليه : وكان في قتلهم تنفير ، والإسلام بعد في غربة ورسول الله صلى الله عليه وسلم أحرص شئ على تأليف الناس ، وأترك شئ لما ينفهم عن الدخول في طاعة)^(٢) .
والمقصود أن الرسول صلى الله عليه وسلم تحمل كل ما كان يصدر تجاهه سواء كان من المنافقين أو من غيرهم في سبيل الحفاظ على سمعة الدعوة ، فكذلك ينبغي لورثة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتحملوا كل ما يصدر تجاههم، إذا كان فيه حفاظاً على سمعة الدعوة و مكتسباتها، فبعد النظر في الردود ، وسعة الصدر، والعمو عن المسئ من شيم الدعاة الناضجين ،وعلى العموم فإن جل إرشادات ووصايا الرسول صلى الله عليه وسلم تصب على باب أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة.

مثل قوله صلى الله عليه وسلم (يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر)^(٣) .

قال الشيخ عبد الرحمن السعدى رحمه الله تعالى في تعليقه على هذا الحديث (يقضي خيراً وإرشاداً ... الخبر أنه آخر الزمان يقل الخير وأسبابه ويكثر الشر وأسبابه ، وأنه عند ذلك المتمسك بالدين من الناس أقل القليل وهذا القليل في حالة شدة مشقة عظيمة كحالة القابض على الجمر من قوة المعارضين وكثرة الفتن المضلة وأما الإرشاد فإنه إرشاد لأمته أن يوطنوا أنفسهم على هذه الحالة وأن يعرفوا أنه لا بد منها ، وأن من اقتحم هذه العقبات ، وصبر على دينه وإيمانه مع هذه المعارضات فإن له عند الله أعلى الدرجات وسعيه مولاة

^١ - زاد المعاد ابن القيم ج ٣ ص ٥٤٦

^٢ - المرجع السابق ج ٣ ص ٥٦٨

^٣ - رواه الإمام أحمد في المسند ج ٢ ص ٣٩٠ قال الألباني : في صحيح الجامع الصغير ، صحيح ، ج ٢ ص ١٣٢٦

على ما يحبه ويرضاه ، فإن المعونة على قدر المؤنة ^(١) .
 وفي خطبة حجة الوداع ذكر صلى الله عليه وسلم الكثير من التوجيهات والوصايا منها
 الحفاظ على مكتسبات البشرية والمادية حيث قال صلى الله عليه وسلم (فإن دماءكم
 وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا ، في بلدكم هذا إلى يوم تلقون
 ربكم ألا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم أشهد فيبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من
 سامع ، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) ^(٢) .
 وهنالك الكثير من الأمور والقضايا التي تدل على أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في
 عهد النبي صلى الله عليه وسلم لا يتسع المقام لذكرها مثل أبواب الترغيب والترهيب
 وغيرها ويمكن الاكتفاء منها بما ذكر في هذا المطلب .

وتتلخص أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في المرحلة المدنية فيما يلي :

- ١- دمج المهاجرين مع الأنصار في مؤاخاة بينهم حتى لا يشعر المهاجر بالغربة
 والفاقة والأنصاري بأنه مواطن لا بد أن تحفظ له حقوقه الخاصة .
- ٢- وضع دستور أو ميثاق تعايش بين مجتمع المدينة عموماً بمختلف طوائفه الدينية
 والعرقية تعرف بموجبه كل فئة ما لها وما عليها من الحقوق والواجبات .
- ٣- دعاء النبي صلى الله عليه وسلم برفع وباء المدينة الذي أصاب المهاجرين عند
 مقدمهم المدينة إلى الجحفة .
- ٤- إخراج اليهود من المدينة بعد نقضهم العهد الذي وقعوا عليه ، وإحداث الفتن
 والبلبله والتحرشات ضد الإسلام والمسلمين .
- ٥- القضاء على الشخصيات الإجرامية التي تزعمت التمرد ضد الإسلام والمسلمين
 وعرضت مكتسبات الدعوة للمخاطر ، ويتمثل ذلك في قتل كعب بن أشرف ، وسلام بن أبي
 الحقيق وخالد بن سفيان الهذلي .
- ٦- المبادرة بإطفاء نار الفتنة والخلاف قبل استفحاله .

^١ - انظر: بحجة قلوب الأبرار وقررة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص ١٨١
 طبع وزارة الشؤون الإسلامية

^٢ - رواه البخاري في كتاب الحج، ٢٥ باب الخطبة أيام منى ١٣٢ رقم الحديث ١٧٣٩ ص ٣٤٤

٧- كان صلى الله عليه وسلم إذا علم من قبيلة معاهدة نقضت العهد أو أخرى تسببت في قتل أو ضرر للمسلمين أو أنها تنهياً لغزو المسلمين بأدراها في عقر دارها، ففرق شملها وسعى في القضاء عليها قبل تحقيق أهدافها حفاظاً على مكتسبات الدعوة .

٨- السعي في فداء الأسرى وتخليصهم من يد الأعداء حفاظاً على مكتسبات الدعوة البشرية والمعنوية .

٩- التأليف بالجاء والمال والعفو عما سلف ترغيباً لاندماجهم في المجتمع المسلم .

١٠- المسارعة إلى تجلية الأمور وتطبيب النفوس وذكر المحاسن من أجل إزالة الشبه

المنافية للحفاظ على مكتسبات الدعوة .

١١- الحرص على السمعة الحسنة للدعوة، ويتمثل ذلك في تعامل النبي صلى الله

عليه وسلم مع المنافقين المحسوبين من أصحابه في الظاهر .

وبالله التوفيق .

المطلب الثاني: أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم :

الفرع الأول: أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

استهل هذا العهد بخلافة الصديق رضي عنه ، وقد واجهته قضايا كبيرة وكثيرة تهدد كيان الدعوة ووحدة الأمة استطاع أن يتغلب عليها بفضل الله ثم إيمانه وحزمه مع وقوف الصحابة من المهاجرين والأنصار بجانبه في إعادة الأمور إلى طبيعتها وقد وقف أبو بكر رضي الله عنه مواقف عظيمة كان لها الأثر الكبير في الحفاظ على مكتسبات الدعوة والمقصود هنا المواقف التي وقفها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأول هذه المواقف موقفه عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم :

ومما لا شك فيه أن وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ليست كوفاة شخص آخر مهما بلغ من المكانة والرفعة، فإذا كانت أنظمة الدول تهتز وتضطرب لوفاة ملوكها ورؤسائها، فكيف إذا كان المتوفي رسول رب العالمين وقائد الأمة صلوات الله وسلامه عليه؟ لا ريب أن الوقع عظيم والمصيبة جلل وبالتأكيد القياس هنا مع الفارق كما يقولون لأن مكانة الرئيس أو الملك مكانة سلطة ونظام يمكن الإتيان بالبديل منه قد يكون أحسن منه ولكن من أين البديل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أصدق شعر حسان في رثائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال مخاطباً عينه .

فجودي عليه بالدموع وأوعلي لفقد الذي لا مثله الدهر يوجدُ

وما فقد الماضون مثل محمد ولا مثله حتى القيامة يفقدُ^(١)

والناس في وقت وفاته أصناف .

الصف الأول: المسلمون عامة يريدون بقاءه عندهم ولو كان الموت يفدى منه لفتوه كلهم بأرواحهم وكل ما يملكون ليبقى صلى الله عليه وسلم وينير الطريق للآخرين كما أنار لهم وحوار زيد بن الدثنة، مع كفار قريش حينما أرادوا أن يقتلوه يدل على ذلك فقد قال: (قاتل

^١ -البداية والنهاية ابن كثير ج ٥ ص ٢٦٤

منهم أيا زيد أنتدك الله . أتحب أنك الآن في أهلك وأن محمداً عندنا مكانك نضرب عنقه؟ قال: لا والله ما أحب أن محمداً يشاك في مكانه بشوكة تؤذيه أبي جالس في أهلي، قال: يقول أبو سفيان والله ما رأيت من قوم قط أشد حياً لصاحبهم من أصحاب محمده (١) ، ومواقف الصحابة في الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبر عن ذلك.

الصف الثاني : يتربص برسول الله صلى الله عليه وسلم الدوائر وقد بذل كل ما يستطيع في القضاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوته بشتى السبل فعجز عن نيل ما يريد ، فكم يسره إذا سمع بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ليتولى الإرجاف بين المسلمين ويقول للناس أن الأمر قد انتهى ويحاول طمس معالم الدين بالدعاية المغرضة، فهؤلاء تمثلهم فئات المنافقين والكفار عموماً.

أما الصف الثالث : فله حب السلطة والظهور والشرف والقيادة ورأى في شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أنجح قائد فأراد أن يكون مثل ماله من الطاعة والأتباع والسيطرة ولا يتأتى له ذلك إلا با دعاء النبوة فتنبأ.

بعد هذا الاستطراد القليل يمكن العودة إلى مواقف أبي بكر رضي الله عنه ، لم يكن موجوداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته فلما تلقى الخبر الأليم تمالك نفسه وجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكشف عن وجهه وقبله وبكى (ثم قال: بأبي أنت وأمي أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها ثم لن تصيبك بعدها موتة أبداً ثم خرج إلى الناس وهم في حيرة ما يدرون عن حقيقة الأمر وعمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل سيفه يقول : أن رجلاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفي ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى و والله ليرجعن كما رجع موسى

.....

١- الطبقات الكبرى ابن سعد ج ٢ ص ٥٦

فقال أبو بكر لعمر أنصت فلم يقبل منه فتركه وقال "أيها الناس إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم تلا هذه الآية ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١) قال: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ (٢) فأنقذ الناس من موقف حرج واستعادوا وعيهم وعرفوا الحقيقة وثبتوا في دينهم.

الموقف الثاني:-

الذي كان له إسهاماً كبيراً في الحفاظ على مكتسبات الدعوة توحيد الأمة على مبايعة أبي بكر رضي الله عنه بالخلافة بعد أن ظهرت بوادر الخلاف عندما كاد الأنصار أن يرشحوا سعد بن عبادَةَ في سقية بني ساعدة ، فجاء إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح، ثم قام أبو بكر وتحدث وذكر الأنصار بخير ، ثم أكد للحضور أن أمر الخلافة لا يصلح إلا لقريش ، وذكر ما تتمتع به من الصفات التي لا تتوفر في غيرها، ثم أخذ بيد عمر وأبي عبيدة فقال بايعوا أحدهما ، فقال: أحد الأنصار منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش قال عمر فكثر اللغظ ، ارتفعت الأصوات حتى خفت الاختلاف فقلت : أبسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار (٣) وتم التغلب في الخلاف على مسألة الخلافة باقتناع من الجانبين دون يكون هناك غالباً أو مغلوباً.

ومما لا شك فيه أن هنالك مؤهلات للخلافة تتوفر في المهاجرين من قريش ، لم تكن موجودة في الأنصار .

منها إقرار العرب لقريش بالسيادة في حماية البيت الحرام والقيام بخدمة الحجيج وما يصلح البيت، فإذا تولوا الخلافة لا يستطيع أحد أن ينكر عليهم ، ويأتي بالطعن في سيادتهم

١ آل عمران آية: ١٤٤

٢- انظر: سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٦٥٥-٦٥٦

٣- انظر: المرجع السابق ج ٤ ص ٦٥٦-٦٦٠

وأيضاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم منهم، فمن الطبيعي أن تكون الخلافة فيهم، أيضاً أسبقيتهم في الإسلام تؤهلهم للنهوض بالخلافة، ومنها أيضاً أن الحروب التي كانت مستعرة بين الأوس والخزرج قبل الإسلام لم تكن موجودة بين القرشيين، فربما لو كانت الخلافة في الأنصار لجر هذا التنافس القلبي إلى نزاع بين المسلمين هم في غنى عنه، ومع وجود الرسول صلى الله عليه وسلم قد حصل بينهم بعض التنافر لأسباب بسيطة فسعى صلى الله عليه وسلم في إصلاحه، كما جاء في الحديث (أن أناساً من بني عمرو بن عوف كان بينهم شيء فخرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه يصلح بينهم)^(١)، ففي غيابه من باب أولى أن تحصل، هذه العوامل والأسباب وغيرها مكنت للقرشيين أن يكونوا أحق بها وأهلها.

الموقف الثالث:

في أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة تنفيذ بعث جيش أسامة الذي ما مر على قوم كانت تراودهم فتنة الارتداد إلا كان لهم تثبيتاً على الإسلام، كما كان حماية من أطماع العدو الخارجي في تلك الفترة الحرجة من تاريخ الدعوة.

الموقف الرابع:

من مواقف أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة اتخاذ القرار بإعلان الحرب على المرتدين بجميع أشكالهم سواء كان من منع الزكاة منهم أو من اتبع المتبئيين، وقد وجد بعض من يعارض في إعلان الحرب على مانعي الزكاة فقط، ولكن عزيمة أبي بكر أمضت القرار عليهم (قال عمر بن الخطاب لأبي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله " فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقاً وفي رواية عقلاً كانوا يؤدونه إلى

^١ - رواه البخاري كتاب الصلح ٥٣ باب ما جاء في الإصلاح بين الناس ١ حديث ٢٦٩٠ ص ٥٣٨

رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه، ، فقال : عمر بن الخطاب : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق (١) .

وفي غياب جيش أسامة أرادت بعض القبائل المرتدة والمجاورة للمدينة الإغارة عليها فعمل الصديق على أنقاب المدينة حراساً يبيتون بالجيوش حولها حفاظاً عليها من المرتدين، وبعد عودة جيش أسامة أمرهم أن يستريحوا ويريحوا دوابهم، وخرج بالجيش الذي كان يحرس المدينة لتأديب المرتدين الذين كانوا يهددون أمن المدينة فلقنهم درساً، ثم عقد الألوية كما سبق لإعادة بقية المرتدين إلى حظيرة الإسلام وبعون الله استطاع أن يتغلب عليهم في فترة وجيزة ويعيد الأمور إلى استقرارها.

وكانت قد عمت فتنة الردة جميع الجزيرة العربية إلا أهل المدينة ومكة والطائف، وقد قام سهيل بن عمر (بمكة خطيباً عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو من خطبة الصديق بالمدينة فسكنهم وعظم الإسلام) (٢) ، فثبتوا في إسلامهم والله الحمد.

وارتد أهل البحرين (ولم يبق بها بلدة على الثبات سوى قرية يقال لها جوثا .. . قد حاصرهم المرتدون وضيقوا عليهم حتى منعوا منهم الأقوات وجاعوا جوعاً شداً... قد قام فيهم رجل من أشرفهم وهو الجار ود بن المعلى .. خطيباً) (٣) . وأوضح لهم أن النبي صلى الله عليه وسلم مات كما مات الأنبياء من قبل فثبتوا على إسلامهم ، وأرسل الصديق العلاء بن الحضرمي لإنقاذهم وحرب المرتدين فوفق في مهمته والحمد لله ، وتم الحفاظ على المسلمين، وإعادة المرتدين إلى الإسلام.

الموقف الخامس جمع أبي بكر للقرآن الكريم:

من المواقف التي تدل على أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة الشروع في جمع القرآن الكريم وذلك بعد أن استشهد عدد كبير من حفظة القرآن في معركة اليمامة ضد مسيلمة

١- رواه البخاري كتاب الزكاة ٢٤ باب أخذ العناق في الصدقة ٤٠ حديث ١٤٥٦ ص ٢٨٩ ومسلم كتاب الإيمان

١ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيموا الصلاة ٨ حديث ٣٢ ص ٤٢ ،

وانظر: البداية والنهاية ج ٦ ص ٣١٥

٢- سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١ ص ١٩٤ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، بدون تاريخ طبع والطبعة

٢- البداية والنهاية ابن كثير ج ٦ ص ٣٣١-٣٣٤

الكذاب ، أشار عمر إلى أبي بكر يجمع القرآن فأمر أبو بكر زيد بن ثابت أن يجمع القرآن فجمعه .

(وكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه) ^(١) .

وهذا من حفظ الله للقرآن حيث شرح الله صدور الصحابة بجمعه في مصحف مع حفظة في الصدور قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ^(٢) فهو محفوظ بحفظ الله له في الصدور والمصاحف.

الموقف السادس :

من المواقف التي تدل على أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في خلافة الصديق رضي الله عنه عهده بالخلافة لعمر رضي الله عنه.

فقد استشار أبو بكر رضي الله عنه في أثناء مرضه بعض أهل الحل والعقد من الصحابة في استخلاف عمر رضي الله عنه فأشاروا إليه بذلك ، واستمر معه المرض (خمسة عشرة يوماً وكان عمر بن الخطاب يصلي عنه فيها بالمسلمين وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان ، وقرئ على المسلمين فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا ، فكانت خلافة الصديق سنتين وثلاثة أشهر وكان عمره يوم توفي ثلاثاً وستين سنة) ^(٣) .

ويعتبر هذا الإجراء من أهم الإجراءات التي اتخذها الصديق قبل وفاته رضي الله عنه لأجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة ، حيث انتقلت الخلافة إلى عمر رضي الله عنه دون أي عوائق و مواقف سياسية تذكر لأن الجميع قد رضي به قبل وفاة الصديق مما جعله يواصل الفتوحات الإسلامية في الشام والعراق بكل قوة ودون هوادة ، وبذلك يكون حسم الأمور وقطع الطريق على كل من يطمع في الخلافة من المتأهلين لها .

^١ - رواه البخاري كتاب فضائل القرآن ٦٦ ، باب جمع القرآن ٣ ، حديث ٤٩٨٦ ص ١٠٨٥

^٢ - الحجر آية : ٩

^٣ - البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٨

وخلاصة القول في الإجراءات التي اتخذت في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد الصديق رضي الله عنه تتجلى في عدة مواقف هي :

١- موقفه عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث تمالك نفسه وبين للناس الحق الذي هم في أشد الحاجة إليه في ذلك الموقف الحرج .

٢- توحيد الأمة على مبايعة أبي بكر بعد أن ظهرت بوادر الخلاف وأراد بعض الأنصار ترشيح سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة .

٣- تنفيذ جيش أسامة الذي ما مر على قوم كانت تراودهم فتنة الردة إلا كان لهم تثبيتاً على الإسلام .

٤- اتخاذ القرار بإعلان الحرب على المرتدين بجميع أشكالهم سواء من منع الزكاة أو تبع المتبعين .

٥- جمع أبي بكر للقرآن الكريم بعد استشهاد عدد كبير من القراء في حروب الردة وخاصة معركة اليمامة ضد مسيلمة الكذاب .

٦- كتابة العهد بالخلافة لعمر ورضى الناس بذلك قبل وفاته ، مما جعل الخلافة تنتقل انتقالاً تلقائياً دون موافق سياسية تذكر .

هذه بعض الأمور المهمة والبارزة التي اتخذت في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد الصديق رضي الله عنه .

الفرع الثاني: أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد الفاروق رضي الله

عنه :

عهد الفاروق يعتبر امتداداً لعهد الصديق فقد تولى الخلافة ، والفتوحات متوالية في الجبهة الشامية والعراقية ضد الروم والفرس في آن واحد، وكان شديد الحرص في الحفاظ على مكتسبات الدعوة وفي أول رسالة له للقائد العام لجيوش المجاهدين في الشام يوصيه بالمجاهدين فيقول : (لا تقدم المسلمين هلكة رجاء غنيمة ، ولا تترهم متراً قبل أن تستريده لهم وتعلم كيف مأتاه و لا تبعث سرية إلا في كنف من الناس ، وإياك والقاء المسلمين في الهلكة)^(١) ، هذا التوجيه والتوصية من الخليفة عمر بن الخطاب إلى قائد المجاهدين في الشام أبي عبيدة يبرز سهر الخليفة في حماية المجاهدين من كل سوء يتعرضون له والحذر والبعد عن مواقع الخن ما أماكن ذلك.

أما الجبهة العراقية فنصف الجيش الذي كان يقاتل فيها قد ضمه الصديق إلى الجبهة الشامية بقيادة خالد لنجدة إخوانهم ، فأوصى الصديق الفاروق بإرسال المدد إليهم وإعادة جند خالد إليها ، فبعث إليها أبو عبيد بن مسعود الثقفي قائداً عاماً لجيوش المجاهدين في الجبهة العراقية (ثم دعاه فوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً وأمره أن يستشير أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يستشير سليط بن قيس فإنه رجل باشر الحروب)^(٢) .

أبو عبيد لم يكن صحابياً ويبدو أن خبرته العسكرية لم تكن كبيرة في ذلك الوقت ، لكن عمر رضي الله عنه لاحظ فيه استعدادة للقيام بهذه المهمة وأيضاً أنه أول من بادر في الاستجابة لدعوته، فبعد أن وصاه بالحفاظ على تقوى الله عز وجل ومن معه من المجاهدين أمره بالتشاور مع الصحابة لأنهم خبراء ، بأمور الدين والحرب تخرجوا في مدرسة النبوة

١- البداية والنهاية ابن كثير ج٧ ص١٩

٢- المرجع السابق ج ٧ ص ٢٦

فحري بهم أن يستشاروا ولا يبرم الأمر دونهم ، كما أمره بالاستفادة من الخبير العسكري سليط بن قيس .

وقد استفاد أبو عبيد من هذه النصائح ، وخاض مع الفرس معارك ناجحة كان لها الأثر الكبير في فتوح بلاد فارس ، حتى استشهد يوم الجسر ، وقام بأمر الناس المثني إلى أن جاء القائد العظيم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وقد أمره عمر رضي الله عنه أن يكتبه أولاً بأول حرصاً منه في السهر على راحة المسلمين حتى قال : له (صف لنا منازل المسلمين والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة ، كأني أنظر إليها واجعلني من أمركم على الجلية ... وكان عمر مشغول القلب جداً بأمر القادسية فكان في كل يوم يخرج متنسماً أخبارهم من حين يصبح إلى انتصاف النهار)^(١) ، وحتى جاءه البشير وهو خارج المدينة . وكان من رأي الفاروق رضي الله عنه في ذلك الوقت الاكتفاء بسواد العراق وتحصينه بالثغور الثابتة حتى لا يخلص العدو إلى المسلمين .

(وقال في كتاب له لو وددت أن بين السواد وبين الجبل سداً لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم حسبنا من الريف السواد وأني آثرت سلامة المسلمين على الأنفال)^(٢) حفاظاً على مكتسبات الدعوة البشرية والجغرافية .

وعندما فتحت المدائن استقر فيها المجاهدون ، ولم يناسبهم هواها ، فكتب الفاروق إلى سعد وقال : (إن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان فابعث سلمان وحذيفة رائدين ، فليرتادا مترلاً برياً بحرياً ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر ... فأتيا موضع الكوفة وهو حصاء ورمل فأعجبتهما البقعة فتزلا فيها وصليا ودعيا ، ثم كتبا إلى سعد بالخبر .. فارتحل سعد بالناس من المدائن حتى عسكر بالكوفة)^(٣) ، التي توفرت فيها الشروط العمرية لاتخاذها موطن إقامة وسكنى للمجاهدين ينطلقون منها في فتوحاتهم للبلدان المجاورة .

وكان عمر بن الخطاب كثير السهر دائم الفكرة فيما يصلح أمر المسلمين عظيم المهم لما يقع بهم دائب الحركة لجلب الخير لهم ودفع الشر عنهم ، منذ أن اختير خليفة إلى أن توفي

١- انظر: محاضرات للشيخ محمد الحضري بك ص ٢٠٦-٢١١

٢- المرجع السابق ص ٢١٥

٣- الدولة الأموية الشيخ محمد الحضري بك ج ١ ص ٢١٧

لأنه كان يعتبر نفسه المسؤول عما يحل بالمسلمين والمسؤول عن أموالهم وعن أمنهم وعن راحتهم . وقد قال: (لو مات جمل ضياعاً على شطر الفرات لخشيت أن يسألني الله عنه)^(١) . والحوادث التي سجلت له في الحفاظ على مكتسبات الدعوة كثيرة جداً وقد ألقت عنه مؤلفات كثيرة تناولت جوانب مختلفة عن حياته الجهادية في سبيل نشر الدعوة والحفاظ عليها وبالإضافة لما سبق أشير هنا لبعض منها .

وضع السياسة المالية حفاظاً على مكتسبات الدعوة :

(لقد كان عمر أول من وضع السياسة المالية في الإسلام كنتيجة لا بدمنها لاتساع الفتوح وانفساح رقعة الدولة في أيام خلافته الراشدة فهو أول من أوجد الدواوين - في الإسلام - وعين أبواب الإيراد والمصرف ، ونظم حسابات كل منها ... ويكفي أن نقول إن هذه السياسة العمرية هي التي ظلت نافذة المفعول في جميع الدول الإسلامية التي أعقبت الخلفاء الراشدين .

وإلى اليوم مازالت أكثر قواعدها النبراس الذي يستضاء به والمبدأ الذي يجري عليه العمل باستمرار..

وكانت قد دونت هذه الدواوين على مثال ما كانت عليه في دولتي فارس والروم ، ومن ثم كانت في بادئ الأمر تكتب بالرومية في الشام وبالفارسية في العراق وبالقبطية في مصر إلى أن جاء الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان^(٢) فحول كتابة هذه الدواوين إلى اللغة العربية.

وكانت الإيرادات تجمع من الصدقات ومن أخماس الغنائم ومن الفياء . وهي جزية أهل الذمة - ومن الخراج ومن العشور ومن المواريث من ليس لهم وارث من موتى المسلمين^(٣) وابتكر الفاروق طريقة دقيقة وعادلة في تقسيم العطاءات وتوزيعها ، فجعلها على الأسبقية في الإسلام فلم يساوي بين السابق واللاحق ، بل (فرض لأهل بدر خمسة آلاف ثم فرض لمن

^١ - انظر أعلام المسلمين - عمر بن الخطاب ، خالد الطيار ، ص ٨٤ ، ط/١ ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م مكتبة المنار، الأردن ، الزرقاء .

^٢ - ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية الخليفة الفقيه أبو الوليد الأموي ولد سنة ست وعشرين ، وتملك بعد أبيه الشام ومصر ، ثم حارب ابن الزبير الخليفة وقتل أخاه مصعباً في وقعة مسكن واستولى على العراق وجهاز الحجاج لحرب ابن الزبير ، فقتل ابن الزبير سنة اثنتين وسبعين ، واستوسقت الممالك لعبد الملك . . كان من رجال الدهر ودهات الرجال ، وكان الحجاج من ذنوبه ، توفي في شوال سنة ست وثمانين عن نيف وستين سنة ، انظر: سير أعلام النبلاء الذهبي ج ٤ ص ٢٤٦

^٣ - انظر: من تاريخنا - محمد سعيد العامودي ص ٢٥-٢٧ ، منشورات دار الأصالة ، الرياض ، ١٤٠١هـ -

بعد الحديبية ، إلى أن أفلح أبو بكر رضوان الله عليه عن أهل الردة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ، ودخل في ذلك من شهد الفتح، ثم لأهل القادسية وأهل الشام أصحاب اليرموك ألفين ألفين، وفرض لأهل البلاء منهم ألفين وخمسمائة^(١) .

واستمر العطاء في تناقص ، فكلما تأخر إسلام الشخص نقص نصيبه في الراتب ومع ذلك فهذا الضمان الاجتماعي كان يعم الرعية كلها وقد قال: عمر رضي الله عنه (و الله ما من المسلمين من أحد إلا وله في هذا المال نصيب إلا عبداً مملوكاً ولكننا على منازل من كتاب الله)^(٢) .

وفرض للمولود نصيبه حينما علم أن الناس يسرعون في فطام أطفالهم من أجل أن يفرض لهم ، فقد (أمر مناديا فنادى أن لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإننا نفرض لكل مولود في الإسلام)^(٣) .

الفاروق رضي الله عنه حينما وضع هذا النظام في التعامل مع الرعية فيما يتعلق بأموال المال كان يدرك عظم المسؤولية الملقاة على عاتقه ، تجاه رعيته ، فهو يشعر في نفسه أنه تحت مراقبة قانون الملك القهار الذي لا يخفي عليه خافية فكان يحاسب نفسه في كل صغيرة وكبيرة ، كما كان يحاسب ولاته عن جميع تصرفاتهم بعد أن يمتحنهم ويوصيهم قبل التولية. ومن شدة حرصه في الحفاظ على المال العام كان يقوم بإحصاء أموال الوالي قبل توليه وبعد انتهاء خدمته ، خوفاً من استغلال منصبه في التعدي على المال العام ، مع ما كان يتمتع به المسلمون في ذلك العصر من الورع والعفة ومحاسبة النفس ، ومع وجود درة الفاروق التي كانت تؤلم ظهر كل مخالف ومتعدي مهما كانت مكانته الاجتماعية ومع كل ذلك (أن عمر كان إذا استعمل عاملاً كتب بماله)^(٤) . ليتمكن من محاسبته عند انتهاء مدة عمله .

^١ - انظر مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي ، تحقيق الدكتورة زينة بنت إبراهيم الفاروق ص : ١٠٩ ، ط/٢ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ولبنان .

^٢ - المرجع السابق ص : ١٠٠ .

^٣ - المرجع السابق ص : ٦٨ .

^٤ - انظر: أوليات الفاروق السياسية ، غالب عبد الكافي القرشي ص ٣٨٥ ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، المكتب

وتعد هذه السياسة العمرية في الحفاظ على المال من تعد الولاة من أنجح السياسات المالية ولو طبقت الدول الإسلامية هذا النظام في العصر الحاضر لتفادت الكثير من الاختلاسات والتلاعب بمال الدولة من قبل المسئولين .

ومن سياسة الفاروق في الحفاظ على مكتسبات الدعوة عدم تقسيم أرض السواد والشام ووضع الخراج عليها لتكون من مصادر الدخل المستمر تمد المجاهدين في الثغور والذرية ولمن يأتي بعدهم.

وذلك بعد أن استشار الصحابة وكانوا يرون تقسيمها على الفاتحين وحينما رأوا إصراره أيده على ذلك ، فقد قال: رضي الله عنه (قد رأيت أن أحبس الأرضين بعلاجها وأضع عليهم فيها الخراج فتكون فيئاً للمسلمين المقاتلة والذرية ولمن يأتي من بعدهم أرأيتهم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر لا بد لها من أن تشحن بالجيوش ، وإدراار العطاء عليهم فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرضون والعلوج.

فقالوا :جميعاً الرأي رأيك فنعم ما قلت ، وما رأيت إن لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال ويجري عليهم ما ينفقون به رجع أهل الكفر إلى مترلهم . فقال : قد بان لي الأمر فمن رجل له جزالة وعقل يضع الأرض مواضعها ويضع على العلوج ما يحتملون فاجتمعوا على عثمان بن حنيف . فولاه مساحة أرض السواد ،^(١) فأدت جباية سواد الكوفة قبل أن يموت عمر بعام مائة ألف ألف درهم ، وكان وزن الدرهم يومئذ وزن المثقال^(٢) .

^١ - أن حد السواد الذي وقعت عليه المساحة من لدن تخوم الموصل ماداً مع الماء إلى ساحل البحر ، ببلاد عبادان من شرقي دجلة هذا طوله ، أما عرضه ، فحده منقطع الجبل من أرض حلوان ، إلى منتهى طرف القادسية المتصل بالعذيب من أرض العرب ، فهذه حدود السواد وعليها وقع الخراج . وإنما سمي السواد لأن العرب حين جاؤا نظروا إلى مثل الليل من النخل والشجر والماء ، فسموه سواداً - مناقب عمر بن الخطاب ، ابن الجوزي ص ٩٣

^٢ - انظر الدولة الأموية للشيخ محمد الحضري بك ج ٢ ص ٦١-٦٢

هذا الفائض الضخم الذي كان في صالح الدولة الإسلامية لا شك من أنه كان بعد عون الله تعالى نتيجة للتخطيط السليم في الاستثمار من قبل الفاروق، وتنفيذ الرجل الكفو الذي أجمع الصحابة على كفاءته.

وضع التاريخ له أهمية كبيرة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة لم يكن للعرب قبل الإسلام تاريخ مكتوب وثابت إنما كانوا يؤرخون بالحوادث الكبيرة مثل عام الفيل، وبعد مجيء الإسلام استمر الأمر على ذلك إلى خلافة عمر رضي الله عنه، وبعد أن تأكد الفاروق من الضرورة الملحة في وضع التاريخ الثابت للمسلمين استشار الناس من متى يبدأ وبعد نقاش اتفقوا أن يكون من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم (ذلك سنة سبع عشرة أو ثماني عشرة وقيل سنة ست عشرة)^(١) من الهجرة النبوية ، وأهمية التاريخ تبرز في ضبط النظام وفهم الوقائع، والحوادث، والفصل في الخصومات ، والتراعات وغير ذلك من المصالح العامة والخاصة، وقد استفاد المحدثون من التاريخ في تصحيح الحديث وتضعيفه ، فكان لوضع التاريخ أثر كبير في الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

إخراج اليهود من خيبر وفدك والنصارى من نجران حفاظاً على مكتسبات الدعوة:

اتخذ الفاروق رضي الله عنه قراراً بإجلاء اليهود من خيبر و فدك ، فذهبوا إلى الشام ، والنصارى من نجران ، فذهبوا إلى العراق ، وذلك انفاذاً لوصية المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال : (لئن عشت لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أترك فيها إلا مسلماً)^(٢) ، ولما ظهر منهم أيضاً من الإخلال بالشروط المتفق عليها في بقائهم فيها، فاليهود اعتدوا على عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حينما (أتاهم في حاجة له فبيتوه)^(٣)

^١ - أوليات الفاروق غالب عبد الكافي القرشي ص ٧٦

^٢ - رواه مسلم كتاب الجهاد والسير ٣٢ باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ٢١ حديث ١٧٦٧ ص ٧٣٣

^٣ - فتوح البلدان للبلاذري ص ٤١

، والنصارى اشترط عليهم عدم أكلهم الربا ، فأكلوه ، بالإضافة إلى أن الفاروق خافهم على المسلمين ^(١) ، كل هذه العوامل أثبتت للفاروق أن وقت إجلائهم قد حان وأن المصلحة في إبعادهم عن الجزيرة ، فطهر منهم البلاد وأراح العباد ، ومع ذلك عاملهم معاملة حسنة حيث عوضهم عن ممتلكاتهم بشراء الأموال والعقار وخيرهم بأي بلاد الإسلام يذهبون وكتب لهم كتاب يقول فيه (أما بعد فمن وقعوا به من أهل الشام ، والعراق فليسعهم من حرث الأرض وما اعتملوا من شيء فهو لهم مكان أرضهم باليمن فتزل بعضهم الشام ونزل بعضهم النجرانية بناحية الكوفة وهم سميت ودخل يهود نجران مع النصارى في الصلح ، وكانوا كالأتباع لهم) ^(٢) ، فلهم الحق في الاستقرار في جميع الأراضي الإسلامية وتملك الأرض التي يرغبونها ماعدا الجزيرة العربية التي ورد النص بإخراجهم منها لتكون خالصة للدين الإسلامي .

منع المسلمين من دخول البلاد الموبوءة حفاظاً على مكتسبات الدعوة :

إن اهتمام الفاروق وحرصه في كل أمر فيه مصلحة المسلمين والبعد عن كل ما يعرضهم للأوبئة والمتالف لا يخفي على ذي بصيرة ومن ذلك ، عندما خرج إلى الشام غازياً ومعه الصحابة تلقاه أمراء الشام ، وأخبروه بوقوع مرض الطاعون فيها فاستشار الناس هل يعود أم يقدم ؟ فلم يتفقوا على رأي ، فدعا مهاجرة الفتح فقالوا : بالرجوع ، واتخذ القرار بالعودة إلى المدينة ، فبينما هو لا يزال في مكانه جاء إليه عبد الرحمن بن عوف (وكان غائباً في بعض حاجته فقال : إن عندي في هذا علماً سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه ، وقال : فحمد الله عمر ثم انصرف) ^(٣) ، وذلك عندما وجد سنداً شرعياً يعضد قراره الصائب الذي اتخذته من أجل الحفاظ على الرعية من هذا الوباء القاتل الذي هلك فيه عدد كبير من البشر في الشام

^١ - انظر: فتوح البلدان للبلاذري ص ٧٧ وأوليات الفاروق غالب عبد الكافي القرشي ص ٢١٨-٢٢٥ ، يتصرف

^٢ - فتوح البلدان للبلاذري ص ٧٧ وأشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة ، رفیق العظم ص ٢٠٠-٢٠١ ، ط ٢ ، ١٩٧٣ م ، دار الفكر العربي

^٣ - رواه البخاري كتاب الطب ٧٦ باب ما يذكر في الطاعون ٣٠ ، رقم الحديث ٥٧٢٩ ص ١٢٣٠

(ولما زال الطاعون وبلغ عمر ما أصاب الناس من كثرة الموت حتى كادت تضيع المواريث، قدم الشام ونزل الجابية وقسم المواريث وسد الثغور واستعمل بدل من ما توا من العمال^(١)، ليسدوا مكافهم، ويقوموا بواجب الجهاد والرعية، كما واساهم لفقدهم ذلك العدد الكبير من المسلمين الذين كانوا يقومون بالحفاظ على مكتسبات الدعوة في تلك المنطقة الحساسة من البلاد المفتوحة حديثاً، فرضي الله عنهم ورحمهم .

ترك الفاروق الأمر شورى بين ستة من المبشرين بالجنة ووصيته لمن اتفقوا على خلافته بالحفاظ على مكتسبات الدعوة .

عندما كتب الصديق رضي الله عنه ولاية العهد للفاروق رضي الله عنه لم يحصل أي خلاف يذكر، وأيضاً أثناء خلافته، وكان الفاروق شديد الحرص على وحدة المسلمين وتماسكهم، وعندما طعنه أبو لؤلؤة الجوسي حمل إلى داره، ولما رأى الصحابة حاله وأحسوا بموته أشاروا إليه أن يعهد إلى خليفة من بعده، لكنه رضي الله عنه رأى أن يـ (جعل الأمر بعده شورى بين ستة نفر وهم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم وتخرج أن يجعلها لواحد من هؤلاء على التعيين وقال: لا أتحمل أمرهم حياً وميتاً، وإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خير هؤلاء كما جمعكم على خيركم بعد نبيكم صلى الله عليه وسلم)^(٢) وقال لأهل الشورى يحضركم عبد الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء وحدد لهم أن تكون مدة الشورى ثلاثة أيام يصلي بالناس فيها صهيب بن سنان الرومي، ووكل بهم خمسين رجلاً من المسلمين، وجعل عليهم مستحناً أبا طلحة الأنصاري والمقداد بن الأسود الكندي فجمعهم المقداد في بيت^(٣) . . . وقام أبو طلحة يحجبهم . . . وكان طلحة بن عبيد الله غائباً فحضر وانضم إليهم، وطال النقاش ثم تنازل ثلاثة منهم عن حقه لواحد من الثلاثة، ففوض الزبير علي، وسعد عبد الرحمن وطلحة عثمان، ثم تنازل عبد الرحمن وثبت الشيخان . . . ثم نهض عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يستشير الناس فيهما ويجمع رأي المسلمين . . . حتى

١- أشهر مشاهير الإسلام رفيق العظم ص ٣٥٦

٢- البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٥٠

٣- البيت هو " بيت المسور بن مخرمة، قيل في حجرة عائشة، وقيل في بيت المال، وقيل في بيت فاطمة بنت قيس

أخت الضحاك بن قيس، والأول أشبه والله أعلم" انظر البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٥٠

خلص إلى النساء المخدرات في حجاجهن وحتى سأل الولدان في المكاتب وحتى سأل من يرد من الركبان والأعراب إلى المدينة في مدة ثلاثة أيام بلياً ليها فلم يجد اثنين يختلفان في تقدم عثمان بن عفان إلا ما نقل عن عمار والمقداد أنهما أشارا بعلي بن أبي طالب، ثم بايعا مع الناس عثمان بن عفان، وبعد أن أكمل عبد الرحمن الشورى، نودي في الناس عامة الصلاة جامعة، فامتألاً المسجد، وتقدم عبد الرحمن وقال قم إلي يا علي، فقام إليه فوقف تحت المنبر فأخذ عبد الرحمن بيده فقال: هل أنت مبايعي علي كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم لا ولكن علي جهدي من ذلك وطاقتي قال فأرسل يده (١) ، ثم قال: لعثمان مثل ما قال لعلي فقال عثمان اللهم نعم فبايعه وبايعه الناس منهم علي رضي الله عنه (٢) ، وبذلك تمت البيعة لصالح عثمان رضي الله عنه .

أما الفاروق فلم يكتف بتعيين أهل الشورى فقط للحفاظ على مكتسبات الدعوة، بل كتب كتاباً لمن يكون الخليفة منهم يوصيه فيه بالحفاظ على الأمة ومصالحها، بل يوصيه بجميع رعايا المسلمين مع اختلاف أديانهم وشعوبهم، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه (دفع إلي عمر كتاباً فقال: إذا اجتمع الناس على رجل فادفع إليه هذا الكتاب، وأقرئه مني السلام فإذا فيه " أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله، وأوصه بالمهاجرين الأولين، الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، وينصرون الله ورسوله، أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم، وأوصه بالأنصار خيراً ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْأَيْمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا تَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ

١- انظر: البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٥١-١٥٢، والخلفاء الراشدون من تاريخ الإسلام للذهبي ص ١١٦، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م - دار الكتب العلمية

٢- قال ابن كثير رحمه الله (وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره عن رجال لا يعرفون أن علياً قال لعبد الرحمن خدعتني وإنك إنما وليته لأنه صهرك وليشاورك كل يوم في شأنه وأنه تلكأ حتى قال له عبد الرحمن (ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتاه أجرًا عظيمًا) الفتح آية ١٠، على غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصحاح فهي مردودة على قائلها والله أعلم، والمظنون بالصحابة خلاف ما يتوهم كثير من الرافضة وأغبياء القصاص الذين لا تميز عندهم بين صحيح الأخبار وضعيفها ومستقيمها وسقيمها ٠٠ انظر: البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٥٢

بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾ (١) أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن سيئهم، وأن يشركوا في الأمر، وأوصه بذمة الله وذمة محمد صلى الله عليه وسلم، أن يوفي بعهدهم، ولا يكلفوا فوق طاقتهم وأن يقاتل من ورائهم (٢) .

قال: ابن كثير رحمه الله (وأوصى من يستخلف بعده بالناس خيراً على طبقاتهم ومراتبهم، ومات رضي الله عنه بعد ثلاث ودفن يوم الأحد مستهل المحرم من سنة أربع وعشرين، بالحجرة النبوية، إلى جانب الصديق عن إذن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في ذلك، وفي ذلك اليوم حكم أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه) (٣) .

وخلاصة القول أن الفاروق رضي الله عنه اتخذ إجراءات حكيمة للحفاظ على مكتسبات الدعوة تتمثل في التالي :

- ١- كتاب الفاروق إلى أمير الأمراء في الشام يوصيه فيه بعدم القاء المسلمين إلى التهلكة والحفاظة عليهم من كل سوء، ووصيته أيضاً لأبي عبيد الذي رشحه لقيادة الجيوش الإسلامية في الجبهة الشرقية، ثم بعد استشهاده وصيته للقائد سعد بن أبي وقاص، كل ذلك من أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة .
- ٢- وضع السياسة المالية، نتيجة لاتساع الفتوح وانفساح رقعة الدولة واتساع الموارد، ففرض لكل أحد من المسلمين ما يستحقه، وفرض للمولود عند ما علم أن الناس يسرعون في فطام أطفالهم من أجل أن يفرض لهم، وأيضاً من أجل الحفاظ على المال العام كان يقوم بإحصاء أموال الوالي قبل توليته وبعد انتهاء فترة عمله .
- ٣- وضع الخراج على أراضي السواد والشام وعدم تقسيمها لتكون مصادر دخل مستمر للمجاهدين في الثغور .
- ٤- وضع التاريخ الثابت للمسلمين، وأن أهمية ذلك تظهر في ضبط النظام، وفهم الوقائع والحوادث، والفصل في الخصومات والمنازعات .

١- الحشر آية ٩

٢- مناقب عمر بن الخطاب ابن الجوزي ص ٢٢٨

٣- البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٤٢

- ٥- إخراج اليهود من خير والنصارى من نجران، لتكون الجزيرة العربية خالصة للدين الإسلامي وتطهر من أرجاسهم وتحرشاتهم .
- ٦- منع المسلمين من دخول البلاد الموبوءة حفاظاً عليهم من المهالك والمتالف .
- ٧- ترك الأمر شورى بين ستة من المبشرين بالجنة، وتخرج أن يجعلها لواحد من هؤلاء على التعيين، وأن لا تتجاوز مدة التعيين ثلاثة أيام، وترك وصية لمن تكون له الخلافة أن يحافظ على مكتسبات الدعوة .
- فرضي الله عن الفاروق كم سعى في نشر الإسلام والحفاظ على مكتسبات الدعوة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته كان الساعد الأيمن لأبي بكر رضي الله عنه، ثم قام بالمهمة بعده خير قيام ،ففتح الأقطار ومصر الأمصار وولى الأخيار من القادة الكبار من الصحابة الأبرار أهل الهمم العالية والنفوس الزكية،فانتشر العدل والأمن والفضيلة في جميع البلاد المفتوحة والله الحمد والمنة .

الفرع الثالث: أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد عثمان رضي الله

عنه :

تولى عثمان رضي الله عنه الخلافة عن طريق الشورى كما تقدم، والأمة تتمتع بمكتسبات كبيرة في المجالات المختلفة حيث دخلت أمة كثيرة في الإسلام وسيطرت الدعوة في رقعة جغرافية واسعة كما اكتسبت مكتسبات مالية هائلة مما دفع عثمان رضي الله عنه أن يزيد في عطاء الناس على ما فرضه عمر لهم (مائة درهم) ^(١)، فهذه المكتسبات العظيمة التي تحققت بفضل الله ثم بجهود وجهاد واستشهاد المؤمنين الحفاظ عليها واجب، وعثمان رضي الله عنه واكب الدعوة من يوم بزوغ فجرها إلى أن وصلت هذه المرحلة لم يفرط في الحفاظ عليها .

وفي أول خطابه للأمة حث على التمسك بالدين وعدم الاغترار بالدنيا فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه (إنكم في دار قلعة ^(٢) وفي بقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد أتيتم صبحتم أم مسيتم ألا وإن الدنيا طويت على الغرور، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) ^(٣) وكتب رسائل وكتب إلى عماله وولاته والعامه يوضح لهم فيها كل ما لهم وعليهم في سبيل كيفية الحفاظ على مكتسبات الدعوة (وكان أول كتاب كتبه عثمان إلى عماله، أما بعد، فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة، ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة، وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة، ولم يخلقوا جباة وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة، ولا يكونوا رعاة، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء . ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين فيما عليهم، فتعطوهم ما لهم، وتأخذوهم بما عليهم، ثم تنشوا بالذمة، فتعطوهم الذي لهم، وتأخذوهم بالذي عليهم، ثم العدو الذي تتبابون، فاستفتحوا عليهم بالوفاء) ^(٤)

١- تاريخ الطبري محمد بن جرير ج ٤ ص ٢٤٢

٢- المرجع السابق ج ٤ ص ٢٤٣

٣- قلعة أي رحلة . المرجع السابق ج ٤ ص ٢٤٣، هامش

٤- المرجع السابق ج ٤ ص ٢٤٤-٢٤٥

هذا الكتاب الجامع لمصالح العباد مع اختلاف فئاتهم يعبر عن فهم عميق للسياسة الشرعية التي كان يتحلى بها عثمان رضي الله عنه ، وكيف لا يكون كذلك ؟ وهو قد مارس السياسة تحت توجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما اختاره للمفاوضة مع قريش يوم الحديبية وكان الرجل الثاني والكااتب في خلافة الصديق والأول والوزير في خلافة الفاروق ، وكل هذه التجارب مع سبق في الإسلام أكسبته الثقة بين أهل الشورى وعامة الناس ، فنهض بمسؤولية الخلافة ، ووجه لكل فئة من المجتمع كتابا يرشدهم على القيام بمهامهم على الوجه الأكمل ، فأرسل كتابا إلى أمراء الأجناد وآخر إلى عمال الخراج كما أرسل كتابا آخر إلى العامة ، واتخذ خطوة أخرى جريئة كان لها أهمية كبيرة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة وهي توجيهه الجيوش الإسلامية إلى بعض البلاد التي تمردت ونقضت العهد ومنعت ما صالحت عليه من الجزية ، أو أرادت مهاجمة البلاد المفتوحة .

(وحدث أول انتفاض من هذا النوع في أذربيجان وأرمينية ، ثم هاجم الروم الشام ، ثم نقضت الإسكندرية عهدها واستعانت بالروم فأعانوها . أما وقد تتابعت هذه الأحداث وأمثالها فلا بد من قمعها والقضاء عليها في مهدها . وقد فعل عثمان فأدى ما فعل إلى امتداد الفتح^(١) وإخضاع بلاد أخرى لم تكن وصلت إليها الدعوة الإسلامية ، كما تقدم ذلك في مبحث مكتسبات الدعوة (وقد حدث هذا في أول خلافة عثمان فكان بالغ الأثر في رد السكينة إلى ربوع الشام وأقاليم فارس ، وفي إعادة اليقين إلى أهل الأقاليم المفتوحة بأن مقتل عمر واستخلاف عثمان لم يوهن من بأس المسلمين ولم يعف من شوكتهم)^(٢) ، فهم ما ضون في تحقيق أهداف الدعوة والحفاظ على مكتسباتها بكل قوة وصرامة .

بناء الأسطول البحري حفاظاً على مكتسبات الدعوة:

في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن الحاجة ماسة للأسطول البحري لأن الدعوة لم تكن تتجاوزت الجزيرة العربية ، وأيضا في عهد الصديق رضي الله عنه ، إن كانت اتسعت الرقعة الجغرافية الواقعة تحت سيطرة الدعوة إلا أن الحروب البرية كانت تشغل الجميع عن الحروب البحرية ، أما في عهد الفاروق ، فقد توسعت الفتوحات وسيطرت الدولة

^١ - عثمان بن عفان ، محمد حسين هيكل ص ٦٤ ، مكتبة النهضة المصرية ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .

^٢ - المرجع السابق ص ٧٢

الإسلامية على شواطئ بحرية، ومع ذلك كان الفاروق رضي الله عنه ما يرى في ذلك الوقت حمل المسلمين على البحر حفاظاً عليهم، مع أنه قد (أخ معاوية رضي الله عنه - في زمانه على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في غزو البحر وقرب الروم من حمص، وقال: إن قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم حتى كاد ذلك يأخذ بقلب عمر، فكتب عمر إلى عمرو بن العاص صف لي البحر فإن نفسي تنازعني إليه... فلما وصفه له قال الفاروق - لا والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً.. فلما ولي عثمان لم يزل به معاوية حتى عزم عثمان على ذلك بآخرة وقال لا تنتخب الناس، ولا تفرع بينهم، خيرهم فمن اختار الغزو طائعاً فأحملة وأعنه ففعل واستعمل على البحر عبد الله بن قيس الجاسي حليف بني فزارة، فغزا خمسين غزوة من بين شامية وصائفة في البحر ولم يغرق فيه أحد ولم ينكب وكان يدعو الله أن يرزقه العافية في جنده وألا يبتليه بمصاب أحد منهم ففعل حتى إذا أراد الله أن يصيبه وحده خرج في قارب طليعة فانتهى إلى مرقى من أرض الروم.. فقاتلوه وقتلهم فأصيب وحده، وأفلت الملاح حتى أتى أصحابه^(١)، وكان (أول من غزا في البحر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه)^(٢).

وقد تمكنت البحرية الإسلامية في عهد عثمان رضي الله عنه من بناء أسطول كبير مجهز بما يحتاج إليه في ذلك العصر من التجهيزات الحربية، استطاع بها إرهاب الأسطول الرومي بل وكسره كما حدث في معركة الصواري^(٣)، وكان له أهمية كبيرة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة، ومواكبة العصر في مجال التسليح والعتاد العسكري الذي يمكن المجاهدين من رفع راية الجهاد خفاقة دون وجل من تفوق العدو العسكري.

جمع الأمة على قراءة واحدة حفاظاً على مكتسبات الدعوة:

ومن أعظم الإنجازات التي تحققت في سبيل الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد عثمان رضي الله عنه جمع الناس في قراءة واحدة وسد باب الاختلاف في القرآن، وقد تم ذلك بإجماع الصحابة حينما أدركوا خطر اختلاف الأمة في القرآن، والسبب الذي دفع

^١ - انظر: تاريخ الطبري محمد بن جرير ج ٤ ص ٢٥٨ ٢٧١

^٢ - المرجع السابق ج ٤ ص ٢٦٠

^٣ - للمزيد عن التفاصيل في غزوة ذات الصواري انظر: الكامل ابن الأثير ج ٣ ص ١١٧

عثمان رضي الله عنه إلى جمع الناس في قراءة واحدة هو أن حذيفة بن اليماني رضي الله عنه كان (يقاتل مع المسلمين في أرمينية وأذر بيجان .. وكان قد اجتمع في هذا القتال خلق من أهل الشام ممن يقرأون على قراءة المقداد بن الأسود وأبي الدرداء، وجماعة من أهل العراق ممن يقرأون على قراءة ابن مسعود وأبي موسى الأشعري، وآخرون حديثوعهد بالإسلام كانوا يفضلون قراءة على قراءة، وبالغ كل فريق في تفضيل قراءتهم ودب الخلاف لذلك بينهم وعظم اختلافهم وتشتتهم، حتى إن الرجل ليقول لصاحبه: إن قراءتي خير من قراءتك وبلغ حداً كاد يكون فتنة..^(١) وعاد حذيفة إلى المدينة وقد (أفرع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإني أنزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا المصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أقر بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق)^(٢) .

وذكر ابن كثير رحمه الله عدد المصاحف والجهات التي أرسل لها فقال : (فكتب لأهل الشام مصحفاً ولأهل مصر آخر وبعث إلى البصرة مصحفاً وإلى الكوفة بآخر وأرسل إلى مكة مصحفاً وإلى اليمن مثله وأقر بالمدينة مصحفاً . ويقال لهذه المصاحف الأئمة، ليست كلها بخط عثمان بل ولا واحد منها، وإنما هي بخط زيد بن ثابت، وإنما يقال لها المصاحف العثمانية نسبة إلى أمره وزمانه، وإمارته)^(٣) رضي الله عنه وبفضل الله ثم جهود الصحابة وعلى رأسهم عثمان تم الحفاظ على مكتسبات الدعوة وأغلق باب التزاع والاختلاف في القرآن والله الحمد والمنة .

^١ - انظر : عثمان بن عفان، محمد حسنين هيكل ص ١٢٩ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٢٧

^٢ - رواه البخاري فضائل القرآن ٦٦ باب جمع القرآن ٣ حديث رقم ٤٩٨٧ ص ١٠٨٦

^٣ - البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ٢٢٨

متابعة الولاية واستدعائهم للتشاور من أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة:

عندما بلغ عثمان رضي الله عنه ، ما يقوم به أهل الفتنة من مراسلة بعضهم بعضاً في الأمصار وإظهار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقصد الإفساد والظعن على الولاية وإشعال نار الفتنة ، استشار الصحابة في الإجراء الذي يتخذه لمعالجة الوضع فقال (أنتم شركائي وشهود المؤمنين فأشيروا علي ، قالوا نشير عليك أن تبعث رجلاً ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم ، فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام ، و فرق رجلاً سواهم فرجعوا جميعاً قبل عمار ، فقالوا : أيها الناس ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوا مهم ، وقالوا جميعاً الأمر أمر المسلمين إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم.. أما عمار رضي الله عنه فقد استماله قوم من الذين كانوا يدبرون الفتنة أمثال عبد الله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر^(١) .

ولم بكتف عثمان رضي الله عنه بإرسال لجنة تقصي الحقائق ، بل أرسل إلى عماله بالأمصار ليوافوه جميعاً بالموسم للتساؤل والتشاور فقدموا عليه وبعد المسائلة تبين له سلامة عماله عما يروج ضدهم ، فاستشارهم فيما يتخذه ضد مروجي الفتنة فأشار كل منهم برأيه فلم يأخذ بتلك الآراء^(٢) وآثر الصبر واللين حتى قتل مظلوماً رضي الله عنه بعد كفاح طويل في نشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها بماله ونفسه .

والخلاصة في الإجراءات التي اتخذها عثمان رضي الله عنه في الحفاظ على مكتسبات

الدعوة تلخص في التالي:

- ١- خطب الناس عند توليه الخلافة ، وحث على التمسك بالدين وعدم الاغترار بالدنيا ، كما كتب إلى ولاته كتباً يأمرهم بالحفاظ على مكتسبات الدعوة .
- ٢- قام بتوجيه الجيوش إلى بعض البلاد التي نقضت العهد وإخضاعها مرة أخرى على الطاعة وإبرام معاهدات جديدة

^١ انظر: تاريخ الطبري محمد بن جرير ج ٤ ص ٣٤١

^٢ المرجع السابق ج ٤ ص ٣٤٣ وتاريخ الأمم الإسلامية الشيخ محمد الخضر ي بك ج ٢ ص ٣٩

- ٣- بناء الأسطول البحري لحماية الشواطئ الإسلامية، ومهاجمة البلاد التي تعرض المناطق الإسلامية للخطر .
- ٤- جمع الأمة على قراءة واحدة مخافة الاختلاف في القرآن بعد أن ظهرت بعض البوادر التي تنبئ بذلك .
- ٥- متابعة الولاية، ثم استدعاؤهم لمحاسبتهم، والتشاور معهم في الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

الفرع الرابع: أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد علي رضي الله عنه :

بويح علي رضي الله عنه بالخلافة بعد انتشار الفتنة واضطراب الوضع ومقتل عثمان رضي الله عنه، ولعله رأى من باب إعادة النظام والحفاظ على مكتسبات الدعوة عزل عمال عثمان رضي الله عنه الذين اتخذهم أهل الفتنة من ضمن الأسباب التي تقموا بها على عثمان وإرسال عمال جدد^(١)، وتم التغيير إلا في الشام فإن معاوية رضي الله عنه امتنع عن الاستقالة والتنازل من منصبه بحجة المطالبة بدم عثمان والتمكن من قتلته، ثم يكون الأمر شورى .

ومن أجل المطالبة بدم عثمان خرج الزبير وطلحة وعائشة رضي الله عنهم ومن تبعهم إلى البصرة، وتبعهم علي رضي الله عنه للتفاوض والصلح معهم^(٢) ولكن قدر الله وما شاء فعل وحصلت بينهم موقعة الجمل التي هدر فيها الكثير من المكتسبات الدعوية، وتبعتها بعد مفاوضات مع معاوية موقعة صفين التي لا تقل مرارة من سابقتها، مع أن المقصود كان توحيد الأمة تحت خليفة واحد والحفاظ على مكتسبات الدعوة من الفرقة والشتات إلا أنه لم يتم ذلك، وعندما رأى الجانبان كثرة القتل والفناء دون تحقيق الأهداف نزلوا إلى التحكيم^(٣) لعله يكون سبباً في الحفاظ على مكتسبات الدعوة وتوحيد الكلمة، ولكن يبدو أن الأمر كان اضطراراً وليس اختياراً على الأقل من جهة دون أخرى لذلك لم يتوصل الحكمين إلى تحقيق الهدف المنشود .

خطب علي رضي الله عنه ووصاياه لعماله في الحفاظ على مكتسبات الدعوة :

هناك الكثير من الخطب التي كان يلقيها علي رضي الله عنه في بعض المناسبات تدل على أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة مثل خطبته قبل موقعة الجمل في أتباعه حين قال :
(يا أيها الناس أملكوا أنفسكم وكفوا أيديكم وألستكم عن هؤلاء القوم، فإنهم إخوانكم واصبروا على ما يأتيكم، وإياكم أن تسبقونا فإن المخصوم غداً من خصم اليوم)^(٤)، فهو رضي الله عنه يحثهم على عدم الإسراع في المواجهة بالقتال والكلام من الطعن والسب

١- انظر: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية محمد الخضري بك ج ٢ ص ٥١

٢- انظر: البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ٢٤٦

٣- انظر: الطبقات الكبرى ابن سعد ج ٣ ص ٣٢ بتصرف .

٤- تاريخ الطبري محمد بن جرير ج ٤ ص ٤٩٦

وغير ذلك من الأمور التي تسبب التباعد والإيقاع بين الفريقين، ويبدو أن هذه التوجيهات والوصايا لم تجد القبول على الأقل ممن كان دبر فتنة قتل عثمان رضي الله عنه، فوقع ما كان يخشاه رضي الله عنه .

وفي موقع آخر يوصي قائده العسكري الأشتر^(١) الذي كان في مقدمة جيشه قبل وقعة صفين إذا لقي جند الشام ألا يبدأ بالقتال، وإنما يحافظ على مكتسبات الدعوة بالدعوة إلى المصالحة والطاعة والاعتذار فيقول: «(وإياك أن تبدأ القوم بقتال إلا أن يبدؤوك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع، ولا يجرمنك شأنهم على قتالهم قبل دعائهم والاعتذار إليهم مرة بعد مرة)»^(٢)، ولعل الخليفة علي رضي الله عنه كان يأمل من معاوية رضي الله عنه الإذعان والطاعة إلى آخر لحظة قبل الموقعة، وأكثر من الرسل إليه وربما توقع منه أن ما حصل يوم الجمل مع طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم يكون له درساً، ولكن معاوية رضي الله عنه الذي كان والياً على الشام مدة طويلة من عهد الفاروق وخضعت له الشام بالولاء والطاعة، مع وجود المبرر بالمطالبة بدم عثمان رضي الله عنه لم يتنازل عن موقفه، فحصلت موقعة صفين المؤلمة والحزنة والله المستعان .

ومن وصايا الخليفة علي رضي الله عنه في الحفاظ على مكتسبات الدعوة وصيته لقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري عندما أرسله والياً على مصر قال له (فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن واشتد على المريب وارفق بالعامه والخاصة فإن الرفق بمن)^(٣)، والشدة شؤم إلا في بعض الأمور التي يتطلب الأمر فيها الشدة وعدم الجاملات، والتساهل... ومن الأمور التي اتخذها علي رضي الله عنه في سبيل الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

توجيه الجيوش إلى بعض البلاد التي نقضت العهد ومنعت الجزية منتهزة فرصة

انشغال المسلمين بالفتن الداخلية .

^١ - ملك العرب مالك بن الحارث النخعي، أحد الأشراف والأبطال المذكورين، فقئت عينه يوم اليرموك وكان شهماً مطاعاً.. ألب على عثمان وقاتله، وكان ذافصاحة وبلاغة شهد صفين مع علي، وتميز يومئذ وكاد أن يهزم معاوية.. ولما رجع علي من موقعة صفين جهز الأشتر والياً على ديار مصر، فمات في الطريق مسموماً، انظر: سير أعلام النبلاء

الذهبي ج ٤ ص ٣٤

^٢ - تاريخ الطبري محمد بن جرير ج ٤ ص ٥٦٧

^٣ - المرجع السابق ج ٤ ص ٥٤٨

ومنها نيسابور، فإن علي رضي الله عنه بعث خليد بن كاس عاملاً على خراسان فلما دنا منها (بلغه أن أهل نيسابور خلعوا يداً من طاعة وأنه قدمت عليهم بنت لكسرى من كابل فما لوا معها فقاتلهم خليد، وأخذ ابنة كسرى بأمان وبعث بها إلى علي رضي الله عنه .. فقال لها علي انطلقي حيث شئت^(١) وتمكن خليد من إعادة نيسابور إلى الطاعة والإذعان .

(وفي سنة تسع وثلاثين طمع أهل فارس وكرمان في كسر الخراج وأخرجوا عمال علي رضي الله عنه .. فبعث إليها زياد بن أبيه في أربعة آلاف رجل، ولما قدم زياد فارس بعث إلى رؤسائها فوعدهم من نصره ومناه وخوف قوما وتوعدهم وضرب بعضهم ودل بعضهم على عورة بعض، وهربت طائفة وأقامت طائفة فقتل بعضهم بعضاً وصدت له فارس، فلم يلق فيها جمعاً ولا حرباً وفعل مثل ذلك بكرمان، ثم رجع إلى فارس، فسار في كورها فسكن الناس إلى ذلك فاستقامت له البلاد وأتى اصطخر، فكانت تسمى قلعة زياد^(٢) وهذا يعد إنجازاً كبيراً خاصة في وقت كانت تعاني فيه الدولة الإسلامية من اضطراب الأوضاع الداخلية .

وفي سنة أربعين وقبل مقتل علي رضي الله عنه حصل اتفاق بين علي ومعاوية في تقاسم البلاد وإيقاف الحرب بينهم وكتب معاوية إلى علي بذلك فقال (أما إذا شئت فلك العراق ولي الشام وتكف السيف عن هذه الأمة ولا تهريق دماء المسلمين، ففعل ذلك وتراضيا علي ذلك، فأقام معاوية بالشام بجنوده يجيئها وما حولها، وعلي بالعراق يجيئها ويقسمها بين جنوده^(٣) .

وخلاصة القول في الإجراءات التي اتخذت في سبيل الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد علي رضي الله عنه تتلخص في التالي :

١- عزل عمال عثمان رضي الله عنه الذين اتخذهم أهل الفتنة مطية في سبيل تحقيق مآربهم في قتل الخليفة وتفتيت الأمة، وإرسال عمال جدد للقيام بمهامهم .

١- انظر : الإمام علي بن أبي طالب - محمد رضا، ص ١٣٤ دار الكتب العلمية

٢- المرجع السابق ص ٢٨٢-٢٨٣

٢- المرجع السابق ص ٢٨٣

- ٢- السعي من أجل توحيد الأمة تحت خليفة واحد، وإن لم يتحقق ذلك .
- ٣- التزول إلى التحكيم، وإيقاف القتال بين الطائفتين المسلمتين والرضى عن نتائج حكم الحكّمين .
- ٤- توجيه الجيوش الإسلامية إلى بعض المناطق التي انتهزت فرصة انشغال المسلمين بأوضاعهم الداخلية، ونقضت العهد وامتنعت عن دفع الجزية، فقد تمكّن علي رضي الله عنه من إعادتها إلى ما كانت عليه .
- ٥- وأخيراً خطب علي رضي الله عنه ووصاياه لعماله فيها الكثير من الجوانب التي تدل على أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة .
- وفي رمضان سنة ٤٠ قتل علي رضي الله عنه على يد عبد الرحمن بن ملجم، بعد جهاد طويل في سبيل نشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها بشئى الوسائل التي كانت متاحة في ذلك الوقت، فرضى الله عن علي وعن الصحابة أجمعين، وبه تم مبحث أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

الفصل الأول

الاهتمام بالتعليم حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المبحث الأول : أهمية التعليم حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المبحث الثاني : إقامة مؤسسات التعليم حفاظاً على مكتسبات الدعوة

- المبحث الأول :** أهمية التعليم حفاظاً على مكتسبات الدعوة ، وتحت مطالب
- المطلب الأول :** الاهتمام بالعلم في القرآن الكريم حفاظاً على مكتسبات الدعوة
- المطلب الثاني :** الاهتمام بالعلم في السنة النبوية حفاظاً على مكتسبات الدعوة
- المطلب الثالث :** أهمية طلب العلم والبعثات التعليمية والنهي عن كتمان العلم حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المطلب الأول : الاهتمام بالعلم في القرآن الكريم حفاظاً على مكتسبات الدعوة :

الفرع الأول : مفهوم العلم :

(العلم نقيض الجهل ، عِلْمٌ علماً وَعِلْمٌ هو نفسه ، ورجل عالم وعليم من قومٍ علماء فيهما جميعاً)^(١) وهو أيضاً (الاعتقاد الجازم المطابق للواقع .. أو هو إدراك الشيء على ما هو به)^(٢) والعلوم تنقسم إلى قسمين: ضروري ، ومكتسب ، فحد الضروري ما لا يمكن العالم أن يشكك فيه نفسه ، ولا يدخل فيه على نفسه شبهة ، ويقع له العلم بذلك قبل الفكرة والنظر ويدرك ذلك من جهة الحس والعقل كالعلم باستحالة كون الشيء متحركاً ساكناً ، أو قائماً قاعداً أو مريضاً صحيحاً في حال واحدة .

ومن الضروري أيضاً وجه آخر يحصل بسبب من جهة الحواس الخمس ، كذوق الشيء يعلم به المرارة من الخلاوة ضرورة إذا سلمت الجارحة من آفة ، وكروية الشيء يعلم بها الألوان والأجسام ، وكذلك السمع يدرك به الأصوات ، ومن الضروري أيضاً علم الناس أن في الدنيا مكة ...

وأما العلم المكتسب : فهو ما كان طريقه الاستدلال والنظر ، ومنه الخفي والجلي ، فما قرب منه من العلوم الضرورية كان أجلى وما بعد منها كان أخفى)^(٣) .

فالعلم في الإسلام كل معرفة يحتاجها الإنسان في تقويم دينه ودنياه : فالعبادات والمعاملات والصناعات المختلفة التي عليها قوام الحياة واختلاف المعارف والفنون ، أكد الإسلام على تعلمها ، ونشرها في المجتمع)^(٤)

١- انظر لسان العرب لابن منظور مادة، علم ج ١٢ ص ٤١٧

٢- انظر التعريفات للجر جاني ص ١٥٥ .

٣- جامع بيان العلم وفضله ابن عبد البر ج ٢ ص ٧٨٨، ط، ١- ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية

٤- التربية والتعليم في الإسلام ، سعيد الديود حي ص ٦، طبع بمساعدة اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري في الجمهورية العراقية ، بدون تاريخ الطبع .

الفرع الثاني : إشادة القرآن الكريم بالعلم والعلماء :

لقد نزلت آيات كثيرة في القرآن الكريم ترفع مكانة العلم وشأن أهله ، وبالمقابل آيات أخرى تذم الجهل وتحط من مكانة أهله .

قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٠١﴾ ﴾^(١) فأهل العلم يؤمنون بمحكم القرآن ومتشابهه ويبينون ما أشكل فهمه على غيرهم فيثبتون في الحق ويشبتون الآخرين فيحافظون بذلك على مكتسبات الدعوة ، بخلاف أهل الجهل والزيغ الذين يستدلون بالمتشابه على أهوائهم فيضلوا ويضلوا غيرهم قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمة الله في تفسير هذه الآية .

(فالذين في قلوبهم مرض وزيغ وانحراف لسوء قصدهم يتبعون المتشابه منه فيستدلون به على مقالاتهم الباطلة وآرائهم الزائفة طلباً للفتنة وتحريفاً لكتابه وتأويلاً له على مشارهم ومذاهبهم فيضلوا ويضلوا .

أما أهل العلم الراسخون فيه الذين وصل العلم اليقين إلى أفئدتهم فأثمر لهم العمل والمعارف - فيعلمون أن القرآن كله من عند الله وأنه كله حق ، محكمه ومتشابهه ، وإن الحق لا يتناقض ولا يختلف .

فلعلمهم أن المحكمات ، معناها في غاية الصراحة والبيان يردون إليها المتشابه الذي تحصل فيه الحيرة لناقص العلم لناقص المعرفة)^(٢)

١- آل عمران آية ٧

٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان الشيخ عبد الرحمن السعدي ص ١٠١-١٠٢

وقال عز وجل ﴿ وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(١) ، بما أعطاهم من العلم الذي جعلهم يميزون به بين الحق والباطل فازدادوا إيماناً وخشية من الله عز وجل .

وقد أمر الله تعالى بسؤال أهل العلم لمن خفي عليه شيء من العلم قال تعالى : ﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٢) ، وسؤال أهل العلم يترتب عليه العلم بالمسؤول عنه وقد يكون المسؤول عنه قضية لها أهمية في سبيل الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

وقد عظم الله شأن أهل العلم وأشهدهم على توحيده قال تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٣)

قال ابن القيم رحمه الله متحدثاً في معاني هذه الآية (استشهد سبحانه بأولي العلم على أجل مشهود عليه وهو توحيده فقال : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط) وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه : أحدها استشهدهم دون غيرهم من البشر . الثاني اقتران شهادتهم بشهادته . الثالث اقترانها بشهادة الملائكة والرابع أن في ضمن هذا تركيبتهم وتعديلهم فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول)^(٤)

وقد خصهم بفهم ما يضربه للناس من الأمثال فقال عز وجل ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾^(٥) قال : الشوكاني رحمه الله "وما يعقلها " أي يفهمها ويتعقل الأمر الذي ضربناها لأجله "إلا العالمون" بالله الراسخون في العلم المتدبرون المتفكرون لما يتلى عليهم وما يشاهدونه)^(٦) من آيات الكون والأنفس الدالة على تفرده بالوحدانية سبحانه وتعالى .

١- الحج آية ٥٤

٢- الأنبياء آية ٧

٣- آل عمران آية ١٨

٤- انظر مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية ص ٤٨ ، دار الفكر ، بدون تاريخ الطبع .

٥- العنكبوت آية ٤٣

٦- فتح القدير ، محمد علي الشوكاني ج ٤ ص ٢٠٤ ، طبع سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م دار الفكر ، بدون ذكر الطبعة

وأيضاً: إن الله عز وجل رفع العلماء منزلة على من سواهم بما يحملونه من العلم النافع في الدين والدنيا قال تعالى ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (١) قال الطبري رحمه الله (ويرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم ، بفضل علمهم درجات إذا عملوا بما أمروا به) (٢) كما نفى الله عز وجل المساواة بينهم وبين غيرهم في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٣) قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية (يعلمون دينه الشرعي ، ودينه الجزائي ، وماله في ذلك من الأسرار والحكم "والذين لا يعلمون" شيئاً من ذلك ؟ لا يستوي هؤلاء ولا هؤلاء ، كما لا يستوي الليل والنهار ، والضياء والظلام والماء والنار "وإنما يتذكر" ، إذا ذكروا أولو الألباب ، أي أهل العقول الزكية . فهم الذين يؤثرون الأعلى على الأدنى ، فيؤثرون العلم على الجهل ، وطاعة الله على مخالفته ، لأن لهم عقولاً ترشداهم للنظر في العواقب . بخلاف من لا لب له ولا عقل فإنه يتخذ إلهه هواه) (٤) وأيضاً أنزل الله أهل الجهل (بمنزلة العميان الذين لا يبصرون فقال : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ نَمَاطَ انزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٥) فما ثم إلا عالم أو أعمى وقد وصف سبحانه أهل الجهل بأنهم صم بكم عمي في غير موضع من كتابه) (٦) وأيضاً أنه سبحانه ذم أهل الجهل في مواضع كثيرة من كتابه فقال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ

١- المجادلة آية ١١

٢- جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري محمد بن جرير ج ١٢ ص ١٩ ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ دار الكتب العلمية

٣- الزمر آية ٩

٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان الشيخ عبد الرحمن السعدي ص ٦٦٦ .

٥- الرعد آية ١٩

٦- مفتاح دار السعادة لابن القيم ج ١ ص ٤٦ .

أَكْثَرَهُمْ تَجْهَلُونَ ﴿٣١﴾ ^(١) وقال ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ ^(٢) وقال تعالى ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ^(٣)، فلم يقتصر سبحانه على تشبيه الجهال بالأنعام حتى جعلهم أضل سبيلا منهم وقال ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ ^(٤) أخير إن الجهال شر الدواب عنده على اختلاف أصنافها من الحمير والسباع والكلاب والحشرات وسائر الدواب، فالجاهل شر منهم وليس على دين الرسل أضر من الجهال بل أعداؤهم على الحقيقة وقال تعالى لنبيه وقد أعاده ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ^(٥) وقال كليمة موسى عليه الصلاة والسلام ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ^(٦) وقال لأول رسله نوح عليه السلام ﴿إِنِّي أَعْظِيكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ^(٧) فهذه حال الجاهلين عنده ^(٨)، وأن ابن قيم رحمه الله بعد أن استدلل بهذه الآيات وغيرها من الأدلة التي تدم الجهل وأهله قال : (فقد وصف أهل الشقاء كما ترى بعدم العلم وشبههم بالأنعام بالحمار الذي يحمل الأسفار وتارة جعلهم أضل من الحمار وتارة جعلهم شر الدواب عنده وتارة جعلهم أمواتاً غير أحياء وتارة أخير أنهم في ظلمات الجهل والضلال وتارة أخير أن على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقراً وعلى أبصارهم غشاوة وهذا كله يدل على قبح الجهل وذم أهله وبغضه لهم) ^(٩)، فالجهل مذموم مشين في كل شيء حتى في الأنعام والحيوانات فالحيوان المعلم أفضل من الجاهل والثور المدرب المعد للحرث المطيع أفضل من الجاهل الفار المتوحش والحمل والفرس

١- الأنعام آية ١١١

٢- الأنفال آية ٣٤

٣- الفرقان آية ٤٤

٤- الأنفال آية ٢٢

٥- الأنعام آية ٣٥

٦- البقرة آية ٦٧

٧- هود آية ٤٦

٨- انظر : مفتاح دار السعادة ابن القيم ج ١ ص ٥٣ .

٩- المرجع السابق ج ١ ص ٥٩ .

الضامران والمدربان للسباق والفر والكر في المارك أفضل ممن لم يعد لهذه المهمة وأحل الله صيد الكلب المعلم لشرف العلم بخلاف الجاهل فإن صيده يعد ميتة قال تعالى ﴿يَسْتَقْلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَكُمْ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝﴾ (١)

(المراد من الجوارح الكواكب من سباع الطير كالبازي والعقاب والصقر ونحوها مما يقبل التعليم فيحل صيد جميعها) (٢).

فإذا كان العلم شرف ورفع شأن الحيوان المعلم وفضله على غيره من الحيوانات غير المعلمة ، فمن باب أولى أن يشرف ويرفع مكانة الإنسان العالم على الجاهل .

وقد جعل الله العلماء أهل خشيته دون سائر الناس فقال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝﴾ (٣).

قال ابن رجب رحمه الله (دلت هذه الآية على إثبات الخشية للعلماء بالاتفاق ، وعلى نفيها عن غيرهم على أصح القولين ، وعلى نفي العلم عن غير أهل الخشية أيضاً) (٤)

فأهل العلم هم أهل خشية الله حقيقة لأن علمهم ومعرفتهم بشرع الله أثمر لهم خوفهم من الله عز وجل وقاموا بما يجب عليهم من تبليغ الدعوة ونشرها والحفاظ على مكتسباتها بحسب الاستطاعة (ولولا هم لطمست معالم الدين بتليبس المضلين . ولكن الله سبحانه أقامهم حراساً وحفظه لدينه ورجوماً لأعدائه وأعداء رسله) (٥)

١- المائدة آية ٤

٢- مختصر تفسير البغوي د/ عبد بن أحمد الزيد ج ١ ص ٢١٣، ط ١، ١٤١٦هـ - مكتبة المعارف، الرياض

٣- فاطر آية ٢٨

٤- الكلام على قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) للحافظ ابن رجب الحنبلي ص ٢٨-٢٩، ط ٢،

١٤١٢، دار العاصمة للتراث، بطنطا

٥- مفتاح دار السعادة ابن القيم ج ١ ص ٦٦

الفرع الثالث : امتنان الله على رسله عليهم السلام بالعلم

ومما يدل على شرف العلم امتنان الله على رسله وصفوة خلقه بالعلم فقد أمر رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يطلب الاستزادة من العلم فقال عز وجل ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١﴾ أي : لا تبادر بتلقف القرآن حين يتلوه عليك جبريل، وأصبر حتى يفرغ منه فإذا فرغ منه فاقرأه فإن الله قد ضمن لك جمعه في صدرك وقراءتك إياه ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّعَجَلَ بِهِ ﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿٢﴾ فإذا قرأته فأتبعه قرءانه ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ ﴿٣﴾ ولما كانت عجلته صلى الله عليه وسلم على تلقف الوحي ومبادرته إليه تدل على محبته التامة للعلم وحرصه عليه ، أمره تعالى أن يسأله زيادة العلم ، فإن العلم خير وكثرة الخير مطلوبة ، وهي من الله ، والطريق إليها الاجتهاد ، والشوق للعلم وسؤال الله الاستعانة به ، والافتقار إليه في كل وقت (٣)

وقال عز وجل ممتناً على نبيه يوسف عليه السلام ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٤﴾

وقال في حق نبيه يعقوب عليه السلام ﴿ وَإِنَّمَا لَدُوْهُ عِلْمٌ بِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٥﴾ لادو علم لتعليمنا إياه (٥)

١- طه آية ١١٤

٢- القيامة الآيات ١٦-١٩

٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان الشيخ عبد الرحمن السعدي ٤٦٤

٤- يوسف آية ٢٢

٥- يوسف آية ٦٨

٦- تفسير القرآن العظيم ابن كثير ج ٢ ص ٤٨٤ ، دار المعرفة ، بيروت

وقال تعالى في حق داود وسليمان عليهما السلام ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۗ ﴾^(١)
 وقال في حق موسى عليه السلام ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَاسَتْوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا
 وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۗ ﴾^(٢)

وقال عز وجل في تكريم عموم الرسل ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ
 كَلَّمَ اللَّهُ ۗ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۗ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ وَلَوْ
 شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اٰخْتَلَفُوا لَمِثْمٍ مِّنْ
 ءَامِنٍ وَمِثْمٍ مِّنْ كَافِرٍ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۗ ﴾^(٣)

فهنا (ينجز الباري إنه فاوت بين الرسل في الفضائل الجليلة والتخصيصات الجميلة ، بحسب ما
 من الله به عليهم وقاموا به من الإيمان الكامل واليقين الراسخ ، والأخلاق العالية والآداب
 السامية والدعوة والتعليم والنفع العميم .

فمنهم من اتخذ حليلاً ، ومنهم من كلمه تكليماً ، ومنهم من رفعه فوق الخلائق درجات .
 وجميعهم لا سبيل لأحد من البشر إلى الوصول لفضلهم الشامخ)^(٤) وقال عز وجل ﴿ نَرْفَعُ
 دَرَجَاتٍ مِّنْ كُشَاةٍ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ۗ ﴾^(٥) (نرفع درجات من نشاء "
 بضروب العلوم والمعارف والعطايا والكرامات كما رفعنا درجة يوسف بذلك ، " وفوق كل
 ذي علم " ، ممن رفعه الله بالعلم "عليم" ، أرفع رتبة منهم وأعلى درجة لا يبلغون مداه ولا
 يرتقون شأوه . وقيل معنى ذلك : أن فوق كل أهل العلم عليم وهو الله سبحانه)^(٦) فمعط
 الكمال أحق بالكمال .

١- الأنبياء آية ٧٩

٢- القصص آية ١٤

٣- البقرة آية ٢٥٣

٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان الشيخ عبد الرحمن السعدي ص ٩٠

٥- يوسف آية ٧٦

٦- انظر: فتح القدير للشوكاني ج ٣ ص ٤٣

والعلم بحر لا ساحل له وكل أحد يغرف منه بحسب ما أعطاه الله من أدوات التعليم ويسر له مع اجتهاده وبذله ومهما بلغ الإنسان من سعة العلم فما يجهله أكثر مما علمه كما قال عز وجل ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(١).

الفرع الرابع : شمولية العلم الذي يدعو إليه القرآن :

إن الإسلام حيث حض على العلم لم يقيده بالعلم الديني أو الكوني أو النظري أو التجريبي .. وإنما أطلق لفظ العلم ليشمل كل علم نافع ينفع الأمة في دينها ودنياها .

فإن الله سبحانه يقول ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾^(١) (لم يقيد ذلك بعلم الدين ولا بعلم الدنيا وإنما أطلق اللفظ ليشمل الأمرين معاً ، أو بعبارة أوضح ليشمل كل علم نافع في الحياة ..)^(٢)

(وليس العلم الذي يشيد به القرآن مقصوراً على نوع من العلم معين ، وليس التفكير الذي يهيب به القرآن الكريم محصوراً في نطاق من المعرفة محدودة ، فإن العلم الذي ينوه به القرآن الكريم عام يشمل أنواع العلوم كلها ، والتفكير الذي يدعو إليه القرآن فسيح يتسع لألوان التفكير كله ؛ لأن ثمن القرآن تقريباً آيات متصلة بالعلوم عامة ، والبقية عقائد وعبادات وتشريع ، وتاريخ ، وأخلاق ، ولا غرابة في أن القرآن عني بالعلم والفكر هذه العناية ، لأن العقل هبة من الله ينميها التفكير ، ويغذيها العلم ويرقيها استخدامها في ما خلقت له ، لتتهدي إلى الحق والخير ، ولتدفع إلى الإقرار بوحداية الله وقدرته وحكمته ، ولتمكن الناس أن يتفعلوا بما خلق الله في الأرض وفي السماء ، ولتكفل لهم حياة أرقى وأسعد وأرغد .

والدراسة المتعمقة تبين لنا أن الإسلام حينما يدعو الناس إلى الإيمان بالله يحثهم على استخدام وسائل المعرفة ، ليهتدوا إلى هذه الحقيقة الأولى من حقائق الدين . وهو يعلن لهم أن رسالته إنما يعقلها العالمون لأنها مجموعة من الحقائق المشهودة العينية والتشريعية^(٣) أو مجموعة من البيانات التعليمية والتربوية ، وكلها مواد علمية لا تدرك إلا باستخدام أدوات المعرفة ولذلك كانت نصوص القرآن زاخرة ببيان أن رسالة الإسلام إنما هي لقوم يعلمون ولقوم يعقلون ولقوم يتفكرون ونحو ذلك)^(٣) ، وأدلة القرآن الكريم حينما تكثر وتركز في مجال التعليم

١- طه آية ١١٤

٢- انظر: معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأروبية ، عبد الله ناصح علوان ، ص ١٥ ، ط ، ٢ - ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م ، دار السلام

٣- انظر : معاهد التعليم الإسلامي د/ سعيد إسماعيل علي ص ٢ ، ١٩٧٨ م دار الثقافة القاهرة ، بدوذكر الطبعة

وأدواته تدل على أنه توكيد وتأکید على أهمية العلم والتعلم في نشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها ، والآيات في موضوع العلم والتعلم ومزاياه ورفعة أهله كثيرة وأيضاً بالمقابل ذم الجهل والجهلاء مما يؤكد أهمية العلم في الحفاظ على مكتسبات الدعوة ، لأنه من خلال العلم يتسنى للداعية أن يفاضل ويوازن بين الأمور ويحدد الأولويات في كل مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله تعالى ، ولذا فإن توفر العلم في الداعية مطلب أساس ، يتمكن الداعية من خلاله من مواجهة مكائد خصوم الدعوة ، ويتسنى له الرد على شبهاتهم ، وتفنيدهم ، ومن ثم تتأتى عملية الحفاظ على مكتسبات الدعوة ، وإلا فإن الجهل قد يضيع على الداعية الكثير من الفرص التي يمكن توظيفها لصالح الدعوة إلى الله تعالى .

المطلب الثاني : الاهتمام بالتعليم في السنة النبوية المطهرة :

الفرع الأول : حث السنة النبوية على التعلم والتعليم

تواترت أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضح أهمية العلم وتحث على التعليم لما له من مزايا رفيعة وفضائل جمة لا تنال إلا بالتعلم ، كما وردت أحاديث أخرى تحط من الجهل وأهله وتذمهم وتصفهم بأشنع الأوصاف تنفيراً من الجهل ، ورفع الهمم في طلب العلم والتفقه فيه قال : صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) (١) .

(فلما أراد الله تعالى بهم خيراً فقههم في الدين وعلمهم الكتاب والحكمة ، وصاروا سراجاً للعباد ومناراً للبلاد) (٢) ، وحماة لمكتسبات الدعوة من كيد الكائدين وجهل الجاهلين لا ترهبهم كثرة المخالفين ولا شغب المرجفين ، لأنهم ورثة الأنبياء والمرسلين ، في العلم الذي جاءوا به كما قال صلى الله عليه وسلم (العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر) (٣) .

(أنهم ورثوا ما جاء به الأنبياء من العلم ، فهم خلفوا الأنبياء في أمهم بالدعوة إلى الله وإلى طاعته ، والنهي عن معاصي الله والذود عن دين الله) (٤)

١- رواه البخاري كتاب العلم ٣ باب من يرد الله به خيراً يفقهه ١٣ حديث رقم ٧١ ص ٢٠

٢- أخلاق العلماء للأجري تقديم وتعليق ممدوح حسن ، ص ٩٤ ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، بدون طبعة وتاريخ طبع

٣- أخرجه ابن ماجة في سننه ، المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١٧ ، حديث ٢٢٣ ، ص : ٣٩ بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، بدون تاريخ الطبع ، قال الألباني في صحيح سنن ابن ماجة صحيح ج ١ ص ٤٣ ، مكتب التربية العربي لدول الخليج

٤- شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم ، ابن رجب الحنبلي ص ٤٦ ، ط ١ - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، مؤسسة الخافقين ، دمشق

وقد أقام الله تعالى لهذه الأمة من خلفاء الرسل وحملة الحججة في كل زمان من يعتني بحفظ ألفاظ الشريعة وضبطها وصيانتها عن الزيادة والنقصان ومن يعتني بحفظ معانيها ومدلولات ألفاظها وصيانتها عن التحريف والبهتان ، والأولون أهل الرواية وهؤلاء أهل الدراية (١) ، وقد قال صلى الله عليه وسلم (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) (٢) ، والتحديد لا يكون إلا على أيدي علماء أكفاء فضلاء تفقهوا في الدين فقاموا بمهمة الحفاظ على مكتسبات الدعوة ، وإحياء ما دُرس من معالم الدين في نفوس الناس فحيت قلوبهم بالعلم بعد موتها بالجهل .

وقد وصف صلى الله عليه وسلم تأثير ما بعث به من العلم والهدى في نفوس الناس والاستفادة منه كتأثير المطر في الأرض وإحيائها بعد موتها فقال (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) (٣) .

(ضرب النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء به من الدين مثلاً بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم إليه ، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه ، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت فكذا علوم الدين تحي القلب الميت . ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي يتزل بها الغيث ، فمنهم العالم العامل المعلم فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وأنبت فنفعت غيرها ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوا فله أو لم يتفقه فيما جمع لكنه أداه لغيره ، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به وهو

١- جميع الرسل كان دينهم الإسلام ، ابن رجب الحنبلي ص ٢١، ط ١- ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، دار الصحابة للتراث

٢- رواه أبو داود في كتاب الملاحم ٣٦ ، باب ما يذكر في قرن المائة ١ ، حديث ٤٢٩١ ، ص ٤٦٩ ، بيت الأفكار

الدولية ، الرياض ، بدون تاريخ الطبع ، قال الألباني في صحيح الجامع الصغير صحيح ج ١ ص ٣٨٢

٣- رواه البخاري كتاب العلم ٣ باب فضل من علم وعلم ٢٠ حديث ٧٩ ص ٢٣

المشار إليه بقوله "نضر الله امرأً سمع مقالتي فآدأها كما سمعها" (١) ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره ، فهو بمنزلة الأرض السخبة الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها) (٢) وشبه بذلك لفساد قلبه وعدم قبوله للحق والخير لأن الله ختم على قلبه وأعمى بصيرته فهو في حال لا يحسد فيها بخلاف أهل العلم والجود والكرم يغبطون ويحق للعبد أن يطلب مثل ما أعطوا ليفعل مثل ما فعلوا في نفع الناس من بذل العلم والمال ، كما قال صلى الله عليه وسلم (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها) (٣) (فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه لا ينبغي لأحد أن يحسد أحداً يعني حسد غبطة ويتمنى مثل حاله من غير أن يتمنى زوال نعمه الله عنه إلا في واحدة من هاتين الخصلتين وهي الإحسان إلى الناس بعلمه أو بماله. وما عدا هذين فلا ينبغي غبطته ولا تمنى مثل حالة لقلّة منفعة الناس به) (٤) وأيضاً هذه الغبطة لا بد أن تكون مقرونة بالعمل من السعي في أسباب الرزق الحلال ، وسلوك طلب العلم حتى يصير عالماً فينفع الناس بعلمه ويرفع الجهل عن نفسه .

١- رواه أبو دود في كتاب العلم ٢٤ ، باب فضل نشر العلم ١٠ ، حديث ٣٦٦٠ ، ص ٤٠٤ ، قال الألباني صحيح ، ج ٢ ص ٦٩٧ ، ولفظه ، (نضر الله امرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه)

٢- انظر: فتح الباري ابن حجر العسقلاني ج ١ ص ٢١٢ ، ط ، ٢-١٤٠٩ هـ - دار الريان للتراث

٣- رواه البخاري كتاب العلم ٣ باب الاغتباط في العلم والحكمة ١٥ حديث ٧٣ ص ٢١

٤- ١ نظر: مفتاح دار السعادة ابن القيم ج ١ ص ٦٢

الفرع الثاني : ذم الجهل في السنة النبوية الشريفة

الجهل مرض فتاك يضر بالإنسان ويقيد حركته المفيدة وهو ضد العلم وهو في الحقيقة كالظلام الدامس فالجهل يغطي على عقل الإنسان ويكبله ولا ينجلي فجره إلا بنور العلم وكلما تعلم الإنسان مسألة أو شيئاً كان يجهله يشعر أنه يبصر شعاع ، ويحل عقدة من عقد الجهل التي كبلته من مصالحه العاجلة والآجلة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه حين غير غلامه بأمه (إنك امرؤ فيك جاهلية) ^(١) (هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله ورسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك) ^(٢) من صنوف الجهل وقوله (إنك امرؤ فيك جاهلية) أي خصلة من خصال الجاهلية ويظهر لي أن ذلك كان من أبي ذر قبل أن يعرف تحريمه، فكانت تلك الخصلة من خصال الجاهلية باقية عنده) ^(٣) ، فلما علم أنها من خصال الجاهلية تاب عنها وتركها ورفع من مقام غلامه فكان يساويه مع نفسه في الملبس والمشرب والمأكل رضي الله عنه .

ولاشك من أن الجهل يوقع بصاحبه في المهالك ، وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن القاضي الجاهل مع القاضي الظالم في النار ، والناجي هو العالم الذي يقضي بالحق بعد أن علمه حيث قال (القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثنان في النار فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق وقضى به ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار) ^(٤) .

(والحديث دليل على أنه لا ينجو من النار من القضاة إلا من عرف الحق وعمل به ، والعمدة العمل ، فإن من عرف الحق ولم يعمل فهو ومن حكم بجهل سواء في النار ،

١- رواه البخاري كتاب الإيمان ٢ باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك ٢٢ حديث

١٠ ص ٣٠

٢- انظر: لسان العرب لابن منظور ج ١١ ص ١٣٠ ، مادة جهل

٣- فتح الباري لابن حجر ج ١ ص ١٠٨

٤- رواه أبو داود في كتاب الأفضية ٢٣ ، باب في القاضي يخطئ ٢ ، حديث ٣٥٧٣ ، ص ٣٩٦ ، قال الألباني في

صحيح سنن أبي داود ، صحيح ج ٢ ص ٦٨٢

وظاهره أن من حكم بجهل وإن وافق حكمه الحق فإنه في النار، لأنه أطلق وقال فقضى للناس على جهل ، وفيه التحذير من الحكم بالجهل أو بخلاف الحق مع معرفته به (١)

ومعلوم بأن الجهل هو أقبح شيء يوصف به الإنسان ولذا فإن اليهود لعنهم الله لما علموا بإسلام عبد الله بن سلام وصفوه بأنه أجهلهم ومن قبل علمهم بإسلامه وصفوه بالعلم والفقه .

وقد قال رضي الله عنه بعد أن أسلم (يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وإهم إن علموا بإسلامي ييهتوني عندك فأرسل إليهم فأسألم عني أي رجل ابن سلام فيكم ؟ قال فأرسل إليهم فقال "أي عبد الله بن سلام فيكم ؟" قالوا خيرنا وابن خيرنا وعالمنا وابن عالمنا ، وأفقها وابن أفتحها قال "أرايتم إن أسلم تسلمون ؟" قالوا أعاذه الله من ذلك قال :فخرج ابن سلام فقال :أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .قالوا شرنا وابن شرنا وجاهلنا وابن جاهلنا فقال ابن سلام هذا الذي كنت أتخوف منه (٢)

فهو كان يعرف كذبهم وافتراءهم ونقضهم للعهد الذي قطعوه على أنفسهم ولكن رضي الله عنه أراد أن يستدرجهم ليتضح تكذيب أنفسهم أمام الناس .

وردت أحاديث كثيرة تدل على ذم الجهل وأن آخر الزمان سيرفع العلم بموت العلماء ويبقى الجهال من الناس فيضل بعضهم بعضاً .

منها ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا أضلوا) (٣) .

١- انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ج ٩ ص ٤٨٨ ، دار الفكر ، بدون ذكر الطبعة وتاريخ الطبع

٢- انظر: مسند الإمام أحمد ج ٣ ص ١٠٨ ، قال الأرثوذكس في الموسوعة الحديثية (صحيح) ج ١٩ ، ص ١١٤ ، والبخاري كتاب أحاديث الأنبياء ٦ ، باب خلق آدم وذريته ١ ، حديث ٣٣٢٩ ، ص ٦٧٧ .

٣- رواه البخاري كتاب العلم ٣ باب كيف يقبض العلم ٣٤ ، حديث ١٠٠ ص ٢٧

(وفي هذا الحديث الحث على حفظ العلم والتحذير من ترئيس الجهلة وفيه أن الفتوى هي الرياسة الحقيقية وذم من يقدم عليها بغير علم) ^(١) لأن ذلك يؤدي إلى تضيع مكتسبات الدعوة وعدم الحفاظ عليها ، وبذلك تظهر أهمية التعليم .

وفي الحديث الذي رواه أنس رضى الله عنه قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا) ^(٢) وحينما ينتشر الجهل في المجتمعات يصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً وتقل الغيرة والحياء وتموت القلوب ويصدق عليهم قول الشاعر :

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله وأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم وليس لهم حتى النشور نشور ^(٣)

ولا شك في أن سبب التخلف والانحطاط هو الجهل وأي مجتمع يريد الرقي والتقدم فعليه بالعلم ورفع الجهل والالتزام بالدين والحفاظ على مكتسبات الدعوة .

١- انظر: فتح الباري ابن حجر ج ١ ص ٢٣٦

٢- رواه البخاري كتاب العلم ٣ باب رفع العلم وظهور الجهل ٢١، حديث ٨٠ ص ٢٣ .

٣- انظر: مفتاح دار السعادة ابن القيم ج ١ ص ٤٨

المطلب الثالث : أهمية طلب العلم والبعثات التعليمية والنهي عن كتمان العلم

حفاظاً على مكتسبات الدعوة :

الفرع الأول : أهمية طلب العلم :

العلم نور وضياء وحياة سعيدة يسمو بأصحابه إلى أرفع المقامات وأعلى الدرجات في الدنيا والآخرة .

وأيضاً (فإنه يشرح الصدر ويوسعه حتى يكون أوسع من الدنيا ، والجهل يورثه الضيق والحصر والحبس ، فكلما اتسع علم العبد انشرح صدره واتسع ، وليس هذا لكل علم بل للعلم الموروث عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو العلم النافع فأهله أشرح الناس صدرأ وأوسعهم قلوباً وأحسنهم أخلاقاً وأطيبهم عيشاً) ^(١)

والحاجة إلى العلم ضرورية وملحة و(أن كل ما سوى الله يفتقر إلى العلم لا قوام له بدونه فإن الوجود وجودان وجود الخلق ووجود الأمر ، والخلق والأمر مصدرها علم الرب وحكمته فكل ما ضمه الوجود من خلقه وأمره صادر عن علمه وحكمته فما قامت السماوات والأرض وما بينهما إلا بالعلم ولا بعثت الرسل وأنزلت الكتب إلا بالعلم ولا عرف فضل الإسلام على غيره إلا بالعلم) ^(٢) و (هو الأساس الذي يستقيم عليه البنيان وبه الفلاح والفساد والكمال والنقصان ... فطلب العلم إذن من أفرض الفرائض وأوجب الواجبات فإن عليه المدار في قيام الطاعات وترك المخالفات . فمن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ومن لم يرد به خيراً أعرض عن طلب العلم وسماعه فكان من الهالكين) ^(٣) .

١- زاد المعاد ابن القيم ج ٢ ص ٢٤

٢- مفتاح دار السعادة ابن القيم ج ١ ص ٨٧

٣- الفواكه الشهية في الخطب المنبرية ، عبد الرحمن بن تاجر السعدي ص ١٧٣-١٧٧ ، طبع الرئاسة العامة لإدارات

وقد قال صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم) ^(١) فالإسلام دين علم ومعرفة ، فلذلك يؤكد على أتباعه أن يولوا العلم أهمية خاصة لما فيه من السعادة العاجلة والآجلة ولتحقيق هذه الغاية يحتاج طالب العلم إلى الصبر والاجتهاد المقرون بالإخلاص لله عز وجل ، والدعاء والتضرع لله بتيسير العلم وفهمه ، وليعلم أنه في طريق من الطرق الموصلة إلى الجنة ، كما قال صلى الله عليه وسلم (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً ، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضىً لطالب العلم ، وأن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض ، والحيتان في جوف الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر) ^(٢) .

قال ابن قيم رحمه الله في شرحه لهذا الحديث .

(والطريق التي يسلكها إلى الجنة جزاء على سلوكه في الدنيا طريق العلم الموصلة إلى رضا ربه ووضع الملائكة أجنحتها له تواضعاً له وتوقيراً وإكراماً لما يحمله من ميراث النبوة ... فلو لم يكن لطالب العلم إلا هذا الحظ الجزيل لكفى به شرفاً وفضلاً .

وقوله صلى الله عليه وسلم "إن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء" فإنه لما كان العالم سبباً في حصول العلم الذي به نجاة النفوس من أنواع المهلكات وكان سعيه مقصوراً على هذا وكانت نجاة العباد على يديه جوزي من جنس عمله ، وجعل من في السماوات والأرض ساعياً في نجاته من أسباب الهلكات باستغفارهم له ، وإذا كانت الملائكة تستغفر للمؤمنين فكيف لا تستغفر لخاصتهم وخلصتهم .

وقوله "حتى الحيتان في الماء .. فليل سبب هذا الاستغفار أن العالم يعلم الخلق مراعاة هذه الحيوانات ويعرفهم ما يحل منها وما يحرم ويعرفهم كيفية تناولها واستخدامها وركوبها والانتفاع بها وكيفية ذبحها على أحسن الوجوه وأرفقها بالحيوان ..

^١ - روه ابن ماجه في سننه المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١٧ ، حديث ٢٢٤ ، ص ٣٩ ، قال الألباني في صحيح ابن ماجه : صحيح ، ج ١ ص ٤٤ .

^٢ - رواه أبو داود في سننه كتاب العلم ٢٤ باب الحث على طلب العلم ١ ، حديث ٣٦٤١ ، ص ٤٠٣ ، قال الألباني في صحيح سنن أبي داود صحيح ج ٢ ص ٦٩٤

وقوله : "فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب " تشبيه مطابق لحال القمر والكواكب فإن القمر يضيء الآفاق ويمتد نوره في أقطار العالم وهذه حال العالم ، وأما الكواكب فنوره لا يتجاوز نفسه أو ما قرب منه وهذه حال العابد الذي يضيء نور عبادته عليه دون غيره .. وقوله "إن العلماء ورثة الأنبياء " هذا من أعظم المناقب لأهل العلم فإن الأنبياء خير خلق الله فورثتهم خير الخلق بعدهم .. قوله "فمن أخذه أخذ بحظ وافر " أعظم الحظوظ وأجداها ما نفع العبد ودام نفعه له وليس هذا إلا لحظه من العلم والدين فهو الحظ الدائم النافع الذي إذا انقطعت الحظوظ لأربابها فهو موصول بالحي الذي لا يموت فلذلك لا ينقطع ولا يفوت وسائر الحظوظ تعدم وتتلاشى بتلاشي معلقاتها (١)

والحديث بمجمله يدل على أهمية طلب العلم وشرفه وأنه سبب لتسهيل الطريق إلى الجنة ، وعظم مكانة طالب العلم عند الملائكة ودواب الأرض ، وإن فضله على العابد كفضل القمر عند اكتماله على سائر الكواكب ، وما ذلك إلا لقيامه بنشر العلم وتعليمه للناس وذلك باب من أبواب الحفاظ على مكتسبات الدعوة إلى الله تعالى .

وقد أدرك الصحابة رضي الله عنهم هذا الفضل والشرف فكانوا يتناوبون في حضور مجالس النبي صلى الله عليه وسلم خشية أن يفوتهم شيء من العلم . قال عمر رضي الله عنه (كنت أنا وجمار لي من الأنصار في بني أمية بن يزيد وهي من عوالي المدينة ، وكنا نتناوب التزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم يترل يوماً وأنزل يوماً فإذا نزلت جئته بخير ذلك اليوم من الوحي وغيره وإذا نزل فعل مثل ذلك) (٢) .

نعم الجار عمر ونعم الجار جاره يوماً يتفرغ لطلب العلم وآخر للمعاش ثم يستدرك ما فاتته من العلم مساءً كي لا يفوته شيء وهذا غاية الحرص في طلب العلم دون الغفلة عن طلب المعاش وما يوفق لمثل هذا التوازن إلا أصحاب الهمم العالية والنفوس الزكية والعقول الذكية.

١- انظر: مفتاح دار السعادة ابن القيم ج ١ ص ٦٣-٦٧ بتصرف

٢- رواه البخاري كتاب العلم ٣ باب التناوب في العلم ٢٧ حديث ٨٩ ص ٢٥

وكان عمر رضي الله عنه يدعو إلى طلب العلم وبيّن آداب طالب العلم والعالم فيقول (تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والحلم ، وتواضعوا لمن تعلمون ، وتواضعوا لمن تعلمون منه ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم)^(١) وقال موضحاً ومحدراً من الأهداف الدنيئة التي لا ينبغي أن تخطر ببال طالب العلم (لا يتعلم العلم لثلاث ولا يترك لثلاث لا يتعلم ليمارى به ، ولا يياهى به ولا ليرائى به ولا يترك حياء من طلبه ، ولا زهادة فيه ولا رضى بالجهل)^(٢) ، إنما يتعلم لأهداف نبيلة وغايات حميدة من رفع الجهل عن نفسه وإفادة الآخرين مبتغياً بذلك وجه الله تعالى ورضاه .

وقد بين الله تعالى الهدف والغاية من التعليم في قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾^(٣) ، فالهدف التفقه في الدين وإنذار القوم ، والغاية الحذر من عقاب الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه للفوز بالجنة والنجاة من النار . قال القرطبي في تفسير هذه الآية .

(هذه الآية أصل في وجوب طلب العلم لأن المعنى : وما كان المؤمنون لينفروا كافة والنبي صلى الله عليه وسلم مقيم لا ينفر فيتركوه وحده "فلولا نفر" بعد أن علموا أن النفر لا يتسع جميعهم "من كل فرقة منهم طائفة" وتبقى بقيتها مع النبي صلى الله عليه وسلم ليتحملوا عنه الدين ويتفقهوا، فإذا رجع النافرون إليهم أخبروهم بما سمعوا وعلموه وفي هذا إيجاب التفقه في الكتاب والسنة ، وأنه على الكفاية دون الأعيان . ويدل عليه أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٤) فدخل في هذا

^١ - مناقب الفاروق ابن الجوزي ص ١٨٦ ، تحقيق الدكتورة زينب إبراهيم ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

^٢ - المرجع السابق ص ١٩٩

^٣ - التوبة آية ١٢٢

^٤ - النحل آية ٤٣

من لا يعلم الكتاب والسنن) ^(١) .

وكان الصحابة رضي الله عنهم يفتخرون بكثرة ما تعلموه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفى به شرفاً ونبلاً فهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقول (فلقد قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة ولقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أعلمهم بكتاب الله ولو أعلم أن أحداً أعلم مني لرحلت إليه) ^(٢) .

إن كلام بن مسعود رضي عنه يبين شرف الرحلة في طلب العلم فمع أنه حمل الكثير من العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لو وجد أحداً له زيادة مما عنده أو سمع به لقصده ليطلب العلم عنده . وهو الذي يقول (الفقهاء قادة ومجالستهم زيادة) ^(٣) في العلم والمعرفة ، فحري بطالب العلم أن يجالس العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ليرث منهم ما ورثوه وأيضاً يورثه غيره في حياته كما حث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذا التوارث بقوله (تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن سمع منكم) ^(٤) .

والعلوم تتفاوت وتتفاضل وتتقدم وتتأخر بحسب الحاجة والضرورة والأولويات ، وأفضل ما يقدمه طالب العلم في مسألة التعلم والتعليم القرآن الكريم لقوله صلى الله عليه وسلم (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) ^(٥) ، وقوله (الماهر بالقرآن مع الكرام البررة) ^(٦) كما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس (وقال اللهم علمه الكتاب) ^(٧) ثم السنة لأنها شارحة للكتاب ومبينة له .

وقد حث صلى الله عليه وسلم بالتفقه في السنة وحفظها فقال (نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وحفظها ثم أداها إلى من لم يسمعها فرب حامل فقه غير

^١ - انظر الجامع لأحكام القرآن القرطبي ج ٤ ص ٢١٠ ، طبع سنة ١٤١٤هـ دار الفكر

^٢ - رواه مسلم كاتب فضائل الصحابة ٤٤ باب فضل عبدالله بن مسعود وأمه ٢٢ حديث ٢٤٦٢ ص ٩٩٨

^٣ - انظر : سير أعلام النبلاء الذهبي ج ١ ص ٤٩٧

^٤ - رواه أبو داود في كتاب العلم ٢٤ ، باب فضل نشر العلم ١٠ ، حديث ٣٦٥٩ ، ص ٤٠٤ ، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود صحيح ج ٢ ص ٦٩٧

^٥ - رواه البخاري كتاب فضائل القرآن ٦٦ باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ٢١ حديث ٥٠٢٧ ص ١٠٩٣

^٦ - رواه البخاري كتاب التوحيد ٩٧ باب ٥٢ ، وضعه في ترجمة الباب ص ١٥٨٥

^٧ - رواه البخاري كتاب العلم ٣ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "اللهم علمه الكتاب" ١٧ حديث ٧٥ ص ٢٢

فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم إخلاص العمل لله والنصح لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحوط من ورائهم (١) .

ومع التفقه في الكتاب والسنة فليُنظر طالب العلم إلى العلوم الأخرى وليأخذ منها ما يفيده ويفيد مجتمعه في أمور دينه ودنياه (ولتكن همته في طلب العلم عالية فلا يكتفي بقليل العلم مع إمكان كثيره ولا يقنع من إرث الأنبياء صلوات الله عليهم بيسيره ولا يؤخر تحصيل فائدة تمكن منها أو يشغله الأمل والتسويف عنها فإن للتأخير آفات ولأنه إذا حصلها في الزمن الحاضر حصل في الزمن الثاني غيرها (٢)

١- أحمد في المسند ج ٤ ص ٨٢ ، قال الأرئوط : صحيح لغيره ، ج ٢٧ ص ٣١٩ ، وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير ، صحيح ، ج ٢ ص ١١٤٥ .

٢- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ، ابن جماعة ص ١٣٣ ، دار الكتب العلمية ، دون تاريخ طبع

الفرع الثاني : أهمية بعثات المعلمين في نشر الدعوة :-

إن من أعظم عوامل الحفاظ على مكتسبات الدعوة ونشرها التعليم والتربية الهادفة ، على أيدي معلمين أكفاء تربوا على المنهج القويم وتفانوا في نشره والذود عنه بكل غال ونفيس .

(ومن أمعن النظر علم أن الدعوة إلى الله حياة الأديان وإنه ما قام دين من الأديان ، ولا نشر مذهب من المذاهب ولا ثبت مبدأ من المبادئ إلا بالدعوة ، وما تداعت أركان ملة بعد قيامها ، ودرست رسوم طريقة بعد ارتفاع أعلامها وتلاشت نزعة من النزعات بعد إحكامها إلا بترك الدعوة ، فالدعوة حياة كل أمر عام تدعى إليه الأمم والشعوب سواء أكان ذلك الأمر حقاً أو باطلاً .

ولقد علمنا التاريخ أنه ما أحد يدعو إلى شيء إلا وجدله أنصاراً وأتباعاً، وهانحن أولاء نرى المذاهب الباطلة تنمو بالدعوة والمذاهب الحقة ياهمال الدعوة تتضاءل - ولو كان الحق يقوم بنفسه وينشر بذاته لأنه الحق لما فرضت علينا الدعوة إليه بأنها أحسن القول^(١) ولما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يذكر للناس أن طريقته التي يسلكها هو ومن كان على قدمه ، إنما هي الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة .

قال تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٢) (٣) .

وقد اهتم صلى الله عليه وسلم بمجال بعثات المعلمين والدعاة لما له الأثر العظيم في نشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها فما قدم عليه وافد أو وفد من قبيلة أو منطقة فأسلم إلا أعطاه الوصايا الإيمانية وعلمه ثم رده إلى قومه دعياً ومعلماً أو بعث معهم من يعلمهم أمور دينهم .

١- يشير إلى قوله تعالى (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) فصلت آية: ٣٣-

٢- يوسف آية ١٠٨

٣- انظر: هداية المرشدين ، الشيخ علي محفوظ ص ١٤

وكان من أوائل الوافدين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الطفيل بن عمرو الدوسي السذي قال بعد أن أسلم وأخذ قسطاً من العلم (يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي وأنا راجع إليهم ، وداعيهم إلى الإسلام) ^(١)

فلما رجع قام بنشر الدعوة في أوساطهم والحفاظ على مكتسباتها وكان لدعوته أهمية كبيرة في قومه ، حيث قدم السنة السابعة من الهجرة إلى المدينة ومعه سبعين أو ثمانين بيتاً من قومه ، ولحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة خيبر فأسهم لهم مع المسلمين ^(٢) .

وأول مبعوث للدعوة والتعليم من أهل مكة كان مصعب بن عمير مع وفد الأنصار الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الأولى (فلما انصرف عنه القوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير ابن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين، فكان يسمى المقرئ بالمدينة) ^(٣) .

وقد كان لتربية وتعليم مصعب بن عمير رضي الله عنه الأهمية والدور الكبير بعد عون الله تعالى في التحول والنقلة الكبيرة التي حصلت في المجتمع المدني من الشرك إلى الإسلام في أعداد غفيرة وساعده في ذلك تأثيره على رؤساء القبائل بصدوره الرحب وأخلاقه العالية وبعد النظر السياسي الذي كان يتمتع به ، مع مساعدة أسعد بن زرارة له في اختيار المواقع والتعريف بالشخصيات المؤثرة في المجتمع .

فعندما كان أسيد بن الحضير في طريقه إليهما بقصد النهي عن الدعوة أبصر به أسعد فقال لمصعب (هذا سيد قومه، وقد جاءك، فأصدق الله فيه ..) فلما وقف عليهما - "متشتماً" قال له مصعب - أو تجلس فتسمع فإن رضيت

١- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٨٣

٢- انظر: المرجع السابق ج ١ ص ٣٨٥

٣- المرجع السابق ج ١ ص ٤٣٤، وانظر : عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير ابن سيد الناس ج ١ ص

١٥٨ طبع سنة ١٣٥٦هـ - مكتبة القلوس القاهرة

أمراً قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكره قال أنصفت.. فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن.. فأسلم ثم جاء سعد بن معاذ باستدراج أسيد ابن الحضيرله وقال له مصعب مثل ما قال لأسيد فأسلم ثم ذهب إلى قومه — فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيا وأميننا نقيبة .

قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال : فوالله ما أمسى في دار بن عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة (١) والله الحمد والمنة .

ولما عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم راية الجهاد لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أمره أن يبدأ بالدعوة والتعليم والتبشير بالإسلام قبل أن يبدأ بالقتال وبين له فضل ذلك فقال (انفر على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً وحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم) (٢) .

فالحديث دل على عظم ثواب من اهتدى على يديه شخص فكيف إذا كان العدد كبيراً ؟ لا شك من أن الأجر يتضاعف بقدر تضاعف العدد ، والله يضاعف لمن يشاء .

وعندما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى اليمن داعياً ومعلماً كشف له حال القوم الذين يقدم إليهم كما أوضح له أولويات الدعوة والتعليم فقال : (إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم . فإنه ليس بينها

١- السيرة النبوية ابن كثير ج ٢ ص ١٨٤ ، بتصرف

٢- رواه البخاري كتاب المغازي ٦٤ باب غزوة خيبر ٣٩ حديث ٤٢١٠ ص ٨٦٩

وبين الله حجاب (١) ، هذه توجيهات وإرشادات نبوية منهجية في الدعوة والتعليم تلقاها المبعوث النبوي إلى اليمن كي يطبقها على أرض الواقع .

وقد اختاره صلى الله عليه وسلم لهذه المهمة الكبيرة بعد أن رباه بالعلم والأدب وشهد له بأنه أعلم الأمة بالحلال والحرام حيث قال صلى الله عليه وسلم (وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ) (٢)

وعندما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمن إلى إقليمين بعث إليها أبا موسى ومعاذ بن جبل كل واحد على إقليم وقال لهما .

(يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا ، فانطلق كل واحد منهما إلى عمله) (٣) بعد أن تزود بالتوجيهات السديدة وأساليب التعليم الرفيعة ، والحكم البديعة من التيسير والتسهيل والتشويق والتبشير الذي يبعث في نفس المتعلم الرغبة والاجتهاد في التحصيل العلمي .

والتفاعل مع المعلم ، وهذا الأسلوب له أهمية كبيرة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة لأنه يجيب ويشوق المستمع إلى الاستزادة بقلب رحب . قال ابن حجر رحمه الله (والمراد تأليف من قرب إسلامه وترك التشديد عليه في الابتداء وكذلك الزجر عن المعاصي ينبغي أن يكون بتلطف ليقبل ، وكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدرج لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حجب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانيساط ، وكانت عاقبته غالباً بالازدياد ، بخلاف ضده) (٤) ، وهو أسلوب التعسير والتنفير الذي كان يحذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويغضب إن بلغه أن أحداً استخدمه ، وإن كان ذلك غير مقصود كما في حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه (قال : قال رجل يا رسول الله لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في موعظة أشد غضباً من يومئذ فقال :

١- رواه البخاري كتاب الزكاة ٢٤٤ باب وجوب الزكاة ١ حديث ١٣٩٥ ص ٢٧٦ ، ومسلم كتاب الإيمان ١ باب

الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ٧ حديث ٢٩ ص ٤٢ .

٢- رواه ابن ماجه في المقدمة باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ١١ ، حديث ١٥٤ ، ص :

٣٣ ، قال الألباني في صحيح ابن ماجه : صحيح ، ج ١ ص ٣١ .

٣- رواه البخاري كتاب المغازي ٦٤ باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ٦١ حديث ٤٣٤١ ص ٨٩٢

٤- فتح الباري ابن حجر ج ١ ص ١٩٧

يا أيها الناس إنكم منفرون فمن صلى بالناس فليخفف فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة (١)

والمقصود تحبيب الناس إلى الدعوة ومراعاة ظروفهم والحفاظ عليهم .
ومن الوفود التي اختارها رسول الله صلى الله عليه وسلم معلماً وفد بني سعد هذيم من قضاة سنة تسع الذين قالوا (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيدينا على الإسلام ثم انصرفنا إلى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبنا فأتي بنا إليه فتقدم صاحبنا فبايعه على الإسلام فقلنا يا رسول الله إنه أصغرنا وإنه خادمنا فقال أصغر القوم خادمهم بارك الله عليه قال فكان والله خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له ثم أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فكان يؤمننا .
ولما أردنا الانصراف أمر بلالاً فأجازنا بأواق من فضة لكل رجل منا فرجعنا إلى قومنا فرزقهم الله الإسلام (٢) فالمعيار هنا الكفاءة والرغبة في العلم وتبليغه للناس وليس السن والمكانة الاجتماعية لأن المجال مجال دعوة وتعليم فيحتاج إلى القدوة وتأليف الناس بكل الوسائل المرغوبة في الإسلام .

ومن البعثات التي كان لها أهمية كبيرة في مجال الدعوة والتعليم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني حارث بن كعب بنجران في ربيع الآخر أو جمادى الأولى سنة عشر فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا (فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وبذلك كان أمره رسول الله إن هم أسلموا ولم يقاتلوا .. ثم جاء خالد بوفدهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما عادوا بعث إليهم — عمرو بن حزم ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ويأخذ منهم صدقاتهم (٣) ولا شك من أن ذلك كان له أهمية كبيرة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة ونشرها .

وهذا المنهج كان يستخدمه صلى الله عليه وسلم مع جميع الوفود غالباً فيما أن يعث معهم من يعلمهم أو يعلمهم ويوكل عليهم تعليم من وفدوا من عندهم وقد اتخذ صلى الله

١- رواه البخاري كتاب العلم ٣ باب الغضب في الموعدة والتعليم إذا رأى ما يكره ٢٨ حديث ٩٠ ص ٢٥

٢- عيون الأثر ج ٢ ص ٢٤٨

٣- سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٥٩٢-٥٩٤ ، وانظر: تاريخ خليفة بن خياط ص ٩٤

عليه وسلم هذا المنهج في وقت مبكر كما مرت أمثلة ذلك مع الطفيل بن عمرو ومصعب بن عمير وغيرهما .

وفي السنة الثالثة (قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل والقارة فقالوا : يا رسول الله إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفرأ من أصحابك يفقهونا في الدين ويقرئونا القرآن ، ويعلمونا شرائع الإسلام ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نفرأ ستة من أصحابه وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم مرثد بن أبي مرثد ، فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع - ماء لهذيل بناحية الحجاز .. غدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلأ . فأما مرثد وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت، فقاتلوا فقتلوا ، وأما حبيب وعبد الله ابن طارق وزيد بن الدثنة، فأعطوا بأيديهم فأسروا ، ثم خرجوا بهم إلى مكة حتى إذا كانوا بالظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القران ، وأخذ سيفه فرموه بالحجارة حتى قتله فقبره بالظهران وقدموا بحبيب وزيد بن الدثنة مكة فباعوهما ..) ^(١) على أهل مكة فقتلوهم، فهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم كانت مهمتهم تعليمية دعوية واستشهدوا في سبيل هذه المهمة الكريمة وأنعم بها من مهمة قال تعالى:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ^(٢)

وامتن الله على المؤمنين بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم معلماً ومزكياً قال تعالى ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزَكَّيَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ^(٣) ، ومن يوم أن بعث صلى الله عليه وسلم كان يباشر مهنة التعليم والدعوة في الحضر والسفر وفي كل وقت من أوقاته المباركة ويبعث المعلمين والدعاة .

وفي يوم عرفة في حجة الوداع عندما اجتمعت إلية وفود الحجيج من مناطق مختلفة خطب فيهم خطبته المشهورة التي أوضح وفصل فيها معظم أحكام الشريعة فقال (أيها الناس اسمعوا قولي فإنني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً .. ، وبعد أن علم جموع

^١ - انظر: تاريخ خليفة بن خياط ص ٧٤-٧٥

^٢ - فصلت آية ٣٣

^٣ - آل عمران آية ١٦٤

الوفود حقوق الله وحقوق العباد وما يجب عليهم تجاه ذلك قال صلى الله عليه وسلم (اللهم هل بلغت ؟ فذكر لي أن الناس قالوا : نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد) ^(١)، وقال صلى الله عليه وسلم (ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب) ^(٢) هذه الأدلة كلها تؤكد على أهمية التعليم في الحفاظ على مكتسبات الدعوة ونشرها بين الناس، وقد أوكل صلى الله عليه وسلم هذه المهمة إلى الصحابة رضوان الله عليهم فقاموا بها خير قيام وقد قال : رافع بن أبي رافع الطائي لأبي بكر رضي الله عنه (يا أبا بكر إنما صحبتك لينفعني الله بك فانصحنى وعلمني قال : لو لم تسأل ذلك لفعلت قال آمرك أن توحد الله لا تشرك به شيئاً و أن تقيم الصلاة و أن تؤتي الزكاة و تصوم رمضان و تحج هذا البيت و تغتسل من الجنابة...) ^(٣) .

فبين أبو بكر رضي الله عنه لرافع أن هذه مهمته ولو لم يسأله عنها لقام بها . وعند ما اتسعت الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام والعراق اهتم الفاروق رضي الله عنه بالبعثات التعليمية وكان التعليم من أهم مهمات أمراء الأمصار عنده ، (وخطب الناس يوم الجمعة فقال اللهم أشهدك على أمراء الأمصار أني إنما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم وأن يقسموا بينهم فيأهم وأن يعدلوا فإن أشكل عليهم شيء رفعوه لي) ^(٤) كما أمر أمراء الأجناد أن يحضروا له أعداد حفظ القرآن الكريم ليوزعهم في البلاد المفتوحة بعد أن يخصص لهم الرواتب ليقوموا بمهمة التعليم فقال: (ارفعوا إلي كل من حمل القرآن حتى ألحقهم في الشرف من العطاء، وأرسلهم في الأفاق يعلمون الناس فكتب إليه الأشعري رضي الله عنه أنه بلغ من قبلي من حمل القرآن ثلاثمائة وبضع رجال) ^(٥)

١- سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٦٠٤، وعيون الأثر ابن سيد الناس ج ٢ ص ٢٧٥

٢- رواه البخاري كتاب العلم ٣ باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب ٣٧ حديث ١٠٤ ص ٢٨

٣- سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٦٢٤

٤- تاريخ الأمم الإسلامية الشيخ محمد الخضري بك ج ٢ ص ١١

٥- حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي ج ٣ ص ٢٣٣، ط، ٥- ١٤٠٧هـ، دار القلم

وكان الفاروق رضي الله عنه يختار للبعثات التعليمية من خيرة فقهاء الصحابة أمثال أبي موسى الأشعري الذي يقول (إن أمير المؤمنين عمر بعثني إليكم أعلمكم كتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم، وأنظف لكم طرقكم) ^(١)

ومن هؤلاء الصحابة الذين بعثهم عمر لمهمة التعليم معاذ و أبو عبادة وأبو الدرداء إلى الشام ^(٢) و عمار بن ياسر و ابن مسعود إلى الكوفة، ^(٣) وعمران بن الحصين إلى أهل البصرة ^(٤) و قد قام هؤلاء الصحابة وغيرهم بمهمة الحفاظ على مكتسبات الدعوة ونشرها خير قيام فعاشت الأمة الإسلامية في تلك الفترة في نهضة علمية وازدهار في جميع النواحي مع وحدة الصف والتمكين في الأرض مما جعل تلك الفترة أمل المسلمين الذي يتطلعون إليه في كل عصر.

١- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج ١ ص ٢٥٧، ط ٢- ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، دار الكتاب العربي بيروت

٢- سير أعلام النبلاء الذهبي ج ٢ ص ٢٤٤

٣- انظر: الطبقات الكبرى ابن سعد ج ٦ ص ٧

٤- سير أعلام النبلاء الذهبي ج ٢ ص ٥٠٨

الفرع الثالث : النهي عن كتمان العلم:

مما لاشك فيه أن كتمان العلم وعدم تبليغه لمن يحتاج إليه ينافي أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة، وقد وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تحذر من ذلك قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾^(١) قال: الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية .

(الميثاق هو العهد الثقيل المؤكد، وهذا الميثاق أخذه الله تعالى على كل من أعطاه الله الكتب وعلمه العلم ، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله ، ولا يكتُمهم ذلك ، ويخجل عليهم به، خصوصاً إذا سألوه ، أو وقع ما يوجب ذلك ، فإن كل من عنده علم ، يجب عليه في تلك الحال، أن يبينه ، ويوضح الحق من الباطل)^(٢) وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾^(٣)

قال : ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية (هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة ، واهدى النافع للقلوب من بعد ما بينه الله تعالى لعباده في كتبه التي أنزلها على رسله)^(٤) وقال الشوكاني رحمه الله : (فيه الإخبار بأن الذي يكتم ذلك ملعون ، واختلفوا من المراد بذلك ؟ فقيل أحبار اليهود و رهبان النصارى الذين كتموا أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل كل من كتم الحق وترك بيان ما أوجب الله سبحانه ، وهو الراجح لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما تقرر في الأصول ، فهلى فرض أن سبب التزول ما وقع من اليهود والنصارى من الكتم فلا ينافي ذلك تناول هذه الآية من الوعيد الشديد ما لا يقادر قدره ، فإن من لعنه الله ولعنه كل من يتأتى منه

١- آل عمران آية ١٨٧

٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ عبد الرحمن السعدي ص ١٢٧

٣- البقرة آية ١٥٩

٤- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ج ١ ص ٢٠٠

اللعن من عباده قد بلغ من الشقاوة والخسران إلى الغاية التي لا تلحق ولا يدرك كنهها^(١) و قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(٢)

(هذا وعيد شديد لمن كتم ما أنزل الله على رسله من العلم الذي أخذ الله الميثاق على أهله أن يبينوه للناس ولا يكتُمون) ^(٣) .

وقد ورد الوعيد في قوله صلى الله عليه وسلم (من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار)^(٤) وقال صلى الله عليه وسلم أمراً بتبليغ العلم (ليبلغ الشاهد الغائب)^(٥) ، فحري بالعالم وطالب العلم أن يبادر بالتعليم ورفع الجهل عن الآخرين وتبصيرهم في دينهم ليتجنب الوعيد المترتب على كتمان العلم ، ولا شك أن الشخص الذي يكتُم العلم يضر نفسه قبل الآخرين لأن العلم يزيد بالتعليم الإنفاق ونشره بين الناس ، والكتمان والإمساك يجعله معطلاً حتى يتلاشى ويندرس ويصير صاحبه من جملة العامة ، فهذه عقوبة عاجلة ، مع العقوبات الأخرى المترتبة على كتمان العلم قال الإمام النووي: رحمه الله (واعلم أن التعليم هو الأصل الذي به قوام الدين وبه يؤمن إحقاق العلم ، فهو من أهم أمور الدين وأعظم العبادات وأكد فروض الكفايات .. وإجماع منعقد عليه ، ويجب على المعلم أن يقصد بتعليمه وجه الله تعالى)^(٦) ويقوم بمهمة الحفاظ على مكتسبات الدعوة وأيضاً فإن العلم نعمة من أعظم النعم ولا يتحقق شكر هذه النعمة إلا بتبليغها وإيصالها لمن يحتاجها ونسأل الله التوفيق على ذلك .

١- فتح القدير الشوكاني ج ١ ص ١٦١

٢- البقرة آية ١٧٤

٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان الشيخ عبد الرحمن السعدي ص ٦٥ .

٤- رواه ابن ماجة في المقدمة باب من سئل عن علم فكتمه ٢٤ حديث ٢٦٦ ص ٤٤ ، قال الألباني في صحيح ابن ماجة

صحيح ج ١ ص ٤٩

٥- رواه البخاري كتاب العلم ٣ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم " رب مبلغ أوعى من سامع " ٩ حديث ١٧ ص ١٩

٦- انظر المجموع شرح المهذب للنووي ج ١ ص ٣٠ ، دار الفكر ، بدوت ذكر الطبعة وتاريخ الطبع

المبحث الثاني : إقامة مؤسسات التعليم حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المطلب الأول : الكتاب

المطلب الثاني : البيوت

المطلب الثالث : المساجد

المطلب الأول : الكتابات

(الكتاب موضع تعليم الكتاب ،الجمع الكتابات) (١)

(وجد هذا النوع من الكتابات قبل ظهور الإسلام ولو أنه كان قليل الانتشار) (٢)
وقد ذكروا في قصة ابتكار و ظهور كتابة الخط العربي أنه (اجتمع ثلاثة نفر من طيء ببيعة وهم مرار بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة فوضعوا الخط وقاموا هجاء العربية على هجاء السريانية ، فتعلمه منهم قوم من أهل الأنبار ، ثم تعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار ، وكان بشر بن عبد الملك أخو أكيدر ابن عبد الملك بن عبد الجن الكندي ثم السكوني صاحب دومة الجندل يأتي الحيرة فيقيم بها الحين وكان نصرانياً فتعلم بشر الخط العربي من أهل الحيرة ، ثم أتى مكة في بعض شأنه فرأه سفيان بن أمية بن عبد الشمس وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب يكتب فسألاه أن يعلمها الخط فعلمها الهجاء ، ثم أراها الخط فكتبها) (٣)

فهذا يعد أول ظهور كتابة الخط العربي في مكة ثم انتشر بعد ذلك في سائر الجزيرة العربية وعند ظهور الإسلام كان أهل مكة أوفر حظاً في الكتابة من أهل المدينة ويدل على ذلك انه (دخل الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب) (٤) .
وأوضح ابن سيد الناس في قصة فداء أسرى بدر تفوق أهل مكة على أهل المدينة في الكتابة فقال : (وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون فمن لم يكن عنده فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم فإذا حذقوا فهو فداؤه) (٥)

١-لسان العرب ابن منظور مادة كتب ، ج ١ ص ٦٩٩ ،

٢- تاريخ التربية الإسلامية د/ أحمد شلبي ص ٤٤ ، ط ٢ - ١٩٦٦ م ، مكتبة النهضة المصرية

٣- فتوح البلدان ، البلاذري ص ٤٥٦

٤- وهم عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وطلحة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وحاطب بن عمرو وأخو سهل بن عمرو العامري عن قريش ، وأبوسلمة بن عبد الأسد المخزومي ، وأبان بن سعيد بن العاصي بن أمية ، وخالد بن سعيد أخوه ، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح العامري وحويطب بن عبد العزى العامري ، وأبو سفيان بن حرب بن أمية ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وجهم بن الصلت بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف ، ومن حلفاء قريش العلاء بن الحضرمي ، انظر: المرجع السابق ص ٤٥٧ ،

٥- عيون الأثر ابن سيد الناس ج ١ ص ٢٨٦

وليس ذلك أن أهل المدينة كلهم أميون إنما هذا هو حال الغالبية فيهم ولهذا (كان الكتاب بالعربية في الأوس والخزرج قليلا ، وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية ، وكان تعلمه الصبيان بالمدينة في الزمن الأول فحاء الإسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون)^(١) مما يبين على أنه كان هناك اهتمام لا بأس به في الجاهلية تجاه الكتابة العربية مع تفاوت هذا الاهتمام من بلد لآخر.

أما الإسلام حين ما جاء رفع شأن القراءة والكتابة وعظم مكانها وأكثر من الاهتمام بها وفي أول سورة نزلت من القرآن الكريم نجد الأمر بالحث على القراءة ، وذكر القلم الذي يخط ويكتب قال تعالى ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾^(٢) (علمه بالقلم الذي به تحفظ العلوم وتضبط الحقوق وتكون رسلاً للناس تنوب مناب خطاهم)^(٣) .

وأيضاً (لولا الكتاب "الكتابة" لا احتلت أخبار الماضين وانقطعت آثار الغائبين ، وإنما اللسان للشاهد لك والقلم للغائب عنك والماضي قبلك والغابر بعدك فصار نفعه أعم والدواوين إليه أفقر)^(٤) ، فلهذا الضرورة للكتابة والقراءة متأكدة والحاجة ماسة و (القرآن قد احتوى آيات عديدة ذكرت فيها أدوات الكتابة والقراءة من كتب وقرطاس وورق وصحف وأقلام ومداد وسجلات كما نرى في الآيات التالية قال تعالى ﴿ أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ بِرُفُوقِكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرؤه ﴾^(٥) وقال تعالى ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْتَرْوُونَ ﴾^(٦) وقال تعالى ﴿ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَمْنَهُ طَبْرِهٖ فِي

١- وهم سعد بن عباد بن دليم ، والمنذر بن عمرو ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، فكان يكتب العربية والعبرانية ، ورافع بن مالك ، وأسيد بن حضير ، ومعن بن عدي البلوي حليف الأنصار ، وبشير بن سعد ، وسعد بن الربيع ، وأوس بن حولى ، وعبد الله بن أبي المنافق "انظر: فتوح البلدان ص ٤٥٩

٢- العلق الآيات ١-٥

٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان الشيخ عبد الرحمن السعدي ص ٨٦٠

٤- تاريخ التربية الإسلامية ، د/ أحمد شليبي ص ٤٥

٥- الإسراء آية ٩٣

٦- القلم آية ١

عُنُقِهِ^ط وَخُرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿٣﴾ أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ
عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١﴾

ولقد وردت كلمات الكتابة ومشتقاتها في القرآن نحو ثلاثمائة مرة ونيف ، وكلمة القراءة ومشتقاتها نحو تسعين مرة ونيف بأساليب مختلفة (٣) ، كما أن هناك آيات أخرى تلزم وتحث المسلمين أن تكون عقودهم ومعاملاتهم مكتوبة مما يزيد في أهمية الكتابة والقراءة وكل إنسان بطبيعة الحال محتاج للتعامل مع الآخرين قال تعالى ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُكُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ﴿٣﴾ ، وقال تعالى ﴿ * وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴿٤﴾ ﴿٤﴾ ويقول الله تعالى في كتابة الأرقاء ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ بِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴿٥﴾ ﴿٥﴾ .

كما وردت أحاديث تحث على الكتابة منها حديث الوصايا الذي يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم (ماحق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا وصيته مكتوبة عنده) (٦) ، هذه النصوص بمجملها تدل على أهمية الكتابة والقراءة في حياة المجتمع والحفاظ على مكتسباته ومنافعه الخاصة والعامة ما يتعلق منها بأمر دينه ودنياه .

١- الإسراء الآيات ١٣-١٤

٢- معاهد التعليم الإسلامي د/ سعيد إسماعيل علي ص ٨٠ ، طبع عام ١٩٧٨ م ، دار الثقافة القاهرة

٣- البقرة آية ٢٨٢

٤- البقرة آية ٢٨٣

٥- النور آية ٣٣

٦- رواه البخاري كتاب الوصايا ٥٥ باب الوصايا ١ حديث ٢٧٣٨ ص ٥٥٤

وكان رسول الله صلى عليه وسلم يختار لمهمة تعليم - الكتابة المهرة أصحاب الخطوط الجميلة والجذابة أمثال عبد الله بن سعيد بن العاص (١) الذي (أمره أن يعلم الكتابة بالمدينة وكان كاتباً محسناً) (٢) .

وتعليم الكتابة والقراءة لا يشترط فيها أن يكون المعلم مسلماً كما كان حال أسرى بدر الذين لم يستطيعوا دفع الفداء فاشترط فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تعليم فتيان المدينة كما سبق (٣) .

وأيضاً عندما فتح خالد بن الوليد الأنبار - صلحاً سنة اثني عشرة من الهجرة وبعد أن دخل المدينة واطمأن بها (تعلم الصحابة ممن بها من العرب الكتابة العربية وكان أولئك العرب قد تعلموها من عرب قبلهم وهم بنو إباد ، كانوا بها في زمن يختصر حين أباح العراق للعرب ، وأنشدوا خالداً قول بعض أياد يمتدح قومه

قومي إباد لو أنهم أمم أو لو أقاموا فتهزل النعم
قوم لهم باحة العراق إذا ساروا جميعاً واللوح والقلم (٤) .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة أن يتعلموا اللغات السائدة في المجتمعات للاستفادة منها في التعامل مع تلك المجتمعات ، كما أمر زيد بن ثابت أن يتعلم العربية والسريانية وكان عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة عمره إحدى عشرة سنة قال زيد رضي الله عنه (أتي بي النبي صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ، فقالوا : يا رسول الله هذا غلام من بني النجار ، وقد قرأ مما أنزل عليك سبع عشرة سورة فقرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعجبه ذلك وقال : يا زيد تعلم لي كتاب يهود ، فإني والله ما أمنهم على كتابي " قال : فتعلمته فما مضى لي نصف شهر حتى حفزته ، وكنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كتب إليهم ، وقال أيضاً: (قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم

١- كان اسمه في الجاهلية الحكم فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله قتل يوم بدر شهيداً ، وقيل يوم مؤتة وقال : أبو معشر استشهد يوم اليمامة ، انظر: الاستيعاب ابن عبد البر القسم الثالث ص ٩٢٠ ، مكتبة نهضة مصر

٢- المرجع السابق ص ٩٢٠

٣- في ص ١٦٥

٤- البداية والنهاية ، ابن كثير ج ٦ ص ٣٥٣

أتحسّن السريانية؟ قلت: لا قال "فتعلمها" فتعلمتها في سبعة عشر يوماً^(١)، اكتشف رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيد موهبة الذكاء والفتنة وسرعة الحفظ فوجهه في مهمة تعلم اللغات الأجنبية التي أجادها في زمن وجيز ولم تشغله عن العلوم الشرعية التي فاق فيها أقرانه رضي الله عنه يدلنا هذا وغيره. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يختار الرجل المناسب للمكان المناسب، ويوجه أصحابه حسب ما يكتشف عليهم من المواهب والخبرات.

والكتاتيب من هذا النوع الذي هو تعلم الكتابة لا توجد أدلة تشير على موقع إقامته في تلك الفترة.

هل كان في أفنية المساجد؟ أم في البيوت؟ أم كان له موقعاً مستقلاً؟

أما النوع الثاني من الكتاتيب:

هو الذي يختص بتعليم القرآن ومبادئ الإسلام فالغالب فيه كان في البيوت والمساجد في تلك الفترة كما سيأتي بيان ذلك في الصفحات التالية

^١ - سير أعلام النبلاء، الذهبي ج ٢ ص ٤٢٨-٤٢٩

المطلب الثاني: البيوت :

المؤسسة الثانية من مؤسسات التعليم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين رضی الله عنهم هي البيوت .
والبيوت من المؤسسات المهمة التي لا ينبغي الاستهانة بوظيفتها في مجال الدعوة والتعليم ، لأنها المدارس الأولية التي يترعرع فيها الأطفال تحت كنف الأبوين قال : صلى الله عليه وسلم (ما من مولود إلا يولد إلا يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء)^(١) ، فالبيت الذي ينشأ فيه الطفل له كبير الأثر في تحديد السلوك ، لذا كانت مسؤولية الوالدين كبيرة في حيات الأبناء ، وتربيتهم على طاعة الله ورسوله قال : صلى الله عليه وسلم (الرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها..)^(٢) ، فمتى كان هذا البيت بيتاً مبنياً على قواعد الإسلام وركائز الإيمان ومحاسن الشريعة ومكارم الأخلاق كان مدرسة لكل من ينتمي إليه أو يتعامل معه.

الفرع الأول : البيوت في العهد المكي

وأول هذه البيوت الذي كان مؤسسة من مؤسسات التعليم بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان مدرسة الإسلام ومنبع الإيمان ومنار العلم والمعرفة وقبلة الإسلام فقد كان يؤمه كل مسلم ومن يريد أن يسلم لينهل من معينه الصافي مبادئ الإسلام ومعرفة الأحكام وعموم شرائع الإسلام ويمكن ضرب بعض الأمثلة في ذلك .

فعندما أسلم خمسة من الأوائل على يد أبي بكر رضي الله عنه وهم (الزبير بن العوام وعثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم .. انطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم أبو بكر ، فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن ، وأنبأهم بحق الإسلام فآمنوا)^(٣) وأيضاً ما جاء في الإسلام الطفيل بن عمرو

١- رواه البخاري كتاب الجنائز ٢٣ باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام

٧٩ حديث ١٣٥٨ ص ٢٦٧

٢- رواه البخاري كتاب الجمعة ١١ باب الجمعة في القرى والمدن ١١ حديث ٨٩٣ ص ١٧٦

٣- السيرة النبوية ابن كثير ج ١ ص ٤٣٦

الدوسي الذي حذرتة قريش من الاستماع لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه ساحر ولكن رغم أنهم أسمعه الله منه قال : الطفيل رضي الله عنه (فلما انصرف تبعته ، فدخلت معه بيته فقلت يا محمد إن قومك جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا فأخبرته بما قالوا وقد أبى الله إلا أن أسمعني منك ما تقول وقد وقع في نفسي أنه حق فاعرض عليّ دينك فعرض علي الإسلام فأسلمت)^(١) ، وجاء في إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه إنه انطلق خلف علي رضي عنه (يقفوه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ودخل معه فسمع من قوله وأسلم مكانه)^(٢) ، وأيضاً طلبت قريش من الحصين والد عمران بن الحصين أن يكف عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يعظمونه فجاء فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش وقفوا خلف الباب وعمران بن الحصين وأصحابه كانوا في البيت فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوسعوا للشيخ وعرض عليه الإسلام فأسلم (فلما أراد أن يخرج قال : لأصحابه قوموا فشيعوه إلى منزله فلما خرج من سرّة الباب رأته قريش فقالوا : صبأ وتفرقوا عنه)^(٣) ، فبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المهد والمخضن الذي نشأت فيه الدعوة ومنه أضياء إشعاع نورها في مكة ليشمل بيوت من هداهم الله للتوحيد ونور بصيرتهم واستمرت هذه المهمة الشريفة للبيت النبوي بيت الدعوة تتواصل في الفترة المكية مع مشاركة بيوت بعض الصحابة وذلك بسبب الظروف الأمنية التي كانت تحيط بالدعوة في تلك الفترة فانتقلت معظم المهمات الدعوية إلى بيت "الأرقم بن أبي الأرقم"^(٤) الذي اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم مقراً له ولأصحابه فالتف حوله المسلمون الأوائل يتذكرون كتاب الله ، وهو يعلمهم مبادئ الإسلام ويحفظهم ما يتنزل عليه من القرآن^(٥) ويأتي إليه من يريد أن يسلم مستخفياً من قريش كما جاء في قصة إسلام عمار بن ياسر وصهيب الرومي .

١- سير أعلام النبلاء ، الذهبي ج ١ ص ٣٤٥

٢- السيرة النبوية ، ابن كثير ج ١ ص ٤٤٨

٣- انظر: الإصابة ، ابن حجر ج ١ ص ٣٣٧، ط ١- ١٣٢٨هـ دار إحياء التراث العربي

٤- هذا البيت المبارك كان عند الصفا ، انظر: سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٥

٥- انظر: السنة قبل التدوين د/ محمد عجاج الخطيب ص ٤٧، ط ٢- ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، دار الفكر

(قال عمار : لقيت صهيباً على باب دار الأرقم ، وفيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلنا فعرض علينا الإسلام فأسلمنا ثم مكثنا يوماً على ذلك حتى أمسينا فخرجنا ونحن مستخفون) (١) ، ويبدو أن موقع هذا البيت كان بعيداً عن الأنظار ومحصناً لذلك اختاره صلى الله عليه وسلم من بين بيوت أصحابه وربما كان واسعاً ومهيئاً لاستيعاب عدد كبير لأن الصحابة الذين كانوا فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عددهم (قريب من أربعين بين رجال ونساء) (٢) .

ولاشك أن هذا العدد يحتاج إلى توفير بيت وسيع وآمن وقد توفر ذلك في بيت الأرقم ابن أبي الأرقم الذي شرف باستضافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم في أصعب المراحل التي مرت على الدعوة من تضيق ومطاردة لمن يسلم ومن البيوت التي ورد ذكرها في مجال التعليم بيت "سعيد بن زيد بن عمرو" الذي كانت مهمة التعليم فيه موكله إلى خباب بن الأرت من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإسلام أخته فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد جاء إليهما بقصد تنهيتهما عن الإسلام فوجد (عندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها "طه" يقرئهما إياها) (٣) ، فكان ذلك سبب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

هذه هي البيوت التي صرح بذكر أسمائها والتي كان يمارس فيها التعليم في الفترة المكية وربما كان هناك بيوتاً أخرى كانت تقوم بمهام اجتماعية وتعليمية لم تذكر أسماءها وردت الإشارة إليها في قول عمر رضي الله عنه (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين إذا أسلم عند رجل به قوة فيكونان معه ويصبيان من طعامه) (٤) .

الفرع الثاني : البيوت في العهد المدني

أما الفترة المدنية فقد تعددت فيها بيوت النبي صلى الله عليه وسلم فكان كل بيت يقوم بمهمة الدعوة والتعليم بحسب المطلوب والمهام والموكلة إليه دون ملل أو كلال وقد قال الله

١- سير أعلام النبلاء ، الذهبي ج ٢ ص ١٩

٢- عيون الأثر ، ابن سيد الناس ج ١ ص ١٢٤ ، وانظر : سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٣

٣- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٤٤ ، وعيون الأثر ، ابن سيد الناس ج ١ ص ١٢٤

٤- عيون الأثر ، ابن سيد الناس ج ١ ص ١٢٢

تعالى في حق أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (١) ، فأمر الله سبحانه وتعالى أن يخبرن بما ينزل من القرآن في بيوتهن وما يرين من أفعال النبي صلى الله عليه وسلم ويسمعن من أقواله حتى يبلغن ذلك إلى الناس فيعملوا ويقتدوا (٢) .

وقد قمن بهذه المهمة أتم القيام فكان (لأمهات المؤمنات فضل عظيم في تبليغ الدين ، ونشر السنة بين نساء المسلمين فقد كان بعض النساء يخجلن من أن يسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمورهن فيجدن عند أزواجه ما يشفي غليلهن ، لأنهن على صلة دائمة به يتعلمن منه الأحكام ، وينقلن عنه ما لا يتاح لغيرهن نقله) (٣) ومن ذلك (أن رجلاً قبل امرأته وهو صائم في رمضان فوجد من ذلك وجداً شديداً فأرسل امرأته تسأل له عن ذلك فدخلت على أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك لها فأخبرتها أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل وهو صائم ..) (٤) .

وكثيراً ما كان الصحابة والتابعون يسألون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أشكل عليهم فيجدون العلم الوافي والجواب الكافي لا سيما عائشة رضي الله عنها قال أبو سلمة (سألت عائشة عن غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجنابة ؟ فقالت كان يغسل يديه ثلاثاً ، ثم يغسل فرجه ثم يغسل يديه ثم يتمضمض ويستنشق ثم يصب على رأسه ثم يفرغ على سائر جسده) (٥)

وقد كان الصحابيات يأتين إلى بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألنه مباشرة فيجيبهن كما فعلت أم سليم رضي الله عنها عندما جاءت إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله (إن الله لا يستحي من الحق فهل على المرأة من غسل إذا

١- الأحزاب آية ٣٤

٢- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج ١٤ ص ١٦٧

٣- السنة قبل التدوين ، الدكتور محمد عجاج الخطيب ص ٦٩

٤- موطأ الإمام مالك ، كتاب الصيام ١٨ باب ٥ ج ١ ص ٢٤٣ ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ٢ ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، وقال: محمد فؤاد عبد الباقي: هذا مرسل عند جميع الرواة ، انظر، المرجع نفسه والصفحة

٥- رواه الإمام أحمد في المسند ج ٦ ص ١٤٣ ، قال الأرئوط : حديث صحيح ، الموسوعة الحديثية ج ٤٢ ص ٤٤

احتلمت ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأته الماء فغطت أم سلمة تعني وجهها وقالت يا رسول الله ، وتحتلم المرأة قال نعم تربت يمينك فبم يشبهها ولدها (١) ، هذه بعض الأمثلة للوظيفة التي كانت تقوم به بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم كمؤسسات تعليمية .

أيضاً كان هناك بيوت للصحابة في المدينة اتخذت كمؤسسات تعليمية ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال (جاء نسوة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن يا رسول الله ، ما تقدر - عليك في مجلسك من الرجال فواعدنا منك يوماً نأتيك فيه ، قال موعده كن بيت فلان ، وأتاهن في ذلك اليوم ، ولذلك الموعد ، قال: فكان مما قال لهن ، يعني " ما من امرأة تقدم ثلاثاً من الولد تحتسبنه إلا دخلت الجنة " فقالت امرأة منهن : أو اثنتان ؟ قال أو اثنتان (٢) فدل هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يخصص للنساء أوقاتاً وأماكن للدروس الخاصة التي تتعلق بواجباتهن الدينية وأمورهن الخاصة التي قد يصعب عليهن أن يسألن بها أمام الرجال ، ومع ذلك تقول عائشة رضي الله عنها (نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين) (٣) ، فهذه منقبة لنساء الأنصار تدل على حرصهن في التعليم ورفع الجهل عن أنفسهن حتى في الأمور التي غالب النساء يمنعهن الحياء من السؤال فيها ، لكن نساء الأنصار يخترقن حاجز الحياء من أجل الحفاظ على الدين والتفقه فيه .

ويمكن الاكتفاء بهذا من البيوت كمؤسسات تعليمية ليأتي دور الحديث عن مؤسسة أخرى تعالج نفس المجال وهي المساجد

١- رواه البخاري كتاب العلم ٣ باب الحياء في العلم ٥٠ حديث ١٣٠ ص ٣٤

٢- رواه الإمام أحمد في المسند ج ٢ ص ٢٤٦ ، والبخاري في كتاب العلم ٣ باب هل يجعل للنساء يوماً على حدة في العلم ٣٥ حديث ١٠١ ، ولفظه " قال النساء للنبي صلى الله عليه وسلم غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك ، فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن ، فكان فيما قال لهن " ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار " فقالت امرأة : واثنين؟ فقال: " واثنين " ص ٢٨

٣- أورده البخاري تعليقاً في كتاب العلم ٣ باب الحياء في العلم ٥٠ ص ٣٤

المطلب الثالث: المساجد :-

المساجد من المؤسسات الرائدة في مجال التعليم والإرشاد وتوجيه المجتمع في مصالح الدين والدنيا ، وتتوفر في المساجد من الظروف المناسبة ما لا يتوفر في غيرها من المؤسسات التعليمية ، من زوال الفوارق وروحانية الجو ، واجتماع الناس في اليوم خمسة مرات لأداء الصلوات المفروضة واجتماعهم في عيد الأسبوع يوم الجمعة لأداء الصلاة وغير ذلك من نوافل العبادات كالتراويح والتهجد والصلوات ذوات الأسباب كالخسوف والكسوف مع قيام المساجد مع غيره من المؤسسات بالجوانب التربوية والتعليمية .

وقد جاءت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تحث على بناء المساجد وتعميرها ونصوص أخرى تذكر عظم جريمة من منع ذكر الله في المساجد وسعى في خرابها قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَّ مَعَ مَسْجِدِ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) ، المراد بالمنع (منع من يأتي للصلاة والتلاوة والذكر وتعليمه . والمراد بالسعي في خرابها : هو السعي في هدمها ورفع بتيانها ، ويجوز أن يراد بالخراب تعطيلها عن الطاعات التي وضعت لها.. (٣) ، فإذا كان لا أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه فلا أعظم إيماناً ممن سعى في عمارة المساجد بالعمارة الحسية والمعنوية.. بل قد أمر الله تعالى برفع بيوته وتعظيمها وتكريمها فقال تعالى ﴿ فِي بُيُوتِ الَّذِينَ أُذِنَ لَهُمْ أَنْ تَرْفَعُوا وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ (٤) (٥) .

١- التوبة آية ١٨

٢- البقرة آية ١١٤

٣- فتح القدير ، الشوكاني ج ١ ص ١٣١

٤- النور آية ٣٦

٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ عبد الرحمن السعدي ص ٤٥

و أخبر صلى الله عليه وسلم عن ثواب من بنى لله مسجداً فقال: (من بنى مسجداً ...
 يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة)^(١)، وقال: صلى الله عليه وسلم (من بنى لله
 مسجداً ولو كمفحص قطاة لبيضاها ، بنى الله له بيتاً في الجنة)^(٢)، فهذه الأدلة توضح عظم
 ثواب بناء المساجد وتشبيدها وعمارتها ومضاعفة أجر من قام بذلك ابتغاء مرضاة الله عز
 وجل (ومما يدل على مكانتها شهود الملائكة لها والأمر بتزيينها من الروائح الكريهة لئلا
 تتأذى بها الملائكة والمصلون كما في حديث جابر رضي الله عنه قال: (نهي رسول الله صلى
 الله عليه وسلم عن أكل البصل والكرات فغلبتنا الحاجة فأكلنا منها فقال (من أكل من هذه
 الشجرة المنتنة فلا يقربن مسجداً فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس)^(٣))^(٤) وأيضاً
 أمر الله تعالى بأخذ الزينة ولبس الملابس الحسنة والنظيفة الساترة للعورات عند المجئ للصلاة
 في المساجد وغيرها قال تعالى ﴿ يَبْنِيْٓءَ اٰدَمَ حُدُوۡدًا زِيۡنَتِكُمْۙ عِيۡدًا كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوۡا
 وَاَشْرَبُوۡا وَلَا تُسْرِفُوۡاۙ اِنَّهٗ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيۡنَ ﴿٥﴾ .

ولمكانة المسجد كمؤسسة تربوية وتعليمية ، كان أول عمل قام به النبي صلى الله عليه وسلم
 عند قدومه المدينة مهاجراً بناء المسجد ، كما في الحديث الطويل الذي أورده البخاري في
 هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني
 عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة"^(١) وأسس المسجد الذي أسس على التقوى "^(٧) "

١- رواه البخاري في كتاب الصلاة ٨ باب من بنى مسجداً ٦٥ حديث ٤٥٠ ص ٩٦

٢- رواه الإمام أحمد في المسند ج ١ ص ٢٤١، وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير صحيح ج ٢ ص ١٠٥٦

٣- رواه مسلم في كتاب المساجد ٥ باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو نحوها ١٧ حديث ٥٦٤ ص ٢٢٤

٤- دور المسجد في التربية، د/ عبد الله بن أحمد قادري ص ٦٥، طبع سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، دار المجتمع

٥- الأعراف آية ٣١

٦- وفي حديث أنس قال " أربع عشرة ليلة" رواه البخاري في كتاب الصلاة ٨ باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية

ويتخذ مكانها مساجد ٤٨ حديث ٤٢٨ ص ٩٢

٧- يشير إلى قوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله
 يحب المطهرين) التوبة آية ١٠٨ ، وهذا يؤكد على أنه مسجد قباء، وقد ذكر القرطبي الخلاف في تفسير الآية هل هو

مسجد قباء أم المسجد النبوي ؟ انظر: الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج ٨ ص ١٧٩ -

وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مريداً للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته "هذا إن شاء الله المتزل" ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذة مسجداً فقالا بل نهبه لك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجداً وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول :

"هذا الحمال لا حمال خبير هذا أبر ربنا وأظهر

ويقول :

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة " (١)

وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم (يا بني النجار ثامنوني بجائظكم هذا، قالوا لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله ..) (٢) وأشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى المهام التي من أجلها أسس المسجد النبوي والتي كان يقوم بتنفيذها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حال غيابه من يعينه رسول الله صلى الله عليه وسلم لتلك المهمة قال : (فإن النبي صلى الله عليه وسلم أسس مسجده المبارك على التقوى ، ففيه الصلاة والقراءة والذكر والتعليم العلم والخطب ، وفيه السياسة وعقد الألوية والرايات وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء ، وفيه يجتمع المسلمون عنده لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم) (٣) .

وقد كان المسجد النبوي يعد المدرسة المتكاملة بجميع احتياجات المجتمع في ذلك العصر (حيث كان المعلم الأول في هذه المدرسة هو محمد صلى الله عليه وسلم وتلاميذها هم الصحابة رضوان الله عليهم و مئات المسلمين أما مقرراتها الدراسية فهي كتاب الله وسنة

١- رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار ٦٣ باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة ٤٥ حديث ٣٩٠٦ ص ٨٠٢

٢- رواه البخاري كتاب الصلاة ٨ باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد ٤٨ حديث ٤٢٨ ص ٩٢ .

٣- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية لعبد الرحمن بن قاسم ، ج ٣٥ ص ٣٩ ، بدون تاريخ

رسوله الكريم ولقد توافرت لهذه المدرسة في صدر الإسلام مختلف مقومات النجاح الممكنة كالمعلم والتلاميذ والمكان والكتاب (١)، فحققت النجاح وغيرت المجتمع من الجهل إلى العلم ومن التفرقة إلى الوحدة ومن الضعف إلى القوة ومن القلة إلى الكثرة.

وكانت فصول هذه المدرسة تستوعب جميع فئات المجتمع غالباً من شباب وكهول وكل هذه الفئات يخاطبها صلى الله عليه وسلم كل حسب مستواه وفهمه مما آتاه الله من جوامع الكلم والحكمة والفصاحة والبيان، وكان الصحابة يتحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد في أعداد غفيرة كما يشير إليه الحديث الذي رواه البخاري (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد قال فوقفا : على رسول الله صل الله عليه وسلم فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها وأما الآخر فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهباً فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أخصركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه (٢) .

فالحديث دل على فضل الإقبال على حلق العلم في المساجد والاستفادة منها ، وعدم الترفع والابتعاد عن ذلك . وكان صلى الله عليه وسلم يتخذ أحياناً في دروسه أسلوب طرح الأسئلة على الحضور تشويقاً لهم ومشاركة وتفاعلاً ، كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنما مثل المسلم حدثوني ما هي قال فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله فوقع في نفسي أنها النخلة ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله قال هي النخلة (٣)، فأجابهم صلى الله عليه وسلم بعد رياضة العقول واشتياق النفوس لفهم هذه الشجرة التي شبهت بالمسلم وكان الطلاب أيضاً يوجهون الأسئلة على معلمهم صلى الله عليه وسلم ورغبة في زيادة العلم ومعرفة

١- تاريخ الحركة التعليمية في المملكة العربية السعودية د/ حمد إبراهيم السلوم ج ٣ ص ٩-١٠، ط، ١٤١١هـ - مطابع إنترناشنال كرا فيكس الولايات المتحدة الأمريكية

٢- رواه البخاري كتاب العلم ٣ باب من قعد حيث ينتهي به المجلس ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ٨ حديث ٦٦ ص ١٩

٣- رواه البخاري كتاب العلم ج ٣ باب طرح الإمام المسألة في أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم ٥ حديث ٦٢ ص ١٨

الأحكام قال ابن عمر رضي الله عنهما (أن رجلاً قام في المسجد فقال يا رسول الله من أين تأمرنا أن نهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهل أهل المدينة من ذي الحليفة ويهل أهل الشام من الجحفة ويهل أهل نجد من قرن ..) (١) وتبادل مثل هذه الأسئلة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم في مسجده كانت تجري كثيراً .

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن التعلم والتعليم في المسجد يعادل الجهاد في سبيل الله في الأجر فقال : (من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا خير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة الجاهد في سبيل الله ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غير هـ) (٢) ، (أن الثواب المذكور إنما يتسبب عن هذه الطاعة الخاصة لا عن كل طاعة وفيه أيضاً التنويه بشرف تعلم العلم وتعليمه لأنه هو الخير الذي لا يقادر قدره وهذه إن جعل تنكير الخير للتعظيم ويمكن إدراج كل تعلم وتعليم لخير أي خير كان تحت ذلك ، فيدخل كل ما فيه قربة ليتعلمها الداخل أو يعلمها غيره وفيه أيضاً التسوية بين العالم والمتعلم والإرشاد إلى أن التعليم والتعلم في المسجد أفضل من سائر الأمكنة) (٣) .

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على حضور مجالس العلم في المساجد فقال (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده) (٤) .
وحرصاً من الصحابة رضي الله عنهم لنيل هذا الأجر التفوا حول النبي صلى الله عليه وسلم في مسجده يتلون القرآن الكريم ويستمعون إلى الحديث النبوي الشريف وفيه شاهدوا قضاءه صلى الله عليه وسلم ، وقسمة الغنائم واستنفاره للجيوش وموادعته للخصوم (٥) ، وكانوا أيضاً يستمعون إليه وهو يلقي خطب الجمعة من منبر مسجده صلى الله عليه وسلم

١- رواه البخاري كتاب العلم ٣ باب ذكر العلم والفتيا في المسجد ٥٢ حديث ١٣٣ ص ٣٤

٢- رواه ابن ماجه في المقدمة باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ١٧ ، حديث ٢٢٧ ص ٣٩ وقال الألباني في صحيح ابن ماجه صحيح ص ٤٤

٣- نيل الأوطار للشوكاني ج ٢ ص ١٥٧ مكتبة دار التراث ، القاهرة ، بدون الطبعة وتريخ الطبع

٤- رواه مسلم كتاب الذكر ٤٨ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ١١ حديث ٢٦٩٩ - ٢٧٠٠

٥- انظر: رسالة المسجد في الإسلام د/عبد العزيز محمد اللويم ص ٥٥، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، بدون ناشر.

وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم استمر مسجده كمؤسسة تربوية وتعليمية يؤدي نفس الدور الذي كان يؤديه في حياته وذلك في عصر الخلفاء الراشدين إبتداءً ببيعة أبي بكر رضي الله عنه التي كانت في المسجد بعد أن بويغ أولاً من بعض الصحابة في سقيفة بني ساعدة وقام عمر فذكر فضل أبي بكر، قال: أنس بن مالك رضي الله عنه (سمعت عمر يقول لأبي بكر " يومئذ : اصعد المنبر فلم يزل به حتى صعد المنبر ، فبايعه الناس عامة) (١) .

وعندما عهد أبو بكر الخلافة لعمر قرئ العهد إلى المسلمين في المسجد فأقروه وأطاعوا (٢)، وأيضاً تمت بيعة عثمان في المسجد بعد صلاة الصبح بايعه عبد الرحمن بن عوف (وبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون) (٣)، وكذلك بيعة علي كانت في المسجد وعلى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم (خرج علي إلى المسجد فصعد المنبر وعليه إزار وعمامة خزو نعلاه في يده ، توكأ على قوسه ، فبايعه عامة الناس) (٤) ، فباشر الخلفاء رضي الله عنهم مهامهم في المسجد النبوي واستمروا على ذلك إلى آخر حياتهم إلا علي رضي الله عنه انتقل إلى العراق فأكمل مهامه هناك .

وكان في عهد عمر رضي الله عنه تعقد حلقات العلم في المسجد النبوي و (كان للمهاجرين مجلس في المسجد فكان عمر يجلس معهم فيه ويحدثهم عما ينتهي إليه من أمر الآفاق فقال يوماً : ما أدري كيف أصنع بالمجوس فوثب عبد الرحمن بن عوف ، فقال : أشهد علي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال سنوا بهم سنة أهل الكتاب) (٥)

فهذه المجالس كانت مجالس علمية مشتركة تعرض فيها القضايا المستجدة ويدلي فيها كل صحابي بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن مجالس وحلقات العلم الرائعة التي كانت تقام ويتولى التدريس فيها حفاظ وعلماء الصحابة في زمن عمر رضي الله عنه ما جاء في قصة الخمسة الذين جمعوا القرآن وهم (معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت ، وأبو الدرداء ، وأبي — ابن كعب — ، وأبو أيوب —

١- رواه البخاري في كتاب الأحكام ٩٣ باب الاستخلاف ٥١ حديث ٧٢١٩ ص ١٥١٤

٢- انظر: البداية والنهاية ، ابن كثير ج ٧ ص ١٨

٣- رواه البخاري في كتاب الأحكام ٩٣ باب كيف يبايع الإمام الناس ٤٣ حديث ٧٢٠٦ ص ١٥١١

٤- البداية والنهاية ، ابن كثير ج ٧ ص ٢٣٧

٥- فتوح البلدان ، البلاذري ص ٢٦٦

الأنصاري، فلما كان في زمن عمر ، كتب إليه يزيد بن أبي سفيان : إن أهل الشام قد كثروا وملؤوا المدائن ، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ، ويفقههم فأعني برجال يعلمونهم . فدعا عمر الخمسة ، فقال إن إخوانكم قد استعانوني من يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين ، فأعينوني يرحمكم الله بثلاثة منكم إن أحببتم وإن انتدب ثلاثة منكم فليخرجوا . فقالوا ما كنا لتسأهم ، هذا شيخ كبير - لأبي أيوب - وأما هذا فسقيم - لأبي - فخرج معاذ وعبادة وأبو الدرداء فقال عمر ابدؤوا بجمص ، فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة منهم من يلحقن فإذا رأيتم ذلك ، فوجهوا إليه طائفة من الناس ، فإذا رضيتم منهم فليقم بها واحد ، وليخرج واحد إلى دمشق والآخر إلى فلسطين .. فقدموا حمص فكانوا بها حتى إذا رضوا من الناس أقام بها عبادة بن الصامت وخرج أبو الدرداء إلى دمشق ومعاذ إلى فلسطين^(١) وذلك حسب الخطة التي رسمها لهم الفاروق رضي الله عنه .

وبعد أن وصل أبو الدرداء دمشق بدأ بالإقراء والتدريس في المسجد وقام بتنظيم الحلقات كل عشرة أشخاص على حدة فتكاثرت أعداد الدارسين حتى أنه أمر يوماً بعد هذه الحلقات (فجاءوا ألفاً وست مائة ونيقياً . فكانوا يقرؤون ويتسابقون عشرة عشرة ، فإذا صلى الصبح ، انفتل وقرأ جزءاً ، فيحدثون به يسمعون ألفاظه وكان ابن عامر^(٢) مقدما فيهم^(٣) (ولم يزل أبو الدرداء بدمشق حتى مات)^(٤) رضي الله عنه .

وقد ترك هذا الجمع الغفير من التلامذة الذين كانوا يؤمنون حلقاته العلمية ، ليقوموا بدورهم بنشر العلم والحفاظ على مكتسبات الدعوة من خلال المؤسسات الدعوية ولأهمية بناء المساجد كمؤسسات تعليمية وتربوية كان المجاهدون الفاتحون إذا فتحوا مدينة أو بلدة بادروا ببناء المساجد قبل بناء المساكن تأسيساً بالمصطفى صلى الله عليه وسلم حيث بنى مسجده بالمدينة قبل بناء مسكنه عندما قدم مهاجراً من مكة .

١- انظر: سير أعلام النبلاء ، الذهبي ج ٢ ص ٣٤٤

٢- هو عبد الله بن عامر اليحصي ، إمام أهل الشام في القراءة وإليه انتهت مشيخة الإقراء فيها ، وهو أحد القراء

السبعة المشهورين الثقات ، توفي سنة ١١٨ هـ انظر سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٢٩٢

٣- المرجع السابق ج ٢ ص ٣٤٦

٤- المرجع السابق ج ٢ ص ٣٤٤

ولعلي أذكر هنا بعض المساجد التي بناها الفاتحون في البلاد الإسلامية . في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فعندما فتح المسلمون دمشق سنة ثلاثة عشرة من الهجرة (أخذ الصحابة نصف الكنيسة العظمى التي كانت بدمشق وتعرف "بكنيسة يوحنا" فاتخذوا الجانب الشرقي منها مسجداً وأبقوا لهم نصفها الغربي كنيسة)^(١) .

وفي سنة أربعة عشر بني مسجد البصرة على يدي عتبة بن غزوان وذلك عندما اختط البصرة^(٢)، وعندما جاء الفاروق إلى بيت المقدس لاستلامها سنة خمس عشرة بدأ بتأسيس مسجد الصخرة^(٣)، ودخل سعد بن أبي وقاص المدائن فاتحاً سنة ست عشرة (واتخذ الإيوان مصلى)^(٤)، ويبدو أن ذلك كان قبل أن يقوم ببناء المسجد الجامع أو كان الإيوان - اتخذ مصلى جماعة دون الجمعة لأن البلاذري يقول: (ويقال أول مسجد جامع بني بالسواد مسجد المدائن بناه سعد وأصحابه ثم وسع بعد وأحكم بناؤه وجرى ذلك على يدي حذيفة بن اليمان وبالمدائن مات حذيفة سنة ست وثلاثين)^(٥) .

وفي محرم سنة سبع عشرة اختط سعد بن أبي وقاص الكوفة (فكان أول بناء وضع فيها المسجد)، وأمر سعد رجلاً رامياً شديد الرمي فرمى من المسجد إلى أربع جهات فحيث سقط سهمه بني الناس منازلهم وعمّر قصرًا تلقاء محراب المسجد الإمارة وبيت المال^(٦)، و عندما فتحت مصر سنة عشرين على يدي عمرو بن العاص بني جامعاً بالفسطاط فنسب إليه^(٧) .

١- البداية والنهاية ، ابن كثير ج ٧ ص ٢١

٢- انظر: فتوح البلدان ، البلاذري ص ٣٤١

٣- البداية والنهاية ، ابن كثير ج ٧ ص ٥٧

٤- المرجع السابق ج ٧ ص ٦٧

٥- فتوح البلدان ، البلاذري ص ٢٨٨

٦- البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ٧ ص ٧٦، وانظر فتوح البلدان ص ٢٧٤

٧- انظر: البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ٧ ص ١٠٢

- وولى عمر بن الخطاب هرثمة بن عرفجة البارقي ^(١) الموصل (فمصرها وأنزل العرب منازلهم واختط لهم ثم بنى المسجد الجامع) ^(٢)
- هذه بعض المساجد التي أشير إليها والمسجد كمؤسسة تربوية وتعليمية له أهداف سامية وأبعاد واسعة وهادفة تتجلى فيما يلي :
- ١- ترسيخ العقيدة الإسلامية في قلوب المسلمين .
 - ٢- تعميق القيم الإيمانية في حياة المسلمين .
 - ٣- تجميع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم .
 - ٤- بث روح التعاون والتكافل في حياة المسلمين .
 - ٥- تثبيت الأخلاق الكريمة في حياة المسلمين .
 - ٦- تسهيل أداء العبادة على الوجه الأكمل .
 - ٧- تنمية الثقافة الإسلامية .

وعلى العموم المساجد هي مراكز إشعاع علمي وفكري وروحي وحضاري في المجتمع الإسلامي ومنطلق خير ودعوة للحق ^(٣) فيجب العناية بها وتهيئتها لممارسة نشاطها الروحي والعملي ، لأن المساجد تعتبر من أهم المؤسسات الدعوية التي يمكن أن تؤدي الوظائف المتعددة في المجتمعات الإسلامية والتي من خلالها يمكن الإسهام في تقدم المسلمين لأن المساجد هي قلب المجتمع ، وأن تفعيل وظيفتها تدل على قوة إيمان المسلمين ، واستشعارهم لهمومهم ومشكلاتهم والعمل على حلها من خلال تلك المؤسسات الدعوية ولأجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة الإسلامية .

١- هو هرثمة بن عرفجة البارقي من الأزدي قائد من رجال الفتوح في صدر الإسلام من أهل البحرين ، وجهه أميرها العلاء بن الحضرمي غازيا في أيام عمر ، ففتح جزيرة في البحر بما يلي فارس ثم كتب عمر إلى العلاء بأن يمد به عتبة بن غزوان حين غزى الأبله فشارك في فتحها ثم إنه صار بعد إلى الموصل — انظر: الأعلام ، خير الدين الزركلي ج ٨ ص

٨٢ ، ط ، ٧ — ١٩٨٦ م ، دار العلم للملايين

٢- فتوح البلدان ، البلاذري ص ٣٢٧

٣- انظر: رسالة المسجد في الإسلام د/ عبد العزيز محمد المليم ص ٩٧

الفصل الثاني

الحسبة حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المبحث الأول : أهمية القيام بالحسبة حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المبحث الثاني : مجالات الحسبة ودرجات الاحتساب حفاظاً على

مكتسبات الدعوة

تعريف الحسبة

الحسبة لغة :

- (١) (الحسبة اسم من الاحتساب كالعدة من الاعتداد)
- وقد وردت كلمة الحسبة لمعان متعددة منها :-
- ١- الإنكار (احتسب فلان على فلان : أنكر عليه قبيح عمله)^(٢)
- ٢- طلب الأجر قال: صلى الله عليه وسلم "من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"^(٣)
- ٣- الاختبار (النساء يحسبن ما عند الرجال لهن أي يختبرن)^(٤)
- ٤- الظن قال: تعالى ﴿ فَأَتْلَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾^(٥)
- ٥- الاعتداد (فلان لا يحسب به "أي لا يعتد به")^(٦)
- ٦- الاكتفاء (فلان حسن الحسبة في الأمور، أي الكفاية والتدبير)^(٧)

الحسبة اصطلاحاً

عرفت الحسبة اصطلاحاً بتعريفات متعددة ومختلفة، فمنها : (هي فاعلية المجتمع في الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله، تطبيقاً للشرع الإسلامي)^(٨) وقيل: (هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله وإصلاح بين

١- لسان العرب ، ابن منظور ، ج ١ ص ٣١٥ ، مادة حسب

٢- المرجع السابق ص ٣١٧

٣- رواه البخاري في كتاب الإيمان ٢ باب تطوع قيام رمضان من الإيمان ٢٧ حديث ٣٧ ص ١٠

٤- لسان العرب ، ابن منظور ، ج ١ ص ٣٢٧

٥- الحشر آية: ٢

٦- أساس البلاغة محمود بن عمر الزمخشري ج ١ ص ١٧٢، ط، ٢- ١٩٨٥م، الهيئة المصرية العامة للكتاب

٧- المرجع السابق ص ١٧٢، مادة حسب ، و انظر: كتاب د/ فضل إلهي ، الحسبة تعريفها ، ومشروعيتها ،

وحكمها ص ٥-٧، ط، ١- ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، إدارة ترجمان الإسلام، باكستان

٨- أصول الحسبة في الإسلام، دراسة تأصيلية مقارنة، د/كمال الدين إمام، ص ١٦، ط، ١- ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، دار

الناس) ^(١) وأشهرها (هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله) ^(٢) وهو التعريف الراجح والمختار لتقدمه على غيره من التعاريف ولتعلقه بجوهر الحسبة وبيانه لحقيقتها .

^١ - معالم القرية في أحكام الحسبة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي، عرف بابن الأخوة، تحقيق د/محمد محمود شعبان صديق أحمد عيسى المطيعي ص ٥١، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٦م، بدون ذكر الطبعة

^٢ - الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي ص ٢٤٠، ط ٢، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، شركة مكتبة مصطفى البابي، مصر، والأحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى الخنبلي ص ٢٨٤، دار الوطن، الرياض، بدون تاريخ طبع

المبحث الأول : أهمية القيام بالحسبة حفاظاً على مكتسبات الدعوة**المطلب الأول : القيام بالحسبة من مهام الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم:**

جاء الرسل عليهم الصلاة والسلام بالتوحيد والإخلاص لله عز وجل وهو من أعظم المعروف كما نھوا عن الشرك وعبادة غير الله وهو من أعظم المنكرات.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصَّفُوتَ﴾^(١)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٢) ، كما جاءت الرسل ببقية الشرائع المتضمنة

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله من الدين ، فإن رسالة الله إما إخبار وإما إنشاء ، فالإخبار عن نفسه وعن خلقه مثل التوحيد والقصص الذي يندرج فيه الوعد والوعيد والإنشاء الأمر والنهي

والإباحة)^(٣)

وعموماً الرسل جاءت (بشرائع ومناهج تسير عليها الأمم وتصلح شئون حياتها الدنيا ، وأمروا بالمعروف والإصلاح والعدل ونهوا عن المنكر والفساد والظلم، وأمروا بكل خير وفضيلة ونهوا عن كل شر، ورذيلة تفصيلاً وإجمالاً)^(٤)

وأول الرسل نوح عليه السلام قام بدعوة قومه والاحتساب عليهم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح لهم حتى استغرق منه ذلك جميع أوقاته من ليل ونهار وجل حياته وبأساليب مختلفة من السر والجهر لكنهم تمادوا في غيهم فأهلكهم الله بالطوفان ، وأنجاه الله ومن معه من المؤمنين وأزواج المخلوقات في السفينة التي أمره الله بصنعها قال تعالى ﴿وَلَقَدْ

^١ - النحل آية : ٣٦

^٢ - لقمان آية : ١٣

^٣ - الحسبة في الإسلام ، شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٦٩، ط، ١ - ١٤٠٣ هـ - مكتبة دار الأرقم ، الكويت

^٤ - مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة د/ ناصر بن عبد الكريم العقل ، ص ٢٣ .

أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِيهِ فَقَالَ يَنْقُومِرِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿١٠٠﴾ ﴿١﴾ وقال عز وجل ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولًا مِّن رَّبِّكَ وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِمَّا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴿٢﴾

وقال سبحانه وتعالى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿١٠٢﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاؤِي إِلَّا فِرَارًا ﴿١٠٣﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَفْسَؤُوا بُيُوتَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿١٠٤﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿١٠٥﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿١٠٦﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠٧﴾ ﴿٣﴾ فلم يستفيدوا من تلك الجهود التي بذلها نوح عليه السلام في سبيل هدايتهم ونجاتهم من العقاب فعندها قدم شكواه إلى ربه عز وجل.

﴿ فِدَاعًا رَبِّيَ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأانتصر ﴿١٠٨﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّهِيبٍ ﴿١٠٩﴾ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَرٍ ﴿١١٠﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْحِ وَدُسِّرُ ﴿١١١﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرًا ﴿١١٢﴾ ﴿٤﴾

هود عليه السلام قام بالحسبة بين قومه عاد فأمرهم بعبادة الله وحده ونهاهم عن عبادة ما سواه وأكثر من نصحهم، فلم يقبلوا منه، بل اغتروا بقوتهم، فكان عاقبة أمرهم أن أهلكهم الله بريح شديدة، ونجى الله هوداً والذين آمنوا معه قال تعالى ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُومِرِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿١١٣﴾ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١١٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِيهِ إِنَّا لَنرَبُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَننظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١١٥﴾ ﴿٥﴾ وقال تعالى ﴿ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِفَآئِنَتِنَا سَخِدُونَ ﴿١١٦﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي

١- المؤمنون آية : ٢٣

٢- الأعراف : ٦٢

٣- نوح الآيات : ١٠-٥

٤- القمر الآيات : ١٠-١٤

٥- الأعراف الآيات : ٦٥-٦٦

أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ لَهُمْ وَلَا يَنْصُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴿^(١)﴾ ، وقال عز وجل في نجات هود والذين آمنوا معه ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابِ غَلِيظٍ ﴿١١﴾ ﴾ ^(٢) .

صالح عليه السلام أرسله الله إلى ثمود فقام بالحسبة بينهم فأمرهم بالتوحيد والإخلاص ، ونهاهم عن عبادة الأصنام وجاءهم بآية تدل على رسالته وحذرهم من أن يمسوها بسوء فكذبوه وعقروا الناقة ودبروا لقتل صالح عليه السلام ، فأهلكهم الله بالصيحة وأخرج الله صالحاً ومن معه من المؤمنين من بينهم سالمين قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ ^(٣) قال عز وجل : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّلَهَا ﴿١٣﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٤﴾ ﴾ ^(٤) وقال تعالى : ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ ﴿١٥﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ ^(٥) ، وقال عز وجل ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٧﴾ ﴾ ^(٦) .

^١ - فصلت الآيتان : ١٥-١٦

^٢ - هود آية : ٥٨

^٣ - الأعراف آية : ٧٣

^٤ - الشمس الآيتان : ١٤-١٥

^٥ - الحجر الآيتان : ٨٣-٨٤

^٦ - هود آية : ٦٦

إبراهيم عليه السلام قام بالاحتساب فأمر أباه وقومه بالتوحيد الخالص ونهاهم عن عبادة الأصنام وبين لهم أنها لا تنفع ولا تضر، كما قام بالاحتساب وتغيير المنكر بيده بكسر أصنامهم.

(وقد كانت مواقف إبراهيم مع قومه متعددة ، فتارة يحاج والده وتارة يحاج الجمهور وتارة يحاج الملك)^(١)، فلما تيقن أن هذه الحجج لم تؤثر فيهم كسر أصنامهم، فألقوه في النار التي جعلها الله له برداً وسلاماً قال تعالى في قصة محاجة إبراهيم مع الملك.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٢)، وقال عز وجل فيما جرى بين إبراهيم وأبيه وقومه ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾^(٣) إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٤٢﴾ أَبِيفَاءِ إلهة دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٤٣﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ فَتَنظَرُ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٤٥﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٤٦﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٤٧﴾ فَرَاغَ إِلَى إلهِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٤٨﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٤٩﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٥٠﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٥١﴾ قَالَ أتعْبُدُونَ مَا تَنَحُّتُونَ ﴿٥٢﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٥٤﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٥٥﴾^(٤)

لوط عليه السلام: قام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قومه الذين أتوا أبشع المنكرات وهو إتيان الذكر للذكر الذي لم يسبقهم إليه أحد من العالمين وكانوا يفعلونها جهاراً دون حياء في ناديهم المنكر ، بل أرادوا أن يفعلوها مع الملائكة الذين جاءوا إلى لوط

^١ - قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ص ٨١ ، ط ، ٢ - دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ

^٢ - البقرة آية : ٢٥٨

^٣ - الصافات الآيات : ٨٣-٩٨

يخبرونه بهلاك قومه ويأمرونه بالخروج فرد الله كيدهم وأهلكهم ، وسلم الله لوطاً وأهله إلا امرأته هلكت مع المالكين.

قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِيَةِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ ۗ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِيَةِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ ۗ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ۗ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ۝^(١) ،

وقال عز وجل ﴿ فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلِيَّهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِمَتَّوِّسِينَ ﴿٧٥﴾ ۝^(٢) .

شعيب عليه السلام: أمر قومه بتصحيح العقيدة وعبادة الله الواحد الأحد ونهاهم عن عبادة ما سواه كما أمرهم بوفاء الكيل والميزان ونهاهم عن التطفيف والتبخيس ، وظلم بعضهم بعضاً. ومن المعلوم أن قضية النظر في المكايل والموازين من خصائص المحتسب كما قال بعضهم مخاطباً المحتسب ، (وأعلم أنك وليت من الكيل والميزان أمر من هلكت فيها الأمم السالفة فباشرهما بيدك مباشرة الاختيار والاختبار ولا تقبل أهلها عثرة فإن الإقالة لا تنهي عن العباد) ^(٣) ، كما نهاهم شعيب عليه السلام عن الجلوس في الطرقات بقصد الإفساد والسد عن سبيل الله لمن يريد الحق والإيمان بالله عز وجل ورسوله ، وأكثر من نصحهم ومع

^١ - الأعراف الآيات : ٨٠-٨٤

^٢ - الحجر الآيات : ٧٣-٧٥

^٣ - معالم القرية في أحكام الحسبة ابن الأخوة ص ١٤٥ ، طبع سنة ١٩٧٦م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب

ذلك أسروا في غيهم وهددوه بالإخراج من قريتهم هو والذين آمنوا معه ، فأهلكهم الله بالصيحة.

قال تعالى ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَنْفَوْرِمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۗ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۗ وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ ۗ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾^(١) ، وقال عز وجل ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجِيًّا شُعَيْبًا ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَنِيحًا ﴿١٠٢﴾ ﴾^(٢) .

موسى عليه السلام: أرسله الله لدعوة فرعون الذي ادعى الألوهية وإنقاذ بني إسرائيل من استعباده لهم فدعاه موسى إلى الإيمان بالله وأراه الآيات البينات التي توضح صدق رسالته ومعه أخوه هارون معيناً له لكن فرعون طغى وتجبر قال أنا ربكم الأعلى فأغرقه الله في البحر وسلم موسى ومعه بنوا إسرائيل من قبضة فرعون.

وعندما جاوزوا البحر مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، فطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم صنماً كما لهؤلاء أصنام فأنكر عليهم موسى وأمرهم بالالتزام بالتوحيد وأن الله وحده هو الذي أنقذهم من جيروت فرعون.

وعندما ذهب موسى للقاء ربه لعب الشيطان ببني إسرائيل وصنع لهم السامري عجلاً جسداً له خوار وأقنعهم أنه إلههم وإله موسى فعبدوه من دون الله عز وجل وعاد موسى مغضباً وقام بتغيير المنكر بيده حيث أحرق العجل المعبود ، ثم طرح به في البحر ، وأنكر أشد الإنكار على السامري فعلته هذه ، وأيضاً بنو إسرائيل وأمرهم أن يتوبوا إلى الله بقتل أنفسهم من هذا الجرم الذي ارتكبهوه. قال تعالى ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ

^١ - الأعراف الآيات : ٨٥-٨٦

^٢ - هود آية : ٩٤

حِثُّكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ وقال عز وجل ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٠٦﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّكُمْ مُوقِنِينَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَبْعُونَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿١٠٩﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿١١٠﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ لَنْ أَخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُودِينَ ﴿١١٢﴾ قَالَ أَوْلَوْ حِثُّكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿١١٣﴾ قَالَ فَأْتِ بِمِثْلِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٤﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١١٦﴾ وقال عز وجل ﴿ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِيزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴾ ﴿١١٧﴾ ، وقال سبحانه ﴿ وَجَوَّزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكِفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّ هَتُولَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٩﴾ قَالَ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٠﴾ وقال تعالى : ﴿ وَأَخَذْنَا قَوْمَ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خَلْبِهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَزَّ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْتَدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ ﴿١٢١﴾ ، وقال سبحانه ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿١٢٢﴾

١- الأعراف آية ١٠٥

٢- الشعراء الآيات : ٢٣-٣٣

٣- الإسراء آية ١٠٣

٤- الأعراف الآيات : ١٣٨-١٤٠

٥- الأعراف آية: ١٤٨

٦- البقرة آية : ٥٤

ومما يدل على أهمية القيام بالحسبة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة أن الذين لعنوا من بني إسرائيل من ضمن الأسباب التي أوجبت لهم اللعن ترك النهي عن المنكر وذلك على لسان داود وعيسى بن مريم عليهما السلام.

قال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾^(١)

(يخبر تعالى أنه لعن الكافرين من بني إسرائيل من دهر طويل فيما أنزله على داود نبيه عليه والسلام وعلى لسان عيسى ابن مريم بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه .. كان لا ينهى أحد منهم أحداً عن ارتكاب المآثم والمحارم ثم ذمهم على ذلك ليحذر أن يركب مثل الذي ارتكبه فقال "لبئس ما كانوا يفعلون")^(٢) ، (لأن من أخل بواجب النهي عن المنكر، فقد عصى الله سبحانه وتعدى حدوده ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم القواعد الإسلامية وأجل الفرائض الشرعية ولهذا كان تاركه شريكاً لفاعل المعصية ومستحقاً لغضب الله وانتقامه ، كما وقع لأهل السبت)^(٣) .

وبعد ذكر هذه النصوص القرآنية يمكن القول بأن جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قاموا بالاحتساب على أقوامهم بأمرهم بالمعروف وأعلاه رتبة توحيد الله سبحانه لا شريك له ، ونهيهم عن المنكر وأشنع منكر هو الشرك بالله ، فقاموا بأمرهم بعبادة الله وحده

^١ - المائدة الآيات : ٧٨-٧٩ .

^٢ - تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ج ٢ ص ٨٢

^٣ - فتح القدير ، الشوكاني ج ٢ ص ٦٦

لا شريك له ، ونهيهـم عن الشرك بالله كما أمرهم بالمعروف ، ونهوهـم عن المنكر في جانب
الشريةـة وجانب الأخلاق كي يحقق الرسل عليهم السلام مكتسبات للدعوة ، ويحافظوا على
من آمن معهم حتى وإن كانوا أقلية من المؤمنين .

المطلب الثاني : القيام بالحسبة حفاظاً على مكتسبات الدعوة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

قام النبي صلى الله عليه وسلم بالحسبة منذ العهد المكي ، فقد احتسب على المشركين في مكة ، فأمرهم بعبادة الله وحده ، ونهاهم عن الشرك بالله ، ومارس الاحتساب في كل وقت إدراكاً منه صلى الله عليه وسلم بأهمية الاحتساب للحفاظ على مكتسبات الدعوة .

وقد وصف صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل بأنه يأمر أمتة بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولا شك أن ذلك حفاظاً على مكتسبات دعوته قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَحْدُوثُهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ ^(١) (يأمرهم بالمعروف " أي بالإيمان " وينهاهم عن المنكر " أي من الشرك) ^(٢)

(ومن الأمر بالمعروف ، ما أمر الله به ورسوله من الأمور الباطنة والظاهرة ، مثل إخلاص الدين لله والتوكل على الله وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . وأما المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله ، فأعظمه الشرك بالله وهو أن يدعو مع الله إلهاً آخر كالشمس والقمر والكواكب أو كملك من الملائكة أو نبي من الأنبياء أو رجل من الصالحين ..) ^(٣) .

^١ - الأعراف آية: ١٥٧

^٢ - مختصر تفسير البغوي د/ عبد الله الزيد ج ١ ص ٣١٨

^٣ - الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣٨-٣٩ ، طبع سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م ، دار العلوم الإسلامية ، القاهرة

وهذا يدل على أن قمة المعروف توحيد الله عز وجل وما سواه من المعروف فدونه مرتبة، كما أن قمة المنكر الإشراك بالله، وقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم في بيئة تعج بشتى أنواع المنكرات، وقد بين جعفر بن أبي طالب هذه البيئة بعد أن نور الله بصيرته بالإسلام وعقيدة التوحيد حين سأله النجاشي ملك الحبشة عن الإسلام فمهد لحديثه بحال الجاهلية وقال: (أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصللة الرحم وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء..)^(١)، فجعفر رضي الله عنه بين بعض المنكرات السائدة في المجتمع الجاهلي والتي قام صلى الله عليه وسلم بإنكارها وأحال مكانها بالتدرج المعروف بتوفيق من الله عز وجل، قال تعالى ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا

حَرَّمَ رَبِّيَ كُفْرُكُمْ عَلَيَّكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالْوَالِدِينَ إِحْسَنًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَرَّمَ رَبِّيَ نَحْنُ نَنْزَلُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَلَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْفِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ

^١ - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٣٦

وَصَنِّعْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ (١) قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ

وَيَا لَوِ الدِّينِ إِحْسَنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُهْرَابًا وَلَا

تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ إلى قوله تعالى .. ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ

لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٢٤﴾ (٢)

فهذه الآيات اشتملت على كثير من الأمر بالمعروف والنهي المنكر الذي قام به صلى الله عليه وسلم حفاظاً على مكتسبات الدعوة، كما أمر الله تعالى المؤمنين أن يقوموا به قال تعالى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٥﴾ (٣) ولتكن منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في دعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٤) ، فإذا كان فلاح الأمة يتحقق بالقيام بالاحتساب ، فأيضاً خيرية هذه الأمة تثبت بالقيام بهذه المهمة والحفاظ على مكتسبات دعوتها ، كما قال تعالى : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴿٥٥﴾ (هذا تفضيل من الله لهذه الأمة بهذه الأسباب التي تميزوا بها وفاقوا بها سائر الأمم إهم خير الناس للناس نصحاً ومحبة للخير ودعوة وتعليماً وإرشاداً وأمرأ بالمعروف ونهياً عن المنكر وجمعاً بين تكميل الخلق والسعي في منافعهم بحسب الإمكان وبين تكميل النفس بالإيمان بالله والقيام بحقوق الإيمان (٦) .

ومن أهم وأبرز صفات المؤمنين القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة

الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله قال تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ

١- الأنعام الآيات : ١٥١-١٥٢

٢- الإسراء الآيات : ٢٣-٤١

٣- آل عمران آية : ١٠٤

٤- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ج ١ ص ٢١٠

٥- آل عمران آية : ١١٠

٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ عبد الرحمن السعدي ، ص ١١٢-١١٣

بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٦١﴾^(١)، (بعضهم أولياء بعض " أي قلوبهم متحدة في التواد والتحاب و التعاطف " يأمرون بالمعروف " أي بعبادة الله تعالى وتوحيده وكل ما أتبع ذلك (وينهون عن المنكر) عن عبادة الأوثان وكل ما أتبع ذلك)^(٢) من المنكرات .

و لأهمية القيام بالحسبة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة ذكر الله تعالى من ضمن أوصاف المجاهدين في سبيل الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ﴿ اَلتَّائِبُونَ اَلْعَبِيدُونَ اَلْحَمِيدُونَ اَلسَّابِقُونَ اَلرَّٰكِعُونَ اَلسَّاجِدُونَ اَلْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالحَافِظُونَ لِحدُودِ اللَّهِ وَبَشِرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٣) .

كما تبرز أهمية القيام بالحسبة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في الحديث الذي شبه فيه الرسول صلي الله عليه وسلم المجتمع بسفينة في البحر أراد بعض ركاها حرقها فإن منعهم الآخرون نجوا جميعاً وإلا فالهلاك المحقق مصير الجميع ، قال : (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً)^(٤) .

(فالقائمون في حدود الله هم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، وهم أهل أعلى السفينة فضلهم الله في المكان وحملهم المسؤولية ، فإن قاموا بمسئوليتهم نحو سفهاء

^١ - التوبة آية : ٧١

^٢ - الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج ٨ ص ١٢٨

^٣ - التوبة آية : ١١٢

^٤ - رواه البخاري في كتاب الشركة ٤٧ باب هل بقرع في القسمة والاستهام فيه ٦ حديث ٢٤٩٣ ص ٤٩٥

القوم وعامة الناس ، حافظوا على سفينة المجتمع من الغرق وعلى أنفسهم وإخوانهم من الهلاك الذي لا يكاد ينجوا منه أحد والواقعون في حدود الله هم المقصرون في الواجبات المنتهكون للحرمت ، والذين إن لم يؤطروا على الحق أطراً ويقصروا عليه قصراً تسببوا في هلاك أنفسهم ومجتمعهم ، وربما دون تفكير منهم بعظيم الجناية، ولا إدراك لسوء العاقبة^(١)، فالآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر هم دعاة الحق وحماة الدعوة ومكتسباتها من كل منحرف يريد المساس بها أو يعرض مكتسباتها للخطر .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يبايع الصحابة على قول الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيثما كانوا من أجل حماية الدعوة والحفاظ على مكتسباتها فهذا عبادة بن الصامت رضي الله عنه يقول (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في المنشط والمكروه وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم)^(٢) ، كما كان يشترط عليهم صلى الله عليه وسلم النصح لكل مسلم وهو جانب عظيم من جوانب الاحتساب والحفاظ على مكتسبات الدعوة لأن المسلم الذي تقدم له النصيحة هو مكتسب من مكتسبات الدعوة فالنصيحة له حفاظاً عليه من عوامل الانحراف والجهل والشبهات والشهوات وغير ذلك قال جرير بن عبد الله رضي الله عنه (بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم)^(٣) ، فكان جرير رضي الله عنه يقوم بمهمة الاحتساب والنصح حفاظاً على مكتسبات الدعوة فعندما توفي أمير الكوفة المغيرة بن شعبة رضي الله عنه "قام جرير رضي الله عنه " فحمد الله وأثنى عليه وقال عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير فإنما يأتيكم الآن ثم قال : استعفوا لأمركم فإنه كان بحب العفو ثم قال أما بعد فإني أتيت النبي صلى الله عليه وسلم قلت أبايعك على الإسلام فشرط عليّ والنصح

١- تذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الشيخ ، عبد الله بن صالح القصير ص ٨٧، ط، ١- ١٤٢٢هـ دار العاصمة ، الرياض .

٢- رواه البخاري في الأحكام ٩٣ باب كيف يبايع الإمام الناس؟ ٤٣- حديث ٧٢٠٠ ص ١٥١١ .

٣- رواه البخاري في كتاب الإيمان ٢ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "الدين النصيحة" ٤٢- حديث ٥٧ ص ١٦ .

لكل مسلم فبايعته على هذا ورب هذا المسجد إني لناصح لكم ثم استغفر ونزل^(١) رضي الله عنه .

فقد جاء احتساب جرير ونصيحته في الوقت المناسب لأن الفراغ الذي خلفه الأمير الراحل يستدعي مثل هذا الموقف الشجاع لاستقرار الوضع واستتباب الأمن إلى أن يأتي الوالي الجديد الذي يمسك بزمام الأمر لأن الأمر لو ترك دون القيام بالاحتساب والنصح معرض للانتكاسة وتعرض مكتسبات الدعوة لما لا تحمد عقباه.

وكان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص في إزالة المنكرات التي تحل بعقيدة المسلم (عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره والناس في مبيتهم فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا لا تبقيان في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت)^(٢) فهذا يعد تعيين محتسب من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم لإزالة هذا المنكر الذي كان منتشرا في المجتمع وعندما (دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول "جاء الحق وزهق الباطل ، جاء الحق وما بيدي الباطل وما يعيد)^(٣) كما أمر صلى الله عليه وسلم بالصور التي كانت داخل الكعبة فطمست^(٤) ومحيت معالمها وأزيلت من مواقعها ليعلم أنها لا تنفع ولا تضر .

^١ - رواه البخاري في كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "الدين النصيحة" ٤٢-حديث ٥٨ ص ١٦

^٢ - رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير ٥٦ باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل ١٣٩-حديث ٣٠٠٥ ص ٦٠٨ .

^٣ - رواه البخاري في كتاب المغازي ٦٤ باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح ٤٩-حديث ٤٢٨٠ ص ٨٨٠ .

^٤ - انظر البداية والنهاية ، ابن كثير ج ٤ ص ٣٠٠

فهذا احتساب عملي قام به صلى الله عليه وسلم بنفسه ليكون أبلغ تأثيراً على النفوس وأشد إنكاراً لمن نصب الأصنام، وتوقع منها الضر والنفع كما أمر الصحابة بمحو الصور وإزالة التماثيل تحت إشرافه صلى الله عليه وسلم لأن بقاء مثل هذه الأصنام والتماثيل و الصور في مواقعها يثبت شرعيتها وبالتالي يصعب على من كان يعتقد فيها النفع والضرر الانفصال والانفطام عنها وإن أعلن إسلامه سيما وهو حديث عهد بالإسلام فيزالتها أمامه وهي لا تدافع عن نفسها ولا تؤثر فيمن يزيلها من باب الحفاظ على مكتسبات الدعوة.

وقد أرسل صلى الله عليه وسلم في المزارات والنصب التي كانت تعبد من دون الله عز وجل من يهدمها ويطمس معالمها كما (بعث رسول الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزى ، وكانت بنخلة وكانت بيتا يعظمه هذا الحي من قريش وكنانة ومضر كلها، وكانت سدنتها وحجابها بني شيبان من بني سليم حلفاء بني هاشم فلما سمع صاحبها السلمي بمسير خالد إليها علق عليها سيفه وأسند في الجبل الذي هي فيه وهو يقول: أيا عزّ شدي شدة لا شوى لها : على خالد ألقى القناع وشمري يا عزّ إن لم تقتلي المرء خالداً: فبؤى يآثم عاجل أو تنصري، فلما انتهى إليها خالد هدمها ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١)

فهذا يدل على عدم جواز إبقاء معالم الشرك والتعلق بغير الله عز وجل من القبب والأضرحة وجميع المزارات البدعية بعد القدرة عليها ولا المساومة بشأنها مع حجابها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهل الطائف في شأن "اللات" عندما أسلم وفدهم (وقد كان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية ، وهي اللات ، لا يهدمها ثلاث سنين فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم فما برحوا يسألونه سنة سنة ، وأبى عليهم ، حتى سألوا شهراً واحداً بعد مقدمهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن

^١ - سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٤٣٦

يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ، ويكرهون أن يروعا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها (١) فهدمت وأخذ ما فيها من الأموال ، وذلك تحت مرأى ومسمع من كان مبتلى بعبادتها والتقرب إليها بأنواع القربات .

ولا شك من أن إزالة هذا المنكر بهذه الصورة السريعة بعد القدرة عليه ساعد في الحفاظ على مكتسبات الدعوة، وتقبل النفوس إلى اعتناق العقيدة السليمة، والبعد عن المعتقدات الفاسدة والبالية، يقول : ابن القيم رحمه الله في معرض حديثه عن عدم جواز إبقاء معالم الشرك والبدع بعد القدرة عليها :

(لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً ، فإنها شعائر الكفر والشرك وهي أعظم المنكرات فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة ، وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أو ثاباً وطواغيت تعبد من دون الله ، والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك ، والنذور والتقبيل ، لا يجوز إبقاء شئ منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى أو أعظم شركاً عندها وبها والله المستعان) (٢) .

ومن المنكرات التي قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بإزالتها حفاظاً على مكتسبات الدعوة إحراق وهدم مسجد الضرار الذي قصد من بنائه إيواء المنافقين وتفريق بين المؤمنين .

قال ابن القيم رحمه الله مبيناً وجوب إحراق وإزالة مأوى الفساد والمعاصي: (وتحريق أمكنة المعصية التي يعصى الله ورسوله فيها وهدمها ، كما حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد الضرار وأمر بهدمه وهو مسجد يصلى فيه ، ويذكر اسم الله فيه ، لما كان بناؤه ضرراً وتفريقاً بين المؤمنين ومأوى للمنافقين ، وكل مكان هذا شأنه فواجب على الإمام تعطيله إما

١- سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٥٤٠

٢- زاد المعاد ، ابن القيم ج ٣ ص ٥٠٦

بهدم وتحريق وإما بتغيير صورته وإخراجه عما وضع له ، وإذا كان هذا شأن مسجد الضرار فمشاهد الشرك التي تدعو سدنتها إلى اتخاذ من فيها أنداداً من دون الله أحق بالهدم وأوجب وكذلك محال المعاصي والفسوق كالحانات وبيوت الخمارين وأرباب المنكرات (١)

ومن المنكرات التي قام صلى الله عليه وسلم بتغييرها عملياً إخراج المنافقين من مسجده عندما أبصر بهم وهم يجتمعون في المسجد يتناجى بعضهم مع بعض مستهزئين قال ابن هشام (وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم فاجتمع يوماً في المسجد منهم ناس فرأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون بينهم خافضين أصواتهم قد لصق بعضهم ببعض فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً ، فقام أبو أيوب ، خالد بن زيد بن كليب إلى عمر بن قيس أحد بني غنم بن مالك بن النجار - وكان صاحب آهتهم في الجاهلية فأخذ برجله فسحبه حتى أخرجه من المسجد ، وهو يقول : أخرجني يا أبا أيوب من مريد بني ثعلبة ، ثم أقبل أبو أيوب أيضاً إلى رافع ابن وداعة أحد بني النجار فليبه بردائه ثم نثره نثراً شديداً ولطم وجهه ، ثم أخرجه من المسجد ، وأبو أيوب يقول له : أف لك منافقاً خبيثاً : أدراجك يا منافق من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٢)

وتواصلت عملية إخراج المنافقين بهذه الصورة من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ردعاً لهم ولأمثالهم لئلا يعودوا مثله ، وحفاظاً على مكتسبات الدعوة من كيد المرجفين ودسائس المنافقين .

١- زاد المعاد ، ابن القيم ج ٣ ص ٥٧١

٢- سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٥٢٨

ومن أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة باشر بنفسه صلى الله عليه وسلم الاحتساب في السوق فعندما (مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها ، فنالت أصابعه بللاً فقال : ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله . قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس من غش فليس مني)^(١) فهذه قاعدة عامة يدخل تحتها كثير من المعاملات التي يدخلها الغش والخداع والخيانة والتدليس مثل التطفيف في الكيل والوزن والبيوع المنهي عنه كبيع حاضر لباد وتلقي الركبان ، وبيع المصبرات^(٢) ، والنحش وبيع الملامسة والمنابذة وغير ذلك من البيوع المنهي عنها والتي يدخلها الغش لما فيها من الضرر الذي يلحق الطرفين ، فينحل بالحفاظ على مكتسبات الدعوة .

وأيضاً يدخل في الغش الخيانة في الأمانات ونقض العهود والمواثيق ، وعدم أداء الشهادة على وجهها وعموماً يتناول التفريط في كل مهام أو كلفت إليه أو تحملها الإنسان، لأن الحفاظ على مكتسبات الدعوة يتطلب إعطاء كل ذي حق حقه دون نقصان ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وقد أوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة ، وتركه من أسباب ضياع تلك المكتسبات فقال (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتنهون عنه فلا يستجيب لكم)^(٣)

ومن خلال هذا الحديث تبين كيفية قيام النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه بالاحتساب في مكة والمدينة ، وتعيينه صلى الله عليه وسلم لمن يقوم بالاحتساب كل ذلك للحفاظ على

^١ - رواه مسلم في كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "من غشنا فليس منا" ٤٣ حديث ١٠٢ ص ٦٧

^٢ - شد ضرور الحلوبة من البهائم لثلا ترضع ولدها . انظر : لسان العرب ابن منظور ، (صرر) ج ٤ ص ٤٥١ .

^٣ - رواه الترمذي في سننه ، كتاب الفتن ٣٠ ، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٩ ، حديث ٢١٦٩

ص ٣٦٠ ، قال الألباني : " حسن " انظر : صحيح سنن الترمذي للألباني ، حديث رقم ١٧٦٢ ج ٢ ص ٢٣٣ .

مكتسبات الدعوة الإسلامية وفي هذا تعليم لأصحابه رضي الله عنهم وللسلف الصالح رحمهم الله لكيفية الحفاظ على مكتسبات الدعوة؛ لأن الحسبة صمام الأمان في المجتمعات، لأنها تحمي المجتمعات بإذن الله من كل ما يهدده سواء في مجال العقيدة أو في مجال الشريعة أو في مجال الأخلاق، وفي ذلك صيانة وحماية لمكتسبات الدعوة.

المطلب الثالث: القيام بالحسبة حفاظاً على مكتسبات الدعوة في عهد الخلفاء

الراشدين رضي الله عنهم

الخلفاء الراشدون هم خير من قام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على حقيقتها في سبيل الحفاظ على مكتسبات الدعوة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم .

وهم من الذين مكنتهم الله في الأرض ، فقاموا بمقتضيات التمكين قال تعالى ﴿ الَّذِينَ إِنْ

مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ

عَلِيمٌ الْأُمُورِ ﴿١١﴾ (١) .

و) قد ثبت أن الله تعالى مكن الأئمة الأربعة من الأرض و أعطاهم السلطنة عليها فوجب

كونهم آتئين بهذه الأمور الأربعة ، وإذا كانوا أمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر

وجب أن يكونوا على الحق (٢)

وقد مارس جميعهم الحسبة رضي الله عنهم على أمتها من أجل الحفاظ على

مكتسبات الدعوة، وبذلوا في ذلك كل غال ونفيس ، لأنهم كانوا يقدرون حجم المسؤولية

الملقاة على عاتقهم رضي الله عنهم أجمعين .

وفيما يلي تفصيل ذلك :-

١- الحج آية : ٤١

٢- تفسير الفخر الرازي ج ١٢ ص ٣٢ ، ط ٣ - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ، دار الفكر

الفرع الأول: احتساب أبي بكر الصديق - رضي الله عنه

تولى الصديق الخلافة في فترة حرجة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وحينها وقعت الردة في معظم البلاد العربية وتعد الردة من أشنع المنكرات ، فشمّر الصديق في تغيير هذا المنكر دون هوادة حتى عادت الأمور إلى طبيعتها .

وتصف عائشة رضي الله عنها حال المنكرات التي انتشرت وموقف الصديق في الحفاظ على مكتسبات الدعوة حيث (قالت: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهاضها اشرب النفاق بالمدينة وارتدت العرب ، فوالله ما اختلفوا في نقطة إلا طار أبي إلى أعظمها في الإسلام)^(١)

هذا التحرك السريع الذي قام به الصديق في تدارك الأمور مع الحزم وسداد الرأي كان له أثر كبير في الحفاظ على مكتسبات الدعوة ، فكم من متنبئ قضى عليه وعلى دعوته في مهدها أو عاد إلى رشده ، وكم من مانع زكاة بادر بتسليمها وإعلان توبته ، وكم من منافق رفع عقيرته بالإرجاف والتخذيل والنيل من الإسلام والمسلمين دخل في جحره وكمم فاه ، أو دولة كافرة أرادت التحرش بالمسلمين وطمعت في أرضهم رد كيدها في نحرها ، بل أخذ ما فيدها وزالت مملكتها.

وقد قال علي بن المديني^(٢) رحمه الله موضحاً احتساب الصديق على أهل الردة حفاظاً على

مكتسبات الدعوة

^١ - تاريخ خليفة بن خياط ص ١٠٢

^٢ - الشيخ الإمام الحجة أمير المؤمنين في الحديث أبو الحسن البصري ، عرف بابن المديني مات بسامراء في ذي القعدة سنة أربع وثلاثين ومائتين ، انظر سير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٤١-٦٠

(أعز الله الدين بالصديق يوم الردة وبأحمد^(١) يوم المحنة)^(٢)

وكان الصديق رضي الله عنه يمارس الحسبة بنفسه من أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة ، فعندما اقترح عليه الصحابة أن يعود إلى المدينة ويرسل أو يعين رجلاً آخر يقوم مقامه قال (والله لا أفعل ولأواسينكم بنفسي ، فخرج في تعبته إلى ذي حسي وذي القصة)^(٣) ، فحقق هناك نجاحات وانتصارات وغيّر كثيراً من المنكرات ثم عاد ، وأسند بعض مهام الاحتساب إلى غيره بتعيينه أحد عشر لواءً^(٤) وتوجيههم إلى مناطق العمليات ثم إمدادهم بما يحتاجونه من الرجال والمؤن وما زال يمدّهم ويشير إليهم بتوجيهاته السديدة حتى أنجزوا معظم مهامهم ، وما توفي رضي الله عنه إلا وقد وقعت كثير من الأراضي التي كانت تحت سيطرة الدولة الفارسية في أيدي المسلمين مثل العراق ووقعت مدن الشام تحت حصار المجاهدين .

^١ - هو أحمد بن حنبل الإمام حقاً وشيخ الإسلام صدقاً أبو عبد الله الذهلي الشيباني البغدادي صاحب المذهب ولد في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة وتوفي في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومائتين
انظر: سير أعلام النبلاء ، الذهبي ج ١١ ص ١٧٧-١٩٦
^٢ - انظر: المرجع السابق ج ١١ ص ١٩٦
^٣ - البداية والنهاية ، ابن كثير ج ٦ ص ٣١٨
^٤ - انظر: المرجع السابق ج ٦ ص ٣١٩

الفرع الثاني: احتساب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

اشتهر الفاروق بشدته في الحق وغلظته على المخالفين وكثرة احتسابه في سبيل الحفاظ على مكتسبات الدعوة.

وقد رزقه الله الهيبة والخوف في نفوس الناس، بل والشياطين أيضاً كما صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري "قال استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عمر والرسول صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر أضحك الله سنك يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب فقال عمر فأنت أحق أن يهين يا رسول الله ثم قال عمر يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إيهما يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجا غير فجك" (١)

هذه المؤهلات التي أكرم الله بها الفاروق رضي الله عنه استخدمها في سبيل نشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وواصل المسيرة في التصدي للأعداء ومواصلة الفتوح في الجبهة العراقية والشامية حتى تم كسر الأكاسرة في بلاد الفرس وطرد القياصرة من الشام ومصر على أيدي رجال الدعوة وحماة الدين الذين اعترف الأعداء ببأسهم وقوتهم في الجهاد في سبيل الله فقد قاموا بالاحتساب حفاظاً على مكتسبات الدعوة ولذلك (كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يثبت لهم العدو فوافق ناقة عند اللقاء، فقال هرقل وهو على إنطاكية كما قدمت منهزمة الروم: ويلكم أخيروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم ليسوا بشراً مثلكم؟ قالوا: بلى فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن كثير منهم أضعافاً في كل موطن. قال: فما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزني ونركب

١- رواه البخاري كتاب فضائل الصحابة ٦٣ باب مناقب عمر بن الخطاب ٦ حديث ٣٦٨٣ ص ٥٤

الحرام ونسقض العهد ونغضب ونظلم ونأمر بالسخط وننهي عما يرضي الله ونفسد في الأرض . فقال أنت صدقتني^(١) .

فهذا الشيخ ذكر الوسائل التي ركز عليها المسلمون في سبيل الحفاظ على مكتسبات دعوتهم ونشرها وإلحاق الهزيمة بالأعداء وهذه الوسائل هي قيام الليل وصيام النهار والوفاء بالعهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإنصاف وعدم الظلم ، كما ذكر بالمقابل أفعال الروم الشنيعة.

وكان الفاروق رضي الله عنه يتفقد أحوال الرعية في أي ساعة كان من ليل أو نهار ويمر على الأسواق والأحياء فإن رأى منكراً غيره ، أو سمع بمقدمات وبوادر حدوثه ، اتخذ الإجراءات اللازمة ضده قبل وقوعه ، ومن ذلك وبينما هو يمشي ذات ليلة سمع امرأة تقول: (هل من سبيل إلى خمر فأشربها : أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج ، فلما أصبح سأل عن نصر هذا ، ثم أرسل في طلبه فلما جيء به وجدته جميل الصورة ، فأمره أن يخلق رأسه ففعل ، لكننه ازداد حسناً وجمالاً ، حيث ظهر جبينه فأمره بأن يعتم فزاده حسناً على حسنه ، فقال عمر لا والذي نفسي بيده ، لا تكون بأرض أنابها ، ونفاه إلى البصرة بعد أن أعطاه ما يصلح به حاله)^(٢) .

وأيضاً سمع ليلة أخرى نسوة يتحدثن تقول إحداهن أي أهل المدينة أصبح ؟ فتقول الأخرى: أبو ذئب فلما أصبح أرسل من يأتي به فلما رآه قال : أنت والله ذئبهن . كررها مرتين أو ثلاثاً ، ثم قال: والذي نفسي بيده لا تكون بأرض أنا بها قال أبو ذئب فإن كنت لا بد مسيري فسيري حيث ابن عمي . يريد نصر بن حجاج فنفاه إلى البصرة)^(٣) قصد الفاروق بهذا الإجراء الحرص على طهر المجتمع وسد نوافذ المنكر قبل وقوعه حفاظاً على مكتسبات الدعوة ، والفاروق رضي الله عنه "هو أول من عسى في عمله بالمدينة وحمل الدرّة وأدب بها ، ولقد قيل بعده لدرّة عمر أ هيب من سيفكم"^(٤) ، واشتد على مرتكبي المنكرات

^١ - البداية والنهاية ، ابن كثير ج ٧ ص ١٥-١٦

^٢ - انظر: تاريخ عمر بن الخطاب للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، تقديم وتعليق أسامة عبد الكريم الرفاعي ص ٨٥ ، الناشر دار إحياء علوم الدين ، بدون ذكر الطبع ومكانه .

^٣ - المرجع السابق ص ٨٩

^٤ - الطبقات الكبرى ابن سعد ج ٣ ص ٢٨٢

وأهل الريب والتهم فقد (أمر بتحريق حانوت كان يباع فيه الخمر لرويشد الثقفي وقال :
إنما أنت فويسق لا رويشد) (١) .

و (رأى رجلاً قد شاب اللبن بالماء للبيع فأراقه عليه) (٢) ، وتعد هذه العقوبات رادعة لمن قام بهذا الفعل أو من تسول له نفسه للقيام به أو بأمثاله من بيع المحرمات أو الغش في الحلال، وكان يعاقب على كل منكر بما يناسبه من الجزاء (في شاهد الزور أنه أمر بإركابه دابة مقلوبا وتسويد وجهه فإنه لما قلب الحديث قلب وجهه ولما سود وجهه بالكذب سود وجهه) (٣) .

ولم يكن احتساب الفاروق محصوراً على فئة دون أخرى بل كان يشمل جميع طبقات المجتمع حتى الولاة كان موكل بهم محمد بن مسلمة الأنصاري فإذا جاءت شكوى ضد الوالي أرسله ليحقق في الأمر ويتخذ الإجراء المناسب ضده أو يحدث شيئاً غيره مثال ذلك (بلغ عمر أن سعداً اتخذ قصرًا ، وقال : انقطع الصويت فأرسل عمر محمداً بن مسلمة وكان عمر إذا أحب أن يؤتى بالأمر كما يريد ، بعته . فأتى الكوفة فقدح وأحرق الباب على سعد فجاء سعداً ، فقال : أنه بلغ عمر إنك قلت : انقطع الصويت . فحلف أنه لم يقله) (٤) .

وأراد الفاروق من هذا الإجراء أن لا يغلق الولاة أبوابهم دون الرعية ، بل تكون مفتوحة يأتي إليهم كل من له حاجة أو شكوى دون أي عائق يحول بينهم وبين الوالي . وقد جرت مواقف احتساب كثيرة على الولاة وقواد الجيوش في عهد الفاروق رضي الله عنه لعلنا نكتفي منها بالمثل المذكور خشية الإطالة ، لأن الفاروق رضي الله عنه قد نذر كل حياته من أجل نشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها ، وحتى في آخر رمق حياته وهو يمارس

١- الحسبة في الإسلام شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٥٩

٢- المرجع السابق ص ٦٠

٣- المرجع السابق ص ٦٥-٦٦

٤- سير أعلام النبلاء ، الذهبي ج ٢ ص ٣٧٢

الحسبة ، فبعد أن طعنه أبو لؤلؤة الجوسي وعلّموا أنه ميت (جاء الناس يشنون عليه وجاء رجل شاب فقال أبشر يا أمير المؤمنين ببشر الله لك من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الإسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ثم شهادة قال وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض قال ردوا عليّ الغلام قال ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أتقى لثوبك وأتقى لربك)^(١)

هذه بعض الأمثلة التي تبين مدى اهتمام الفاروق بالحسبة حفاظاً على مكتسبات الدعوة فرضي عن الفاروق وعن الصحابة أجمعين

^١ - رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ٦٢ باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان رضي الله عنه وفيه مقتل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ٨ حديث ٣٧٠ ص ٧٥٩

الفرع الثالث: أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه

عرف عثمان باللين والرفق ودمائة الأخلاق إلا أنه في الاحتساب على مرتكبي المنكرات والمحرمات ، نراه يوقع عليهم أشد العقوبات الرادعة دون مراعاة قرابتهم منه أو مكانتهم الاجتماعية ، كما فعل بالوليد بن عقبة أخوه لأمه وكان والياً على الكوفة فعزله عنها ، (وولى عليها سعيد بن العاص وكان سبب عزله أنه صلى بأهل الكوفة الصبح أربعاً ثم التفت وقال أزيدكم ؟ فقال قائل مازلنا منك منذ اليوم في زيادة ... وشهد بعضهم عليه أنه شرب الخمر وشهد آخر أنه رآه يتقايها فأمر عثمان بإحضاره)^(١) وقال (فسنأخذ فيه بالحق إن شاء الله تعالى ثم دعا علياً فأمره أن يجلد فجلده ثمانين)^(٢) جلدة مع عزله من منصبه عقوبة له وردعا لأمثاله من ارتكاب المحرمات والاستهانة بالدين استغلالاً للمناصب والسلطة وجرياً وراء الملذات والحظوظ النفسية.

(وكتب عثمان إلى الأمصار أن يوافيه العمال في مواسم ومن يشكو منهم ، وأن يأمروا بالمعروف وينهون عن المنكر وأنه مع الضعيف على القوى ما دام مظلوماً)^(٣) فهذا المرسوم الذي حرره عثمان رضي الله عنه وبعث به للولاية يقضي بتولية الحسبة لهم ، كما يقضي بحضورهم في موسم الحج مع من له عليهم مظلمة حتى يتم الحساب والاحتساب عليهم من قبل الخليفة عثمان رضي الله عنه حفاظاً على مكتسبات الدعوة ، ونشر العدل والأمن بين الرعية.

^١ - البداية والنهاية ، ابن كثير ج ٧ ص ١٦١

^٢ - رواه البخاري كتاب فضائل الصحابة ٦٢ باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه ٧ حديث

٣٦٩٦ ص ٧٥٨

^٣ - الكامل ، ابن الأثير ج ٣ ص ١٨١

وعندما ظهرت بعض المنكرات في المدينة أو كل بها من يحتسب عليها ويغيرها حفاظاً على مكتسبات الدعوة (وقيل : كان أول منكر ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا طيران الحمام والرمي على الجلاهقات وهي قوس البندق واستعمل عليها عثمان رجلاً من بني ليث سنة ثمان من خلافته ، فقص الطيور وكسر الجلاهقات)^(١) .

وكان عثمان رضي الله عنه يؤدب بالضرب من استخف بكبار الصحابة أو قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعندما (استخف رجل بالعباس بن عبد المطلب فضربه عثمان فاستحسن منه ذلك ، فقال أيفخم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه وأرخص في الاستخفاف به ! لقد خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك ورضي به)^(٢) ، فهذا من باب انزال الناس منازلهم واحترام مشاعرهم ومكانة العباس من النبي صلى الله عليه وسلم كبيرة، وكان يحضره معه في مواقع اتخاذ القرارات الكبيرة والصعبة حتى قبل إسلامه ففي بيعة العقبة الثانية جاء به معه دون غيره وفي ذلك الوقت كان مشركاً لكن أراد أن يستوثق من الأنصار لا بن أخيه، فاحترام العباس احترام للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومن جهة أخرى أن الاستخفاف سبب للتنافر والتباغض وما لا تحمد عقباه فإنكاره وتعذير من قام به وسيلة من وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة

هذه بعض النماذج التي يتأكد من خلالها احتساب الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، على المخالفات الشرعية ، وإنكاره للأمور التي من شأنها أن تؤثر على مكتسبات الدعوة الإسلامية .

فقد كان رضي الله عنه حريصاً على هذا الأمر ، حتى أنه جاد بنفسه واستشهد في سبيل الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

^١ - الكامل ، ابن الأثير ج ٣ ص ١٨١

^٢ - المرجع السابق ج ٣ ص ١٨٢

الفرع الرابع: احتساب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

لقد كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه، من الصحابة الذين قدموا للدعوة الإسلامية الكثير والكثير، فقد كان مثلاً للشجاعة والإقدام، فقد اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لينام في فراشه ليلة هجرة النبي صلى الله عليه وسلم.

وهو الذي اختاره صلى الله عليه وسلم لإعلان البراءة من المشركين في موسم الحج سنة تسع وقال له (أخرج بهذه القصة من صدر براءة، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمعنى، أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته.. فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ولم يطوف بالبيت عريان) ^(١) 'والله الحمد والمنة حيث طهر بيته من أرجاس المشركين ومنكرا تم وجعله خالصاً للطائفتين والعاكفين والركع السجود له، واختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه المهام العظيمة منقبة كبيرة له رضي الله عنه.

وفي خلافته كان يتولى الحسبة بنفسه، فيمشي في الأسواق فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكان يحمل (درة له يمشي بها في الأسواق ويأمرهم بتقوى الله وحسن البيع، ويقول: أوفوا الكيل، والميزان، ويقول لا تنفخوا في اللحم) ^(٢)

ورأى رجلاً قد أرخى إزاره فقال له "ارفع إزارك فإنه أتقى لثوبك وأتقى لك.. (ومر على) سوق الإبل، فقال بيعوا ولا تحلفوا فإن اليمين تنفق السلعة وتمحق البركة.. " ^(٣)

فهذه مجموعة من المواضيع والقضايا التي هي من صميم الحسبة قام علي رضي الله عنه بنفسه بالاحتساب عليها حفاظاً على مكتسبات الدعوة، ومما يدل على شدة اهتمام علي رضي الله عنه بالقيام بالحسبة حفاظاً على مكتسبات الدعوة، قال في وصيته عند موته للحسن (أوصيك أي بني بتقوى الله وإقام الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة عند محلها وحسن الوضوء، فإنه لا صلاة إلا بطهور وأوصيك بغفران الذنب وكظم الغيظ، وصلة الرحم والحلم عند الجاهل، والتفقه في الدين والتثبت في الأمر والتعاهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر

^١ - سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٥٤٧

^٢ - الطبقات الكبرى ابن سعد ج ٣ ص ٢٨

^٣ - انظر المنتخب من مسند عبد بن حميد ص ٦٢، ط، ١ - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، مكتبة السنة القاهرة

بالمعروف والنهي عن المنكر ، واجتناب الفواحش ، ثم كتب وصيته ولم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى مات رضي الله عنه وأرضاه ^(١) ، فهذه الوصية أيضاً تضمنت الكثير من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويمكن الاكتفاء بهذه النماذج عن أهمية الحسبة في عهد الخلفاء الراشدين حفاظاً على مكتسبات الدعوة ، وكيف كانت للحسبة الأثر الكبير في الحفاظ على مكتسبات الدعوة ، لأن الدعوة الإسلامية بحاجة إلى من يرعاها وينميها ويتعاهدها كي توفي ثمارها ، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال حمايتها من كل أمر يمكن أن يؤثر سلباً عليها ، ولا شك أن الحسبة كانت تؤدي وظيفة كبيرة في المجتمع الإسلامي للحفاظ على مكتسبات الدعوة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي ذلك حماية للدعوة وحماية للمسلمين ، وأمان من غضب الله ، وحلول اللعنة بسبب ترك هذا الأمر ، فقد لعن الله بني إسرائيل بسبب عدم تناهيهم عن المنكرات وعدم تناصحهم ، قال تعالى :

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُكْرَمِ فَعْلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ ^(٢)

^١ - الكامل ، ابن الأثير ج ٣ ص ٣٩٢

^٢ - المائدة الآيات : ٧٨-٧٩

المبحث الثاني : مجالات الحسبة ودرجات الاحتساب حفاظاً على

مكتسبات الدعوة

المطلب الأول : مجالات الحسبة حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المطلب الثاني : درجات الاحتساب حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المطلب الأول : الاهتمام بمجالات الحسبة حفاظاً على مكتسبات الدعوة:

مجالات الحسبة تشمل الإسلام كله بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق وآداب ، وعند ما تطلق (كلمتا المعروف ، والمنكر تحملان معاني واسعة جداً ، ويدخل فيها العقائد ، والعبادات ، والأخلاق والمعاملات كلها) ^(١) ، وبما أنه قد سبق الحديث عن هذه المواضيع مجملة يأتي دور الحديث عنها هنا بالتفصيل .

الفرع الأول : الحسبة في مجال العقيدة :

إن العقيدة هي القضية الأساسية التي من أجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ، وهي محل اتفاق عند الرسل عليهم السلام قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ ^(٢) ، (فكل الرسل ، الذين من قبلك مع كتبهم زبدة رسالتهم وأصلها ، الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، وبيان أنه الإله الحق المعبود ، وأن عبادة ما سواه باطلة) ^(٣)

وأن الهدف والغاية التي من أجلها خلق الأنس والجن هي عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ^(٤) .

وإن قوة الإيمان هو الدافع لإخلاص العبادة كلها لله عز وجل وعدم صرفها لغيره وإن (الإيمان الذي هو العقيدة أصوله ستة وهي المذكورة في حديث جبريل ، عليه الصلاة والسلام ، حينما سأل النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عن الإيمان فقال : " الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره) ^(٥) ^(٦)

^١ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، السيد جلال الدين العمري ص ٥٣ ، الناشر شركة الشعاع للنشر ، الكويت ، بدون ذكر الطبعة وتاريخ الطبع

^٢ - الأنبياء آية : ٢٥

^٣ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ عبد الرحمن السعدي ، ص : ٤٧٠

^٤ - الذاريات آية : ٥٦

^٥ - مسلم ، كتاب الإيمان ١ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى ١ حديث ٨ ص ٣٦

^٦ - مجموعة فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ ، محمد بن صالح العثيمين ، فتاوى العقيدة ، جمع وترتيب ، فهد بن ناصر ابن إبراهيم السليمان ، ج ١ ص ٥٤ ، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ ، دار الوطن للنشر ، الرياض

(وقد ذكر الله في كتابه الإيمان بهذه الأصول الخمسة في مواضع ، كقوله تعالى :

﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۗ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ كَذِبًا ﴿١٧٧﴾ ﴾ وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢٠٠﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِمَّا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ .

والإيمان بالرسول يلزم منه الإيمان بجميع ما أخبروا به من الملائكة والأنبياء ، والكتاب ، والبعث ، والقدر ، وغير ذلك من تفاصيل ما أخبروا به ، من صفات الله تعالى صفات اليوم الآخر ، كالميزان والصراف ، والجنة والنار^(٤) ، كما (إن الإيمان بالقدر ، له حقيقة يدل عليها القرآن ، وله ثمرة نافعة في مسالك الإنسان في الحياة ، فهذا الإيمان بالقدر يعصم الإنسان من الجزع عند البلاء ، كما يحميه من البطر عند النعماء . كما قال الحق سبحانه :

﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ ، والمؤمنون يقولون كما علمهم ربهم في محكم كتابه (﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ .

أما الذين لا يؤمنون بالقدر فإن أحداث الحياة تهزمهم وتصيبهم باليأس القاتل ، وتجعلهم يجزعون عند الشدائد .. وهذه صورة الكافر الجزوع المنوع .. الذي لا يؤمن بالقدر ، كما جاءت في سورة المعارج : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢﴾

^١ - البقرة آية : ٢٨٥

^٢ - البقرة آية : ١٧٧

^٣ - البقرة الآيات : ٣-٤

^٤ - جامع العلوم والحكم ، ابن رجب الحنبلي ، ج ١ ص ١٠٢-١٠٣

^٥ - الحديد آية : ٢٣

^٦ - التوبة آية : ٥١

وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿١٩﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٠﴾ ﴿١﴾ ، فالمصلون المؤمنون العابدون ، هم وحدهم الذين لا يجزعون عند الشدائد.. ولا ييخلون.. ولا يتبطرون عند النعمة ، بل إن إيمانهم بالقدر يجعلهم على يقين من أن كل شيء في هذا الوجود إنما هو بحساب .. وأن أمور الخلق ليست وليدة الصراع والفوضى ، كما يزعم الجاحدون بل هي من تدبير خالق عليم ورازق حكيم كما قال سبحانه :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٢١﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَّمَجَّ بِالْبَصَرِ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٢) (٣)

فالمؤمن الذي يؤمن بأقدار الله يتمالك نفسه عند حلول المصائب ويستسلم لما قدره مولاه ، وإن نسي فذكر تذكر وصبر، وقد كان صلى الله عليه وسلم يقوم بالاحتساب والتذكير والتصبير بين أصحابه عندما يحزنون لمصائبهم فـ (عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى على امرأة تبكي على صبي لها ، فقال لها " اتقي الله واصبري " فقالت : وما تبالي بمصيبتي ، فلما ذهب ، قيل لها : إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذها مثل الموت ، فأنت بابه فلم تجد على بابه بوايين ، فقالت : يا رسول الله ، لم أعرفك ، فقال : " إنما الصبر عند أول صدمة " أو قال " عند أول الصدمة " (٤) .

وحماية لجانب التوحيد والبعد عما يدعو إلى التعلق بغير الله عز وجل (فهي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخصص القبر، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه) (٥) ، كما هي أن يصلى إليها بقوله (لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها) (٦) ، و (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج) (٧) ، لأن البناء على القبور واتخاذها مساجد ، والصلاة إليها ، وإسراجها ، والتردد إليها خاصة من النساء (تعظيم لأهل القبور وكونه وسيلة وذريعة إلى أن تعبد هذه القبور ، وتتخذ آلهة مع الله كما هو الشأن في

١- المعارج الآيات: ١٩- ٢٢

٢- القمر الآيات : ٤٩ - ٥٠

٣- الإيمان في القرآن، د/ مصطفى عبد الواحد ٢١٥-٢١٦، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار الصحوه ، القاهرة

٤- رواه مسلم كتاب الجنائز ١١، باب في الصبر عند المصيبة عند الصدمة الأولى ٨ حديث ٩٢٦ ص ٣٥٨

٥- رواه مسلم كتاب الجنائز ١١، باب النهي عن تخصيص القبور والبناء إليه ٣٢ حديث ٩٧٠ ص ٣٧٤

٦- رواه مسلم كتاب الجنائز ١١ باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه ٣٣ حديث ٩٧٢ ص ٣٧٥

٧- رواه أحمد ج ١ ص ٢٨٧، قال الأرووط في الموسوعة الحديثية "حسن لغیره دون ذكر السرج" ج ٤ ص ٣٦٣

كثير من الأبنية التي بنيت على القبور، فأصبح الناس يشركون بأصحاب هذه القبور، ويدعونها مع الله تعالى، ودعاء أصحاب القبور والاستعانة بهم لكشف الكربات شرك أكبر، وردة عن الإسلام. والله المستعان^(١).

وأنكر صلى الله عليه وسلم على من نسب المطر إلى النجوم (عن زيد ابن خالد الجهني قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في إثر السماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: "هل تدرؤن ماذا قال ربكم" قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب)^(٢)، قال، الشيخ، عبدالرحمن بن حسن (إذا قال قائلهم: مطرنا بنجم كذا أو بنوء كذا، فلا يخلو: إما أن يعتقد أن له تأثيراً في نزول المطر، فهذا شرك وكفر... وإما أن يقول: مطرنا بنوء كذا مثلاً، لكن مع اعتقاده أن المؤثر هو الله وحده، لكنه أجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم. والصحيح أنه محرم نسبة ذلك إلى النجم ولو على طريق المجاز)^(٣).

هذه نماذج من الشواهد الكثيرة في الكتاب والسنة التي تدعو إلى التوحيد، وتحذر من الشرك وأن الرسول صلى الله عليه وسلم اهتم بمجال العقيدة أيما اهتمام، فأنكر على كل من بدر منه ما يخدش العقيدة، وحذر أمته من الوقوع فيما يخالف العقيدة الصحيحة وأخذ الصحابة منه هذا المنهج القويم والصراط المستقيم، وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم، فاخترت مظاهر الشرك في عصرهم خاصة في البلاد التي فتحت ووقعت تحت سيطرة دولة الخلافة الراشدة.

^١ - مجموعة فتاوى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله ج ٢ ص ٢٣٣

^٢ - البخاري كتاب الأذان ١٠ باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم ١٥٦ حديث ٨٤٦ ص ١٦٨، ومسلم كتاب الإيمان ١ باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء ٣٢ حديث ٧١ ص ٥٨

^٣ - فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن عبد الوهاب، تحقيق د/ الوليد بن عبد الرحمن آل فريان ص ٣٧٠، ط ٤ - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، دار عالم الكتب للطباعة، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية

الفرع الثاني : الحسبة في مجال الشريعة :

(سمي ما شرع الله للعباد شريعة ، من الصوم ، والصلاة ، والحج ، والنكاح ، وغيره)^(١) من المعاملات ، والعقوبات المقررة على كل من يخالف شرع الله عز وجل .
 و) الإنسان في حاجة إلى الشريعة ، إنما حق التشريع لله وحده ، ولا يستطيع الإنسان ، في حياته الشخصية ولا في حياته الاجتماعية أن يكون في غنى عن الشريعة ، ولكن لا يجوز له أن يضع قانوناً بنفسه ويتقيد به ، فالشريعة التي شرع الله تعالى هي المعروف ، والقانون الذي يعارضها هو المنكر . فإذا اعترف الإنسان بأن حق التشريع لله وحده صارت حياته خاضعة للمعروف واتجهت إلى وجهة صحيحة)^(٢) .

إن الشريعة مجالها واسع وباتساع مجال الشريعة يتسع مجالات الحسبة فيها ولم يترك الرسول صلى الله عليه وسلم مجالاً من مجالات الحسبة إلا وقد طرقه ؛ لأنه هو المبلغ عن الله تعالى ما شرعه ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ لَمَّا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾^(٣)

فمن احتسابه صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بالصلاة وشروطها وأركانها (عن عبد الله بن عمرو — رضي الله عنهما — قال: تخلف النبي صلى الله عليه وسلم عنا في سفرة فأدركنا وقد أرهقنا العصر فجعلنا نتوضأ ونمسح على أرجلنا فنأدى بأعلى صوته : "ويل للأعقاب من النار" مرتين أو ثلاثاً)^(٤) .

ومن ذلك — أيضاً — ما روي (عن معاوية ابن الحكم السلمي — رضي الله عنه — قال: بينما أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ عطس رجل من القوم فقلت يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم . فقلت : وا تُكَلِّ أُمِّيَاه ! ما شأنكم ؟ تنظرون إلي ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يصمتونني ، لكنني سكت . فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأبي هو وأمي ! ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً

^١ — لسان العرب ابن منظور ج ٨ ص ١٧٥ ، مادة ، شرع ،

^٢ — الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، السيد جلال الدين العمري ص ٥٦

^٣ — المائدة آية : ٦٧

^٤ — رواه البخاري كتاب الوضوء ، ٤ باب غسل الرجلين ولا يمسح على القدمين ٢٨ حديث ١٦٣ ، ص ٤٠

منه ،فوالله !ما كهربي ولا ضربني ولا شتمني ،قال: "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ،إنما هو التسييح والتكبير وقراءة القرآن" أو كما قال صلى الله عليه وسلم^(١) .
واحتسب صلى الله عليه وسلم فيمن أسرع وأخل بأركان الصلاة وواجباتها ،فقال — صلى الله عليه وسلم — : (ارجع فصل فإنك لم تصل" ..حتى فعل ذلك ثلاث مرات فقال الرجل: والذي بعثك بالحق! ما أحسن غير هذا،علمني . قال : "إذا قمت إلى الصلاة فكبر،ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ،ثم اركع حتى تطمئن راکعاً،ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً،ثم ارفع حتى تطمئن جالساً،ثم افعل ذلك في صلاتك كلها)^(٢) .
وأنكر — صلى الله عليه وسلم — على من أراد أن يكلف نفسه بما لم يشرعه الله عليه ،وذلك عند ما (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم ،فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر،فقال أحدهم أما أنا فأنا أصلي الليل أبداً،وقال آخر:أنا أصوم الدهر ولا أفطر،وقال آخر:أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال "أنتم الذين قلتُم كذا وكذا؟أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ،لكني أصوم وأفطر،وأصلي وأرقد،وأتزوج النساء،فمن رغب عن سنتي فليس مني)^(٣) .

بإدراك صلى الله عليه وسلم بالمجيء إلى هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم الذين وقعوا في الفهم الخاطيء رغبة منهم في الخير،و أرادوا أن يلزموا أنفسهم بما لا طاقة لهم به ،فأخبرهم أن الدين يسر،وأن الخير في الاتباع والبعد عن الابتداع ،وأن سنته تخالف ما ألزموا به أنفسهم وكان ذلك رحمة بهم ،وحفاظاً على مكتسبات الدعوة،ورداً على كل من يتدع في الدين .
ومن احتسابه صلى الله عليه وسلم في الحج أنه (مر وهو يطوف بالكعبة بإنسان ربط يده إلى إنسان بسير أو بخييط أو بشيء غير ذلك ،فقطعه النبي صلى الله عليه وسلم بيده ثم قال "قد بيده)^(٤) .

^١ - رواه مسلم كتاب المساجد ٥، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة ٧، حديث ٥٣٧، ص ٢١٦

^٢ - رواه مسلم كتاب الصلاة ٤، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ١١، حديث ٣٩٧، ص ١٧٠

^٣ - رواه البخاري كتاب النكاح ٦٧، باب الترغيب في النكاح ١، حديث ٥٠٦٣، ص ١١٠٠

^٤ - رواه البخاري كتاب الحج ٢٥، باب الكلام في الطواف ٦٥، حديث ١٦٢٠، ص ٣٢٢

لا شك أن هذا الربط يسبب ضرراً للمربوط والمربوط عليه وغيرهما من الطائفتين خاصة مع الزحمة، والنبي صلى الله عليه وسلم رحيم بأمته يرشدهم لما فيه منفعة لهم وكرامة ورفعة، وقد جرت العادة أن مثل هذا الربط والقران لا يكون إلا للبهائم وخاصة الإبل، فلا ينبغي للإنسان أن يتزل إلى مستوى البهائم ويتشبه بها.

ومن احتسابه صلى الله عليه وسلم على من ولاه بعض المهام وحصلت منهم بعض التصرفات غير المقصودة في الغالب (عن أبي حميد الساعدي قال: استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً على صدقات بني سليم يدعى ابن اللثبية فلما جاء حاسبه قال: هذا مالكم وهذا هدية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "فهلا جلست في بيت أهلك وأملك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً؟" ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "أما بعد فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاي الله فيأتي فيقول: هذا مالكم وهذا هدية أهديت لي. أفلا جلس في بيت أبيه وأمه تأتيه هديته؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة فلاعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بغيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر" ثم رفع يديه حتى رئي بياض إبطه يقول "اللهم هل بلغت؟" بصر عيني وسمع أذني^(١).

فالحديث دل على أهمية الحفاظ على المكتسبات الدعوة المادية والبشرية أيضاً لأن هذه المحاسبة هي في صالح المجتمع عموماً والشخص المحاسب خصوصاً.

أما مخالفات قواد الجيوش غير المقصودة التي أنكرها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمكن أن يمثل لها بما جرى من خالد بن الوليد رضي الله عنه قال عبد الله بن عمر (بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني حذيفة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ودفع إلى كل رجل منا أسيره حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره

^١ - رواه البخاري كتاب الحيل ٩٠، باب احتيال العامل ليهدى له ١٥ حديث ٦٩٧٩ ص ١٤٦٥

فقلت: والله لا أقتل أسيري. ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، حتى قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم فذكرناه له فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه فقال: "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد" مرتين (١) فالنبي صلى الله عليه وسلم أنكر على خالد هذا العمل وتبرأ منه — أي من العمل — وذلك حفاظاً على مكتسبات الدعوة .

ومن أمثلة ذلك : (بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليها رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه فغضب فقال: أليس أمركم النبي صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني ؟ قالوا : بلى قال فاجمعوا لي حطباً فجمعوا فقال أوقدوا ناراً ، فأوقدوها فقال : ادخلوها ، فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضاً ويقولون: فررنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من النار فمازالوا حتى حمدت النار فسكن غضبه فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : "لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة ، الطاعة في المعروف" (٢) ، فهذا إنكار منه صلى الله عليه وسلم على الأمر والمأمورين لو حصل منهم الدخول و (يعني أن الدخول فيها معصية والعاصي يستحق النار ويحتمل أن يكون المراد دخولها مستحلين لما خرجوا منها أبداً) (٣) .

قد وضع صلى الله عليه وسلم القاعدة لمن تجب طاعتهم بقوله "الطاعة في المعروف" فإذا أمر الوالي أو القائد أو الأم والأب بالمنكر فحيث لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق .

أما ما يتعلق بقيام الولاية بالاحتساب على الرعية ما رواه أبو بردة رضي الله عنه قال "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن قال وبعث كل واحد منهما على مخالف ، قال: واليمن مخالفان ، ثم قال "يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا" فانطلق كل واحد منهما إلى عمله ، قال: وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه كان قريباً من صاحبه أحدث به عهداً فسلم عليه فسار معاذ في أرضه قريباً من صاحبه أبي موسى فجاء يسير على بغلته حتى انتهى إليه فإذا هو جالس وقد اجتمع إليه الناس وإذا رجل عنده

^١ - رواه البخاري في كتاب المغازي ٦٤ باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني حذيفة ٥٩ حديث ٤٣٣٩ ص ٨٩٢

^٢ - رواه البخاري في كتاب المغازي ٦٤ باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي ، وعلقمة بن مجزز المدلجي . ويقال: إنها سرية الأنصاري ٦٠ حديث ٤٣٤٠ ص ٨٩٢

^٣ - فتح الباري ابن حجر ج ٧ ص ٦٥٧

قد جمعت يدها إلى عنقه فقال له معاذ: يا عبد الله بن قيس أيم هذا؟ قال: هذا رجل كفر بعد إسلامه قال: لا أنزل حتى يقتل قال: إنما جيء به لذلك فأنزل قال: ما أنزل حتى يقتل فأمر به فقتل ثم نزل... (١)

فالحديث دل على قيام الولاية بالاحتساب على الرعية حفاظاً على مكتسبات الدعوة وشدة الحرص على تنفيذ أحكام الله في المرتدين والمجرمين دون تأخير، وأن ذلك يضمن الهيبة للدعوة والحماية من التلاعب بالدين وتمييعه بالدخول والخروج، وأن من علم أن هذا العقاب سيلحق به لا يفكر في الخروج منه بعد الدخول فيه .

^١ - رواه البخاري في كتاب المغازي ٦٤ باب ٦١ حديث ٤٢٤٣ ص ٨٩٢

الفرع الثالث : الحسبة في مجال الأخلاق والآداب

تعريف الأخلاق في اللغة : (الخلق، بضم اللام وسكونها : وهو الدين والطبع ، والسجية ، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة ، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة)^(١) .

تعريف الأخلاق في الاصطلاح : (أنها مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس وفي ضوئها وميزاتها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح، ومن ثم يقدم عليه أو يحجم عنه)^(٢) .

وللأخلاق أهمية بالغة لما لها من تأثير كبير في سلوك الإنسان وما يصدر عنه ، بل نستطيع أن نقول إن سلوك الإنسان موافق لما هو مستقر في نفسه من معان وصفات . فأفعال الإنسان ، إذن موصولة دائماً بما في نفسه من معان وصفات صلة فروع الشجرة بأصولها المغيبة في التراب . ومعنى ذلك أن صلاح أفعال الإنسان بصلاح أخلاقه ، لأن الفرع بأصله ، إذا صلح الأصل صلح الفرع ، وإذا فسد الأصل فسد الفرع)^(٣) .

(إن الخلق في الأفراد والمجتمعات ثروة من أجل الثروات وأنفعها ، فإذا كان المال يجلب الرزق ، ويوفر الراحة والسعادة في بعض الأحيان . فإن الخلق رأس مال كبير وهناء حقيقي وسعادة دائمة . فكم من تجارة كسدت وبارت بسوء الخلق ، وكم من طرق سدت ، وأجواء أظلمت ، ونفس قلقت بسوء الخلق ، وكم من بيوت تعست وخربت ، وتحطمت من سوء الخلق)^(٤) .

والشريعة الإسلامية جاءت ، لإسعاد الناس وكرامتهم وتزكية نفوسهم وإتمام مكارم الأخلاق فيهم قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(٥) .

^١ - لسان العرب ابن منظور ج ١٠ ص ٨٦ ، مادة ، خلق ،

^٢ - أصول الدعوة عبد الكريم زيدان ، ص ٧٥ ، ط ٢ ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ، دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر ، الإسكندرية .

^٣ - المصدر السابق ص ٧٥

^٤ - سلوك المسلم ، د/توفيق يوسف الواعي ، ص ١٦٩ ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ، مكتبة دار التراث ، الكويت

^٥ - الجمعة آية : ٢

وقال صلى الله عليه وسلم (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)^(١)

(قال ابن عبد البر في التمهيد^(٢)..ويدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كله ،والدين والفضل ،والمروءة والإحسان والعدل ،فبذلك بعث ليتممه،وقد قالت العلماء :إن أجمع آية للبر والفضل ومكارم الأخلاق قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾^(٣))^(٤)

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم بالاحتساب بين أصحابه في مجال الأخلاق والآداب ،فيأمرهم بالأخلاق الحميدة والآداب الرفيعة فـ(عن المسور ابن مخرمة — رضي الله عنه — قال " أقبلت بحجر أحمله ،ثقيل ،وعليّ إزار خفيف ،قال فأنحل إزاري ومعني الحجر، لم أستطع أن أضعه حتى بلغت به إلى موضعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ارجع إلى ثوبك فخذه ولا تمشوا عراة)^(٥) .

ومن احتسابه صلى الله عليه وسلم في آداب المشي على الطريق ، عن أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه (أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء: استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق ،عليكن بحافات الطريق، فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى أن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به)^(٦)

فالحديث يدل على شدة حصر النبي صلى الله عليه وسلم في توجيه الأمة للآداب الرفيعة والأخلاق الحميدة ونشر الطهر والعفاف في المجتمع، والبعد عن السبل المؤدية للاختلاط والفتن ،كما دل على سرعة استجابة نساء الصحابة للأوامر والنواهي الشرعية .

^١ - مسند الإمام أحمد ج ٢ ص ٣٨١، قال الأرنؤوط :في الموسوعة الحديثية "صحيح" ج ١٤ ص ٥١٣

^٢ - ج ٢٤ ، ص ٣٣٢ .

^٣ - النحل آية : ٩٠ .

^٤ - الموسوعة الحديثية ج ١٤ ص ٥١٣ .

^٥ - رواه مسلم كتاب الحيض ٣، باب الاعتناء بحفظ العورة ١٩، حديث ٣٤١، ص ١٤٥

^٦ - سنن أبي داود ، كتاب الأدب ٤٠ ، باب في مشي النساء مع الرجال في الطريق ١٦٧، ١٦٨، حديث ٥٢٧٢، ص ٥٦٥

قال الألباني في صحيح أبي داود : حسن ، ج ٣ ص ٩٨٩ .

ومن احتسابه صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بآداب الطعام، قال عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما (كنت غلاماً في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصُّحُفَة ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك " فما زالت تلك طعمتي بعد)^(١) .

وبالجمله فمجال الأخلاق واسع، وله أهمية كبيرة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة ولذلك (قد اعتبرت الشريعة الإسلامية الأخلاق الفاضلة أولى الدعائم التي يقوم عليها المجتمع، ولهذا فهي تحرص على حماية الأخلاق، وتشدد في هذه الحماية... لأنه إذا صينت الأخلاق فقد صينت الصحة والأعراض والأموال والدماء وحفظ الأمن والنظام، فتزكية النفس وتطهيرها من الخبائث ومن الرجس والدنس بجميع أنواعه، يتضمن التحلي بجميع خلال البر، والخير والتخلي عن جميع الرذائل ونوازع الشر، وما يحيك بالصدر من آثام)^(٢) .

والخلاصة كان عصر النبوة والخلافة الراشدة قد طبقت فيه جميع مجالات الحسبة، من عقيدة وشريعة وأخلاق وآداب، فاعتنق الناس العقيدة الصحيحة وولى عصور الجهل والخرافة والشعوذة، كما طبقت الشريعة بكاملها دون تفرقة بين أفراد المجتمع، فحل الأمن والأمان والطمأنينة والسلام، وتحلى الناس بالأخلاق الكريمة والشيم الرفيعة فانتشر الطهر والعفاف، والمروءة والشجاعة والإقدام والصدق والوفاء، فكان لذلك الأثر الكبير في الحفاظ على مكتسبات الدعوة، والله الحمد.

^١ -رواه البخاري كتاب الأطعمة ٧٠، باب التسمية على الطعام الأكل باليمين ٢، حديث ٥٣٧٦، ص ١١٦٦

^٢ - دور الحسبة في حماية المصالح، د/شوكت محمد عليان ص ١٦٥-١٦٦

المطلب الثاني: القيام بدرجات الاحتساب حفاظاً على مكتسبات الدعوة

هنالك أمور تحمل المحتسب على القيام بالحسبة وتجعله يقدم على إنكار المنكر — (تارة يحمل عليه رجاء ثوابه وتارة خوف العقاب في تركه ، وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه وتارة النصيحة للمؤمنين والرحمة لهم ورجاء إنقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لغضب الله وعقوبته في الدنيا والآخرة ، وتارة يحمل عليه إجلال الله وإعظامه ، ومحبته وأنه أهل أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر ، وأن يفتدى من انتهاك محارمه بالنفس والأموال) (١) .

والمحتسب مع هذه الدوافع العظيمة لا بد أن يكون ملماً وعارفاً بدرجات الاحتساب حتى يمشي عليها خطوة خطوة لتحقيق الهدف المنشود وهذه الدرجات كما ذكرها أهل العلم هي :-

- ١- التعرف على المنكر ٢- التعريف والتعليم ٣- النهي بالوعظ والنصح والتخويف من الله تعالى ٤- الغلظة في القول ٥- التهديد والتخويف ٦- التغيير باليد ٧- إشهار السلاح .
- ويمكن تناول هذه الدرجات بنوع من التوضيح والتفصيل .

الدرجة الأولى: وهي التعرف على المنكر لا بد للمحتسب أن يتعرف على المنكر الذي ارتكب قبل أن يقوم بالاحتساب يتأكد من أنه وقع وأنه منكر لاشك فيه إما بنفسه أو عن مصادر موثوقة عنده. قال تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿١٠١﴾﴾ (٢)

(ومعنى هذا أنه يتحرى في المعرفة ، ولا يستمع إلى الإشاعات ، أو يأخذ الأخبار من مصادر غير موثوقة ، أو من عدو ، أو من صاحب مصلحة) (٣) فالأخذ من هذه المصادر قد يوقع في أخطاء ، يصعب معالجتها ، وتفاديتها ، فالحذر والتأكد مطلوب في مثل هذه الأمور .

١- جامع العلوم والحكم ج ٢ ص ٢٥٥

٢- الحجرات آية: ٦

٣- حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأركانها ومجالاته، د/ حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار ، ١٦٠، ط، ١—

١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، دار إشبيلية للنشر والتوزيع، الرياض

أما: الدرجة الثانية وهي التعريف والتعليم وذلك أن مرتكب المنكر قد يكون جاهلاً بأن ما ارتكبه منكر فعلى المحتسب أن يعرفه ويعلمه بأن هذا منكر ويجب عليه الابتعاد عنه وذلك رحمة به وشفقة عليه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم) ^(١) .

والدرجة الثالثة: النهي بالوعظ والنصح والتخويف من الله عز وجل وهذا لمن يرتكب المنكر مع علمه أنه منكر لكن قد تغلب عليه الشهوة فواجب المحتسب أن يقدم له النصح وبخوفه بالله عز وجل وأن لذات الدنيا زائلة، قال تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ ^(٢) .
و لاشك أن (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو: نصيحة لحماية الدين وللإصلاح بين الناس في المجتمع، فإذا رأى المحتسب ما يوجب الاحتساب فعليه أن ينهى عن المنكر، وأن ينصح ويعظ ملتزماً بالرفق والقول اللين، وينبغي للمحتسب ألا يتجاوز هذه المرحلة إلا إذا ثبت له عدم جدواها وكان قادراً على سواها) ^(٣)

أما الدرجة الرابعة: هي الغلظة في القول لمن يسترسل ويتمادي في المنكر بعد النصح والوعظ ولا يلزم من الغلظة في القول أن يتفوه المحتسب بالكلام الفاحش وإنما هي غلظة مترنة فيها التشنيع على مرتكب المنكر بأسلوب يشعره بذلك، كما قال إبراهيم عليه السلام لأبيه وقوية في قوله تعالى ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَآ يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ ^(٤) .

^١ - رواه أبو داود في كتاب الطهارة ١ ، باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة ٤ ، حديث ٨ ، ص ٢٥ ، قال الألباني " حسن " . انظر: صحيح سنن أبي داود حديث رقم ٨ ج ١ ص ٥

^٢ - النساء آية: ٦٣

^٣ - أصول الحسبة في الإسلام د/كمال الدين إمام ص ١٠٦

^٤ - الأنبياء الآياتان : ٦٦-٦٧

أما الدرجة الخامسة: فهي التهديد والتخويف لفاعل المنكر مثل أن يقول له إن رأيتك تفعل هذا الفعل بعد اليوم لأضربنك أو لأخبرن السلطان بفعلك وما شابه ذلك. فهذه الدرجات الخمسة يستعمل فيها المحتسب اللسان فقط بأساليب مختلفة، (والأدب في هذه الرتبة أن لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه) ^(١) بأن يكون محرماً أو مباح لا يستطيع إيقاعه فيظهر أما مه بالعجز

أما الدرجة السادسة: فهي تغيير المنكر باليد وهي من أعلى الدرجات ولا يقدم عليها إلا أهل القوة والبأس وذلك مثل كسر آلات اللهو وإراقة الخمر ونحو ذلك وينبغي أن تكون بأقصى درجات الحكمة وأن تكون بعيدة من الهوى والشهوة بمعنى أن يكون الباعث لها وجه الله عز وجل، وألا يحش (من وراء ذلك ظهور مفسدة أعظم من المصلحة المطلوبة) ^(٢) .

أما الدرجة السابعة: فهي إشهار السلاح وتكون هذه الدرجة فيما لو تكتل العصاة وتعاونوا في إظهار المنكر وإبرازه، في هذه الحالة يستدعي المحتسب أعوانه ويشهر السلاح أمام مرتكبي المنكرات إذا كان من فئة المحتسب المولى ذلك، كما أشار إلى ذلك عبد السلام هارون بقوله: " فإن احتاج إلى شهر السلاح وكان يقدر على دفع المنكر بشهر السلاح وبالخرج فله أن يتعاطى ذلك ما لم يثر فتنة " ^(٣) .

وعلى العموم أن هذه الدرجات المقصود منها الحفاظ على مكتسبات الدعوة، والعمدة في درجات الاحتساب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطيع فبلسانه وإن لم يستطيع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) ^(٤) .

ولاشك أن هذه الدرجات لتحقيق الحفاظ على مكتسبات الدعوة تحتاج من القائم بالحسبة أن يتخذ أقصى درجات الحيطة والحذر قبل إقدامه في أي درجة من هذه الدرجات لأنه يتعامل مع أنماط مختلفة من البشر كل منهم يحتاج إلى أسلوب خاص بقصد هدايته للجادة، وتحريره مما وقع فيه من الأخطاء، مع الاستعانة في ذلك بعد الله عز وجل بالإخلاص والعلم الشرعي الذي ينير له الطريق، والتعامل بأقصى درجات الحكمة والوضوح، وتوظيف

^١ - تهذيب إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، عبد السلام هارون ج ١ ص ٢٩٣

^٢ - نظام الحسبة في الإسلام، دراسة مقارنة، عبد العزيز بن محمد بن مرشد ص ١١٢، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المعهد العالي للقضاء

^٣ - تهذيب إحياء علوم الدين، عبد السلام هارون، ج ١ ص ٢٩٣ .

^٤ - رواه مسلم كتاب الإيمان ١ باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان ٢٠ حديث ٤٩ ص ٥١

كل فرصة تتاح له في مجال الحفاظ على مكتسبات الدعوة ونشر الفضيلة في المجتمع، وطمس معالم الفساد ومظاهر الفجور .

وأن يكون قدوة حسنة فيما يقول ويفعل ، ويطلب من مولاه ثواب ما يفعل ، وبهذا تم فصل الحسبة حفاظا على مكتسبات الدعوة .

الفصل الثالث:

الهجرة حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المبحث الأول :

مشروعية الهجرة حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المبحث الثاني :

الهجرة إلى الحبشة والتخطيط لها حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المبحث الثالث :

الهجرة إلى المدينة والتخطيط لها حفاظاً على مكتسبات الدعوة

تعريف الهجرة

الهجرة لغة :

المهجر ضد الوصل هَجْرَهُ يَهْجُرُهُ هَجْرًا وهجراناً: صرمه وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوي من باديته إلى المدن ، يقال هاجر الرجل إذا فعل ذلك وسمي المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التي نشؤوا بها لله ، ولحقوا بدار ليس لهم بها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة ، فكل من فارق بلده من بدوي أو حضري أو سكن بلداً آخر فهو مهاجر والاسم منه الهجرة ^(١) .

الهجرة شرعاً :

هجران بلد الشرك والانتقال منه إلى دار الإسلام كما كان المهاجرون قبل فتح مكة يهاجرون منها إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وقد هاجر من هاجر منهم قبل ذلك إلى أرض الحبشة إلى النجاشي ^(٢) ، وهو أيضاً في الشرع مفارقة دار الكفر إلى دار الإسلام خوف الفتنة وطلب إقامة الدين ^(٣) ، وتكاد تجمع تعريفات الهجرة شرعاً بأنها انتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام بقصد إقامة شعائر الدين .

^١ - انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج ٥ ص ٢٥٠-٢٥١، مادة، هجر، ومعجم مقاييس اللغة، ابن فارس ج ٦ ص ٣٤، مادة (هجر) .

^٢ - جامع العلوم والحكم ، ابن رجب الحنبلي ، ج ١ ص ٧٢-٧٣

^٣ - عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، بدر الدين العيني ج ١ ص ٢٣، بدون ناشر وتاريخ طبع

المبحث الأول : مشروعية الهجرة حفاظاً على مكتسبات الدعوة :

شرعت الهجرة لمقاصد نبيلة وأهداف سامية وهي عز المؤمن وحرية عقيدته ونشرها والحفاظ على مكتسباتها ، فعندما يتعرض المؤمن للإهانة والتخويف بالقتل والفتك بقصد محاولة إرغامه في تبديل عقيدته أو عدم إظهارها . فحينئذ يجب عليه أن يبحث عن أرض يمارس فيها شعائر دينه بحرية وأمان ولن يعدم في أرض الله الواسعة مكاناً تكفل له ذلك .

ومشروعية الهجرة في سبيل الحفاظ على مكتسبات الدعوة لم تكن قاصرة على هذه الأمة بل كانت مشروعاً أيضاً للمؤمنين السابقين لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فهذا خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام هاجر من العراق إلى الشام بعد أن وقف قومه من دعوته موقف العداء والمخاربة .

قال تعالى ﴿ فَمَنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(١)

﴿ وَجَنَيْنَهُ وُلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾^(٢) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً^ط وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ^(٣) وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ^(٤) ﴾^(٢) (فها جر من كوتي وهو من سواد الكوفة إلى حران ثم إلى الشام و معه لوط وامرأته سارة وهو أول من هاجر)^(٣) (ولما هجر قومه في الله وهاجر من بين أظهرهم وكانت امرأته عاقراً لا يولد لها ولم يكن له من الولد أحداً بل معه ابن أخيه لوط بن هاران بن آزر وهبه الله تعالى بعد ذلك الأولاد الصالحين وجعل في ذريته النبوة والكتاب فكل نبي بعث بعده فهو من ذريته وكل كتاب نزل من السماء على نبي من الأنبياء من بعده فعلى أحد نسله وعقبه خلعة من الله وكرامة له حين ترك بلاده وأهله وأقربائه وهاجر إلى بلد يتمكن فيها من عبادة ربه عز وجل ودعوة الخلق إليه والأرض التي قصدتها بالهجرة أرض الشام)^(٤) ، وكانت له هجرات أخرى

١- العنكبوت آية: ٢٦

٢- الأنبياء الآيات: ٧١-٧٣

٣- مختصر تفسير البغوي ج ٢ ص ٧١٦

٤- البداية والنهاية ابن كثير ج ١ ص ١٤١

أو هي رحلات إلى مصر ومكة مرات متعددة وكل ذلك في سبيل الحفاظ على مكتسبات الدعوة ونشرها .

هجرة موسى عليه السلام

انطلق موسى بقومه بني إسرائيل من أرض مصر ذاهباً إلى أرض فلسطين^(١) وذلك بعد أن أمره الله عز وجل بالهجرة في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ۖ فَاَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ فَجُودِهِمْ فَعُشِبِهِمْ مِّنَ آلِيمٍ ۚ مَا غَشِيَهُمْ ۖ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ۖ ﴾^(٢) وقال عز وجل ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ۖ إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ۖ ﴾^(٣)

ولما كان من سنته تعالى في عباده انجاء المؤمنين المصدقين من أوليائه ، المعترفين برسالة رسله وأنبيائه ، وإهلاك الكافرين المكذبين لهم من أعدائه أمر موسى أن يخرج ببني إسرائيل ليلاً^(٤) حسب الخطة المرسومة له والوجهة المقصودة بالهجرة حفاظاً على مكتسبات الدعوة البشرية والمعنوية بعد أن تعرضت من قبل فرعون للإهانة والتذليل وشدة التعذيب قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ۖ مِنْ فِرْعَوْنَ ۗ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ۖ ﴾^(٥)

وبعد نجاة بني إسرائيل وهلاك فرعون وأتباعه يذكر موسى عليه السلام قومه بنعم الله التي لا تحصى قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أُنجَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدْحِقُونَ أبنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۗ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۖ ﴾^(٦)

^١ - قصص الأنبياء عبد الوهاب النجار ص ٢٠٠

^٢ - طه الآيات: ٧٧-٧٩

^٣ - الشعراء آية: ٥٢

^٤ - الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج ٧ ص ٩٥

^٥ - الدخان الآيتان : ٣٠-٣١

^٦ - إبراهيم آية: ٦

والخلاصة أن الهجرة شرعت لموسى عليه السلام وقومه كما شرعت لإبراهيم عليه السلام فكانت سبب عزهم ورفعتهم ومن وسائل الحفاظ على مكتسبات دعوتهم.

مشروعية الهجرة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم في سبيل الحفاظ على مكتسبات دعوتها :

عندما توفرت دواعي الهجرة في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من الاضطهاد والتعذيب والفتنة في الدين شرع الله لهم الهجرة حفاظاً على مكتسبات الدعوة ونشرها فهي واجبة بأدلة الكتاب والسنة والإجماع وباقية في الأمة ما بقي الصراع بين الحق والباطل إلى طلوع الشمس من مغربها .

قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَبْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿١٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٩﴾ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسِعَةً وَمَنْ تَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٠﴾ ﴿^(١)

^(٢)تضمنت هذه الآيات مشروعية الهجرة والوعيد الشديد في تركها كما دلت على أن الهجرة من أكبر الواجبات وتركها من المحرمات بل من أكبر الكبائر^(١) وقال ابن قدامة (هذا وعيد شديد يدل على الوجوب ولأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه والهجرة من ضرورة الواجب وتمته وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)^(٢) وقد قال صلى الله عليه وسلم (أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين)^(٣)، والحديث دليل على وجوب

^١ - النساء الآيات : ٩٧-١٠٠

^٢ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ، عبد الرحمن السعدي ص ١٦٠

^٣ - المغني، ابن قدامة ج ١٣ ص ١٥١، ط، ٢- ١٤١٣هـ، هجر، القاهرة

^٤ - رواه أبو داود في كتاب الجهاد ٩ باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود ٩٥، حديث رقم ٢٦٤٥، ص ٢٩٨، والترمذي في كتاب السير ٢٢ باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين ٤٢ حديث رقم ١٦٠٤، ص ٢٨، وقال الألباني في صحيح الترمذي صحيح ج ٢ ص ١١٩

الهجرة من ديار المشركين من غير مكة وهو مذهب الجمهور (وذهب الأقل إلى أنها لا تجب الهجرة) ^(١)

و) الهجرة هي الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام وكانت فرضاً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم واستمرت بعده لمن خاف على نفسه والتي انقطعت أصلاً هي القصد إلى حيث كان ^(٢) يعني إلى المدينة حيث كان بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : علاء الدين المرادي (وتجب الهجرة على من عجز عن إظهار دينه في دار الحرب) ^(٣) ، فدللت الأدلة بمجموعها وأقوال العلماء على مشروعية الهجرة ووجوبها حفاظاً على مكتسبات الدعوة ونشرها أما قوله صلى الله عليه وسلم (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا) ^(٤) ، المقصود بالفتح فتح مكة فمكة بعد أن فتحت صارت أرضاً إسلامية وانقطعت الهجرة منها بعد فتحها وكل أرض فتحت تعد من المكتسبات الإسلامية لا يهاجر منها بل يهاجر إليها .

قال العيني قوله (لا هجرة) يعني من مكة أما الهجرة عن المواضع التي لا يتأتى فيها أمر الدين فهي واجبة اتفاقاً ^(٥) ، وعلى المؤمن أن يبذل وسعه في البحث عن الأرض التي يتمكن فيها من إقامة دين الله حسب ما يرضي الله عز وجل قال تعالى ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾ ^(٦)

— هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدر فيه على إقامة الدين إلى أرض الله الواسعة حيث يمكن إقامة الدين بأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم ^(٧)

^١ - سبل السلام شرح بلوغ المرام للصنعاني ج ٤ ص ٨٥، ط، ٤ - ١٤٠٧ هـ - دار الريان للتراث القاهرة

^٢ - انظر: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، للشوكاني ج ٨ ص ٢٧، مكتبة دار التراث، القاهرة، بدين تاريخ طبع

^٣ - الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين المرادي ج ٤ ص ١١٠، ط، ١ - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، دار الكتب العلمية

^٤ - رواه البخاري في كتاب الجهاد ٥٦ باب فضل الجهاد والسير الحديث ٢٧٨٣ ص ٥٦٦

^٥ - عمدة القارئ، بدر الدين العيني ج ١٤ ص ٨٠

^٦ - العنكبوت آية ٥٦

^٧ - تفسير القرآن العظيم ابن كثير ج ٣ ص ٤١٩

ومما يؤكد مشروعية الهجرة ووجوبها واستمراريتها إلى قيام الساعة قوله صلى الله عليه وسلم (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة ، حتى تطلع الشمس من مغربها) ^(١) فالحديث دليل على استمرارية وسيلة الهجرة حفاظاً على مكتسبات الدعوة من الكفرة الملحدين الذين يريدون طمس الهوية الإسلامية واضطهاد المسلمين في دينهم وأنفسهم فله الحمد والمنة حيث شرع للمسلمين الهجرة إلى بلاده الواسعة .

^١ - رواه الإمام أحمد في المسند ج ٤ ص ٩٩ ، قال الأرئوط : حسن لغيره ج ٢٨ ، ص ١١١ ، وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير صحيح ج ٢ ص ١٢٤٤ .

المبحث الثاني : الهجرة إلى الحبشة والتخطيط لها حفاظاً على مكتسبات الدعوة

لم تكن الهجرة إلى الحبشة اختيارية لما يتخللها من المصاعب والمخاوف التي كانت تحيط بها من جميع الجوانب فكان الخوف في الطريق من لحاق قريش ووعورة المسالك وهيجان البحر في قوارب لا تتوفر فيها وسائل ومتطلبات الأمان وإذا تجاوزوا هذه المحنة تنتظرهم محنة أخرى تتمثل في عدم معرفتهم لبلاد الحبشة وتقلبات أجوائها ومعرفة لغات شعوبها وقومياتها المختلفة ، وقد يطلب منهم العودة من حيث أتوا فتكون الكارثة أعظم ومع معرفتهم وتوقعاتهم بكل هذه المصاعب خاضوا غمار الهجرة حفاظاً على مكتسبات الدعوة بعد أن أشار إليهم الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله ، (لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه) فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله بدينهم فكانت أول هجرة كانت في الإسلام (١) .

١- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٢١-٣٢٢

الفرع الأول: أسباب هجرة الصحابة رضي الله عنهم إلى الحبشة

السبب الرئيس هو الفرار بالدين والنفس من الهجمة الشرسة التي استخدمتها قريش على من آمن واتبع الرسول صلى الله عليه وسلم، (لما كثر المسلمون وظهر الإيمان وتحدث به، ثار ناس كثير من المشركين من كفار قريش بمن آمن من قبائلهم فعذبوهم وسجنوهم وأرادوا فتنهم عن دينهم) ^(١) والرسول صلى الله عليه وسلم يشاهد ويتألم لما يتعرض له أصحابه من التعذيب والفتن ولا يستطيع حمايتهم ومنع وصول الأذى إليهم، فكان التفكير في وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة، وأنسب وسيلة في ذلك الوقت الهجرة كما كانت أنسب البلاد بلاد الحبشة التي كان يحكمها النجاشي الذي أسلم فيما بعد رحمه الله (إن الهجرة من أهم الوسائل للمحافظة على المؤمنين ودرء الأذى والفتنة عنهم من أعدائهم) ^(٢)، لذلك كان يتخذها الأنبياء عليهم السلام عندما يتليهم أقوامهم ويفتنون أتباعهم حفاظاً على مكتسبات دعوتهم ونشرها في أرض الله الواسعة .

^١ - طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٠٣

^٢ - الهجرة في ضوء الكتاب والسنة، عبد الله الشويمس ص ٣٣، رسالة ما جستير نوقشت في كلية الدعوة والإعلام، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤١٧هـ، (رسالة غير مطبوعة)

الفرع الثاني: التخطيط للهجرة إلى الحبشة

إن التخطيط المنظم والسليم أمر هام وضروري في كل عمل يقوم به الإنسان ويريد أن يتم على أكمل وجه يأتي بنتائج سليمة ، وكان (التخطيط الدقيق هو السمة الغالبة على أعمال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي يحكم جميع تصرفاته) ^(١) ، فبعد أن أشار صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة بالهجرة إلى الحبشة واستعد الصحابة للخروج ، لا بد من التخطيط للعدد الذي يمكنه الخروج ووقت الهجرة وأمير المهاجرين والطريق الذي يسلكونه ووسائل النقل إلى الجهة المقصودة لئتم تنفيذ عملية الهجرة دون عائق يمنعها من تحقيق أهدافها وهو الحفاظ على مكتسبات الدعوة ونشرها فكان الوقت ليلا والخروج تسلا بين راكب وما شي والعدد أحد عشر رجلا وأربع نسوة والأمير عثمان بن مظعون ^(٢) ، والمعبر شعية والوسيلة سفينتين تجاريتين كما ذكر ذلك أهل السير فقالوا: (خرجوا متسللين سراً وكانوا أحد عشر رجلا وأربع نسوة حتى انتهوا إلى شعية منهم الراكب والماشي ووفق الله تعالى للمسلمين ساعة جاؤوا سفينتين للتجار حملوهم فيها إلى أرض الحبشة بنصف دينار وكان مخرجهم في رجب من السنة الخامسة من حين نبي رسول الله : صلى الله عليه وسلم وخرجت قريش في آثارهم حتى جاعوا البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحداً) ^(٣) ، والله الحمد والمنة واختيار الليل للخروج من مكة كان من التخطيط المناسب

^١ - أضواء على الهجرة ، توفيق محمد سبع ص ١٦١ ، طبع سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية

^٢ - انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم ج ٤ ص ١٩٥٤ ، ط ١ - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ، دار الوطن للنشر الرياض

^٣ - طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٠٤

والسليم لحال المهاجرين الذين كانت تتربص بهم قريش ولو خرجوا نهاراً لما أوصلتهم قريش إلى شعيبة والليل آية من آيات الله العظام الدالة على وحدانية الله عز وجل فهو يغطي ويستر ويلبس بظلامه كل ما كان مكشوفاً في النهار قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾^(١)

ومعظم المهجرات وعقد اللقاءات الهامة كانت تحدث ليلاً مثل هجرة موسى عليه السلام ببني إسرائيل من مصر وخروج لوط عليه السلام من قريته عندما أورد الله إهلاك قومه قال تعالى ﴿قَالُوا يَنْلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبْنَا بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾^(٢) وأيضاً بيعة العقبة كانت ليلاً وخروج معظم المهاجرين إلى المدينة ثم هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم كانت في الليل فالليل من أحسن الأوقات للفرار بالدين وإنجاز المهام الصعبة حفاظاً على مكتسبات الدعوة .

١- النبا آية : ١٠

٢- هود آية : ١٨

الفرع الثالث: ما لقيه الصحابة في أرض الحبشة من الأمن وحسن الضيافة :

عندما وصل الصحابة أرض الحبشة بالسلام وجدوا الحالة كما وصف لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدل الحاكم ، فأبدلهم الله من الخوف أمناً ومن الذل والإهانة عزاً ورفعاً لأنهم (وجدوا خير المتزلين هناك أصحمة النحاشي ملك الحبشة رحمه الله تعالى فأواهم وأيدهم بنصره وجعلهم سيوما^(١) ببلاده^(٢)) ، وقد شكر المهاجرون صنيع النحاشي هذا ويبنوا ما أولاه لهم من حفاوة وكرم الضيافة فقالوا (قدمنا أرض الحبشة فجاورنا بها خير جار أمناً على ديننا وعبادتنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه)^(٣) .

وبعد أن مكث المهاجرون في هذه الحالة من الأمن والراحة لمدة ثلاثة أشهر ، ورد إليهم نبأ كاذباً مفاده إسلام أهل مكة واستتباب الوضع هناك فقرروا العودة إلى مكة^(٤)

الفرع الرابع: رجوع المهاجرين إلى مكة ثم الهجرة منها إلى الحبشة مرة ثانية :-

عاد المهاجرون من الحبشة وعندما قاربوا دخول مكة اتضح لهم أن الخبر كذب فدخل من دخل منهم في جوار رجل من المشركين وتحت حمايته ، وانتشر الأذى على المسلمين عموماً (وسطت بهم عشائرهم ولقوا منهم أذى شديداً فأذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية ، فكانت خرجتهم الأخرة أعظمها مشقة ولقوا من

^١ - سام : ذهب على وجهه حيث شاء . انظر : معجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج ١ ، ص ٤٦٤ .

^٢ - انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ج ١ ص ٤١٩

^٣ - الطبقات الكبرى ، ابن سعد ج ١ ص ٢٠٤ ، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٣٤

^٤ - انظر : زاد المعاد ، ابن القيم ج ١ ص ٩٧

قريش تعنيفاً شديداً ونا لوهم بالأذى ، واشتد عليهم ما بلغهم عن النجاشي من حسن جواره لهم) (١) .

أما الصحابة رضي الله عنهم فلم يستسلموا ويتركوا الهجرة أمام هذه الهجمة الشرسة من قريش بعد أن أذن لهم رسول الله عليه وسلم بالهجرة ، فواجهوا مشقة الهجرة مرة ثانية في سبيل الحفاظ على مكتسبات الدعوة، (وكان عدة من خرج في هذه الهجرة من الرجال ثلاثة وثمانين رجلاً ومن النساء أحد عشرة امرأة قريشية وسبع غرائب) (٢) (٣)

، رأت قريش في خروج هذا العدد الكبير وانفلاته من قبضتها نقصاً لسيادتها ومخل بكبريائها، وقد يهدد هؤلاء يوماً ما أمنهم إن وجدوا من ينصرهم ويقف بجانبهم ، خاصة إذا تزايد العدد، فلا بد من إعادتهم وإيقاع العقوبة بهم فأرسلوا لهذه المهمة عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة للتفاوض مع النجاشي وبطارقته (٤) بعد تقديم الهدايا لهم فأشار البطارقة بإعادة المهاجرين لكن النجاشي عدله وشهامته تمنعه من أن يتخذ مثل هذا القرار قبل أن يجمع الطرفين ويسمع من الثاني كما سمع من الأول .

الفرع الخامس: النجاشي يستدعي المهاجرين للسمع منهم .

عندما جاء رسول النجاشي إلى المهاجرين وأبلغهم بموقفه ، عقد المهاجرون مؤتمراً طارئاً لمناقشة اللقاء المرتقب وكيفية الحفاظ على مكتسبات الدعوة وخرجوا بنتيجة مفادها

١- الطبقات الكبرى ابن سعد ج ١ ص ٢٠٧

٢- المرجع السابق ج ١ ص ٢٠٧، ونظر: زاد المعاد ابن القيم ج ١ ص ٩٨

٣- غرائب، من غير قريش .

٤- جمع بطريق وهو الحاذق بالحرب وأمورها بلغة الروم . انظر : لسان العرب ابن منظور ج ١٠ ص ٢١ (بطريق).

أن يقولوا بما علموا وما أمرهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم كائنا في ذلك ما هو كائن وأن يكون المتحدث الرسمي باسمهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، وفي اللقاء بحضور البطارقة ووفد قريش طرح النجاشي علي المهاجرين الأسئلة التالية :-

(ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل ؟)^(١) ، فأجابه المفاوض البارع والمتحدث المقنع جعفر بن أبي طالب بإجابة شافية أثلجت قلب النجاشي ، عندما قص عليه عن حالهم في الجاهلية وما كانوا يأتونه من المنكرات وأخبره عن شرف النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه وأمانته وعفافه وما جاء به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدد عليه أمور الإسلام ، حتى اقتنع النجاشي بعدالة قضيتهم وقال لوفد قريش (انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يكادون)^(٢) ، بهذا العرض الرائع للإسلام والأسلوب الهادف استطاع المهاجرون أن يكسبوا تعاطف النجاشي مع قضيتهم ثم إسلامه رحمه الله.

الفرع السادس : كيفية تحقيق أهداف الهجرة إلى الحبشة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة ونشرها

(لقد نجحت الهجرة إلى الحبشة في مهمتها الإعلامية-الدعوية- إذ نقلت أنباء ما يجري في مكة إلى خارج مكة بل إلى خارج نطاق الجزيرة العربية ، وأهم ذلك قريش أيما هم حتى أرسلت وفداً منها إلى الحبشة لرد هؤلاء المهاجرين إلى ديارهم كي يكتموا أنبائهم في داخل بلدهم

^١-انظر: سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٣٥، والبداية والنهاية ابن كثير ج ٣ ص ٧١

^٢- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٣٦-٣٣٧

بالذات وتعمل قريش من جهتها على خنقه .. ونجح المسلمون مرة أخرى في جعل الصراع القائم في مكة لينتقل إلى خارجها بل إلى خارج نطاق القبائل العربية فدار في الحبشة في قصر الحكم بالذات ، ونجح المسلمون ثالثة في الصراع إذ كسبوا موقف النجاشي إلى جانبهم وردوا الوفد خائباً مهاناً يجر ذبول الفشل، ونجحت الهجرة إلى الحبشة في نقل أفكارها ونشر إسلامها إلى خارج حدود ديار أتباعها ، بل إلى الحكام الكبار وأعداد من رعاياهم ، وربما يلاحظ ذلك في الحوار والجدال الذي دار بين المسلمين ووفد قريش أمام النجاشي وبطارقته^(١)

ونجحت الهجرة إلى الحبشة في رفع معنويات المسلمين حيث وجدوا أرضاً يهاجرون إليها وحماية من حاكم الحبشة العادل الذي رفض طلبات قريش بإعادتهم وما كان ليتأتى مثل هذا النجاح بعد توفيق الله عز وجل إلا بالإخلاص والتخطيط السليم وبذل كل غال ونفيس في سبيل نصره الدين والحفاظ على مكتسبات الدعوة .

الفرع السابع: العودة من أرض المهجر إلى دار الهجرة .

بعد تحقيق أهداف ومرامي الهجرة إلى الحبشة والعثور على دار الهجرة والاستقرار فيها وقوة شوكة المسلمين وهزائم قريش أمام المجاهدين في معارك متعددة حتى صارت في موقف دفاع وإبرام الهدنة مع المسلمين عندها وفي (ربيع الأول سنة سبع من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي كتاباً

^١ - مع الهجرة إلى الحبشة ، محمود شاكر ص ٦٠-٦١، ط ١، ١٤٠٧هـ المكتب الإسلامي

يدعوه فيه إلى الإسلام ، وبعث به مع عمرو بن أمية الضمري فلما قرئ عليه الكتاب أسلم وقال: لو قدرت أن آتية لأتينه وكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب . وكانت فيمن هاجر إلى أرض الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فتصر هناك ومات . فزوجه النجاشي إياها وأصدق عنه أربعمائة دينار وكان الذي ولي تزويجها خالد بن سعيد بن العاص . وكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه من بقي عنده من أصحابه ويحملهم ففعل وحملهم في سفينتين مع عمرو بن أمية الضمري فأرسوا بهم إلى ساحل بولا وهو الجار . ثم تكاروا الظهر^(١) حتى قدموا المدينة فيجدون رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير فشحصوا إليه فوجدوه قد فتح خير فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يدخلوهم في سهماء^(٢) ففعلوا^(٣)، فهذه تعد آخر مجموعة من المهاجرين إلى الحبشة عادت وقد رجع بعضهم من قبل في أوقات مختلفة . بعد أن تحقق الحفاظ على مكتسبات الدعوة وتوجت هذه الهجرة المباركة بإسلام النجاشي رحمه الله وبه تم مبحث الهجرة إلى الحبشة والتخطيط لها حفاظاً على مكتسبات الدعوة ويلية إن شاء الله الهجرة إلى المدينة والتخطيط لها حفاظاً على مكتسبات الدعوة .

١- استأجروا الدواب . انظر : لسان العرب ، مادة (كرا) ٢١٨/١٥-٢١٩ .

٢- الطبقات الكبرى ابن سعد ج ١ ص ٢٠٧-٢٠٨، وانظر: تاريخ الطبري محمد بن جرير ج ٢ ص ٣٤٣

المبحث الثالث :

الهجرة إلى المدينة والتخطيط لها حفاظاً على مكتسبات الدعوة

ويتضمن ثلاثة مطالب

المطلب الأول : مقدمات الهجرة إلى المدينة .

المطلب الثاني : هجرة الصحابة رضي الله عنهم والتخطيط لها حفاظاً على

مكتسبات الدعوة .

المطلب الثاني : هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم والتخطيط لها حفاظاً على

مكتسبات الدعوة .

المطلب الأول : مقدمات الهجرة إلى المدينة

الهجرة إلى المدينة سبقتها أحداث أليمة تعرض لها الصحابة عموماً ولم ينج منها حتى شخص المصطفى صلى الله عليه وسلم .

كما سبقها البحث عن موطن قدم في الجزيرة العربية على أساس أنها منطلق الدعوة الإسلامية إلى كافة بلاد وشعوب المعمورة .

الفرع الأول : الإهانة والتعذيب لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

فالأحداث تتمثل في الإهانة والاستهزاء والتعذيب حتى الموت أو الفتنة عن الدين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً والحصار والمقاطعة والتجويع والتعطيش .

فقد (وثبت كل قبلية على من فيها من المسلمين فجعلوا يجسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبر مضاء مكة إذا اشتد الحر من استضعفوا منهم يفتونهم عن دينهم ، فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم)^(١)

كبلال بن رباح الذي كان يعذبه أمية بن خلف يطرحه على ظهره في بطحاء مكة عند اشتداد الحر، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره فلا يرده ذلك عن دينه بل يقول (أحد أحد)^(٢)، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد (أول من أظهر إسلامه سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، وعمار وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه أي طالب ، وأما أبو بكر ، فمنه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون ، فألبسوهم أدراع الحديد ، وصهروهم في الشمس ، فما منهم إنسان إلا وقد اتاهم على ما أرادوا ، إلا بلال ، فإنه هانت عليه نفسه في الله ، وهان على قومه ، فأعطوه الولدان ، وأخذوا يطوفون به شعاب مكة ، وهو يقول : أحد ، أحد)^(٣) كما عذب بالرمضاء عمار بن ياسر وأبيه وأمه حتى مات أبوه تحت تأثير التعذيب وأغلظت امرأته سمية القول لأبي جهل فطعنها في قبلها بجربة في يده فماتت وهي أول شهيدة في الإسلام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر عليهم ويقول لهم (صبراً آل ياسر موعدكم

١- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣١٧ ، وانظر: تاريخ الطبري محمد بن جرير ج ٢ ص ٣٢٧

٢- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣١٨ ، والكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٦٧

٣- المسند ج (ص ٤٠٤ ، وقال الأرنؤوط، في الموسوعة الحديثية إسناده "حسن" ج ٦ ص ٣٨٢

الجنة) (١) (وسئل ابن عباس أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي نزل به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة ..) (٢) (وقلبه مطمئن بالإيمان) (٣) كما قال تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ (٤)، الإنسان قد يكره أن يقول كل شيء أو أن يفعل الشيء الوحيد الذي لا يمكن إكراهه هو القلب فالإنسان يملك قلبه فلا أحد يستطيع إكراه قلبه فهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم إن كان بعضهم نطق بكلمة الكفر تحت تأثير التعذيب الجسدي كانت قلوبهم ثابتة في إيمانها بالله عز وجل ومطمئنة وتحملوا كل صنوف التعذيب في سبيل الحفاظ على عقيدتهم فإن كان هذا نموذج لما تعرض له الصحابة في تلك الفترة، فقد تعرض المصطفى صلى الله عليه وسلم لكثير من العنت والمشقة والمضايقات من قبل قريش فقد (أغروا برسول الله صلى الله عليه وسلم سفهائهم فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر لأمر الله لا يستخفي به من مباد لهم بما يكرهون من عيب دينهم واعتزال أوثانهم وفراقه إياهم على كفرهم) (٥) وقد ذكر بعضهم أسماء المستهزئين ومن كان أشد الأذى للنبي صلى الله عليه وسلم ونوع الأذى الذي قام به (٦).

وكل هذه الحروب النفسية والجسدية لم تحقق لقريش أهدافها المرجوة منها في القضاء على الدعوة في مهدها فجربوا نوعاً آخر من الحرب وهو حرب المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية التي شملت المسلمين ومن وقف في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وبني عبد المطلب بعد أن رفض أبو طالب تسليم النبي صلى الله عليه وسلم لقتله لأن قريش (أجمعوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتبوا كتاباً على بني هاشم ألا

١- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٢٠

٢- المرجع السابق ج ١ ص ٣٢٠

٣- الكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٦٦

٤- النحل آية: ١٠٦

٥- انظر: سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٨٩

٦- انظر: الكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٧٠-٧٦

يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم وانحاز بنو المطلب بن عبد مناف إلى أبي طالب في شعبه مع بني هاشم ، وخرج أبو لهب إلى قريش فظاهرهم على بني هاشم وبني المطلب ، وقطعوا عنهم الميرة والمادة ، فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم حتى بلغهم الجهد وسمع أصوات صبياتهم من وراء الشعب (١) .

واستمروا على هذه الحالة ثلاثة سنين من السنة السابعة من البعثة إلى العاشرة ثم رفع عنهم الحصار بعد أن خرقت مجموعة من القرشيين ذلك الحذر وبعد هذا الانفراج المؤقت تعرض صلى الله عليه وسلم لابتلاء آخر كان له وقع عظيم في نفسه صلى الله عليه وسلم وهو وفات عمه أبي طالب الذي كان يقف بجانبه ويدافع عنه وبعد ذلك بأيام توفيت زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها التي كان يأوي إليها وتخفف عنه كل ما كان يصيبه صلى الله عليه وسلم ، وسمى ذلك العام بعام الحزن الحزن النبي صلى الله عليه وسلم لفراقهما (ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع به) (٢) من قبل وقرر الذهاب إلى الطائف لعله يجد الحماية من أهلها حتى يبلغ دعوته .

الفرع الثاني: البحث عن موطن قدم في الجزيرة العربية، ثم العثور على دار

الهجرة بعد صبر طويل وتحمل جميع أصناف الأذى في سبيل تبليغ الدعوة لأهل مكة ولمن يفد إليها اقتنع صلى الله عليه وسلم أن أهل مكة غير مستعدين لقبول الدعوة والقيام بأعبائها (فخرج رسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة بهم من قومه . ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى) (٣) وقصد أشرفهم للتفاوض معهم بهذا الشأن (فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وكلمهم لما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه) (٤) فلم يكن ردهم إيجابياً بل كان رداً سيئاً وغير لائق بالضيف الكريم والمصطفى الأمين فقد (أغروا به سفهائهم وعبيدهم يسبونهم ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه إلى حائط) (٥) ، ثم رجعوا عنه ، وقديماً قالوا :

١- انظر: الطبقات الكبرى ابن سعد ج ١ ص ٢٠٨ - ٢١٠ ، وانظر: صحيح السيرة النبوية ، للعلي ص ٨٢

٢- الطبقات الكبرى ابن سعد ج ١ ص ٢١١

٣- انظر: سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤١٩

٤- البداية والنهاية ابن كثير ج ٣ ص ١٣٣

٥- المرجع السابق ج ٣ ص ١٣٣ ، وصحيح السيرة النبوية ، للعلي ص ٩٨

غريب الدار تنبجه الكلاب^(١)، وقرر صلى الله عليه وسلم العودة إلى مكة رغم علمه بالمخاطر التي تنتظره، (دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة مرجعه من الطائف في جوار المطعم بن عدي وازداد قومه عليه حنقاً وغيظاً وجرأة وتكديباً وعناداً والله المستعان وعليه التكلان)^(٢)

واستمر صلى الله عليه وسلم في خطته للبحث عن دار الهجرة ولم يستسلم ويرضخ لتهديدات قريش وتوعدهم بالقضاء عليه (فكان صلى الله عليه وسلم في تلك السنين - أي قبل الهجرة - يعرض نفسه على القبائل ويكلم كل شريف قوم لا يسألهم إلا أن يؤروه ويمنعوه ويقول: لا أكره أحداً منكم على شيء بل أريد أن تمنعوا من يؤذيني حتى أبلغ رسالة ربي فلا يقبله أحد بل يقولون قوم الرجل أعلم به)^(٣).

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس في الموقف فقال: (ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي)^(٤) (فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله من الهدى والرحمة وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له، فدعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده)^(٥) فبينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مواصلاً في هذا النهج (أراد الله عز وجل إظهار دينه وإعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وإنجاز وعده له)^(٦) فهياً له بقاء ستة نفر من الخزرج عند العقبة فعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن. (فقال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام

^١ - معنى هذه الجملة مأخوذ من قول امرئ القيس: وما نبحت كلابك طارقاً مثلى. انظر: لسان العرب ابن منظور (نبج) ج ٢ ص ١١٠.

^٢ - البداية والنهاية ابن كثير ج ٣ ص ١٣٥

^٣ - فتح الباري ابن حجر ج ٧ ص ٢٢٠

^٤ - سنن أبي داود، كتاب السنة ٣٩، باب في القرآن، ١٩، ٢٠، حديث ٤٧٣٤، ص: ٥١٦، قال الألباني في صحيح أبي داود "صحيح" رقم الحديث ٣٩٦٠ ج ١ ص ٨٩٧

^٥ - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٢٥

^٦ - المرجع السابق ج ١ ص ٤٢٨

وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين فإن جمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا (١) وعادوا إلى يثرب دعاة إلى الإسلام ووجدوا القبول من قومهم والله الحمد وكان ذلك في العام الحادي عشر من البعثة وقدم منهم في العام الثاني عشر اثنا عشر رجلاً التقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة (٢) ، فقال لهم رسول الله وسلم (تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا بيهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوني في معروف فمن وفي منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله ، فأمره إلى الله إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه) (٣) ، وتمت على هذا بيعة العقبة الأولى (فلما انصرف عنه القوم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين فكان يسمى مصعب بالمدينة المقرئ وكان مترله على أسعد ابن زرارة) (٤) ، وبتوفيق من الله عز وجل ثم دعوة مصعب والذين أسلموا من أهل المدينة انتشر الإسلام وبعد عام من بيعة العقبة الأولى خرج سبعون رجلاً يزيدون رجلاً أو رجلين ومعهم امرأتان للحج ومقابلة الرسول صلى الله عليه وسلم فلما قدموا سلموا عليه ثم وعدهم منى وسط أيام التشريق ليلة النفر الأول إذا هدأت الرجل أن يوافوه في الشعب الأيمن إذا انحدروا من منى بأسفل العقبة وأمرهم أن لا ينبهوا نائماً ولا ينتظروا غائباً (٥) ، مخافة أن يشعر بهم المشركون من قومهم أو قريش ، فيتسببوا في إفشال هذا المؤتمر العظيم الذي سوف تتخذ فيه قرارات مستقبلية للنهوض بالأمة والحفاظ على مكتسبات دعوتها ونشرها ، جاء الأنصار إلى الموقع بعد تطبيقهم الخطة التي رسمت لهم

١- البداية والنهاية ابن كثير ج ٣ ص ١٤٦-١٤٧ وانظر: تاريخ الطبري محمد بن جرير ج ٢ ص ٣٥٤

٢- انظر: سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٣١

٣- رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار ٦٣ باب وفود الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وبيعة العقبة ٤٣ حديث ٣٨٩٢ ص ٧٩٧

٤- تاريخ الطبري محمد بن جرير ج ٢ ص ٣٥٧

٥- انظر: الطبقات الكبرى ابن سعد ج ١ ص ٢٢١

فوجدوا الرسول صلى الله عليه وسلم قد سبقهم إلى الموقع ومعه عمه العباس وهو على دين قومه يريد أن يستوثق لابن أخيه .

القضية المطروحة في هذا اللقاء هي هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وما يترتب عليها من مخاطر وتبعات للمهاجر والمهاجر عليه وتدخل ضمنا هجرة الصحابة رضي الله عنهم أما أطراف الحوار العباس من جهة والأنصار من جهة أخرى والأنصار أيضاً بعضهم مع بعض ثم الرسول صلى الله عليه وسلم من جهة أخرى وأعطيت كلمة افتتاح هذا اللقاء المبارك للعباس (فقال : يا معشر الخزرج - كانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار : الخزرج خزرجهما وأوسها- إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا وهو في عز من قومه ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم واللاحق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه وما نعوه ممن خالفه فأنتم وما حملتم من ذلك وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده) (١) .

أما الأنصار فقد جاءوا في هذا اللقاء وهم مصرون على هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم وتحمل تبعاتها وقد اتخذوا هذا القرار وهم في المدينة قبل خروجهم حيث قالوا: (حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطرد من جبال مكة ويخاف) (٢) وقالوا للعباس (قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك وربك ما أحببت .. فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ، ودعا الله ورغب في الإسلام ثم قال : أبا يعكم على أن تمنعوني مما تمنعوا منه نساءكم وأبناءكم) (٣) ، وفي حديث جابر زيادة تؤكد أهمية هذه البيعة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة ، قال : صلى الله عليه وسلم (بايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم وعلى أن

١- تاريخ الطبري ج ٢ ص ٣٦٢

٢- رواه الإمام أحمد في المسند ج ٣ ص ٣٢٢ قال الأرنؤوط في الموسوعة الحديثية ، صحيح لغيره ، ج ٢٢ ص ٣٤٦

٣- تاريخ الطبري محمد بن جرير ج ٢ ص ٣٦٢، وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٤٢

تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم
ولكم الجنة (١) .

وبعد حوار جرى بين الأنصار يوضح عظم المسئولية وأنهم على استعداد كامل بكل
ما يتمخض ويترتب على هذه البيعة المباركة تمت البيعة وأمرهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يعودوا إلى مواقعهم (٢) خفية قبل أن يشعر بهم أحد حفاظاً على مكتسبات
الدعوة .

١- رواه الإمام أحمد في المسند ج ٣ ص ٣٢٢، قال الأرنؤوط، في الموسوعة الحديثية "إسناده صحيح على شرط
مسلم" ج ٢٢ ص ٣٤٧

٢- انظر: سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٤٧

المطلب الثاني : هجرة الصحابة رضي الله عنهم والتخطيط لها حفاظاً على مكتسبات الدعوة :

بعد بيعة العقبة الثانية تقرر مسير الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم وما بقي هو تنفيذ عملية الهجرة وكان ذلك بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقف في الإذن من الله عز وجل وبالنسبة للصحابة الإذن من الرسول صلى الله عليه وسلم أما قريش بعد ما علمت بوقوع هذه البيعة تأكدت من أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد وجدوا الملاذ الآمن وأن الأمر قد ينفلت من أيديهم فشددوا على الصحابة وزادوا في أذيتهم لعلهم يثبوتهم عن موقفهم (وتعبثوا بهم ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالون من الشتم والأذى فشكا ذلك أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم واستأذنوه في الهجرة فقال :قد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب فمن أراد الخروج فليخرج إليها فجعل القوم يتجهزون ويتوافقون ويتواسون ويخرجون ويخفون ذلك^(١) من قريش التي لا تألوا جهداً في سبيل أذية المسلمين .

(و لم تكن هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة هينة سهلة تسمع بها قريش وتطيب بها نفسا بل كانوا يضعون العراقيل في سبيل الانتقال من مكة إلى المدينة ، ويمتحنون المهاجرين بأنواع من المحن ، وكان المهاجرون لا يعدلون عن هذه الفكرة ولا يؤثرون البقاء في مكة مهما دفعوا من قيمة^(٢) ، لأنهم يتطلعون إلى فجر جديد في أرض طيبة الطيبة وبحوار الأنصار أهل الكرم والوفاء والمنعة كما يتطلعون إلى نشر الإسلام حول العالم بعد أن ضيق عليه في مكة من قبل قريش مدة ثلاث عشرة سنة فهذا الانفراج الذي وجدوه بتوقيع بيعة العقبة مع الأنصار لا بد أن يستفيدوا منه في الحفاظ على مكتسبات الدعوة ونشرها وقد

^١ - الطبقات الكبرى ابن سعد ج ١ ص ٢٢٦

^٢ - السيرة النبوية ، أبو الحسن الندوي ص ١٣٥

اعتمدت خطة هجرة الصحابة إلى المدينة في عاملين العامل الأول الخروج ليلاً والعامل الثاني الخروج أرسالا في مجموعة قليلة، وبالنسبة لتوقيت الخروج ليلاً قد أخذ الصحابة فيه دروساً وعبراً تؤكد نجاح هذا الوقت للفرار بالدين فقد كانت هجرتهم إلى الحبشة ليلاً ولقاءات النبي صلى الله عليه وسلم بهم معظمها كان يتم ليلاً خاصة في بيعة العقبة الأولى والثانية كما سبق، فكان الصحابة في هجرتهم إلى المدينة يتسللون من مكة ليلاً أفراداً ويتواعدون صباح اليوم الثاني في موقع معين ثم يواصلوا سيرهم معاً إلى المدينة، ومن لم يصل إلى الموقع في الزمن المحدد علموا أنه حبس، كما في قصة هجرة عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل، فقد تواعدوا في موقع اسمه - التناضب - قال: عمر رضي الله عنه راوي القصة:

(وقلنا أينما لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه فأصبحت أنا وعياش ابن أبي ربيعة عند التناضب وحبس عنا هشام فلما قدمنا المدينة .. خرج أبو جهل ابن هشام والحارث بن هشام إلى عياش بن أبي ربيعة وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما حتى قدما علينا المدينة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فكلماه وقالوا إن أمك قد نذرت أن لا يمسه رأسها مشط حتى تراك ولا تستظل من شمس حتى تراك فرق لها، فقلت له: يا عياش إنه والله إن يريد القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم فوالله لو قد أذى أمك القمل لامتشطت ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت قال: فقال أبر قسم أمي ولي هناك مال فأخذه قال فقلت والله إنك لتعلم أبي لمن أكثر قریش مالا فلك نصف مالي ولا تذهب معهما قال فأبى علي إلا أن يخرج معهما فلما أبى إلا ذلك قال قلت له أما إذ فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجبية ذلول فالزم ظهرها فإن رابك من القوم ريب فانج عليها فخرج عليها معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال له أبو جهل: يا ابن أخي، والله لقد استغلظت بعيري

هذا أفلا تعقبني على ناقتك هذه ؟ قال بلى قال فأناخ وأناخا ليحول عليها ، فلما استنوا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه وربطاه ثم دخلا به مكة وفتناه فافتن .

قال ابن إسحاق : فحدثني به بعض آل عياش بن أبي ربيعة : أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهاراً موثقاً ثم فالاً يا أهل مكة . هكذا فافعلوا بسفهاثكم كما فعلنا بسفيهاثنا هذا^(١) .

هذه القصة مع ما فيها من وضوح الخطة في الهجرة ليلاً فيها أيضاً شدة المعاناة التي كانت تقع على كاهل الصحابة من قبل قريش من مكائدهم وخداعهم ومطاردتهم حتى من وصل منهم المدينة وعلموا أنه لا يمكنهم إعادته بالقوة ، جاءوا إليه عن طريق الحيل كما فعل أبو جهل والحارث بعياش وتبرز في هذه القصة أيضاً خيرة الفاروق بمكائده المشركين ونصحه للمسلمين وشدة الحفاظ على مكتسبات الدعوة فقد قدم لعياش النصيح والمال وحتى ناقتة التي تعد وسيلة التقل عنده لينجو عليها خشية أن يتعرض عياش لما تعرض له ، ولكن كل ما قدر الرحمن مفعول فوق عياش في فخ أبي جهل والحارث فسجن وعذب هو وهشام إلى أن هاجر رسول الله عليه وسلم وقال :

(من لي بعياش ابن أبي ربيعة وهشام بن العاص فقال الوليد بن الوليد ابن المغيرة : أنالك يا رسول الله بهما فخرج إلى مكة ، فقدمها مستخفياً ، فلقى امرأة تحمل طعاماً ، فقال لها أين تريدين يا أمة الله ؟ قالت : أريد هذين المحبوسين - تعنيهما - فتبعها حتى عرف موضعهما ، وكانا محبوسين في بيت لا سقف له ، فلما أمسى تسور عليهما ، ثم أخذ

^١ - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٧٤-٤٧٥ ، والبداية والنهاية ابن كثير ج ٣ ص ١٧٠

مرورة^(١) فوضعهما تحت قيديهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما ؛ فكان يقال لسيفه : ذو المرورة) لذلك ثم حملهما ، على بعيره وساق بهما .. ثم قدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة)^(٢) ، ومثل هذه المهام التي يطلق عليها اليوم بالمهام الاستخباراتية كثيراً ما كان يأمر بتنفيذها صلى الله عليه وسلم من أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة في انقاذ مسلم أو القضاء على مجرم ، ومعظمها كانت تتخلل بالنجاح والحمد لله .

وبالعودة إلى هجرة الفاروق رضي الله عنه (روى عن علي . رضي الله عنه . أنه قال : ما علمت أحداً من المهاجرين هاجر إلا محتفياً إلا عمر بن الخطاب فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه^(٣) ، وانتضى في يده أسهما واختصر عترته ومضى قبل الكعبة والملا من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعا متمكناً ثم وقف على الحلق^(٤) واحدة واحدة فقال لهم شاهت الوجوه لا يرغم الله إلا هذه المعاطس^(٥) من أراد أن يثكل أمه أو يوتم ولده أو يرمل زوجه فليلقني وراء هذا الوادي.

قال : علي فما اتبعه إلا قوام من المستضعفين علمهم ما أرشدهم ثم مضى لوجهه^(٦)

^١ - أصل معنى " المرورة" الحجارة الرخوة ،وقيل التي فيها صلابة "انظر: إعراب القرآن وبيانه ،محيي الدين الدرويش ، ج ١ ص ٢١٧ ، سنة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، دار ليمامة ، ودار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، بدون ذكر الطبعة

^٢ - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٧٦

^٣ - ألقاه على عاتقه ، كما يقول ابن منظور : " وانتكب الرجلُ كناته وقوسه ، وتنكبها : ألقاها على منكبه " لسان العرب ، مادة (نكب) ٧٧٢/١ .

^٤ - واحدها حلقة أراد حلقات القوم . انظر : لسان العرب ، ابن منظور (حلق) ٦١/١٠ - ٦٢ .

^٥ - المعاطس : الأنوف ؛ لأن العطاس يخرج منها . المرجع السابق (عطس) ١٤٢/٦ .

^٦ - أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ٤ ص ١٦٣-١٦٤ ، و الرياض النضرة في مناقب العشرة المبشرين بالجنة لأبي جعفر أحمد الشهير بالحب الطبري ج ١-٢ ص ٢٤٤ ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ ، دار الندوة الجديدة ، بيروت

هذه الرواية تبين أن عمر رضي الله عنه خرج من مكة نهاراً والرواية السابقة تحتمل أنه خرج ليلاً، وجاء في صحيح البخاري (قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم)^(١) المدينة وأغلب الذين قدموا معه من أقاربه وحلفائهم)^(٢) فيحتمل أنه خرج بهم نهاراً تحت حمايته وتواعد مع عياش وهشام ليخرجا ليلاً لأنه ما يستطيع حمايتهم من أقربائهم الجبابرة أمثال أبي جهل وقول علي رضي الله عنه يؤكد ذلك حيث قال : (فما اتبعه إلا قوم من المستضعفين علمهم ما أرشدهم) يعني اتفق معهم في موقع اللقاء والله أعلم .

أما العامل الثاني الذي اعتمدت عليه خطة هجرة الصحابة إلى المدينة هو الخروج أرسالاً في مجموعات قلائل ، ساهم ذلك في نجاح عملية الهجرة رغم ما تعرضت له من ملاحظات من قبل قريش لأن العدد القليل يسهل تسلله دون أن يشعر به وإن شعرت به قريش وتمت ملاحظته يمكن إخفائه في أي واد أو فج وكهف ، بخلاف العدد الكثير بصعب إخفائه .

ومن جهة ثانية الخروج المتتالي يجعل عملية الملاحقة مرهقة ومكلفة بالنسبة لقريش ، فلا يمكنهم أن يتابعوا كل مجموعة خرجت خلف أخرى في الصحراء الواسعة ما يدرون أي طريق سلكت وإلى أي جهة اتجهت ومتى خرجت ، كل هذه العوامل ساعدت بعد توفيق الله عز وجل في انفلات الكثير من الصحابة من قبضة قريش دون أن يشعروا بهم ووصلوا دار

^١ - رواه البخاري في كتاب المناقب ٦٣ باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة ٤٦ حديث ٣٩٢٥

ص ٨٠٦

^٢ - انظر: فتح الباري ابن حجر ج ٧ ص ٢٦١

الهجرة بسلام وعلى العموم فخطوة الهجرة كانت ناجحة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة، وما تعرض له بعض أفراد الصحابة من الملاحقة والقبض عليه مثل عياش أو جسسه قبل خروجه مثل هشام أو إعادة زوجه وابنه وتركه يهاجر بنفسه كأبي سلمة بن عبد الأسد أو أخذ ماله وتخليه سييله كصهيب بن سنان الرومي^(١) أو المستضعفين الذين لم يستطيعوا الفرار من مكة ، شيء عادي ومتوقع في ظل جبروت قريش وطغيانهم وكبرياتهم .

وقد تمت هجرة الصحابة بعون الله تعالى في فترة قاربت ثلاثة أشهر بطريقة مرنة ومنظمة للحفاظ على مكتسبات الدعوة ، ولا شك من أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يشرف بنفسه على هجرة الصحابة ، ولم يهاجر إلا بعد تكامل العدد الذي بإمكانه أن يهاجر ، ولم يبق في مكة إلا بعض الأفراد لتنفيذ مهام كعلي وأبي بكر ، ومن استضعف فلا يستطيع الفرار بدينه في تلك الفترة ينتظر ظروفاً مواتية ليلحق بالأحبة محمداً صلى الله عليه وسلم وحزبه في طيبة الطيبة

^١ - انظر قصة هجرته بطولها في سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٦٩ - ٤٧٧ ، والبداية والنهاية ، ابن كثير ج ٣ ص ١٧٢

المطلب الثالث : هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم والتخطيط لها حفاظاً على

مكتسبات الدعوة :

في بيعة العقبة الثانية تحقق الأمل الذي من أجله كان الرسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه إلى للقبائل ويتحمل الأذى والمشقة وهو النصر والحمية حتى يبلغ رسالة ربه ولذلك (لما صدر السبعون من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم طابت نفسه وقد جعل الله له منعة وقوماً أهل حرب وعدة ونجدة^(١)) فبدأ تخطيطه وإشرافه في هجرة الصحابة وتمت على أكمل وجه والحمد لله ، وبقي التخطيط لهجرته صلى الله عليه وسلم وخروجه سالماً من بين المتربصين به الذين سخرروا كل طاقاتهم وإمكاناتهم ليحولوا دون هجرته إلى المدينة بل أرادوا قتله للقضاء على دعوته صلى الله عليه وسلم وقد قال عز وجل عنهم ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴿٢٠﴾^(٢)

وقد عقد برلمان قريش في دار الندوة وعرضت عليه الاقتراحات الثلاثة السجدة والقتل والنفي فصادق على القتل الذي كان اقتراحاً من طاغيتهم أبو جهل حين قال (أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً جلدًا نسيباً وسيطاً فينا ثم يعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعمدون إليه ، ثم يضربونه بها ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح ، فإنهم إن فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل كلها فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، ورضوا منا بالعقل فعقلناه لهم)^(٣) ، كشف الله هذه المؤامرة لرسوله صلى الله عليه وسلم وأذن له بالهجرة (قالت عائشة — رضي الله عنها — فبينما نحن يوماً جلوساً في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعاً في ساعة لم

١- الطبقات الكبرى ابن سعد ج ١ ص ٢٢٥-٢٢٦

٢- الأنفال آية : ٣٠

٣- تاريخ الطبري ، محمد بن جرير ج ٢ ص ٣٧١-٣٧٢ ، وانظر: سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٤٨٢

يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فدى له أبي وأمي، والله ماجاء به في هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر "أخرج من عندك" فقال أبو بكر: إنهم أهلك بأبي أنت يا رسول الله، قال: "فإني قد أذن لي في الخروج" فقال أبو بكر: الصحابة بأبي أنت يا رسول الله، قال رسول الله "نعم" قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحتي هاتين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن، قالت عائشة: فجهزناهما أحث الجاهز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق (١).

التخطيط الأمني الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم للهجرة حفاظاً على مكتسبات الدعوة كان في غاية الإحكام والدقة فقد جاء إلى أبي بكر في وقت الهجرة حين يستريح الناس في بيوتهم فلا يتنبهون له ليتدارس معه ويدرس معه مراحل الهجرة (٢) التي بدأت بتهيئة وسائل النقل ورفقاء الطريق واختيار الدليل الأمين والخبير بالطرق والمسالك الخفية وإعداد الزاد وأمر علي رضي الله عنه بالمبيت في فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل التعمية على المشركين وتضليلهم، ثم الخروج ليلاً والتوجه إلى الجنوب والاختفاء في غار ثور ثلاثة أيام حتى يئس المشركون عن البحث وأيضاً التجسس على الأعداء من أجل إفشال خططهم والانفلات من الوقوع في فخهم، ومن روائع التخطيط وبدائعه، أن يتخذ قرار الهجرة من جانب الرسول سرياً، وفي تكتم شديد وحذر بالغ وقد كان هذا عاملاً من

١- رواه البخاري كتاب مناقب الأنصار ٦٣ باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة ٤٥،

حديث ٣٩٠٥ ص ٨٠٠

٢- انظر: الرحيق المختوم المباركفوري ص ٢٣١

عوامل نجاح الهجرة ، ولم يكن يعلم بهذا القرار الخطير إلا أبو بكر وأهله وعلي بن أبي طالب ثم أشخاص بعد ذلك لهم أعمال ترتبط بالهجرة ^(١) .

وبعد التخطيط وأخذ الحيلة والحذر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته ليلاً وفتيان قريش يحيطون ببيته (واخترق صفوفهم وأخذ حفنة من البطحاء فجعل يذروه على رءوسهم وقد أخذ الله أبصارهم عنه فلا يروه وهو يتلو : قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ^(٢) فلم يبق منهم إلا رجل وقد وضع على رأسه تراباً ومضى إلى بيت أبي بكر فخرجا من خوخة في دار أبي بكر ليلاً حتى لحقا بغار ثور في اتجاه اليمن ^(٣) جبل بأسفل مكة فدخلاه وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يستمع لهما ما يقول الناس فيهما فهما فهاره ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخير وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه فهاره ثم يريجهما عليهما وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام إذا أمست بما يصلحهما ^(٤) .

هكذا مرت أيام الغار الثلاثة كل واحد من أصحاب المهام يقوم بمهمته في سرية تامة حفاظاً على صاحب الدعوة ودعوته وقريش بذلوا كل ما في وسعهم في البحث عنه وعن صاحبه (وجعلوا لمن ردهما أو أحدهما مائة من الإبل) ^(٥) ، وقد كادوا أن يصلوا إليهما ولكن عناية الله أعمت أبصارهم فإنهم صعّدوا الجبل الذي هما فيه وجعلوا يمشون على باب الغار

^١ - سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٤٨٥ وأضواء على الهجرة النبوية ، توفيق محمد ص ٣٦٦ .

^٢ - يس آية: ٩

^٣ - انظر: سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٤٨٣-٤٨٥ ، والرحيق المختوم ، المباركفوري ص ٢٣٤ .

^٤ - سيرة ابن هشام ، ج ٤ ص ٤٨٥ .

^٥ - البداية والنهاية ، ابن كثير ج ٣ ص ١٨٠ .

فتحاذي أرجلهم لباب الغار ولا يروهما حفظاً من الله لهما ^(١)، قال تعالى ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ^(٢)

يقول تعالى: مؤنباً لمن تخلف عن الجهاد مع الرسول (إلا تنصروه) أنتم فإن الله ناصره ومؤيده ومظفره كما نصره (إذ أخرجهم الذين كفروا) من أهل مكة هارباً ليس معه غير صاحبه وصديقه أبي بكر ليس غيره ولهذا قال (ثاني اثنين إذ هما في الغار) أي وقد لجأ إلى الغار فأقاما فيه ثلاثة أيام ليسكن الطلب عنهما) ^(٣) (إذ يقول) النبي صلى الله عليه وسلم (لصاحبه) أبي بكر لما حزن واشتد قلقة (لا تحزن إن الله معنا) بعونه ونصره وتأيدته (فأنزل الله سكينته عليه) أي الثبات والطمأنينة والسكون المثبتة للفؤاد .. (وأيدته بجنود لم تروها) وهي الملائكة الكرام الذين جعلهم الله حرساً له) ^(٤)

وقد كان أبو بكر رضي الله عنه يرى أن مهمة تأمين هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم موكله إليه بعد الله عز وجل فعندما كانا في طريقهما إلى الغار (جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه حتى فطن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبا بكر مالك تمشي ساعة خلفي وساعة بين يدي؟ فقال يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك وأذكر

^١ - البداية والنهاية ، ابن كثير ج ٣ ص ١٨٠

^٢ - التوبة آية : ٤٠

^٣ - البداية والنهاية ، ابن كثير ج ٣ ص ١٨٠

^٤ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ عبد الرحمن السعدي ص ٢٩٨

الرصد فأمشي بين يديك فقال : يا أبا بكر لو كان شيء لأحببت أن يكون بك دوني ؟ فقال نعم والذي بعثك بالحق فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار فدخل فاستبرأه^(١) ، وبالجملة فإن أبا بكر رضي الله عنه قد استنفر نفسه وماله وأهله في سبيل تأمين هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم فعبد الله ابن أبي بكر يستمع ويتجسس على ما يفعله ويقوله كفار قريش في مكة في النهار ثم يأتي ليلاً بأخباره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يعود آخر الليل وعامر بن فهيرة يتبع أثره بالغنم ليواريه عن الطلب فإذا عاد عبد الله "أسرعت إليه أسماء وعائشة أختاه يسألانه عما صار وعما رأى فيطمئنهما فلقد كان قلباهما معهما وقد ساهما مساهمة فعالة في خدمة الرسول وصاحبه فقد صنعت أسماء لهما سفرة خفيفة في جراب فقطعت نطاقها وربطت به الجراب^(٢)

وبعد الاطمئنان على الأوضاع الأمنية وحسب الاتفاق المسبق جاء الرجل الذي استأجراه بالرحلتين وهو "عبد الله بن أريقط"^(٣) ، (فركبا وانطلقا وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة مولاه خلفه ليخدمهما في طريق)^(٤) ، فلما خرج بهما دليلهما عبد الله ابن أريقط سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عُسْفَانَ ثم سلك أسفل أمج ، ثم استجار بهما ، حتى عارض بهما الطريق بعد أن أجاز قد يدا ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرار ثم سلك بهما ثنية المرة ثم سلك بهما لِقْفًا^(٥) ثم واصلت المسيرة المباركة تسلك الطرق الوعرة والمنعرجة خوفاً من اقتفاء آثارها من قبل قريش أو الترصد لها في الطرق المعتادة

^١ - البداية والنهاية ، ابن كثير ج ٣ ص ١٧٨

^٢ - النهج المحمدي عبد العزيز المسند ص ٩٦

^٣ - وقيل ابن أرقط وقيل أريقط انظر: الأثر المقفي لقصة هجرة المصطفى أبو تراب الظاهري ص ١٣١ ، ط،

^٤ - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ ، دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة

^٥ - البداية والنهاية ، ابن كثير ج ٣ ص ١٨٧

^٥ - سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٤٩١

ومع كل ذلك الحذر والحيلة وجد سراقه بن مالك ابن جشم من يخبره بجهة سيرهم فقلل من خبر المخبر ثم خرج محتفياً مسرعاً على فرسه لعله يفوز بالجائزة العظيمة التي عرضتها قريش لمن يأتي بالنبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضي الله عنه أو أحدهما وكان أبو بكر رضي الله عنه يكثر الالتفات خوفاً على رسول صلى الله عليه وسلم (فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال: يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا فالتفت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال "اللهم اصرعه" فصرعه الفرس ثم قامت تحمحم فقال يا نبي الله مرني بم شئت فقال (قف مكانك لا تترك أحداً يلحق بنا) قال فكان أول النهار جاهداً على النبي صلى الله عليه وسلم وكان آخر النهار مصلحة له (١) وعاد سراقه (فكان لا يلقاه أحد يريد الطلب إلا قال: كفيتم ما هاهنا ولا يلقي أحداً إلا رده) (٢)، وواصلت القافلة المباركة سيرها إلى المدينة وبعد تعب وطول عناء السفر مروا بصخرة فنام المصطفى في ظلها ورأى أبو بكر راعياً معه غنم فاستحلبه فحلب له منها فبرده أبو بكر حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقاه ثم ارتحلوا (٣) ويدل هذا على شدة حرص الصديق رضي الله عنه على راحة الرسول صلى الله عليه وسلم وحماية من كل مكروه .

وفي طريقهم (مروا بنجيمي أم معبد الخزاعية وكانت امرأة جلدة ، برزة تحتي وتقعده بفناء الخيمة ثم تسقي وتطعم ، فسألوها تمراً أو لحماً يشترون ، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك ، وإذا القوم مرملون مستنون فقالت : والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في كسر الخيمة فقال : ما هذه الشاة يا أم

١- رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار ٦٣ باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة ٤٥

حديث ٣٩١١ ص ٨٠٣

٢- الكامل ، ابن الأثير ج ٢ ص ١٠٥

٣- الأثر المقتنى لقصة هجرة المصطفى ، أبو تراب الظاهري ص ١٣١ ، وأصل الحديث بطوله في البخاري كتاب في

اللقطة ٤٦ باب من عرف اللقطة ولم يدفعها إلى السلطان ١٢ حديث ٢٤٣٩ ص ٤٨٣

معبداً قالت هذه شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال هل بها من لبن ؟ قالت هي أجهد من ذلك قال : أتأذنين أن أحلبها ؟ قالت نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلباً، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله وقال : اللهم بارك لها في شاتها قال : فتفاجت ودرت واجترت فدعا بإناء لها يربض الرهط فحلب فيه ثجاً حتى علبه الشمال فسقاها فشربت حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا وشرب صلى الله عليه وسلم آخرهم وقال : ساقى القوم آخرهم ، فشربوا جميعاً عللاً بعد فحل حتى أراضوا ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء فغادره عندها (١).

ولاشك أن هذه معجزة من المعجزات النبوية التي يزداد بها المؤمن إيماناً واطمئناناً بأن هذا الدين سيظهر على الدين كله وأن الرسول صلى الله عليه وسلم سينتصر رغم ملاحقة أعداءه للقضاء عليه كما تدعو من لم يكن مسلماً للإسلام، سواء كان ممن شاهدها أو سمع بها وكتب الله له الهداية والهجرة النبوية المباركة فيها الكثير من المعجزات والعبر لمن اعتر من يوم خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة إلى وصوله إلى المدينة .

فعند خروجه من بيته كان البيت محاصراً ومحاطاً به من جميع الجوانب من قبل فتيان قريش الذين أوكلت إليهم تنفيذ جريمة القتل بحقه صلى الله عليه وسلم ، فاخترق صفوفهم وذر التراب على رؤوسهم ولم يبصروا به ، ومرة ثانية وصلوا الغار الذي كان يختبئ فيه ووقفوا عليه ولكن منعوا من رؤيته ثم في الطريق لحق به سراقة فساخت قدما فرسه في الأرض ولم يستطع الخروج من المأزق الذي وقع فيه إلا بعد أن طلب الأمان قال : سراقة (ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله

١- الطبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٣٠ . وتفاجت : أسرع ، والتج : لبن سائل كثير ، وعلب : غلظ ، والشمال : جمع ثمالة وهي الرغوة ، وأراضوا : أرواهم بعد الري ، وساخت : غاصت . انظر : لسان العرب ، ابن منظور (فيج) ٣٥٠/٢ ، (تج) ٢٢١/٢ ، (علب) ٦٢٧/١ ، (ثل) ٩٣/١١ ، (روض) ١٦٤/٧ ، (سوخ) ٢٧/٣ .

عليه وسلم... فسألته أن يكتب لي كتاباً آمن فأمر عامر ابن فهيرة فكتب لي (١) وذكر أنه جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجرانة مرجعه من الطائف ، فقال له "اليوم يوم وفاء وبر أدنه فدنوت منه وأسلمت" (٢) ، فخرج من أجل القضاء على الرسول الله صلى الله عليه وسلم والفوز بالجائزة المالية ، وعاد وهو متيقن من نصرة الإسلام ، بل ساعد في رد الأعداء عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أسلم رضي الله عنه .

والطمع الذي أخرج سراقه بن مالك أخرج بريدة بن الحصيب فكان سببا في إسلامه وإسلام قومه فقد قال: بريدة: (لما جعلت قريش مائة من الإبل لمن يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم حملني الطمع فركبت في سبعين من بني سهم فلقيته فقال: من أنت قلت بريدة فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وقال: برد أمرنا وصلاح ثم قال ممن أنت قلت من أسلم قال سلمنا ثم قال ممن قلت من بني سهم قال خرج سهمك يا أبا بكر فقال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم من أنت قال أنا محمد ابن عبد الله رسول الله فقال بريدة: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فأسلم بريدة، وأسلم من كان معه جميعاً قال بريدة الحمد لله الذي أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين فلما أصبح قال بريدة يا رسول الله لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء فحل عمامته ثم نشرها في رمح ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة) (٣)

١- البداية والنهاية ، ابن كثير ج ٣ ص ١٨٣

٢- المرجع السابق ، ج ٣ ص ١٨٣

٣- الأثر المقتنى ، أبو تراب الظاهري ص ١٤٢

وقد فرح المسلمون في المدينة بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحاً شديداً واستقبلوه استقبالاً حاراً ومشهوداً لأن مراسيم الاستقبال قد هيئت منذ أن (سمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهر فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم أو في رجل من يهود على أطم^(١) من آطامهم لأمر ينظر إليه فيصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته : يا معشر العرب هذا جدكم (حظكم) الذي تنظرون فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة)^(٢)

وكان تلقيهم له بالسلاح (إظهاراً للقوة والشجاعة لتطمئن نفسه صلى الله عليه وسلم بقدمه عليهم ويظهر صدقهم له في مبايعتهم إياه على أن يمنعه مما يمنعون منه أبناءهم وأنفسهم)^(٣)، وكان فرحهم بقدمه صلى الله عليه وسلم فرح لم يسبق له مثيل قال : البراء بن عازب رضي الله عنهما (قدم النبي صلى الله عليه وسلم فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جعل الإمام^(٤) يقلن قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم)^(٥)، وكان يردد النساء والصبيان

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع

١- الأطم : حصن مبني بحجارة ، وقيل : هو كل بيت مُرَبَّع مُسَطَّح . ينظر : لسان العرب ، مادة (أطم) ١٩/١٢ .

٢- رواه البخاري كتاب مناقب الأنصار ٦٣ ، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة ، ٤٥ حديث ٣٩٠٦ ص ٨٠٢ .

٣- الأثر المقتضى ، أبو تراب الظاهري ص ١٤٣ .

٤- الإمام : جمع أمة وهي المملوكة خلاف الحرة . ينظر : لسان العرب ، مادة (أما) ، ٤٤/١٤ .

٥- رواه البخاري كتاب مناقب الأنصار ٦٣ ، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة ، ٤٥ حديث ٣٩٢٥ ص ٨٠٦ .

ما دعا الله داع^(١)

وجب الشكر علينا

جئت بالأمر المطاع^(٢)

أيها المبعوث فينا

والغلمان والخدم يقولون : الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمد الله أكبر جاء محمد الله أكبر جاء رسول الله، الله أكبر جاء محمد الله أكبر جاء رسول الله^(٣) وسمع التكبير يهز المدينة وتحولت الدعوة من الحصار إلى الاستقبال ومن العداوة إلى الترحيب والتأييد وتنفس رسول الله صلى الله عليه وسلم الصعداء إذ تجاوزت دعوته النطاق الضيق المحدود ووجدت داراً آمنة يرتفع بها صوت الحق^(٤) بالتكبير والتهليل وقراءة القرآن والدعوة إلى الإسلام عموماً دون تحفظات من أحد وكان صلى الله عليه وسلم نزوله في بادئ الأمر في علو المدينة كما قال : أنس بن مالك رضي الله عنه (لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل إلى ملأ من بني النجار فجاءوا متقلدي سيوفهم .. وكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وأبو بكر ردفه وملأ بني النجار حوله حتى ألقى بفناء أبي أيوب)^(٥) لتصل هذه القافلة المباركة آخر مقرها بعد رحلة طويلة محفوفة بالخوف والمشقة لكن عناية الله جعلت

^١ - البداية والنهاية ، ابن كثير ج ٣ ص ١٩٥

^٢ - الرحيق المختوم المباركفوري ص ٢٤٦

^٣ - البداية والنهاية ابن كثير ج ٣ ص ١٩٥

^٤ - النهج المحمدي عبد العزيز المسند ص ١٠٠

^٥ - رواه البخاري كتاب مناقب الأنصار ٦٣ باب مقدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة ٤٦

حديث ٣٩٣٢ ص ٨٠٨

من كل خوف أماناً ومن كل عسر يسراً،) وتعتبر الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة أهم حدث في تاريخ الدعوة الإسلامية، إذ كانت نقطة تحول في تاريخ المسلمين كان المسلمون قبل الهجرة أمة دعوة يبلغون دعوة الله للناس، دون أن يكون لهم كيان سياسي يحمي الدعوة أو يدفع عنهم الأذى من أعدائهم.

وبعد الهجرة تكونت دولة الدعوة، هذه الدولة التي أخذت على عاتقها نشر الإسلام في داخل الجزيرة العربية وخارجها، ترسل الدعوة إلى الأمصار وتتكفل بالدفاع عنهم وحماتهم من أي اعتداء قد يقع عليهم ولو أدى ذلك إلى قيام حرب أو حروب^(١) لأنه يعد من باب الحفاظ على مكتسبات الدعوة ونشرها ومما يؤكد أهمية الهجرة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة أن قريشاً لم تستطع أن تتجرأ في مطالبة أهل المدينة برد المهاجرين ولا المطالبة بتسليم الرسول صلى الله عليه وسلم مع أنها أصدرت عليه حكم الإعدام وذلك لعلمها بقوة الأنصار وشدة بأسهم والوفاء بعهودهم، فإنهم قد عملوا بتوقيع الاتفاقية في بيعة العقبة وما تضمنه من حماية الرسول صلى الله عليه وسلم.

^١ - الهجرة النبوية، د/محمد عبدالقادر أبو فارس ص ١٣، ط١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، دار الفرقان، عمان، الأردن

بعض الدروس المستفادة من الهجرة النبوية :-

- ١- أن الإيمان بالله تعالى والثقة في نصر الله أساس النجاح في كل عمل .
- ٢- أن النصر دائماً مع الصبر ، فما تعجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كف عن الدعوة إلى ربه ولا تسرب اليأس إلى قلبه في وقت قل فيه المعين وعز فيه النصير .
- ٣- أن الحق لا ينتصر بنفسه بل بإذن الله تعالى ثم بأصحابه الذين يدافعون عنه ويحمون حماه ، ويبدلون أرواحهم في سبيله ويضحون بالأهل والمال من أجله .
- ٤- أن الإعداد المادي والروحي عنصر أساسي في هذا النصر فقد رتب رسول الله صلى الله عليه وسلم رحلة الهجرة بتدبير الله تعالى ثم رسم سبيلها وخطط بالمعرفة الذكية والعقل المنير وسائلها وغاياتها ووضع الخيرات البشرية في وضعها المناسب وجعل الخطة سرية ، واعتمد على عنصر المفاجأة ولم يترك ثغرة للعدو ينفذ من خلالها .. حتى إذا استنفذ جهده في الإعداد : اتجه إلى ربه يطلب الإمداد فالتقى الإمداد بالإعداد على أمر قد قدر وجاء نصر الله والفتح ^(١) .
- ٥- إن الهجرة شرعت لعز المؤمنين ، والحفاظ على دينهم وكرامتهم ، ولم تكن الهجرة خاصة بأمة محمد صلى الله عليه وسلم بل كانت مشروعة للأنبياء السابقين وأممهم ، وهي واجبة بالكتاب والسنة والإجماع ، وباقية ما بقي الصراع بين الحق والباطل .
- ٦- إن الهجرة إلى الحبشة استطاعت أن تنقل الصراع خارج مكة في وقت مبكر من تاريخ الدعوة ، بل وخارج الجزيرة العربية مما كان له أثر كبير في نشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها .

١- أضواء على الهجرة ، توفيق محمد ص ٢١ ص ٢٢

٧- الهجرة إلى الحبشة والمدينة سبقتهما ظروف بالغة الصعوبة عانى منها الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم، تمثلت في الإهانة والسخرية والاستهزاء والفتنة عن الدين بالتعذيب حتى الموت، والمقاطعة والتجويع، وكل ذلك تحملوه في سبيل نشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها.

٨- استعداد الأنصار وتعهدهم للقيام بواجب الحفاظ على مكتسبات الدعوة، شجع المهاجرين بالإسراع في التوافد إلى المدينة، وتنفيذ خطة الهجرة في وقت وجيز رغم كل ما وضع لهم من العراقيل والعقبات.

٩- إن الهجرة إلى المدينة تعد أهم حدث في تاريخ الدعوة الإسلامية، إذ كانت نقطة تحول في تاريخ المسلمين، لأنهم في مكة لم يكن لهم كيان يدافع عنهم، أما بعد الهجرة، فتكونت دولة الإسلام الفتية.

١٠- إن الصراع بين الحق والباطل مستمر وعلى الدعاة أن يدرسوا الحلول المناسبة للحفاظ على مكتسبات الدعوة والخروج بها إلى بر الأمان من أمواج الباطل التي تحيط بها من كل جانب. وبه تم المقصود من عقد هذا الفصل. والله الحمد والمنة.

الفصل الرابع

العدالة وإقامة الحدود والعقوبات التعزيرية
حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المبحث الأول : الاهتمام بالعدل حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المبحث الثاني : إقامة الحدود حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المبحث الثالث : إيقاع العقوبات التعزيرية حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المبحث الأول : الاهتمام بالعدل حفاظاً على مكتسبات الدعوة :

المطلب الأول : أدلة الكتاب والسنة في وجوب العدل حفاظاً على مكتسبات الدعوة .
المطلب الثاني : مواقف من العدل في عهد الخلفاء الراشدين — رضي الله عنهم — في الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

العدل لغة :

هو(ما قام في النفوس أنه مستقيم وهو ضد الجور عدل الحاكم في الحكم يعدل عدلاً وهو عادل)^(١) (وعدل الشيء أقامه وسأواه يقال عدل الميزان وعدل السهم ، وعدل الشيء بالشيء سواه به جعله مثله قائماً مقامه)^(٢) (والعدل .. هو المقابل والضد للجور والظلم)^(٣) ، فكما أن الظلم وضع شيء في غير موضعه فالعدل وضع الشيء في موضعه .

العدل اصطلاحاً :

(إعطاء كل ذي حق ما يعادل حقه ويساويه دون زيادة ولا نقصان)^(٤) وعلى العموم (هو إعطاء كل ذي حق حقه من غير تفرقة بين المستحقين ، وبدون نظر إلى الأمور العارضة على الطبيعة الإنسانية كالحسب أو النسب أو المال أو القوة أو الضعف أو العداوة أو الموالاتة)^(٥) ، فهذه الأمور لا مكان لها في ميزان العدل فإذا طبقت الشريعة على المجتمع دون النظر إلى الفوارق الاجتماعية زالت عوامل الاضطرابات والتنافر والمشاكسات وحل الأمن والاستقرار والمحبة والوئام وحفظت الأموال والأنفس وبه يحقق العدل الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

^١ - لسان العرب ، ابن منظور مادة عدل ، ج ١١ ص ٤٣٠

^٢ - المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مادة ، عدل ، د ٢ ص ٥٨٨

^٣ - الإسلام والأمن الاجتماعي د/ محمد عمارة ص ٨٩، ط١، ١٤١٨هـ - دار الشروق ، القاهرة

^٤ - الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن جنبكة الميداني ج ١ ص ٦٢٢، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار

القلم ، دمشق

^٥ - انظر: مفهوم المساواة في الإسلام د/ رشاد حسن خليل ص ٣١، دار الرشيد ، الرياض ، بدون ذكر الطبع

المطلب الأول : أدلة الكتاب والسنة في وجوب العدل حفاظاً على مكتسبات الدعوة

الفرع الأول : أهمية العدل في حياة الناس :

العدل جاءت به الديانات السماوية ودعت إليه الفطر السليمة والأخلاق النبيلة لما فيه من مصالح العباد والبلاد ، وادعاه حتى من لم يكن أهلاً له ترويحاً لأفكاره ومبادئه علماً منه لمحبتة في النفوس و (العدل هو الأصل الذي بعثت به الرسل وأنزلت به الكتب)^(١)

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾^(٢) .

قال ابن كثير (الميزان) وهو العدل وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة ... (ليقوم الناس بالقسط) أي بالحق والعدل وهو اتباع الرسل فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا به فإن الذي جاعوا به هو الحق الذي ليس وراءه حق كما قال ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾^(٣) ، (أي صدقا في الأخبار وعدلاً في الأوامر والنواهي)^(٤)

وبقدر ما يلتزم المجتمع بأوامر الله وينتهي عن نواهيه كان العدل قائماً والحفاظ على مكتسبات الدعوة، متحققاً و(لا وسيلة لإقامة العدل إلا أن يطبق الإسلام بكامله، والعدل ليس شيئاً زائداً على الإسلام إنما الإسلام هو العدل وتطبيق الإسلام وإقامة العدل شيء واحد)^(٥) ، (ولا نبالغ إذا قلنا أن العدل سمة الإسلام وميزان الاجتماع وبه يقوم بناء الجماعة

^١ - أعلام الموقعين ، ابن قيم الجوزية ج ٢ ص ٧

^٢ - الحديد آية : ٢٥

^٣ - الأنعام آية : ١١٥

^٤ - تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ج ٤ ص ٣١٤

^٥ - انظر: مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة ، أبو الأعلى المودودي ص ١٧٤ ، طبع سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، الدار

وكل تنسيق اجتماعي لا يقوم على العدل لا بد أن ينهار مهما تكن قوة التنظيم فيه لأن العدل هو دعامة وهو النظام الحقيقي والتنسيق السليم لكل بناء وهو ميزان الله المبرأ من كل ذل وبه يستتب أمر العالم ولهذا قال الله ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾^(١) وقال ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾^(٢)، وعبر بالميزان لأنه من أثره ومن أظهر أفعاله المحسوسة^(٣)، (وأن ميزان العدل مرتبط ارتباطاً أساسياً بمقياس الحق وموازينه وعلى مقاييس الحق وموازينه تتم عملية الوزن الصحيح الذي يظهر فيه وجه العدل)^(٤)، في صورته الحقيقة ولأهمية العدل في صلاح المجتمع والحفاظ على مكتسبات الدعوة جاءت آيات كثيرة تؤكد وجوبه.

(وقد وردت مادة - ع د ل - ثمان وعشرين مرة في القرآن الكريم ومادة - ق س ط - خمس وعشرين)^(٥)، وكل هذه الآيات تبين عظم شأن العدل في الإسلام وتوجب الأخذ به، (والعدل مما تواطأت على حسنه الشرائع الإلهية والعقول الحكيمة وتمدح بادعاء القيام به عظماء الأمم وسجلوا تمدحهم على نقوش الهياكل من كلدانية ومصرية وهندية. وحسن العدل مستقر في الفطرة فإن كل نفس تشرح لمظاهر العدل ما كانت النفوس بمعزل عن هوى يغلب عليها في قضية خاصة أو في مبدأ خاص تنتفع فيه بما يخالف العدل بدافع إحدى القوتين الشاهية والغاضبة)^(٦)، فإن ثورة الشهوة والغضب توقعان صاحبهما في ظلم

^١ - الشورى آية : ١٧

^٢ - الرحمن آية : ٧

^٣ - تهذيب الأخلاق في الإسلام د/ عبد المقصود عبد الغني خيشة ص ٦٨، طبع سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م دار الثقافة العربية

^٤ - الأخلاق الإسلامية، عبد الرحمن حبنكة الميداني ص ٦٢٦

^٥ - العمل والقيم الخلقية في الإسلام د/ أحمد ماهر البقري ص ٢٣٠، طبع سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية

^٦ - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور ص ٢٩٣، ط ١ - ١٤٢١هـ - ٢٠١١م، دار النفائس، الأردن

الآخرين دون النظر إلى عواقب الظلم الوخيمة إلا من عصمه الله وقد أمر الله عز وجل بالعدل عموماً في قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾^(١)، فالعدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه وفي حق عباده ، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفورة بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منها في حقه وحق عباده ويعامل الخلق بالعدل التام^(٢)، لأن العدل مطلوب من جميع أفراد المجتمع بمختلف طبقاتهم وفي جميع تعاملاتهم فهو يعتبر (فضيلة الأب والابن والرئيس والمرؤوس والقاضي والشاهد والحاكم والمحكوم والبائع والمشتري وكل من يأخذ ويعطي ويثيب ويعاقب بصرف النظر عن مقدار ما يعطي أو يأخذ والأوامر القرآنية بالعدل تتجه إلى كل هؤلاء وليست قاصرة على فئة منهم)^(٣)

والمسلم في مجال العدل لكي يحقق الحفاظ على مكتسبات الدعوة لا بد أن يبعد عنه الميول العاطفية والرغبات الشخصية فيساوي بين القريب والبعيد والعدو والصديق حتى يساوي نفسه مع غيره كما يدل على ذلك قوله عز وجل ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُونًا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۗ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۗ فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۗ ﴾^(٤)، والمعنى (قولوا الحق ولو على أنفسكم بالإقرار أو الوالدين والأقربين فأقيموها عليهم الله ولا تحابوا غنياً لغناه ولا ترحموا فقيراً لفقره)^(٥)، وقال عز وجل ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۗ ﴾

١- النحل آية : ٩٠

٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ، عبد الرحمن السعدي ، ص ٣٩٩

٣- الفضائل الخلقية في الإسلام د/ أحمد عبد الرحمن إبراهيم ص ١٢٤، ط، ١ - ١٤١٢هـ - ١٩٨٢م، دار العلوم

٤- النساء آية : ١٣٥

٥- مختصر تفسير البغوي د/ عبد الله الزيد ج ١ ص ٢٠٠

ذَالِكُمْ وَصَنِّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ، يأمر تعالى بالعدل في الفعال والمقال على القريب والبعيد والله تعالى يأمر بالعدل لكل أحد في كل وقت وفي كل حال (٢) .

الفرع الثاني : تحري العدل مع المخالفين :

العدل مبدأ إسلامي ثابت ، يتعامل به المسلمون مع بعضهم ، ومع غيرهم ممن يخالفهم في العقيدة، وقد أمرنا الله تعالى (أن نطبق العدالة حتى مع العدو الذي بينه وبين المسلمين كراهية وبغض وعداوة ذلك أن العدالة حتى مع العدو لا يجب أن تميل مع العاطفة لأنها أساس متين للمجتمع الصالح والحكم الرشيد فيقول سبحانه وتعالى ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۗ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

هذا هو منهج الإسلام للعدالة (منهج يتسم بضرورة الالتزام بالعدالة المطلقة الشاملة سواء بالنسبة للمسلمين أو غير المسلمين وبالنسبة للأصدقاء أو الأعداء منهج يحتم إقامة العدالة بين الناس جميعا مهما اختلفت أجناسهم أو دياناتهم) (٤) .

وقد تشرب الصحابة رضي الله عنهم هذا المنهج في تعاملهم مع الأعداء كما تشير إلى ذلك قصة عبد الله بن رواحة رضي الله عنه مع اليهود، وهي (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث ابن رواحة إلى خيبر فيحرص بينه وبين يهود فجمعوا حلياً من نساءهم فقالوا هذا لك وخفف عنا قال: يا معشر يهود والله إنكم لمن أبغض خلق الله إليّ وما ذلك بحاملي على أن أحيف عليكم والرشوة سحت فقالوا: بهذا قامت السماء والأرض) (٥) ، وكما قيل الحق ما شهدت به الأعداء ، ومع أن اليهود أشد الناس جحوداً وإنكاراً للحق لم يملكوا أمام عدل الإسلام إلا أن يقرروا بالحق والعدل الذي نطق به الصحابي الجليل وعمل

١- الأنعام آية : ١٥٢

٢- تفسير القرآن العظيم ابن كثير ج ٢ ص ١٩٠

٣- المائدة آية : ٨

٤- الثقافة الإسلامية ٠٠ في ضوء القرآن والسنة د/ عبد الواحد محمد الفار ص ٩٥ ، دار العلم ، جدة ، بدون تاريخ

٥- سير أعلام النبلاء ، الذهبي ج ١ ص ٢٣٧

رضي الله عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم آمراً بالعدل ومحذراً عن الظلم (واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)^(١) وقال: (الظلم ظلمات يوم القيامة)^(٢) ، فإذا كان الظلم ظلمات ، فالعدل والقسط نور وضياء ورفعة في الدرجات العلاء كما قال صلى الله عليه وسلم (إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا)^(٣)

الفرع الثالث : العدل بين الأولاد:

فالعدل من واجبات المسلم في كل من كان تحت سيطرته أو ارتبط معهم في أي مجال من مجال التعامل بدء بالأهل الذي يشمل على الأولاد والزوجات بالإضافة إلى الأقارب الآخرين وانتهاء بالولاية العامة والسلطة القضائية حفاظاً على مكتسبات الدعوة ففي العدل بين الأولاد قال: صلى الله عليه وسلم (فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم)^(٤)

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سألت أمي أبي بعض الموهبة لي من ماله ثم بداله فوهبها لي فقالت لا أرضى حتى تشهد النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بيدي وأنا غلام فأتى بي النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أمه بنت رواحة سألتني بعض الموهبة لهذا قال: ألك ولد سواه ؟ قال نعم قال: فأراه قال: لا تشهدني على جور..)^(٥) قال الإمام ابن القيم رحمه معلقاً على الحديث (وقد أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشهد عليها وأخبر أنها لا تصلح وأنها جور وأنها خلاف العدل ومن العجب أن يحمل قوله : "اعدلوا بين أولادكم "

^١ - رواه البخاري كتاب الزكاة ٢٤ باب أخذ الصدقات من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا ، ٦٣ حديث

١٤٩٦ ص ٢٩٨

^٢ - رواه البخاري كتاب المظالم ٤٦ باب الظلم ظلمات يوم القيامة ٨ حديث ٢٤٤٧ ص ٤٨٥

^٣ - رواه مسلم كتاب الإمارة ٣٣ باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم ٥ حديث ١٨٢٧ ص ٧٦٣

^٤ - رواه البخاري كتاب الهبة ٥١ باب الإشهاد في الهبة ١٣ حديث ٢٥٨٧ ص ٥١٤

^٥ - رواه البخاري كتاب الشهادات ٥٢ باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد ٩ حديث ٢٦٥٠ ص ٥٢٧

على غير الوجوب وهو أمر مطلق مؤكد ثلاث مرات وقد أخبر الأمر به أن خلافه جور وأنه لا يصلح وأنه ليس بحق وما بعد الحق إلا الباطل هذا والعدل واجب في كل حال^(١)، وفي رواية مسلم اعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر.. أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء قال بلى قال: فلا إذا^(٢)، (أن الرسول صلى الله عليه وسلم لمس جانباً خطيراً في علاج المفاضلة بين الأولاد حيث بين أن الأب في حاجة إلى برهم جميعاً وأن المفاضلة نوع من الجور الذي يسبب البغضاء بين الأولاد كما أنه يسبب قطيعة الرحم.. ومعلوم أن الإسلام حرص حرصاً كبيراً على توفير أسباب الوثام في الأسرة)^(٣) والأطفال الذين ينشئون في أسرة يسودها العدل والمحبة والألفة يكون العدل فطرة وطبعاً لهم عند ما يكبرون ، ومراعاتاً لشعور الأطفال "كان السلف يستحبون أن يعدلوا بين الأولاد في القبلة"^(٤) تطبيقاً لخواطرهم وشعورهم بالمساواة عند الأباء، ومما لاشك فيه أن العدل بين الأولاد يبعد عنهم القلق النفسي والشعور بالدونية واللجوء إلى العدوات والإجرام وما لا تحمد عقباه .

الفرع الرابع : وجوب العدل بين الزوجات :

والعدل وجب بين الزوجات في الحقوق والواجبات لقوله تعالى ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾^(٥)، والمعنى "فإن خفتن خشيتم وقيل علمتم "ألا تعدلوا" بين الأزواج الأربع "فواحدة" أي فانكحوا واحدة ، "أو

^١ - تحفة المودود بأحكام المولود، ابن قيم الجوزية ص ١٣٨، ط، ١- ١٣٩٢هـ - مكتبة دار البيان، دمشق

^٢ - رواه مسلم كتاب الهبات ٢٤ باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة ٣ ص ٦٦٣

^٣ - السلوك الاجتماعي في الإسلام حسن أيوب ص ٢٤٤ ، ط، ٤- ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار الندوة الجديدة بيروت

^٤ - تحفة المودود ابن القيم ص ١٣٩

^٥ - النساء: آية ٣

ما ملكت أيمانكم" يعني السراري لأنه لا يلزم فيهن من الحقوق ما يلزم في الحرائر ولا قسم لهن ولا وقف في عددهن "ذلك أدنى" أقرب "ألا تعولوا" أي لا تجور ولا تملوا^(١) .
ومجالات العدل بين الزوجات واسعة ومتعددة "فإذا كان لرجل زوجتان أو أكثر وجب عليه أن يعدل بينهما في المبيت وفي النفقة وفي السكن فإن ظلم امرأة فلم يبت عندها ليلة أو أكثر وجب عليه أن يقضيها حقها فذلك دين عليه لها إلا أن تنازل عنه ... وكذلك إن أعطى واحدة دون أخرى من ماله فإنه يعتبر ظلماً سواء كان العطاء في صورة نقدية أو ملابس أو حلية أو غيرها ، والنفقة تشمل المسكن والملبس والمطعم^(٢) .

وقد حذر الرسول الله صلى الله عليه وسلم من ظلم الزوجات، والميل إلى إحداها دون الأخرى بقوله (من كان له امرأتان يميل لإحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة أحد شقيه مائل)^(٣) ، والظاهر أن الحكم غير مقصور على امرأتين بل هو اختصار على الأدنى فمن له ثلاث أو أربع - مال إلى واحدة أو أكثر - كان كذلك .. يجيء يوم القيامة غير مستوي الطرفين بل يكون أحدهما كالراجح وزناً كما كان في الدنيا غير مستوي الطرفين بالنظر إلى المرأتين بل كان يرجح أحدهما^(٤) دون الأخرى فجاء الحكم من جنس العمل .

هذه في الأمور التي كان يمكنه أن يعدل فيها فلم يعدل أما الأمور التي هي خارج طاقته فلا حرج فيها مثل التفاوت في المحبة لميزة توفرت في إحداها دون أخرى ومن الجدير بالذكر أن عدالة راعي الأسرة بين أولاده وزوجاته يجعل العدل سمة من سماته وينعكس ذلك

^١ - مختصر تفسير البغوي د/عبد الله الزيد ج ١ ص ١٥٨

^٢ - السلوك الاجتماعي في الإسلام حسن أيوب ص ٢١٣

^٣ - رواه النسائي في كتاب عشرة النساء ٣٦ باب ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض باب ٢، حديث ٣٦٨٢، ج

٧ ص ٦٣ قال الألباني في صحيح سنن النسائي : صحيح ج ٣ ، ص ٨٢٧ .

^٤ - انظر: حاشية السندي على سنن النسائي المرجع السابق ج ٧ ص ٦٣

في تعامله مع المجتمع وفي أي منصب يتولاه وأيضاً هذه الأسرة التي تربت في كنف العدالة والمحبة والألفة كل فرد منها مرشح أن يمارس العدالة في المجتمع حسب موقعه الاجتماعي وبذلك تكتسب العدالة الحفاظ على مكتسبات الدعوة.

الفرع الخامس: عدالة الوالي والقاضي حفاظاً على مكتسبات الدعوة :

العدالة وإن كانت واجبة في كل فرد من أفراد المجتمع فوجوبها على الولاة والقضاة أكد وأعظم للمسئولية العامة المناطة بهم، ولذلك اشترط في تكليف كل منهم العدالة. والعدالة هي مهمة الأنبياء قبل أن تكون مهمة الولاة والقضاة وسائر أفراد الأمة كما قال عز وجل ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾^(١)، هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المترل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله، وقد توعد تبارك وتعالى من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد^(٢).

وقد أمر الله تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول (وأمرت لأعدل بينكم) في أحكام الله إذا ترافعتم إليّ، ولا أحييف عليكم بزيادة على ما شرعه الله أو بنقصان منه^(٣)، فكل ما حكم به صلى الله عليه وسلم فهو حق وعدل لأنه لا ينطق عن الهوى بل هو وحي من الله عز وجل.

^١ - ص آية : ٢٦

^٢ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج ٤ ص ٣٣

^٣ - فتح القدير، الشوكاني، ج ٤ ص ٥٣١

فإذا كان الحكم بالعدل واجب من واجبات الأنبياء فهو أيضاً واجب في حق أتباعهم من الولاة والقضاة وسائر أفراد الأمة. قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (١) ، والحكم بالعدل (يشمل الحكم بينهم في الدماء والأموال والأعراض القليل من ذلك والكثير على القريب والبعيد ، والفاجر والولي ، والعدو) (٢) كلهم يتساووا أمام عدالة الإسلام والحاكم العادل الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانته العالية عند الله بقوله (سبعة يظلمهم الله يوم القيامة في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه ورجل قلبه معلق في المسجد ورجلان تحابا في الله ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال إلى نفسها قال : إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) (٣) .

صدر الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الأصناف السبعة بالحاكم العادل لعظم مكانته وعلو شأنه في هذه الحياة ذلك أنه هو الذي يمكنه أن يرد الحقوق المغصوبة إلى أهلها ويرجع المظالم المسلوقة إلى أصحابها ويغير المنكر بيده.. وبذلك يستتب الأمن والنظام في المجتمع وتتحقق العدالة بين أفرادهم (٤) ، ويتم الحفاظ على مكتسبات الدعوة وإقامة العدل عامل أساسي في استقرار البلاد والدول وازدهارها بغض النظر عن يقيمه.

فعندما أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة إلى الحبشة بعد اضطهاد قريش لهم قال: (لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض

١- النساء آية : ٥٨

٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ، عبد الرحمن السعدي ص ١٤٨

٣- رواه البخاري كتاب الحدود ٨٦ باب فضل من ترك الفواحش ١٩ حديث ٦٨٠٦ ص ١٤٢٨

٤- العنبر من وحي المنبر د/ محمد أحمد هشام ج ١ ص ١٥٣ ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، دار العلم ، الإمارات

صدق^(١) فشهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالعدالة ولم يكن في ذلك الوقت مسلماً فألجأهم إليه حفاظاً على مكتسبات الدعوة في ظل العدالة القائمة هناك .

وقد تحدث شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله موضحاً مكانة العدالة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة بقوله (أمور الناس إنما تستقيم في الدنيا مع العدل الذي قد يكون فيه الاشتراك في بعض أنواع الإثم أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق وإن لم يشترك في إثم ولهذا قيل إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة ، ويقال : الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام .

وذلك أن العدل نظام كل شئ . فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الدين من خلاق ومثى لم تقم بالعدل : لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزي به في الآخرة)^(٢) .

وإكراماً للإمام العادل ورفعة شأنه أن دعوته مقبولة عند الله عز وجل كما قال صلى الله عليه وسلم (ثلاثة لا يرد الله دعاءهم : الذاكر الله كثيراً ودعوة المظلوم والإمام المقسط)^(٣) " بحجة الله للإمام العادل صارت سبباً في استجابة دعوته كما قال عز وجل لنبيه ﷺ **وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴿٥٤﴾ " ، وقال ﷺ **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ** ﴿٥٥﴾ .

(والعدل مأمور به ... — كما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم : " ثلاث مهلكات وثلاث منجيات ، فقال : ثلاث مهلكات : شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الفقر والغنى والعدل في الغضب والرضا " —^(٦) وهذه أعلى مراتب العدل إذ يعدل المرء في حال الرضا ولكن ينذر أن يعدل

^١ - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٢٠

^٢ - الاستقامة ، شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٢ ص ٢٤٧-٢٤٨ ، ط ، ١ - ١٤٠٤ هـ - طبع جامعة الإمام

^٣ - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث ٦٩٧٣ ج ١٣ ص ٥٨ ، الدار السلفية ، قال الألباني في صحيح الجامع الصغير ، حسن ، ج ١ ص ٥٨٧ ،

^٤ - المائدة آية : ٤٢

^٥ - الأعراف آية : ٢٩

^٦ - سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ج ٤ ص ٤١٦ ، حديث رقم ١٨٠٢ ، قال : حسن

وهو غاضب أو ساخط أو كاره)^(١)

أما أهل النفوس الزكية والأخلاق العالية الذين يشعرون بمراقبة الله عز وجل في السر والعلن ويستحضرون موقفهم عند الله عز وجل يوم القيامة لا يحملهم الغضب إلى ظلم الناس مهما كان ذلك.

وقد شغلت الإمامة حيزاً واسعاً في نصوص الكتاب والسنة ترغيباً في العدالة وترهيباً من الظلم ، لما يترتب في عدالة الأئمة من صلاح الدين والدنيا وفي ظلمهم فساد ذلك (ومن الجدير بالذكر أن الناس إذا شعروا بإقامة العدالة في مجتمعهم وسيادة العدل في حياتهم على المسلمين وغير المسلمين تستقر نفوسهم وتطمئن قلوبهم وتهدأ أحوالهم ويزدهر مجتمعهم ويعمهم الخير والأمن والأمان والسلامة والإسلام)^(٢)، فالمستول الأول أمام الله والأمة والتاريخ عن حماية المجتمع من الرذائل هو الحاكم باعتباره رئيس الدولة فمن واجبه حماية الأموال و الأنفس والأعراض والدين وذلك بإقامة الحدود والإنصاف من الظالم للمظلوم ، وذلك تمثيلاً مع المبادئ التي قامت عليها الدولة الإسلامية في الأصل والتي تستهدف إقامة المجتمع الفاضل الذي تتحقق فيه أسس العدالة ويتمتع فيه كل إنسان بالأمن على نفسه وماله وعرضه)^(٣)، وحرية رأيه في حدود الانضباط بقواعد الشريعة .

وهنالكَ ففة أخرى لا تقل أهمية في بسط العدل والحفاظ على مكتسبات الدعوة من الحكام وهم القضاة الذين (يتولون مهمة الفصل في الخصومات التي تنشأ بين أفراد

^١ - هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً ، محمود محمد الخندار ص ٢٣٤ ، ط ٥ ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ، دار طيبة الرياض

^٢ - النظام السياسي في الإسلام د/ محمد عبد القادر أبو فارس ص ١٤ ، دار الفرقان ، عمان ، الأردن ، بدون تاريخ طبع

^٣ - الثقافة الإسلامية في ضوء القرآن والسنة د/ عبد الواحد محمد الفار ص ١٠٠ .

المجتمع ، على أن يكون هؤلاء قضاة على درجة كبيرة من العلم والمعرفة بمصادر الشريعة الإسلامية ، والقدرة على استنباط الأحكام العملية من أدلتها التفصيلية^(١) وقد اهتم الإسلام بالقضاء ومارسه النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه وأتاب عنه غيره فيه صلى الله عليه وسلم وبعث القضاة إلى البلاد التي لحقت بالدولة الإسلامية .. ليقوم الناس بالقسط ، ويلتزموا بشريعة الإسلام .. وكذلك الخلفاء الراشدين وما رسوا القضاء وأرسلوا القضاة إلى الأمصار المفتوحة.

وكان من سنة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين أن يمتحنوا القضاة ويبيّنوا لهم كيفية القضاء وآداب القضاة ، كما أن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم تضمنت شروط القضاة والمجالات التي ينظر فيها القاضي ودور القضاة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ودورهم في استقامة الناس وصلاح أحوالهم بحفظ الحقوق وإقامة الحدود وحفظ الأموال والكرامات والأعراض إلى جانب دورهم في منع الخصومات ورفع النزاعات بين الناس^(٢)، والآيات التي تأمر بالعدل في الحكم مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾^(٣)، وغيرها مما سبق تشمل القاضي وغيره من الحكام وسائر الناس.

أما الأحاديث التي تحدثت عن عدالة الحاكم والقاضي فمنها قوله صلى الله عليه وسلم (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله

^١ - الثقافة الإسلامية في ضوء القرآن والسنة ، د/ عبد الواحد محمد الفارص ص ١٠١

^٢ - الإدارة والقضاء الإداري في الإسلام ، إحسان عبد المنعم عبد الهادي ص ٢١٦، ط ١ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، دار

يافا العلمية ، عمان

^٣ - النساء آية : ٥٨

أجر^(١) فالقاضي الذي (أعمل فكره وتتبع الأدلة ووقفه الله .. يكون له أجران أجر الاجتهاد وأجر الإصابة والذي له أجر واحد هو من اجتهد فأخطأ فله أجر الاجتهاد^(٢) .

والاجتهاد لا بد أن يكون مبني على علم ومعرفة ثم العمل كما في قوله صلى الله عليه وسلم (القضاة ثلاثة : اثنان في النار، وواحد في الجنة رجل عرف الحق وقضى به فهو في الجنة ، ورجل عرف الحق ولم يقض به جار في الحكم فهو في النار ورجل لم يعرف الحق فقضى للناس على جهل فهو في النار)^(٣) .

فالأول عادل من جهتين من جهة العلم ومن جهة العمل بما علم ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله ما لآ فسلط على هلكته في الحق وآخر آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها)^(٤) .

أما الثاني : فظالم من جهة مخالفة العمل بما علم ،أما الثالث : فهو ظالم من جهتين من جهة الإدعاء ووضع نفسه في غير موضعه ومن جهة عدم إصابة الحق في قضائه .

وعمل كلا الرجلين ينافي الحفاظ على مكتسبات الدعوة وتحقيق العدالة بين المجتمع ومن باب الحرص على نزاهة القضاء وتحري العدالة قال : صلى الله عليه وسلم (لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان)^(٥) ، فلا يحمل الغضب على الجور وإضاعة الحقوق .

ومفهوم القاضي يتسع لدخول فئات أخرى غير الحاكم والقضاة المعينين لهذه المهمة ،لأن(القاضي اسم لكل من قضى بين اثنين وحكم بينهما سواء كان خليفة أو سلطاناً أو

^١ - رواه البخاري في كتاب الاعتصام ٩٦ باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ٢١ حديث ٧٣٥٢ ص ١٥٣٩

^٢ - انظر: سبل السلام للصنعاني ج ٤ ص ٢٢٧-٢٢٨

^٣ - رواه أبو داود في كتاب الأفضية ٢٣ باب في القاضي بخطي ، حديث ٣٥٧٣ ص : ٣٩٦ قال الألباني في صحيح سنن أبي داود صحيح ج ٢ ص ٦٨٣

^٤ - رواه البخاري في كتاب الاعتصام ٩٦ باب ماجاء في اجتهاد القضاء بما أنزل الله تعالى ١٣ حديث ٧٣١٦ ص

١٥٣٤

^٥ - رواه مسلم في كتاب الأفضية ٣٠ باب كراهية قضاء القاضي وهو غضبان ٧ ، حديث ١٧١٧ ص ٧١٣

نائباً أو والياً أو كان منصوباً ليقضي بالشرع أو نائباً له حتى الذي يحكم بين الصبيان في الخطوط إذا تخايروا^(١) لزمه الأنصاف بينهم .

الفرع السادس : العدل في المعاملات بين الناس :

ومن مظاهر العدل ولوازمه ، العدل في المعاملات التي تجري بين الناس ، فالعدل واجب

في المكايل والموازين قال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ٥٦ ﴾^(٢) ، وقال ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ٥٧ ﴾^(٣) ، كما أنه واجب في كتابة الدين لقوله عز وجل ﴿ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كِتَابًا بِالْعَدْلِ ٥٨ ﴾^(٤) ، وواجب في الصلح لقوله تعالى ﴿ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ٥٩ ﴾^(٥) وهو أيضاً واجب في الشهود قال تعالى : ﴿ وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ٦٠ ﴾^(٦) .

والعدل والإنصاف واجب في كل ما يتعلق بالمعاملات وتبادل المنافع والغش والضرر

فيها ظلم وجور لحديث (من غشنا فليس منا)^(٧)

^١ - السياسة الشرعية شيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٦

^٢ - الإسراء آية : ٣٥

^٣ - الرحمن آية : ٩

^٤ - البقرة آية : ٢٨٢

^٥ - الحجرات آية : ٩

^٦ - الطلاق آية : ٢

^٧ - رواه مسلم في كتاب الإيمان ١ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "من غشنا فليس منا" ٤٣ حديث ١٠١ ص ٦٧

المطلب الثاني : مواقف من عدالة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وأثرها في الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

الفرع الأول : مواقف من عدالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الحفاظ على مكتسبات الدعوة

عهد الخلفاء يعد من أعظم العهود التي تحققت فيه العدالة بمختلف صورها بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وقد كان الخلفاء يتعهدون في خطاب التولية بالعدالة بين الناس ويطبّقون ما تعهدوا به دون تفرقة بين القريب والبعيد والعدو والصديق والقوي والضعيف، وقد قال : الصديق رضي الله عنه في أول خطبه بعد البيعة (قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله)^(١) .

هذا الموقف الذي أعلنه الصديق رضي الله عنه أمام الصحابة قام بتنفيذه عملياً في حروب الردة عندما منع الأعراب الزكاة التي هي حق لفئة من الناس الذين ذكرهم الله في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ۗ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(٢) بين سبحانه وتعالى أصناف أهل الزكاة (وجعله حقاً لجميعهم ، فمن منعهم ذلك فهو الظالم لهم رزقهم)^(٣) .

^١ - البداية والنهاية ، ابن كثير ج ٦ ص ٣٠٥-٣٠٦

^٢ - التوبة آية : ٦٠

^٣ - الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج ٨ ص ٩٥

وللقيام بالعدل وإيصال الحقوق إلى أهلها وإعادة المرتدين إلى حظيرة الإسلام أخذ الصديق يضرب بالقوة جموع الممتنعين حتى أخضعهم فبادروا بإعطاء الحقوق إلى أهلها وأعلنوا توبتهم (وطرقت المدينة في الليل صدقات عدي بن حاتم وصفوان والزبيرقان إحداهما في أول الليل والثانية في أوسطه والثالثة في آخره)^(١) وتواصلت وصول الصدقات واستقرت فريضة الزكاة في نفوس الناس وبنشر العدالة في أوساط الناس تحقق الحفاظ على مكتسبات الدعوة.

وفي وصية الصديق لجيش أسامة وهو يودعه تبرز عدالة الإسلام وسماحة منهجه في قتال العدو حيث قال : (لا تخونوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة...)^(٢)، إلى آخر هذه الوصايا التي تعبر عن عدالة الإسلام وكانت الجيوش الإسلامية الفاتحة تطبق هذه الوصايا في تعاملها مع الأعداء ، فكان سببا في محبتهم للإسلام (ومن أحسن ما يؤثر عن "خالد بن الوليد " أنه لم يتعرض للفلاحين بسوء بل يعاملهم بالرفقة ويمنعهم من عدوهم حتى صاروا يفضلون حكمه على حكم الفرس الذين كان عظماءهم يستعبدونهم ويدلونهم وعلى نسبة رأفته بهؤلاء كانت شدته على المقاتلين وأهل الحرب...)^(٣) الذين كانوا يقفون أمام نشر عدالة الإسلام ويطمعون في المزيد من ظلم الشعوب وعلى العموم انتشر العدل في تلك الفترة على جميع المناطق التي كانت تقع تحت سيطرة المسلمين ولم تكن هنالك مظالم تذكر ومن روائع ما ذكر في خلافة الصديق أن عمر قال: لأبي بكر (أنا أكفيك القضاء فمكث عمر سنة لا يأتيه رجلان)^(٤) للقضاء في مظلمة

^١ - البداية والنهاية ، ابن كثير ج ٦ ص ٣١٨

^٢ - تاريخ الإسلام حسن إبراهيم ج ١ ص ٢١٣

^٣ - تاريخ الأمم الإسلامية الشيخ محمد الحضري بك ج ١ ص ١٩٠

^٤ - الكامل ، ابن الأثير ج ٢ ص ٤٢٠

مما يدل على استشعار المسلمين مراقبة الله عز وجل وعدم التعدي في حقوق الغير تحت أي ذريعة من الذرائع .

وقد كان لتطبيق العدل عظيم الأثر في الحفاظ على مكتسبات الدعوة ، وقد عرف ولمس الأعداء ذلك العدل قبل الأصدقاء ، فالكل عرف سماحة الإسلام وعدالته مع الناس جميعاً .

الفرع الثاني : مواقف من عدالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حفاظاً على

مكتسبات الدعوة

وإذا انتقلنا إلى عهد الفاروق فس نجد الكثير من مواقف العدالة التي تعبر عن الحفاظ على مكتسبات الدعوة ويمكن الإشارة إلى بعضها ، ففي أول خطاب للفاروق بعد بيعته بالخلافة قال: (إنما مثل العرب مثل جمل أنف اتبع قائده فلنظر قائده حيث يقوده أما أنا فورب الكعبة لأحملنكم على الطريق)^(١) ، "الحمل الأنف هو الجمل الذليل المواتي الذي يأنف من الزجر والضرب ويعطي ما عنده من السير عفواً سهلاً وهذا التشخيص حسن للأمة الإسلامية لعهد فإنها كانت سامعة مطيعة إذا أمرت ائتمرت وإذا نهيت انتهت ويتبع ذلك المسؤولية الكبرى على قائدها بأنه يجب عليه أن يتبصر حتى لا يوجه هذه الأمة إلى ما فيه خطر عليها بل يتخير لها أسلس الطرق وأسهلها ولذلك وعدهم مقسماً فقال: (أما أنا فورب الكعبة لأحملنكم على الطريق ، ويفهم بالبداية أنه الطريق الأقوم الذي لا اعوجاج فيه والعرب شأن لغتها الاكتفاء بدلالات والأحوال)^(٢) ،

وقد أتبع الفاروق قوله فعلة فحمل الناس على الحق والعدل بكل قوة وصرامة ودون هواده وكلل حفاظاً على مكتسبات الدعوة وهو القائل : (ما أبالي إذا اختصم إليّ

^١ - الكامل ، ابن الأثير ج ٢ ص ٤٢٧

^٢ - تاريخ الأمم الإسلامية الشيخ محمد الحضري بك ج ١ ص ١٩٨

رجلان لأيهما كان الحق) كان الفاروق ينظر إلى العدل ولا ينظر إلى الأشخاص وكان أحشى ما يخشاه أن يجيد عن الحق^(١).

لم يكن عدل الفاروق ليقف في حدود البشر بل كان يعم حتى البهائم وقد رأى يوماً رجلاً أثقل الحمل على جملة فضربه وقال : (حملت جملك ما لا يطيق)^(٢) ولم يكن الفاروق يفرق في مجال العدل والحفاظ على رعيته بين المسلم وذمي بل كان يعطي كل منهم ما يصلح حاله.

فقد "مرّ برجل يسأل على الأبواب ، وكان الرجل ضريراً فقال له عمر من أي أهل الكتاب أنت ؟ فقال: يهودي قال : عمر فما الذي ألجأك إلى ما أرى ؟ قال : الجزية والحاجة والسن فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله وأعطاه مما وجده وأرسل إلى خازن بيت المال وقال له: انظر هذا وضرباه فوالله ما أنصفنا إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ووضع عنه الجزية"^(٣).

وفي لفتة أخرى تفوح منها روح العدالة والإنصاف والرحمة للرعايا والاهتمام بعظم المسؤولية (أن عمر بن الخطاب عند مقدمة الجابية من أرض دمشق مرّ بقوم مجذومين من النصارى فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجري عليهم القوت)^(٤)، هذه الرعاية الاجتماعية التي أمر الفاروق بتقديمها لهؤلاء وأمثالهم لها وقع خاص في نفوسهم ونفوس أهل ديانتهم وأقربائهم في عدالة الإسلام ورحمة المسلمين بالضعفاء وأهل الحاجة والوقوف بجانبهم في محتهم، وكان لها عظيم الأثر في الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

وفي مجال أخذ القصاص من الظالم للمظلوم لم يكن الفاروق ليحامل صاحب شرف ومنصب بل كان يمكن منه الضعيف حتى يستوفي حقه بنفسه كما تدل على ذلك قصة المصري الذي ضربه محمد بن عمرو بن العاص بالسوط وقال (خذها وأنا ابن الأكرمين " فلما جاء المصري إلى عمر رضي الله عنه وقص عليه القصة قال: له "اجلس" وكتب إلى عمرو بأن يحضر إلى المدينة ومعه ابنه محمد وعند وصولهما "قال : عمر أين المصري ؟ فقال

^١- الفاروق وأسرته، محمود شاعر ص ٣٢٨، ط، ١-١٤١٧-١٩٩٧م، المكتب الإسلامي، بيروت

^٢- مناقب عمر ابن الجوزي ص ١١٨

^٣- انظر: الخراج لأبي يوسف ص ١٣٦، ط، ٤-١٣٩٢- المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة

^٤- فتوح البلدان، البلاذري ص ١٣٥

: ها أناذا قال دونك الدرّة اضرب ابن الأكرمين .. فضربه حتى أثخنه. ثم قال اجعلها على صلعة عمرو فو الله ما ضربك إلا بفضل سلطانه . فقال : يا أمير المؤمنين لقد ضربت من ضربني فقال أما والله لو ضربته لا حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهم أحراراً ؟ ثم التفت إلى المصري فقال : انصرف راشداً فإن رابك ريب فأكتب إلي^(١)، ولا تكلف نفسك مشقة السفر من مصر إلى المدينة وستجد العدل والإنصاف وأنت في مكانك مادمت من رعايا دولة الفاروق الذي يقول (أبما عامل لي ظلم أحد فبلغني مظلمته فلم أغيرها فأنا الذي ظلمته)^(٢) .

وكان من شدة تحري الفاروق للعدل في الرعية اختيار الوالي ووصيته بالعدل لا تكف ، بل لا بد من المتابعة والسؤال عنه للتأكد من تنفيذ ما يأمره به من العدل كما قال يوماً لمن حوله (أر أيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل أ كنت قضيت ما عليّ ؟ فقالوا نعم قال " لا حتى انظر في عمله أعمل بما أمرته به أم لا)^(٣) ، هكذا تتجاوز طموحات الفاروق لتحري العدل في سبيل الحفاظ على مكتسبات الدعوة ما يتصوره الكثير من الناس أنه كمال العدل.

ولبعد النظر في تحمل المسؤولية وإفشاء العدل بين الرعية حفاظاً على مكتسبات الدعوة كان يقول الفاروق في خطبته (والذي بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق لو أن جملاً هلك ضياعاً بشط الفرات لخشيت أن يسألني الله عنه)^(٤) .

وقد كانت تراود الفاروق فكرة الذهاب إلى الأقاليم المفتوحة والاستقرار في كل منها مدة شهرين لقضاء حوائج الناس ونشر العدل بينهم لأنه كان يخشى ربما كان هناك صاحب مظلمة لم يستطع صاحبها الوصول إليه ولعل هذه الفكرة كانت في آخر حياته رضي

^١ - انظر: مناقب الفاروق ، ابن الجوزي ص ٩٩

^٢ - عمر بن الخطاب ، علمه ومواقفه .. صالح بن عبد الرحمن بن عبد الله ص ٦٣ ، ط ٢ - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، دار

القاسم

^٣ - المرجع السابق ص ٦٧

^٤ - الكامل ، ابن الأثير ، ج ٣ ص ٥٦

الله عنه ^(١) ' وذلك حينما عزم الذهاب إلى الشام ولنشر الفضيلة والعدالة في أوساط المجتمع (كان عمر يطوف في الأسواق ويقرأ القرآن ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم) ^(٢) .
وقد وضع الفاروق دستوراً للقضاء يضمن أسس العدالة ومعالمها في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في رسالة أرسل بها إلى أبي موسى الأشعري قال فيها (من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس -يعني أبا موسى الأشعري - سلام عليك أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم إذا أدلى إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يئأس ضعيف من عدلك ، البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً ...) ^(٣) ، وتابع الفاروق هذه الوصايا الجليلة التي كلها عدل وإنصاف تصب في سبيل الحفاظ على مكتسبات الدعوة.

(وكان من شدة حرص عمر على أن تحكم عماله وولاته بالعدل أنه كان يخرج مع من يستعمله منهم يشيعه ويذكر لهم أنه لم يستعملهم على الناس لينالوا من أبنائهم وأموالهم وأعراضهم وإنما ليعلموهم كتاب الله وسنة رسوله ، وليقضوا بينهم بالحق ويقسموا بينهم بالعدل ، ثم يقول للناس : فمن ظلمه عامله بمظلمة فليزفعها إليّ حتى أقصه منه ، فقال عمرو ابن العاص يا أمير المؤمنين أرأيت إن أدب أمير رجلا من رعيته أتقصه منه ؟ فقال عمر : ومالي لا أقصه منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه) ^(٤)
الصلاحيات الموكلة من قبل الفاروق لولاته موضحة ومبينة للوالي ومن يحكمهم فإن لم يلتزم بها يمكن لأي شخص من أفراد الرعية أن يرفع تقريره إلى الفاروق مباشرة دون واسطة ليجد الحل السريع لشكواه، أو تظلمه .

^١ - الكامل ، ابن الأثير ج ص ٥٦

^٢ - المرجع السابق ج ص ٦٠

^٣ - معالم الثقافة الإسلامية د/ عبد الكريم عثمان ص ٨٣ ، ط ١٢ - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، وانظر : أعلام الموقعين ، ابن القيم ، - المجلد الأول - حيث شرح فيه هذه الرسالة بإسهاب .

^٤ - الثقافة الإسلامية .. في ضوء القرآن والسنة د/ عبد الواحد محمد الفار ص ٩٨ ، وانظر طبقات ابن سعد ج ٣

ومنهج العدالة ورفع الظلم عن المظلوم الذي كان من أبرز سمات الخلفاء الراشدين كان ينعكس بدوره في الرعية فكل منهم كان يحمل هم بسط العدالة بين الشعوب ولعل كلام ربيعي بن عامر لرستم قائد الفرس يوضح ذلك فقد قال رستم لربيعي : ما جاء بكم ؟ " فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه (١) .

وسرعان ما اكتشفت الشعوب التي كانت واقعة تحت سيطرة وظلم الفرس والروم عدالة الإسلام عندما توغل الإسلام في أراضيهم فمعظمهم دخل في الإسلام ومن بقي على دينه فضل عدالة الإسلام على حكم غيرهم وإن كان على دينهم ، فقد كتب المسيحيون في الشام إلى أبي عبيده وهو معسكر في فحل يقولون .

(يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا ، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا) (٢) .

وموقف آخر من اليهود لا يقل أهمية عن موقف النصارى في الاعتراف بعدالة الإسلام وهو : (أنه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا : قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم فقال أهل حمص : لولا يتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم ونهض اليهود فقالوا . والتوراة لا يدخلها عامل هرقل مدينة حمص إلا أن تغلب ونجهد فأغلقوا الأبواب وحرسوها ، وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود ، وقالوا : إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنا عليه ، وإلا فإننا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد ، فلما هزم الله الكفرة وأظهر المسلمين فتحوا مدتهم وأخرجوا المقلسين فلعبوا وأدوا الخراج (٣) ، وكان هذا اللعب أمام المسلمين يعبر عن الفرح بعودة العدالة التي خشوا أن تسلب منهم ، وطمأنة للمسلمين بأنهم باقون على عهدهم .

١- البداية والنهاية ، ابن كثير ج ٧ ص ٤٠

٢- فتوح الشام للأزدي البصري ص ١١١ ، مؤسسة السجل العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ طبع

٣- فتوح البلدان ، البلاذري ص ١٤٣

وكل ذلك يدل على أن العدالة تمثل البعد العملي للحفاظ على مكتسبات الدعوة .

الفرع الثالث : مواقف من عدالة عثمان رضي الله عنه و الحفاظ على مكتسبات الدعوة
كان عثمان رضي الله عنه يرأس ولايته في البلدان يأمرهم بالعدل والإنصاف بين الرعية، فقد كتب لواليه بالكوفة سعيد بن العاص رداً على رسالته التي كان يشكو فيها من حال أهل الكوفة (أما بعد ففضل أهل السابقة والتقدمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد وليكن من نزلها بسببهم تبعاً لهم إلا أن يكونوا تناقلوا عن الحق وتركوا القيام به وقام به هؤلاء. واحفظ لكل منزلته وأعطهم جميعاً بقسطهم من الحق فإن المعرفة بالناس يصاب بها العدل^(١)، فالرسالة تلزم الوالي بتحري الحق والعدل من جميع النواحي التي تحقق الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

وفي رسالة أخرى موسعة تشمل جميع الولاة " (كتب إلى الأمصار أن يوفيه العمال في الموسم ومن يشكو منهم ، وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وإنه مع الضعيف على القوي ما دام مظلوماً^(٢)) .

ولبعد واتساع الولايات الإسلامية وترامي أطرافها قرر عثمان أن يكون اللقاء العام بالولاية سنوياً وفي موسم الحج ومن له مظلمة عليهم ليأخذ له حقه بنفسه وليعلم الناس أنه مع المظلوم حتى يأخذ حقه كاملاً غير منقوص وكان عثمان رضي الله عنه يقضي بين الناس بالعدل أين ما كان ، فقد (قال الحسن البصري^(٣) دخلت المسجد فإذا أنا بعثمان متكماً على رداءه فأتاه سقاءان يختصمان إليه فقضى بينهما^(٤)) .

وكان يجب الإنصاف والعدل لكل أحد ومع كل الناس كما كان يوصي عمال الخراج بعدم ظلم المعاهد وغيره فيقول: (فإن الله خلق الخلق بالحق فلا يقبل إلا الحق خذوا الحق وأعطوا الحق به والأمانة والأمانة قوموا عليها ولا تكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم والوفاء والوفاء لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد فإن الله خصم لمن ظلم^(٥)) ،

١- تاريخ الأمم الإسلامية ، الشيخ محمد الخضري بك ج ٢ ص ٣٣

٢- انظر: الكامل ، ابن الأثير ج ٣ ص ١٨١

٣- هو الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري كان سيد أهل زمانه علماً وعملاً مات في رجب سنة عشر ومائة ، انظر: سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٥٦٣

٤- الكامل ، ابن الأثير ج ٣ ص ١٨٠

٥- تاريخ الإسلام ، حسن إبراهيم ج ١ ص ٢٥٨

وكل توجيهات ووصايا عثمان رضي الله عنه تتضمن العدل والإنصاف لضمان الحفاظ على مكتسبات الدعوة ونشرها وقد قتل رضي الله عنه مظلوماً ومنع من كان يريد أن يدافع عنه خشية أن تسفك دماء بسببه، فآثر أن يكون مظلوماً لا يطلبه أحد بمظلمة رضي الله عنه.

الفرع الرابع : مواقف من عدالة علي رضي الله عنه والحفاظ على مكتسبات

الدعوة :

أما الوقفة الأخيرة من مواقف العدالة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة فمع الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي كان يرى العدالة من أهم عوامل الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

فقد قال في خطبته (اتقوا الله عباد الله في بلاده وعباده إنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم ...) ^(١)، فليكن تعاملكم مع الجميع من منطلق العدالة والإنصاف (فإن في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق) ^(٢)

وكان رضي الله عنه يتفقد الرعية بنفسه (يمشي في الأسواق وحده وهو خليفة يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبيع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ ^(٣)، ثم يقول : نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس) ^(٤)، الذين لا تطغيهم ولا يتهم وقدرتهم في التجرؤ على حقوق الآخرين بل يستخدمون هذه الولاية والقدرة في إحقاق الحق وإبطال الباطل وكان علي رضي الله عنه يترجم أقواله بأفعاله وقصة تقاضيه مع النصراني عند شريح القاضي توضح ذلك.

عندما (وجد علي درعا له عند نصراني فأقبل به إلى شريح وجلس إلى جانبه وقال: لو كان خصمي مسلماً لساويته وقال هذه درعي فقال النصراني ما هي إلا درعي ولم يكذب أمير المؤمنين ؟ فقال شريح لعلي : ألك بينة ؟ قال: لا وهو يضحك فأخذ النصراني

^١- الكامل ، ابن الأثير ج ٣ ص ١٩٤

^٢- تاريخ الأمم الإسلامية الشيخ محمد الخضري بك ج ٢ ص ٨٤

^٣- القصص آية : ٨٣

^٤- البداية والنهاية ، ابن كثير ج ٨ ص ٥-٦

الدرع ومشى يسيراً، ثم عاد وقال : أشهد أن هذه أحكام الأنبياء أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه يقضي عليه ثم أسلم وأعترف أن الدرع سقطت من علي عند مسيره إلى صفين ففرح علي بإسلامه ووهب له الدرع وفرساً وشهد معه قتال الخوارج^(١)، عدالة الوالي والقاضي والوقوف على نصوص الشريعة في الحكم والتقاضي دفعت بالنصراني إلى الإقرار بالحقيقة المتمثلة في عدالة الإسلام والإيمان بعقيدة التوحيد، بل الدفاع والجهاد من أجلها .

وفي آخر حياته يوصي علي رضي الله عنه ابنه الحسن والحسين بالعدل والحفاظ على مكتسبات الدعوة بقوله (قولاً الحق وارحماً اليتيم وأعيناً الضائع واصنعوا للآخرة ، وكونوا للظالم خصيماً وللمظلوم ناصراً واعملوا بما في كتاب الله ولا تأخذوا كما في الله لومة لائم^(٢))، من المعلوم أن الإنسان حينما يكون في إدبار من الدنيا وإقبال إلى الآخرة وفي اللحظة الأخيرة يوصي بأهم شيء يراه سيما إذا كان الموصى من الأقارب وإذا كان الأبناء، فالأهمية أعظم فالوصية هنا تضمنت العدالة في القول والعمل والوقوف ضد الظلم أخذاً بكتاب الله عز وجل دون مبالاة للومة لائم .

وقد كان تحر علي رضي الله عنه للعدالة والإنصاف يفوق التصور، حتى مع منفذ قتله، فعندما ضربه ابن ملجم^(٣) قال له الناس (يا أمير المؤمنين لا تقتل مراد كلها ؟ فقال : لا ولكن احبسوه وأحسنوا إيساره ، فإن مت فاقتلوه وإن عشت فالجروح قصاص)^(٤) ، وصية تعبر عن منتهى العدل والاعتدال لا يؤخذ أحد بجريرة الآخر والإحسان إلى الجرم ما دام أسيراً حتى يحكم عليه بالحد أو القصاص دون طلب التشفي والانتقام لأن نفس علي رضي الله عنه التي تربت في أحضان النبوة تترفع عن ذلك.

فهذه بعض الإشارات لما كان يسود من العدل في عهد الخلافة الراشدة رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين.

١- الكامل ، ابن الأثير ج ٣ ص ٤٠١ ، والبداية والنهاية ، ابن كثير ج ٨ ص ٥

٢- الكامل ، ابن الأثير ج ٣ ، ص ٣٩١

٣- هو عبد الرحمن بن عمرو المعروف بابن ملجم الحميري ثم الكندي حليف بني حنيفة من كندة المصري ، انظر:

البداية والنهاية ، ابن كثير ج ٧ ص ٣٣٨

٤- المرجع السابق ج ٨ ص ١٤

ولاشك إن هذه المواقف وغيرها مما حفلت به كتب التاريخ والسير، كان لها الأثر العظيم في الحفاظ على مكتسبات الدعوة، خاصة في الأقاليم والمدن التي فتحها المسلمون، لأن عدالة الحكام والولاء والقواد المسلمين مع المسلمين ومع غيرهم، كانت مثار إعجاب غير المسلمين ودافعاً لحب الإسلام، وكانت عامل جذب له، كان لها الأثر الكبير في دخول الناس في دين الله أفواجاً

المبحث الثاني : إقامة الحدود حفاظاً على مكتسبات الدعوة

ويتضمن ستة مطالب :

المطلب الأول : إقامة حد الزنا و القذف حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المطلب الثاني : إقامة حد الخمر حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المطلب الثالث : إقامة حد السرقة حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المطلب الرابع : قتال البغاة حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المطلب الخامس : إقامة حد الردة حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المطلب السادس : تنفيذ حد القصاص حفاظاً على مكتسبات الدعوة

تعريف الحدود

الحد لغة : يأتي لمعاني منها:

(الفصل بين الشيئين لئلا يختلط أحدهما بالآخر أو لئلا يتعد أحدهما على الآخر وجمعه حدود)^(١)
ومنها المنع^(٢) (وسميت حدوداً لأنها تحد أي تمنع من إتيان ما جعلت عقوبات فيها)^(٣)
ومنها أيضاً حد الشيء نهايته (وحد كل شيء : منتهاه لأنه يرده ويمنعه عن التمادي .. وحد السارق وغيره ما يمنعه من المعادة ويمنع أيضاً غيره من إتيان الجنايات وجمعه وحدود وحددت الرجل أقمت عليه الحد)^(٤)

والحدود شرعاً :

وهي جمع حدّ ، وهو : عقوبة مقدرة شرعاً في معصية ليمنع من الوقوع في مثلها)^(٥) وقد شرع الحدود ليحد من الجرائم التي ترتكب ضد المجتمع في دينه وعرضه وماله وكيانه حفاظاً عليه من عبث العابثين والمستهترين والمنفلتين من الانضباط بالضوابط الشرعية والوقوف عند

الحدود الربانية ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾^(٦)

^١ - لسان العرب، مادة حدد ، ج ٣ ص ١٤٠

^٢ - التعريفات للحرجاني ص ٨٣

^٣ - لسان العرب ج ٣ ص ١٤٠

^٤ - المرجع السابق ج ٣ ص ١٤٠

^٥ - منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات، تقي الدين محمد أحمد الفتوح ج ٥ ص ١١٣، ط، ١-

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، مؤسسة الرسالة

^٦ - الطلاق أية : ١

المطلب الأول : إقامة حد الزنا والقذف حفاظاً على مكتسبات الدعوة:**الفرع الأول : إقامة حد الزنا :**

الزنا : هو كل وطء وقع على غير نكاح صحيح ولا شبهة نكاح ولا ملك يمين^(١) والزنا جريمة الجرائم ، وقمة الانحلال والانحراف وعنوان الفساد والفجور وهو سبب لأعلى جرائم القتل وانتشار الأمراض الخطيرة ، التي تفتك بالأبدان وتنتقل بالوراثة إلى الأولاد وهو قتل النسل لكونه إراقة لمادة الحياة في غير موضعها^(٢)

(ومفسدة الزنا مناقضة لصالح العالم فإن المرأة إذا زنت أدخلت العار على أهلها وزوجها وأقاربها وتنكس رؤوسهم بين الناس وإن حملت من الزنى ، فإن قتلت ولدها جمعت بين الزنى والقتل وإن حملته الزوج أدخلت على أهليه وأهلها أجنبيا ليس منهم ، فورثهم وليس منهم ورأى هم وخلا بهم وانتسب إليهم ليس منهم إلى غير ذلك من مفاصد زناها. أما زنا الرجل فإنه يوجب اختلاط الأنساب أيضاً وإفساد المرأة المصونة وتعرضها للتلذذ والفساد وفي هذه الكبيرة خراب الدنيا والدين)^(٣) .

وتجنباً لهذه المفاصد وغيرها وضع الإسلام قيوداً وضوابط للوقاية من الوقوع في هذه الجريمة ومن تهاون أو تجاوز القيود ووقع في الفاحشة كان له العقاب الصارم الذي يحول دون معاودته لتلك الجريمة أو يجعله عبرة للمعتبرين، ومن تلك الضوابط التي تمتنع من اقتراف جريمة الزنى تحريم أسبابه ودواعيه ووسائله التي تؤدي إليه والبعد عن مظانه قال تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾^(٤) ، والنهي عن قربان الزنا أبلغ من النهي عن مجرد فعله لأن ذلك يشمل عن جميع مقدماته ودواعيه فإن من حام " حول الحمى يوشك أن يقع فيه"^(٥) ^(٦) ومنها تحريم نظر الرجل الأجنبي إلى المرأة ونظرها إليه كما قال

^١ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد ابن رشد ج ٢ ص ٤٣٣ ، ط ، ٨ - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، دار المعرفة ، بيروت

^٢ - تلك حدود الله ، إبراهيم أحمد الوقفي ص ٢٧ ، دار العلم ، باكستان ، بدون تاريخ

^٣ - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ابن قيم الجوزية ص ١٩١ ، ط ، ١ - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، دار الكتب

العلمية ، بيروت لبنان

^٤ - الإسراء أية : ٣٢

^٥ - جزء من حديث رواه البخاري في كتاب الإيمان ٢ باب فضل من استبرأ لدينه ٣٩ حديث ٥٢ ص ١٥

^٦ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ عبد الرحمن السعدي ص ٤٠٨

تعالى ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (١) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿٢﴾ (١)

ومنها وجوب الحجاب على المرأة وتحريم التبرج والسفور قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٢) ﴿٣﴾

وقال عز وجل ﴿ وَلَا تَبْرَجْنَ تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ (٣) ، وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت (يرحم الله نساء المهاجرين الأول لما أنزل الله ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بُحُورَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ (٤) شققن مروطن فاختمرن بها) (٥)

(الحجاب يمنع نفوذ التبرج و السفور والاختلاط إلى مجتمعات أهل الإسلام.. وحصانة ضد الزنا والإباحية فلا تكون المرأة إناء كل والغ) (٦) ، ومنها منع الخلوة بالأجنبية واختلاط الرجال بالنساء لأنه من الأسباب المباشرة لوقوع جريمة الزنا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إياكم والدخول على النساء " فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أفرأيت الحمى ؟ قال الحمى الموت " فقام رجل فقال يا رسول الله امرأتي خرجت حاجة واكتبت في غزوة كذا وكذا قال " ارجع فحج مع امرأتك) (٧) .

فهذه بعض القيود والضوابط التي وضعها الإسلام مخافة الفتنة والوقوع في جريمة الزنا وبالمقابل حث على الزواج ولزوم العفة قال تعالى :

١- النور الآيتان : ٣٠-٣١

٢- الأحزاب آية : ٥٩ .

٣- الأحزاب آية : ٣٣

٤- النور آية : ٣١

٥- رواه البخاري في كتاب التفسير ٦٥ باب (وليضربن بحورهن على جيوبهن) ١٢-حديث ٤٧٥٨ ص ١٠١٠

٦- انظر: حراسة الفضيلة ، بكر بن عبد الله أبو زيد ص ٧٣ ، ط ٦٤ ، مطابع الحميضي

٧- رواه البخاري في كتاب النكاح ٦٧ باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، والدخول على المغيبة ١١٢

حديث ٥٢٣٢ ص ١١٣٥

﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتًى وَتَلْتَمِسُوا خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^(١) قال صلى الله عليه وسلم (يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحسن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)^(٢) ومدح الله المؤمنين في حفظ فروجهم من الزنا في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾^(٣) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٤﴾ فَمَنْ آتَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٥﴾^(٤) أي المجاوزون الحد الذي أمرنا أن يقفوا عنده ولا يتجاوزوا إلى غيره ، ومن تجاوز حدود ما أباحه الله له ووقع في جريمة الزنا فإن الشريعة الإسلامية وضعت له عقوبة رادعة له ولمن يهمل بفعله وذلك حفاظاً على مكتسبات الدعوة ، وكيان المجتمع من الالهيار الخلقي بسبب تفشى جريمة الزنا، فقد قال الله تعالى في عقوبة الزانية والزاني البكر ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥)

والمقصود من حضور الطائفة (زيادة في التنكيل بمهما وشيوع العار عليهما وإشهار فضيحتهما)^(٦) ، وليذوقا حرارة الألم النفسي مع الألم الجسمي .

أما عقوبة من وقع في جريمة الزنا وهو محصن فالرجم حتى الموت ، كما قال صلى الله عليه وسلم (خذوا عني خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم)^(٧) ، وقد أمر صلى الله عليه وسلم بـرجم ما عز^(٨)

١- النساء آية : ٢

٢- رواه البخاري في كتاب النكاح ٦٧ باب من لم يستطع الباءة فليصم ٣ حديث ٥٠٦٦ ص ١١٠١

٣- المؤمنون الآيات : ٥-٧

٤- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٢ ص ١٠٠

٥- النور آية : ٢

٦- فتح القدير ، الشوكاني ج ٤ ص ٥

٧- رواه مسلم في كتاب الحدود ٢٩ باب حد الزنا ٣ حديث ١٦٩٠ ص ٧٠١

٨- انظر: قصة ماعز في البخاري كتاب الحدود ٨٦ باب رجم المحصن ٢١ حديث ٦٨١٤ ص ١٤٢٩

رضي الله عنه عندما اعترف بالزنا كما أمر برجم الفامدية^(١) التي أقرت على نفسها رضي الله عنها (وشددت عقوبة المحصن للإحصان لأن الإحصان يصرف الشخص عادة عن التفكير في الزنا فإن فكر فيه بعد ذلك فإنما يدل تفكيره فيه على قوة اشتهاه للذة المحرمة وشدة اندفاعه للاستمتاع بما يصحبها من نشوة ، فوجب أن توضع له عقوبة فيها من قوة الألم وشدة العذاب ما فيها بحيث إذا فكر في هذه اللذة المحرمة وذكر معها العقوبة المقررة تغلب التفكير في الألم الذي يصيبه من العقوبة على التفكير في اللذة التي يصيبها من الجريمة)^(٢) ، فيصرف عنها فكانت هذه العقوبة حفاظاً عليه وعلى منهم أن يفعل بها الفاحشة وعلى المجتمع عموماً من الاستهانة بها ومقارفتها وأن (اهتمام الشريعة الإسلامية بحفظ أعراض الناس وصيانة أنسابهم تعود مصلحته أولاً : على الأفراد لأن كل إنسان سيأمن على نفسه وأهله وذويه من عبث العابثين .

وثانياً : على المجتمع إذ بانتفاء الرذيلة تحل الفضيلة وتعم المحبة^(٣) والوئام والأمان والاستقرار وعندما أغلظ الإسلام في عقوبة الزنا بجلد مائة للبكر والرجم للمحصن شدد وأغلظ أيضاً بالمقابل في إثباتها ضماناً للعدل والإنصاف وتجنباً لما تحمله النفوس الحاقدة من الكيد والظعن في أعراض الآخرين بقصد التشفي وإرضاء النفس الأمارة بالسوء.

فلا تثبت جريمة الزنا إلا بواحدة من ثلاث :-

١- ظهور الحمل على غير ذات زواج

٢- الاعتراف الصريح والإقرار المستمر من الفاعل

٣- شهادة أربعة أشخاص يتفقون جميعاً على قول واحد وأهم شاهدوا الفعل المحرم وروعي في شهادة الزنا هذا التشدد خشية أن تتخذ (وسيلة للإيقاع بالناس بغير جريمة إرضاء لضغائن وأحقاد شخصية . كما روعي فيه أمراً بالغ الخطورة في نظر الإسلام . فإن صعوبة إثبات جريمة الزنا ومعاقبة المبلغين إذا لم يثبتوا يجعل التبليغ عن الجريمة أمراً نادر الحدوث، فلا يتحدث المجتمع إذا عن وقوعها ولا تلوكها الأفواه ، فإن كثرة الحديث عن وقوع جريمة من

١- انظر: قصتها في مسلم كتاب الحدود ٢٩ باب من اعترف على نفسه بالزنى ٥ ص ٧٠٤

٢- التشريع الجنائي الإسلامي عبد القادر عودة ج ١ ص ٦٤١، ط ٦، ١٤٠٥-١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة

٣- أثر تطبيق الحدود في المجتمع ص ٣٠ من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام بالرياض

الجرائم يهون أمرها لدى السامعين ويغري ضعفاء النفوس بإتيانها إقتداءً بالمثل السيئ^(١) ولذلك وضع الإسلام عقوبة رادعة لمن يرمي غيره بجرمة الزنا ولم يستطع إثباتها حفاظاً على كرامة الإنسان ومكتسباته كما وضع عقوبة لمن تثبت عليه جريمة الزنا.

ولم تترك وضع هذه العقوبات لأهواء البشر وأمزجتهم وقوانينهم العرفية التي تحتاج إلى تغيير وتبديل في كل زمان ومكان ومع كل نظام يحكمهم إنما وضعها خالق الأرض والسماء عالم الغيب والشهادة موجد كل موجود العارف بمصالح العباد وما يصلحهم في دنياهم وآخرتهم وعلى كل مؤمن أن يقر بهذه الحقيقة ويمثلها كما قال عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾^(٢)

أما الجانب الذي أو كل إلى البشر هو جانب تنفيذ العقوبة على مرتكب الجريمة بعد التحقيق من وقوعها ، كل ذلك لأجل الحفاظ على نظافة المجتمع من الرذيلة، وتنقيته من العناصر الفاسدة ، والحفاظ على أعراض الناس وسمعتهم .

^١ - الجناية بين الفقه الإسلامي والقانون الوضعي ، مسفر غرم الله الدميني ص ١٢٦ بحث قدم لنيل الشهادة العالية من

كلية الشريعة بالرياض عام ١٣٩٢هـ -

^٢ - الأحزاب أية : ٣٦

الفرع الثاني : إقامة حد القذف

القذف لغة:

(الرمي بالسهم والحصى والكلام وكل شيء) ^(١)

وشرعاً: (الرمي بوطء يوجب الحد على المقدوف) ^(٢) ، ومن أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة وصيانة الأعراض من الطعن فيها وضعت الشريعة عقوبة رادعة ومؤلمة جسيماً ونفسياً لمن يرم غيره بجرمة الزنا ولم يأت بما يثبتها قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ^(٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤﴾ ^(٥)

وقال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٤) ﴿٥﴾

وقال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(٥) ﴿٦﴾ .

وقد عدَّ صلى الله عليه وسلم القذف من السبعة الموبقات فقال (اجتنبوا السبع الموبقات) قالوا: يا رسول الله ، وما هن ؟ قال: "الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، قذف المحصنات المؤمنات الغافلات) ^(٦) ، ولشناعة وقبح القذف وما يسببه من أضرار بالمقدوف جعل الله (عقوبة القاذف اللعن والطرده من رحمة الله في الدنيا والآخرة ، وتوعد بالعذاب العظيم وأوجب أن يعاقب بعقوبات ثلاث لم يجمعها على مقترف حد سواه ، فعاقبه بعقوبة بدنية مادية وهي

^١ - لسان العرب ، ابن منظور ، مادة ، قذف ، ج ٩ ص ٢٧٧

^٢ - سبل السلام شرح بلوغ المرام للصنعاني ج ٤ ص ٣١ ، ط ٤ ، ١٤٠٧ هـ ، دار الريان للتراث ، القاهرة .

^٣ - النور الآيتان : ٤ - ٥

^٤ - النور آية : ١٩

^٥ - النور آية : ٢٣

^٦ - رواه البخاري في كتاب الوصايا ٥٥ باب قول الله تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم

ناراً وسيصلون سعيراً) ٢٣ حديث ٢٧٦٦ ص ٥٦٢

الجلد ثمانين جلدة ، وعقوبة أدبية معنوية وهي رد شهادته واعتباره ساقط العدالة ، وعقوبة دينية وهي دمغه بالفسق والخروج عن طاعة الله ، واعتبره النبي صلى الله عليه وسلم مرتكباً موبقة من السبع الموبقات المهلكات ، حتى تنقطع السنة السوء ، والولوغ في الإعراض^(١) فلا يطلقوا ألسنتهم بالباطل يفترون بها على الناس ويتهمونهم بالزنا زوراً وبطلاناً لأن في ذلك إيلاًماً نفسياً وتشهيراً يقضي على سمعة المقذوف ويخرج عدالته وفيه إذلال له وإهانة وقد كرمه الله وأعزه فلا يليق بالمسلم أن يقذف أخاه^(٢) ، بل يحافظ على سمعته كما يحافظ على سمعة نفسه ويجب عزه ورفعته كما يجب عز نفسه ورفعته ويحرص عليها من كل ما يشينها ويكون شعار المسلم قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى يجب لأخيه ما يجب لنفسه^(٣)) ، و (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده..)^(٤) ومن لم يتقيد بهذه الضوابط الشرعية ويسترسل في أعراض الناس دون مبالاة لمراعاة حقوق الآخرين فالشريعة قد وضعت له العقاب الكافي لردعه وجعله عبرة للمعتبرين كما تقدم بيان ذلك ، من أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة ونشر روح التآلف والمحبة والعفاف والطهر قولاً وفعلاً ، وبالله التوفيق .

١- تلك حدود الله ، إبراهيم الوقي ص ١٥٨

٢- المؤيدات التشريعية د/ عبد العزيز الخياط ص ٦١ ، ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، دار السلام ، القاهرة

٣- رواه البخاري كتاب الإيمان ٢ باب الإيمان أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك ٧ حديث ١٣ ص ٧

٤- رواه البخاري كتاب الإيمان ٢ باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ٤ حديث ١٠ ص ٦

المطلب الثاني: إقامة حد شرب الخمر حفاظاً على مكتسبات الدعوة .

الخمر لغة : (ما خمر العقل ، وهو المسكر من الشراب)^(١)

(واصطلح الفقهاء بلفظ الأشربة على كل شراب محرم شرعاً من المشروبات المسكرة سواء كان متخذاً من الثمار والفواكه كالعنب والتين والرطب ، أو كان متخذاً من الحبوب كالقمح والذرة أم كان متخذاً من مواد السكرية والكحولية ولا عبرة بالأسماء القديمة أو الحديثة طالما وجدت صفة الإسكار)^(٢)

والشريعة عندما حرمت الخمر ووضعت العقوبة لمن يتعاطاها ، كان ذلك حفاظاً عليه وعلى المجتمع لما تسببه من أضرار ل (لفس والعقل والصحة والمال)^(٣) ، والإنسان مأمور أن يحافظ على النعم التي أكرمه الله بها وفضله بها على سائر المخلوقات ومنها نعمة العقل الذي هو (مناط الخطاب والتكليف فمن فقدته فقد ميزة الإنسان ورفع عنه القلم وألحق بالأنعام، ومن أجل الحفاظ على هذه الجوهرة النفيسة وهذه الهبة الإلهية حرم الله على الإنسان كل ما يؤدي إلى إزالة هذا العقل أو يوهنه من الخمر والمخدرات)^(٤) ، ولقبح الخمر وما يترتب عليها من الأضرار وصفها الله بأنها من الرجس ومن عمل الشيطان تنفيراً منها فقال تعالى:

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾^(٥)

بهذا التوجيه الحكيم اقتلع الإسلام أخطر بذور الشر من حياة الناس وبين الأضرار الجسيمة حقاً التي يريد الشيطان ذيوعتها بين الناس لتحصدهم حصداً وهي :

^١ - لسان العرب ، ابن منظور ، ج ٤ ص ٢٥٥

^٢ - أثر تطبيق الحدود في المجتمع ، بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي ص ٢٣٦

^٣ - التشريع الجنائي ، عبد القادر عودة ح ٢ ص ٤٩٦

^٤ - تلك حدود الله ، إبراهيم الرفقي ص ١٨٢

^٥ - المائدة الآياتان : ٩٠-٩١

١- ذبوع العداوة ٢- ذبوع البغضاء ، وهما آفتان مدمرتان لكيان المجتمع وقوته ٣- صد الناس عن ذكر الله مطلقاً ٤- إعراضهم عن الصلاة^(١) هذه الجرائم والمنكرات يسببها (الخمر والميسر والأنصاب والأزلام. وقد وصفها الله سبحانه بصفتين : أنها رجس والرجس ما تعافه النفس بفطرتها وتتقذره بطبيعتها من غير حاجة إلى من يلفتها إليه ويحذرنا منه إذا كان أمره من القذارة والفساد بحيث لا يخفى إلا على من فسدت طبيعته وشاقت فطرته والصفة الأخرى لهذه المنكرات : أنها من عمل الشيطان وإضافة هذه المنكرات إلى الشيطان يجعلها منكراً إلى منكر .. فالرجس في ذاته على أي وجه ظهر ومن أي أفق طلع هو شر وبلاء على من يقبل عليه ويتعامل معه ، فإذا كان هذا الرجس هو من عمل الشيطان ومن صنعة يده ومن الطعام الممدود على ما تدته لم يكن فيه مظنة لخير أبداً .. فكيف إذا كان ما يحمله الشيطان ويدعوا إليه هو الرجس^(٢) ، ولهذا لعن كل من يباشر الخمر ويتعامل معها على أي شكل كان كما قال: صلى الله عليه وسلم (لعنت الخمر على عشرة أوجه : بعينها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وحاملها والحمولة إليه وأكل ثمنها وشاربها وساقيتها)^(٣) ، فالحديث لم يترك مجال لأحد يترخص في التعامل بالخمر على أي صورة كان ذلك التعامل ومن الجدير بالذكر (أن جريمة السكر تغري بجميع الجرائم التي تعرض للسكران وأن السكر هو بريد تلك الجرائم ولا سيما الزنا والقتل)^(٤) ، وغيرها من الجرائم التي تتنافى مع الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

عقوبة شارب الخمر :

شارب الخمر أو أي مسكر عقوبته الجلد تأديباً له عما اقترفه من شرب المحرم وليكون أيضاً عبرة للمعتبرين ، فيجلد أربعين أو ثمانين كما ثبت في الأحاديث الصحيحة

١- تدابير الأمن في الإسلام د/ عبد العظيم المطعني ص ٣٧-٣٨ ، دار الرائد للطباعة والنشر في ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م
 ٢- الحدود في الإسلام ، حكمتها وأثرها في الأفراد والجماعات والأمم ، عبد الكريم الخطيب ص ٨١، ط، ١-١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، دار اللواء الرياض
 ٣- رواه ابن ماجه في كتاب الأشربة ٣ باب لعنت الخمر على عشرة أوجه ٦ حديث ٣٣٨٠ ، ص ٣٦٧ قال الألباني في صحيح أبي داود صحيح ج ٢ ص ٧٠٠
 ٤- الخمر في ضوء الكتاب والسنة د/ محمد عمر الشنقيطي ص ٢١٦، ط، ٢- دار القبة للثقافة الإسلامية جدة

عنه صلى الله عليه وسلم وعن خلفائه الراشدين رضي الله عنهم أجمعين وقد قال صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين) ^(١)

وعن السائب ابن يزيد قال كنا نؤتى بالشارب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإمرة أبي بكر وصدرًا من خلافة عمر فنقوم إليه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا حتى كان إمرة عمر فجلد أربعين حتى إذا عتوا وفسقوا جلد ثمانين ^(٢) وأن عثمان رضي الله عنه (أبي بالوليد قد صلى الصبح ركعتين ثم قال: أزيدكم؟ فشهد عليه رجلان أحدهما حمران، أنه شرب الخمر وشهد آخر أنه رآه يتقياً فقال عثمان إنه لم يتقياً حتى شربها فقال يا علي قم فاجلده فقال علي قم يا حسن فاجلده فقال الحسن ولّ حارّها من تولّى قارّها ^(٣) "فكانه وجد عليه" فقال: يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده، فجلده وعلي يعد حتى بلغ أربعين فقال أمسك ثم قال جلد النبي صلى الله عليه وسلم أربعين وجلد أبو بكر أربعين وعمر ثمانين وكل سنة وهذا أحب إليّ ^(٤) فعلي رضي الله عنه يؤكد هنا سنية الحدين فلا حرج بمن أقام الحد بالأربعين أو الثمانين المهم إقامة الحد بأحد الحدين ^(٥) ردعاً لمن ينتهك حرمت الله بإيلامه البدني، والنفسي في آن واحد كي لا يعود لمثله ويعتبر به غيره ويأمن المجتمع عموماً من أضرار الخمر المادية والبشرية والخلقية وبذلك يتم الحفاظ على مكتسبات الدعوة .
وبالله التوفيق .

^١ - رواه ابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ٦ حديث ٤٢ ، ص ٢٢ قال الألباني في صحيح ابن ماجه صحيح ج ١ ص ١٣

^٢ - رواه البخاري في كتاب الحدود ٨٦ باب الضرب بالجريد والنعال ٤ حديث ٦٧٧٩ ص ١٤٢٣

^٣ - الحر: يكون مع الحركة كما أن البرد يكون مع السكون فيقال: ولّ التعب من تولّى السكون انظر: جامع الأصول ج ٣ ص ٥٩١

^٤ - رواه مسلم كتاب الحدود ٢٩ باب حد الخمر ٨ حديث ١٧٠٧ ص ٧٠٨

^٥ - ونتيجة لهذه النصوص وغيرها اختلف العلماء في حد الخمر فمنهم من قال بالأربعين ومنهم من قال بالثمانين ، قال ابن قدامة المقدسي (وفي تقديره روايتان إحداهما أربعون .. والثانية ثمانون) انظر: الكافي ج ٥ ص ٤٢٦ ، ط ١ - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ، دار هجر ، وقال صاحب تكملة المجموع للنووي (وقد اختلفوا في مقدار الحد الواجب فقال الجمهور الحد في ذلك ثمانون وقال الشافعي وأبو ثور وداود الحد في ذلك أربعون) ج ٢٠ ص ١١٩ دار الفكر وقال : الصنعاني (ومن تتبع ما في الروايات واختلافها علم أن الأحوط الأربعون ولا يزداد عليها) انظر: سبل السلام ج ٤ ص ٦١

المطلب الثالث : إقامة حد السرقة والحراية حفاظاً على مكتسبات الدعوة :**الفرع الأول : إقامة حد السرقة :**

السرقة : هي (في اللغة أخذ الشيء من الغير على وجه الحفية ^(١))، وشرعاً : أخذ مال محترم لغيره وإخراجه من حرز مثله لا شبهة له فيه على وجه الاختفاء ^(٢) .

(والمال هو الدعامة القوية التي يدور عليها محور الحياة الإنسانية وبه قوام البشر إذ لا بد للإنسان من قوت وكسوة ومسكن وطاقة تدافع عن كرامته وحقوقه ويتصدق منها ولا يحصل ذلك إلا بالمال لذلك فطر الخلق جل وعلا بني الإنسان على حب المال وحث على المحافظة عليه وجعل فيهم غريزة تملكه وحيازته ، وهذا هو سر الحركة الدائبة في الحياة وهي السلطان القوي الأمر لبعث النشاط في الكسب والاقتناء ، ولولا ذلك لما سعى الإنسان فتعطل المصالح مثل الزراعة والصناعة وأنواع الحرف ومصادر الكسب والإنتاج التي تسد حاجة البشر ^(٣))، والحيوان (من جهة النظر أن الأموال خلقت مهياً للانتفاع بها للخلق أجمعين ثم الحكمة الأولية حكمت فيها بالاختصاص الذي هو الملك شرعاً وبقيت الأطماع متعلقة والآمال محمولة عليها فتكفها المروءة والديانة في أقل الخلق ويكفها الصون والحرز عن أكثرهم فإذا أحرزها مالها فقد اجتمع فيها الصون والحرز الذي هو غاية الإمكان للإنسان فإذا هتكها فحشت الجريمة فعظمت العقوبة ^(٤) التي هي قطع يد السارق قال تعالى ﴿ وَالسَّارِقُ

وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(٥)

(والحكمة في قطع اليد في السرقة أن ذلك حفظ للأموال واحتياط لها وليقطع العضو الذي صدرت منه الجنابة " جزاء بما كسبا " أي ذلك القطع جزاء للسارق بما سرقه من

١- التعريفات للجرجاني ص ١١٨

٢- الإقناع لطالب الانتفاع للحجاوي ج ٤ ص ٢٥١ ، ط ، ٢ - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، دار هجر

٣- آثار تطبيق الشريعة الإسلامية في منع الجريمة د/ محمد بن عبد الله الزاحم ص ٥٣-٥٤ ، ط ، ٢ - ١٤١٢ هـ

١٩٩٢ م ، دار المنار ، القاهرة

٤- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٦ ص ١١٤

٥- المائدة آية : ٣٨

أموال الناس "نكالا من الله" أي تنكيلا وترهيباً للشارق ولغيره ليرتدع السارق إذا علموا أنهم سيقطعون إذا سرقوا^(١)

ومن الجدير بالذكر أيضاً (أن السارق حينما يفكر في السرقة إنما يفكر في أن يزيد كسبه بكسب غيره ، فهو يستصغر ما يكسبه عن طريق الحلال ويريد أن ينمي من طريق الحرام ، وهو لا يكتفي بثمره عمله فيطمع في ثمرة عمل غيره وهو يفعل ذلك ليزيد من قدرته على الإنفاق أو الظهور أو ليرتاح من عناء الكد والعمل أو ليأمن على مستقبله فالدافع الذي يدفع إلى السرقة يرجع إلى هذه الاعتبارات .. وقد حاربت الشريعة هذا الدوافع في نفس الإنسان بتقريرها عقوبة القطع لأن قطع اليد أو الرجل يؤدي إلى نقص الكسب .. فالشريعة الإسلامية بتقريرها عقوبة القطع دفعت العوامل النفسية التي تدعوا لارتكاب الجريمة بعوامل نفسية مضادة تصرف عن جريمة السرقة^(٢) ، وليس الأمر نقص الكسب فحسب إنما السمعة والعلامة البارزة التي لا ينفك عنها المقطوع أين حل لهي أكبر رادع له ولمن يراه .

فقد يجلد الزاني والقاذف والشارب فينتقل إلى بلاد لا يعرفه فيها أحد ويغير من سلوكه ويحسن توبته ويعود إلى رشده فلا تبقى عليه علامة من إقامة الحد ، أما المقطوع في السرقة فلا يمكنه إخفاء هذه العلامة بحال من الأحوال ، وإن تاب عن مقارفة جريمة السرقة وإن لم يتب يعرف الناس أنه سارق فيحتاطوا في أموالهم وممتلكاتهم ، ففي إقامة حد السرقة حفاظاً على مكتسبات الدعوة من جوانب كثيرة .

أما أقل شيء من المال تقطع فيه يد السارق هو ربع دينار أو ثلاثة دراهم أو قيمة ثلاثة دراهم طعاما كان أو غيره إذا أخرجه من الحرز^(٣) لقوله صلى الله عليه وسلم (تقطع اليد في ربع دينار فصاعداً)^(٤) ، وقال ابن عمر رضي الله عنه (قطع النبي صلى الله عليه وسلم في بجن ثمنه ثلاثة دراهم)^(٥) ، ولا فرق في إقامة الحد بين الشريف والضعيف

^١ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ عبد الرحمن السعدي ص ١٩٣

^٢ - انظر: التشريع الجنائي ، عبد القادر عودة ، ص ٦٥٢

^٣ - انظر: المغني ابن قدامة ج ١٢ ص ٤١٥-٤١٦

^٤ - رواه البخاري كتاب الحدود ٨٦ باب قول الله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) ١٣ حديث ٦٧٨٩ ص ١٤٢٥

^٥ - رواه البخاري كتاب الحدود ٨٦ باب قول الله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) ١٣ حديث ٦٧٩٨ ص ١٤٢٦

لقوله صلى الله عليه وسلم ، (أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها)^(١)

الفرع الثاني : إقامة حد الحرابة - قطع الطرق - :

هم قوم يعلنون الحرب على أمن المسلمين وعلى جماعتهم بما يفعلونه من نهب وسلب وقتل للمارة ولهم قوة ومنعة . فهم يحاربون الله ورسوله لأنهم يحاربون شرعه ويحاربون المجتمع الإسلامي الذي جاء الإسلام لحمايته ووضع الحدود المانعة الزاجرة)^(٢) لكل جريمة ترتكب ضد المجتمع بحسب الجريمة خفة وغلظة فالذين يهددون أمن الجماعة العام - في دار الإسلام المحكومة بشريعة الله فجزاهم التقتيل أو الصلب أو تقطيع الأيدي والأرجل أو النفي من الأرض كما قال تعالى ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾^(٣) (لأن الائتمار والاجتماع على الإفساد والفتنة جريمة أكبر من الجرائم الفردية وأحق بالحسم وقوة العقوبة)^(٤) ، وشدها ، لأن جرائم الحرابة (من أشنع الجرائم وأخطرها على حياة الآمنين فناسب أن يكون عقوبتهم متكافئة مع هول جرمهم الذي أجرموه)^(٥)

(ذلك لهم خزي في الدنيا " لشناعة المحاربة وعظم ضررها وإنما كانت المحاربة عظيمة الضرر لأن فيها سد سبيل الكسب على الناس لأن أكثر المكاسب وأعظمها التجارات وركنها وعمادها الضرب في الأرض كما قال عز وجل ﴿ وَءَاخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾^(٦) ، فإذا أحييف الطريق انقطع الناس عن السفر واحتاجوا إلى لزوم البيوت

^١ - رواه البخاري كتاب الحدود ٨٦ باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان ١٢ حديث ٦٧٨٨ ص ١٤٢٥

^٢ - أثر تطبيق الحدود في المجتمع ، مؤتمر الفقه ، جامعة الإمام ص ٢٤٢

^٣ - المائدة آية : ٣٣

^٤ - العدالة الاجتماعية في الإسلام ، سيد قطب ص ٧٥ ، دار الشروق ، بدون تاريخ

^٥ - تدابير الأمن في لإسلام د/ عبد العظيم المطعني ص ٥١

^٦ - المزمل آية : ٢٠

فانسد باب التجارة عليهم وانقطعت أكسابهم فشرع الله على قطاع الطريق الحدود والمغلظة وذلك الخزي في الدنيا ردعا لهم عن سوء فعلتهم^(١) .

وقد سمي القرآن الكريم هؤلاء محاربي الله تعالى ورسوله ، فالمسافرون في المفاوز والصحاري في أمان الله تعالى وحفظه والمتعرض لهم كأنه يحارب الله ورسوله وهو متعد على الجماعة وسلطة الإمام ليس متعديا على شخص معين لذا ضاعف الإسلام عقوبة قطاع الطريق^(٢) من أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة واستتباب الأمن والرخاء في المجتمع.

وعقوبة الحرابة كما هي مقررة في الآية الكريمة أن من قتل منهم وأخذ المال قتل وصلب حتى يشتهر ومن أخذ المال دون القتل قطعت يده اليمنى ورجله اليسرى ، ومن أخاف الطريق دون القتل وأخذ المال نفي من الأرض^(٣) .

ومع عظم جريمة الحرابة فإن الشريعة لم تسد باب التوبة أمام مرتكبيها كسائر الجرائم والذنوب فإن تابوا قبل القدرة عليهم سقط عنهم كل حق يتعلق بالله (وأخذوا بحقوق الآدميين فاقصص منهم من النفس والجراح وكان عليهم ما أتلّفوه من مال ودم لأولياءه في ذلك ويجوز لهم العفو والهبة كسائر الجناة من غير المحاربين)^(٤)

قال تعالى في توبة الحرابة ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٥) ، بعد أن بين سبحانه عقوبة الحرابة ترهيباً من التلبس بها أتبع ذلك بالترغيب في التوبة والرجوع إلى الله لمن أغواهم الشيطان ولعب بعقولهم وفي ذلك حفاظ عليهم وعلى الآخرين ، فإنهم لو لم تتاح لهم فرصة التوبة لتماضوا في إجرامهم ودافعوا عن أنفسهم إلى آخر رمق فهلكوا وأهلكوا ، والقاسم المشترك بين السرقة والحرابة التعدي على الأموال والممتلكات ولذلك تم ضمهما في مطلب واحد .

١- الجامع لأحكام القرآن القرطبي ج ٦ ص ١٠٩

٢- تلك حدود الله ، إبراهيم الرقفي ص ٢٥٩

٣- انظر: المغني ابن قدامة ج ١٢ ص ٤٧٥-٤٨٢

٤- الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ج ٦ ص ١٠٧

٥- المائدة آية : ٣٤

المطلب الرابع : قتال البغاة حفاظا على مكتسبات الدعوة

البغي لغة (التعدي ومجاوزة الحد بقصد الفساد يقال فلان بغي على الناس إذا ظلم وطلب إذا هم . و الفئمة الباغية هي الظالمة الخارجية عن طاعة الإمام العادل)^(١) .
 وشرعاً هم الخارجون على الإمام ولو غير عدل بتأويل سائغ ولهم شوكة ولو لم يكن فيهم مطاع^(٢) وعرفهم البعض بقوله (خروج طائفة مسلمة لهم إمام وشوكة على الحاكم الشرعي بغية عزله عن الحكم بتأويل ولو بعيد المأخذ)^(٣) ، ففي التعريف الأول لا يلزم أن يكون لهم إمام وفي الثاني لا بد منه ، وفي الغالب يكون لهم شخص مطاع وإن لم يختاروه إماماً .

والحاصل أن جريمة البغي هي جريمة الجرائم لأنها لم تستهدف شخص الإمام فحسب، إنما تعرض جميع أو جل مكتسبات الدعوة للخطر والدمار لما تسببه من سفك الدماء وتفرقة الجماعة وهلاك الأموال وانتهاك الأعراض، وإضعاف قوة المسلمين وشماتة الأعداء وإيقاف التمدد الطبيعي للإسلام في المعمورة ولهذا (أجمعت الصحابة رضي الله عنهم على قتال البغاة)^(٤) ، لقوله صلى الله عليه وسلم (إنه ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان)^(٥) ، وقوله صلى الله عليه وسلم (من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه)^(٦) .

تعاقب الشريعة البغاة بإباحة دمائهم وإباحة أموالهم^(٧) بالقدر الذي يقتضيه

^١ - انظر: لسان العرب ، ابن منظور ، مادة بغا ج ١٤ ص ٧٨

^٢ - منتهى الإرادات الفتوحى ج ٥ ص ١٦٤

^٣ - انظر: في أصول النظام الجنائي الإسلامى د/ محمد سليم العوا ص ١٢٢ - دار المعارف القاهرة ، بدون تاريخ

^٤ - المغنى ابن قدامة ج ١٢ ص ٢٣٨

^٥ - رواه مسلم في كتاب الإمارة ٣٣ باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع ١٤ حديث ١٨٥٢ ص ٧٧٣

^٦ - رواه مسلم كتاب الإمارة ٣٣ باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع ١٤ حديث ١٨٥٢ ص ٧٧٤

^٧ - قضية إباحة أموال البغاة ليست من القضايا المتفق عليها يقول الشيخ عبد الرحمن السعدى رحمه الله (إن أموالهم معصومة لأن الله أباح دماءهم وقت استمرارهم على بغيهم خاصة دون أموالهم) انظر: تيسير الكرم الرحمن

ردعهم والتغلب عليهم^(١)، ولا يجوز قتلهم حتى يبعث إليهم - الإمام - من يسألهم ويكشف لهم الصواب إلا أن يخاف كَلْبَهُمْ^(٢) فلا يمكن ذلك في حقهم، فأما إن أمكن تعريفهم عرفهم ذلك وأزال ما يذكرونه من المظالم وأزاح حججهم فإن لجوا قاتلهم حينئذ لأن الله تعالى بدأ بالأمر بالإصلاح قبل القتال فقال سبحانه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغْت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَىٰ فَاقْتُلُوا الَّتِي تَبغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٣) (٤)

فالمقصود إعادتهم إلى الطاعة والجماعة فمتى أمكن ذلك دون القتال وسفك الدماء لجأ إليه حفاظاً على مكتسبات الدعوة

^١ - الجرائم العقوبات في الشريعة الإسلامية، توفيق علي وهبة ص ١٥٦، ط، ١ - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م دار عكاظ جدة

^٢ - الكلب بالتحريك : الشدة . لسان العرب ، ابن منظور ، (كلب) ٧٢٤/١ .

^٣ - الحجرات أية : ٩

^٤ - المغني ابن قدامة ج ١٢ ص ٢٤٣

المطلب الخامس : إقامة حد الردة حفاظاً على مكتسبات الدعوة

الردة لغة: (الردة بالكسر مصدر قولك ردة يرده ردّاً وردة والردة الاسم من الارتداد ومنه الردة عن الإسلام أي الرجوع عنه)^(١) .

وشرعاً : (المرتد هو الراجع عن دين الإسلام إلى الكفر)^(٢) قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(٣) ، وقال تعالى ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ حُجُوبِهِمْ وَمُحِبُّونَهُ ﴾^(٤) .

الردة انتكاسة ورجوع من الحق إلى الباطل ومن النور إلى الظلمة ومن الهدى إلى الضلال ومن الكرامة إلى المهانة ومن يهن الله فماله من مكرم وهل بعد الحق إلا الضلال فالشخص الذي ذاق حلاوة الإيمان ثم انتكس على عقبيه إلى الكفر يعتبر عضواً فاسداً يجب بتره قبل سريان دائه إلى الآخرين ولهذا (أجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتدين)^(٥) ، وقد قال صلى الله عليه وسلم (من بدل دينه فاقتلوه)^(٦) وقال (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والمفارق لدينه التارك للجماعة)^(٧) ، فالمرتد حين يعلن خروجه من الإسلام فهو يقصد بذلك الإساءة إليه والطعن فيه والانضمام إلى أعدائه الذين يحاربونه " ، وقد اتخذ هذا المسلك اليهود في صدر الدعوة الإسلامية فكانوا يتخذون من إعلان الدخول في الإسلام ثم الخروج منه بعد ذلك وسيلة للكيد ومحاولة سد الناس عن الدخول فيه ، وكان يقول بعضهم لبعض فلنعط الرضا بالإسلام أو لا ثم نكفر به بعد ذلك فإنه أجدر أن يصدقنا الناس ويفهموا أننا قد رأينا من ما

^١ - لسان العرب ، ابن منظور ، مادة ، ردد ، ج ٣ ص ١٧٣

^٢ - المجموع شرح المهذب للنووي ج ١٩ ص ٢٢٣ ، والكافي ابن قدامة المقدسي ج ٥ ص ٣١٧

^٣ - البقرة آية : ٢١٧

^٤ - المائدة : ٥٤

^٥ - المغني ابن قدامة ج ١٢ ص ٢٦٥

^٦ - رواه البخاري كتاب استنابة المرتدين ٨٨ باب حكم المرتد والمرتدة واستنابتهم ٢ حديث ٦٩٢٢ ص ١٤٥٢

^٧ - رواه البخاري كتاب الديات ٨٧ باب قول الله تعالى (أن النفس بالنفس والعين بالعين) ٦ حديث ٦٨٧٨ ص

١٤٤٣ ، ورواه مسلم في كتاب القسامة والمخاريق ٢٨ باب ما يباح به دم المسلم ٦ حديث ١٦٧٦ ص ٦٩٤

كرهنا فلا يؤمن به من لم يؤمن ويرجع عنه من آمن وقد دخل بعضهم فعلاً في الإسلام ثم ارتد عنه مكرراً وخديعة وفي هذا يقول تعالى ﴿ وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَءَ النَّهَارِ وَآكْفُرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١) (٢) معنا لمثل هذا التلاعب والكيد قرر الإسلام عقوبة القتل على المرتد (فإنه لو لم يقتل ذلك لكان الداخل في الدين يخرج منه فقتله حفظ لأهل الدين وللدين فإن ذلك يمنعهم من النقص ويمنعهم من الخروج) (٣) فالدين (لا غنى له من سياج يحميه ودرع يقيه فإن أي نظام لا قيام له إلا بالحماية والوقاية والحفاظ عليه من كل ما يهز أركانه ويزعزع بنيانه ولا شيء أقوى في حماية النظام ووقايته من منع الخارجين عليه لأن الخروج عليه يهدد كيانه ويعرضه للسقوط والتداعي .

إن الخروج على الإسلام والارتداد عنه إنما هو ثورة عليه والثورة عليه ليس لها جزاء إلا الجزاء الذي اتفقت عليه القوانين الوضعية فيمن خرج على نظام الدولة وأوضاعها المقررة إن أي إنسان سواء كان في الدول الشيوعية أم الدول الرأسمالية إذا خرج على نظام الدولة فإنه يتهم بالخيانة العظمى لبلاده والخيانة العظمى جزاؤها الإعدام، فالإسلام في تقرير عقوبة الإعدام للمرتدين منطقي مع نفسه ومتلاق مع غيره من النظم) (٤) ، بل (إن الحكم الرباني في المرتد في غاية الحكمة لأنه بذلك يردع الخارجين على دين الله ويبقي للإسلام هيئته وتماسك أهله واعتصامهم جميعاً . بجبل الله كما يسد الباب أمام أعداء الله من التسلل إلى الصف الإسلامي لخلخلة وهدّ بنيانه) (٥) .

وقد وجدت الردة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم عندما ارتد مسيلمة الكذاب وتبعه قومه ثم راسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب منه مقاسمة الأرض وهذه المهمة

١- آل عمران آية : ٧٢

٢- الخطايا في نظر الإسلام ، عفيف عبد الفتاح طيارة ص ١٨٥ ، ط٢، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، دار العلم للملايين

بيروت

٣- انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية لعبد الرحمن بن قاسم ، ج ٢٠ ص ٩

٤- فقه السنة ، السيد سابق ج ٢ ص ٤٥٧ ط٢ ، ١٣٩٧هـ - دار الكتاب العربي ، بيروت

٥- الردة عن الإسلام وخطرها على العالم الإسلامي ، عبد الله أحمد قادري ص ١١١ ، ط١ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ،

مكتبة العلم ، جدة

قد (أتيا النبي صلى الله عليه وسلم رسولين لمسيلمة الكذاب فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتشهدان أي رسول الله ؟" قالوا : نشهد أن مسيلمة رسول الله فقال " لو كنت قاتلاً رسولاً لضربت أعناقكما)^(١) فكان المانع لهما من عقوبة القتل بسبب الردة كونهما رسولين — أي مبعوثين من قبل شخص — والرسول لا تقتل كما وجدت الردة في عهد الخلفاء الراشدين وأشهرها في عهد أبي بكر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فقام أبو بكر رضي الله عنه بقتالهم حتى أعادهم إلى الإسلام)^(٢)

والمرتد يستتاب ثلاثة أيام فإن تاب وإلا قتل^(٣) حفاظاً على مكتسبات الدعوة من كيد الكائدين وتربص المتربصين وبالله التوفيق .

^١ - مسند الإمام أحمد ج ١ ص ٣٩١، قال الأرئوط في الموسوعة الحديثية : صحيح، ج ٦ ص ٢٤٠-٢٤١

^٢ - سبق الحديث عن الردة في خلافة الصديق في مبحث الحفاظ على مكتسبات الدعوة

^٣ - انظر: الإقناع لطالب الانتفاع، الحجاوي، ج ٤ ص ٢٩١، ط ٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، دار هجر .

المطلب السادس : تنفيذ القصاص حفاظاً على مكتسبات الدعوة

القصاص لغة: (القود وهو القتل بالقتل أو الجرح بالجرح .. فهو أن يفعل به مثل فعله من

قتل أو قطع أو ضرب أو جرح ، والقصاص الاسم ^(١) .

وشرعاً : (عقوبة مقدره بالمثل نص عليها الشارع الحكيم وجبت حقاً للعبد تزل على من

ارتكب ما يستحقها عند تحقق شروطها وأركانها فيفعل بالجاني مثل فعله بالجاني عليه) ^(٢) أي

"أن يفعل بالفاعل مثل ما فعل " ^(٣) ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى كرم والإنسان وحرّم

الاعتداء عليه دون ميرر وشرع لحمايته وحفظه العقوبات الرادعة لمن تسول له نفسه

بالاعتداء على الآخرين أن العقوبة ستكون بمثل ما قال عز وجل ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا

بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۗ ﴾ ^(٤) ، وقال تعالى ﴿ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ

مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۗ ﴾ ^(٥) ، فالتعامل بالمثلية في القصاص يضمن الحفاظ على مكتسبات

الدعوة و (أن القصاص فعال في سد منافذ جريمة القتل لأن الذي يفكر في قتل إنسان لو

اعتقد أن جرمه سوف يترد إليه وأنه بمثابة من يقتل نفسه لتردد كثيراً قبل الإقدام على

جريمته) ^(٦) .

وقد (بين تعالى حكمته العظيمة في مشروعية القصاص فقال ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ

حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ^(٧) " حياة" أي تنحقر بذلك الدماء وتنقمع به

الأشقياء لأن من عرف أنه مقتول إذا قتل لا يكاد يصدر منه القتل وإذا رأى القاتل مقتولاً

انذعر بذلك غيره وانزجر فلو كانت عقوبة القاتل غير القتل لم يحصل انكشاف الشر الذي

^١ - لسان العرب، ابن منظور ، مادة قصص ج ٧ ص ٧٦

^٢ - العقوبات التعويضية وأهدافها ، د/ مطيع الله اللهيبي ص ٦١

^٣ - التعريفات للجرجاني ص ١٧٦

^٤ - النحل آية : ١٢٦

^٥ - البقرة آية : ١٩٤

^٦ - أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في منع الجريمة د/ أبو بكر إسماعيل محمد ميّقا ص ٥٥ ، ط ، ١ - ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

، مكتبة التوبة - الرياض

^٧ - البقرة آية : ١٧٩

يُحْصَلُ بِالْقَتْلِ ^(١) وَهَكَذَا سَائِرُ الْحُدُودِ الشَّرْعِيَّةِ فِيهَا مِنَ النِّكَايَةِ وَالْإِنْزِجَارِ مَا يَدُلُّ عَلَى حِكْمَةِ الْحَكِيمِ الْغَفَّارِ ^(٢) الَّذِي وَضَعَ لِكُلِّ جَرِيْمَةٍ مَا يَنْسَبُهَا مِنَ الْعِقَابِ الرَّادِعِ عَنِ ارْتِكَابِهَا. وَالشَّرِيعَةُ حَرَمَتِ الْقَتْلَ وَتَوَعَّدَتِ الْقَاتِلَ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي الْآخِرَةِ وَالْخُلُودِ فِي النَّارِ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ ^(٣) ، وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِرِيسِهِ سُلْطٰنًا ﴾ ^(٤) ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ ^(٥) .

وَالَّذِي لَا يَكْفُرُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ وَلَا يَرْتَدِعُ بِوَعِيدِ الْآخِرَةِ فَيَقْتُلُ عَمْدًا وَيَبْرَحُ ، فَالْعُقُوبَةُ الْعَاجِلَةُ الَّتِي هِيَ كَفِيلَةٌ بِالْحِفَاظِ عَلَى مَكْتَسَبَاتِ الدَّعْوَةِ هِيَ الْمَثَلِيَّةُ فِي الْقِصَاصِ قَالَ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾ ^(٦) الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءْ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَى بِغَدَاةٍ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ^(٧) .

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ﴾ ^(٨) وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ^(٩) ، بِهَذِهِ الْأَدْلَةُ وَغَيْرِهَا (أَقَامَ اللَّهُ تَعَالَى فِي شَرِيعَتِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ حِرَاسَةَ دَائِمَةً مَلَاذِمَةً تَدْفَعُ عَنْهُ عَوَادِي الْعَدْوَانِ عَلَى حَيَاتِهِ وَرَصَدَ الْقِصَاصَ لِمَنْ يَقْتُلُ هَذِهِ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَسْلُبُهَا حَقَّ الْحَيَاةِ الَّتِي مَنَحَهَا اللَّهُ تَعَالَى الْإِنْسَانَ وَأَلْبَسَهُ إِيَّاهَا) ^(١٠) ، أَوْ يَقُومُ بِإِتْلَافِ جُزْءٍ مِنْهَا أَوْ جَرْحِهِ .

^١ - وهذا مشاهد وملموس في البلاد التي تحكم بالقوانين الوضعية

^٢ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ عبد الرحمن السعدي ص ٦٧

^٣ - الأنعام آية : ١٥١

^٤ - الإسراء آية : ٣٣

^٥ - النساء آية : ٩٣

^٦ - البقرة آية : ١٧٨

^٧ - المائدة آية : ٤٥

^٨ - الخلود في الإسلام ، عبد الكريم الخطيب ص ٤٦

ولا توجد عقوبة ولا يمكن أن توجد تحافظ على مكتسبات الدعوة البشرية مثل عقوبة القصاص لأن واضح هذه العقوبة هو الذي يعلم ما يصلح البشر وما يصلح لهم في كل زمان ومكان .

والشريعة عندما قررت عقوبة القتل على القاتل المتعمد لم تعف من العقوبة المخطئ بل جعلت عليه عقوبة تناسب جريمته من الدية والكفارة بتحرير رقبة وصيام شهرين ، كل ذلك من أجل الحفاظ على الأنفس قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١) ، (هذه العقوبة فيها تهذيب وتربية الروح الاجتماعية في القاتل خطأ لا يهمل بعد ذلك وليأخذ الحذر والحيطه عند عمل أي شئ يريد القيام به ولا يهمل فيؤذي الناس ويقع في الذنب الذي نهي الله عنه) (٢) فأخذ الحيطه والحذر متعين خشية الوقوع في الجرائم وإن كانت غير مقصودة وعموماً الذي ينظر (في التشريع الإسلامي يجد أنه يهدف من وراء تشريعه للقصاص إلى غرض واحد فقط ألا وهو المنع أو على الأقل التقليل من جريمة التعدي على النفس أو على ما دونها عمداً .

وهذا الغرض تشترك جميع الشرائع السماوية .. على حد سواء في رجاء الوصول إليه إلا أن التشريعات قد اختلفت في الوسائل الموصلة إلى هذه الغاية (٣) فبين أن وسيلة القصاص أعدل وأردع وأجدى في الحفاظ على مكتسبات الدعوة وبالله التوفيق .

١- النساء آية : ٩٢

٢- آثار تطبيق الشريعة الإسلامية في منع الجريمة ، د، محمد عبد الله الزاحم ص ١٣٩

٣- فلسفة العقوبة في الشريعة الإسلامية والقانون د/ فكري أحمد عكاز ص ١٧١، ط، ١- ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م،

شركة ومكتبة عكاظ، جدة

المبحث الثالث : إيقاع العقوبات التعزيرية حفاظاً على مكتسبات الدعوة :

ويتضمن أربعة مطالب :

المطلب الأول : عقوبة الحبس والجلد

المطلب الثاني : عقوبة الوعظ والهجر والتوبيخ

المطلب الثالث : عقوبة التهديد والتشهير

المطلب الرابع : عقوبات تعزيرية أخرى

التعزير لغة :

هو (المنع والرد والتأديب لأنه يمنع من معاودة الذنب وتعاطي القبيح ، كما يطلق على التوقير والتعظيم والنصرة قال تعالى: ﴿ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾^(١)، يقال عززته وقرته وأيضاً أدبته فهو من الأضداد)^(٢) .

التعزير اصطلاحاً :

تأديب على ذنب لا حد فيه^(٣)، ويطلق التعزير أيضاً على العقوبات التفويضية وهي عبارة عن مجموعة جزاءات أقرها الشارع الحكيم وفوض أمر تقديرها وتحريرها إلى ولي الأمر أو من يقوم مقامه لتتلاءم مع الجريمة وآثارها والمجرم وخطره وسلوكه ونوعيته وأنها تقبل الزيادة والنقص والشدّة واللين كما تقبل الشفاعة والترك في عمومها^(٤) .

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يشير ويوضح لبعض الجرائم التي تستحق التعزير وليس فيها حد معين بقوله :

(أما المعاصي التي ليس فيها حد مقدر ولا كفارة كالذي يقبل الصبي والمرأة الأجنبية أو يباشر بلاجماع أو يأكل ما لا يحل كالدم والميتة أو يقذف الناس بغير زنا أو يسرق من غير حرز أو شيئاً يسيراً أو يخون أمانته كولاية أموال بيت المال أو الوقوف ومال اليتيم ونحو ذلك إذا خانوا فيها ، وكالوكلاء والشركاء إذا خانوا ، أو يغش في معاملته كالذين يغشون في الأطعممة والثياب ونحو ذلك ، أو يطفف المكيال والميزان ، أو يشهد بالزور ، أو يلغن شهادة الزور أو يرتشي في حكمه أو يحكم بغير ما أنزل الله أو يعتدي على رعيته ، أو يعتري بعزاء الجاهلية^(٥) ، أو يلي داعي الجاهلية إلى غير ذلك من أنواع المحرمات فهؤلاء

١- الفتح آية : ٩

٢- لسان العرب ، ابن منظور ، مادة عزز ج ٤ ص ٥٦٢ وانظر : العفو عن العقوبة في الفقه الإسلامي د/ زيد بن عبد الكريم بن علي بن زيد ص ٤٨٥ ، ط ١ - ١٤١٠ هـ - دار العاصمة الرياض

٣- سبل السلام شرح بلوغ المرام ، الصنعاني ج ٤ ص ٧٣

٤- العقوبات التفويضية وأهدافها في ضوء الكتاب والسنة، مطبع الهيي ص ٥٧

٥- تعزى بعزاء الجاهلية أي دعا بدعوة الجاهلية وعصبيتها . انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، (عزأ) ١٥/٥٣ .

يعاقبون تعزيراً وتنكيلاً وتأديباً يعزر ما يراه الوالي ، على حسب كثرة ذلك الذنب في الناس وقتله (١)

ومن هذا يثبت أن الجرائم التي تستوجب التعزير بعضها معينة بالنصوص دون ذكر العقوبة المترتبة عليها وبعضها غير مذكورة فهي (تدخل تحت النصوص العامة التي تأمر بطاعة الله وتنهى عن مخالفته) (٢) ، وهذا يدل على (دقة التشريع الإسلامي وحكمته البالغة في أنه لم يخصص جرائم التعزير في عدد معين كما لم يخصص لكل جريمة أو جرائم عقوبة خاصة فإن صنعة ذلك تمكن القاضي أو الحاكم أن يضع لكل مخالفة ما يناسبها من العقوبة بحيث لا تقلت جريمة من الجرائم دون أن ينال فاعلها ما يستحقه من الجزاء كما أنه أيضاً جعل للقاضي سلطة واسعة في الحكم على الجريمة بحسب ما تحدثه من الضرر وما يتيح عنها من الأثر فيحكم بالعقوبة المناسبة لها كما أنه فتح الباب لإدخال جرائم لم تكن معروفة في عصر من العصور .. مثل خطف الطائرات أو استعمال الأصوات المزعجة من سائقي السيارات أو المذياع أو تصوير الصور الخليعة أو الأماكن الممنوعة التصوير إلى غير ذلك مما يمكن إدراجه في الجرائم التعزير (٣) التي يقصد منها الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

١- السياسة الشرعية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٩٦-٩٧ ، دار الكتب العربية ، بدون تاريخ

٢- أثر تطبيق الحدود في المجتمع ، بحوث مؤتمر الفقه جامعة الإمام ص ٢٦٩

٣- المصدر السابق ص ٢٧٠

المطلب الأول : عقوبة الحبس والجلد حفاظاً على مكتسبات الدعوة

بما أن العقوبات التعزيرية موكلة لولي الأمر ومن ينوب عنه في اختيار أنسب العقوبة حسب إجرام الشخص وحالته —(قد يعزر بالحبس وقد يعزر بالضرب)^(١) وقد يجمع الأمرين حسب ما يقتضيه الحال في ضرورة الحفاظ على مكتسبات الدعوة (إذا رأى - الوالي - أن أحدهما لا يكفي في عقوبة المجرم)^(٢) .

وقد جاءت عقوبة التعزير بالسجن والضرب في الكتاب والسنة قال تعالى في حق النساء اللاتي يظهر منهن بوادر العصيان لأزواجهن ﴿ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتِكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً ﴾^(٣)، فجاء الضرب في الدرجة الثالثة من درجات تعزير الناشز لماله من وقع في إيلاهما وإعادةها إلى الطاعة ،وأوضحت السنة بأن يكون هذا الضرب (ضرباً غير مبرح)^(٤) لأن القصد منه التأديب وشواهد التعزير بالضرب كثيرة منها أيضاً في غزوة بدر (ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ،فانطلقوا حتى نزلوا بدرأ ، ووردت عليهم روايا قريش وفيهم غلام أسود لبني الحجاج ،فأخذوه ،فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه؟ فيقول مالي علم بأبي سفيان ،ولكن هذا أبو جهل وعتبة وأميه بن خلف فإذا قال ذلك ضربه ،فقال :نعم ،أنا أخيركم ،هذا أبو سفيان ،فإذا تركوه فسألوه فقال :مالي بأبي سفيان علم ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأميه بن خلف في الناس فإذا قال هذا أيضاً ضربه ،ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ،فلما رأى ذلك انصرف ،قال : "والذي نفسي بيده لتضربه إذا صدقكم ،وتتركوه إذا كذبكم)^(٥) ، وكان المقصود من الضرب حمله على الاعتراف بالحقائق ولم ينكر صلى

١- السياسة الشرعية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٩٨

٢- التشريع الجنائي الإسلامي ، عبد الله بن سالم الحميد ص ١٣٨

٣- النساء آية : ٣٤

٤- رواه مسلم في كتاب الحج ١٥ باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم ١٩ حديث ١٢١٨ ص ٤٨٣

٥- رواه مسلم كتاب الجهاد والسير ٣٢ باب غزوة بدر ٣٠ حديث ١٧٧٩ ص ٧٤٠

الله عليه وسلم مبدأ الضرب على الصحابة إنما الذي أنكره هو شدة الضرب الذي أوجأ الغلام على الكذب مع أنه اعترف بالحقيقة .

ومن أمثلة الضرب تعزيراً أيضاً ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : رأيت الذين يشتررون الطعام مجازفة يضربون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعوه حتى يؤووه إلى رحالمهم^(١)

ودرة الفاروق رضي الله عنه في تعزير المخالفين كانت مشهورة وفي الحفاظ على مكتسبات الدعوة مشكورة أما ما يتعلق بالسجن من أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة فالأدلة فيه أيضاً كثيرة ومنها الأسرى سواء كان في الجهاد والقتال أو في مخالقات أخرى فالأسير يعتبر مسجوناً حتى يبيت في أمره والسجن في صدر الإسلام كان عبارة عن أسر في زاوية من زوايا المسجد أو بيت من البيوت، ومن ذلك ،(بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد)^(٢)، وكان يمر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول له ماذا عندك يا ثمامة إلى أن أمر بإطلاقه فأعلن إسلامه كما وردت شواهد السجن تعزيراً في عهد الخلفاء الراشدين حفاظاً على مكتسبات الدعوة.

(والحاصل أن الحبس وقع في زمن النبوة وفي أيام الصحابة والتابعين فمن بعدهم إلى الآن في جميع الأعصار والأمصار دون إنكار وفيه من المصالح ما لا يخفى لو لم يكن منها إلا حفظ أهل الجرائم المنتهكين للمحارم الذين يسعون في الإضرار بالمسلمين ويعتادون ذلك ويعرف من أخلاقهم ولم يرتكبوا ما يوجب حداً قصاصاً حتى يقام عليهم فيراح منهم العباد والبلاد فهؤلاء إن تركوا وخلي بينهم وبين المسلمين بلغوا من الإضرار بهم إلى كل غاية وإن قتلوا كان سفك دمائهم بدون حقها فلم يبق إلا حفظهم في السجن والحيلولة بينهم وبين الناس بذلك حتى تصح منهم التوبة ، أو يقضي الله في شأنهم)^(٣)

^١ - رواه البخاري في كتاب البيوع ٣٤ باب ما يذكر في بيع الطعام والحكرة ٥٤ حديث ٢١٣١ ص ٤٢١

^٢ - رواه البخاري في كتاب المغازي ٦٤ باب وفد بني حنيفة ، وحديث ثمامة بن أثال ٧١ حديث ٤٣٧٢ ص ٩٠٠

^٣ - نيل الأوطار ، للشوكاني ج ٨ ص ٣٤٣

ويمكن محاولة إصلاحهم في السجن بدراسة نفسياتهم والظروف التي حملتهم على ارتكاب الجريمة ثم تعليمهم وتهذيب أخلاقهم ليعودوا إلى المجتمع أفراداً صالحين بعد أن كانوا مفسدين فيكون سجنهم حفاظاً عليهم وعلى المجتمع عموماً .

المطلب الثاني : عقوبة الوعظ والهجر والتوبيخ حفاظاً على مكتسبات الدعوة

عقوبة التعزير تحكمها المصلحة العامة والظروف الخاصة لذلك تتنوع وتدرج خفة وغلظة حسب الذنب المرتكب ومن ارتكبه، والوعظ والهجر والتوبيخ مشروع بالكتاب والسنة في عقوبة التعزير قال تعالى: ﴿فَعِظُوهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ﴾^(١) "وليس لأقل التعزير حد بل هو بكل ما فيه إيلاام الإنسان من قول وفعل وترك قول وترك فعل فقد يعزر الرجل بوعظه وتوبيخه والإغلاظ له وقد يعزر بهجره وترك السلام عليه حتى يتوب إذا كان ذلك هو المصلحة كما هجر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه (الثلاثة الذين خلفوا)^(٢) (٣)

وقد ذكر الله بيان ما وقع عليهم من ألم التعزير وتوبته عليهم بعد ذلك بقوله ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٤)

فهؤلاء الصحابة تخلفوا عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وكان الحفاظ على مكتسبات الدعوة يقتضي خروجهم معه فعوقبوا على ذلك رضي الله عنهم بأن اعتزلهم الناس وقاطعوهم ولم يخالطوهم حتى تاب الله عليهم ونزل الوحي ييشر بقبول توبتهم. أما التوبيخ من أجل التعزير فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه الكرام لأمر صدرت منهم من ذلك توبيخه للصحابي الجليل أبا ذر الغفاري رضي الله عنه الذي يروي سبب هذا التوبيخ بنفسه فيقول (أني سابت رجلاً فعيرته بأمه فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم "يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك أمرؤ فيك جاهلية)^(٥) (أي خصلة من الجاهلية وهي التي كانت سائدة عند العرب في كون بعضهم يعير غيره ، ويحط من قدره

١- النساء آية: ٣٤

٢- هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية

٣- السياسة الشرعية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٩٧

٤- التوبة آية : ١١٨

٥- رواه البخاري كتاب الإيمان ٢ باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك ٢٢ حديث .

نسبا ومرتلة فجاء توجيهه صلى الله عليه وسلم بهذا التوبيخ لهذا الصحابي وكأنه يقول له بلسان حاله إن هذا السباب والتعير الذي وقع منك كان يجب ألا يقع منك ومن أمثالك لأنها خصلة ممقوتة من خصال الجاهلية وقد جاء الإسلام بمحو هذه الخصال السيئة " (١) وإحلال الخصال الحميدة مكانها فوجب التزامها والتخلق بها لأن ذلك من شأنه أن يحفظ وحدة الصف المسلم ويقضي على الطبقية والتمايز بين الناس .

١- العقوبات التفويضية وأهدافها د/ مطيع الله اللهي ص ٩٥

المطلب الثالث : عقوبة التهديد والتشهير حفاظاً على مكتسبات الدعوة

ومن العقوبات التعزيرية الفاعلة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة عقوبة التهديد والتشهير لمن لا يرتدع بما هو دونها من العقوبات فللوا لي أو القاضي ومن ينوب عنهما أن يستخدم التهديد لإجبار الممتنع عن فعل ما يؤمر به أو منعه من فعل ما ينهى عنه وقد استخدم الصحابة رضي الله عنهم هذا الأسلوب من أجل الإقرار بالحقوق قال : علي رضي الله عنه (بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزيبر والمقداد وقال : " انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة ومعها كتاب فخذوه منها " فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة فإذا نحن بالظعينة فقلنا أخرجي الكتاب فقالت ما معي من كتاب فقلنا : لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب ، فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا حاطب، ما هذا؟ " قال: يا رسول الله لا تعجل عليّ ،إني كنت امرأً ملصقاً في قريش ،ولم أكن من أنفسها ،وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي ،وما فعلت كفوراً ولا ارتداداً ،ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام .فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "قد صدقكم" فقال عمر رضي الله عنه :يا رسول الله ،دعني أضرب عنق هذا المنافق .قال " إنه شهد بداراً وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال :اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)^(١)

والشاهد تهديدهم لها بخلع ملابسها إن لم تخرجه طواعية وقد فتشوا في أمتعتها ولم يجدوه فما بقي إلا تجريدها من الثياب ، وهذا التهديد كان فيه جانب كبير من الحفاظ على مكتسبات الدعوة لأن هذه الرسالة كانت تتضمن إجبار قريش بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم لفتح مكة فلو وصلت إليهم هذه الرسالة لتسببت في ضرر كبير للمسلمين أو عرقلة الفتح ، ولكن كشف الله ذلك لرسوله وكانت هفوة من حاطب رضي الله عنه ولم يقصد الإضرار والخيانة كما أوضح ذلك في آخر الحديث وأعذره فيها رسول الله صلى الله

^١ - رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير ٥٦ باب الجاسوس : والتجسس: التبعث ١٤١ حديث ٣٠٠٧ ص ٦٠٩

عليه وسلم، أما التعزير بالتشهير فيكون (في الجرائم التي يعتمد فيها المجرم على السمعة الطيبة والسيرة الحسنة وثقة الناس فيه وذلك مثل جرائم الغش وشهادة الزور وكل جرائم النصب والاحتيال فينبغي أن يشهر بمثل هذا المجرم حتى لا يخدع به أحد ويسلك بالتشهير كل وسيلة تؤدي إلى تعريف أكثر عدد من الناس ووسائل الإعلام الآن كثيرة مثل الإذاعة والصحف وغيرها)^(١) .

وجاء التشهير بشهادة زور عن الفاروق رضي الله عنه قال: شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله (وقد يعزر بتسويد وجهه وإركابه على دابة مقلوبا ، كما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه أمر بذلك في شاهد الزور فإن الكذب سود الوجه ، فسود وجهه وقلب الحديث فقلب ركوبه)^(٢)

والتشهير بأمثال هؤلاء يكون زاجراً لهم ورادعاً لأمثالهم وحفاظاً على أموال الناس وأعراضهم من عبث العابثين .

^١ - فلسفة العقوبة د/ فكري أحمد عكاز ص ٣٦٣

^٢ - السياسة الشرعية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٩٨

المطلب الرابع : عقوبات تعزيرية أخرى

بما أن جرائم التعزير غير محصورة فعقوباتها أيضاً مرنة ومتسعة لاستيعاب تلك الجرائم فقواعد الشريعة العامة قابلة ومتهيئة لتكفل لكل جريمة عقابها المناسب والرادع من أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة

ومن العقوبات التعزيرية التي تستخدم في أهداف مختلفة العقوبة المالية قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله (والتعزير بالعقوبات المالية مشروع .. في موضع مخصوصة في مذهب مالك في المشهور عنه ومذهب أحمد في مواضع بلا نزاع عنه وفي مواضع فيها نزاع عنه والشافعي في قول ، وإن تنازعوا في تفصيل ذلك كما دلت عليه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل إباحة سلب الذي يضطاد في حرم المدينة لمن وجدته، ومثل أمره بكسر دنان الخمر وشق ظروفه.. ومثل هدمه لمسجد الضرار ، ومثل تحريق موسى للعجل المتخذ لهاً ومثل تحريق عمر بن الخطاب لكتب الأوائل وأمر بتحريق قصر سعد بن أبي وقاص الذي بناه لما أراد أن يحتجب عن الناس فأرسل محمد بن مسلمة وأمره أن يحرقه عليه فذهب فحرقه عليه .. وهذه القضايا كلها صحيحة معروفة عند أهل العلم بذلك ونظائر هذا متعددة)^(١) ، وهذه الأدلة التي أشار إليها شيخ الإسلام واضحة الدلالة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة ، حيث كانت كل عقوبة مناسبة للمخالفة التي وقعت .

فإذا كانت هذه عقوبات مالية أيضاً هناك عقوبات مادية ومعنوية في أن واحد ذكرها العلماء فالشخص "قد يعزر بعزله عن ولايته كما كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعزرون بذلك وقد يعزر بترك استخدامه في جند المسلمين كالجندي المقاتل إذا فر من الزحف فإن الفرار من الزحف من الكبائر - وهو ينافي الحفاظ على مكتسبات الدعوة - وقطع خبزه نوع تعزير له ، وكذلك الأمير إذا فعل ما يستعظم فعزله من الإمارة تعزير له)^(٢) ، وتحذير لأمثاله من استغلال المناصب في صالح النفس وشهواتها لأن ضوابط الشريعة لا تعف أحداً من المساءلة والمحاسبة ثم إيقاع العقوبة حسب ما ارتكب من المخالفة دون النظر إلى مكانته الاجتماعية .

^١ - الحسبة، شيخ الإسلام بن تيمية ص ٥٣-٥٨

^٢ - السياسة الشرعية ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٩٧-٩٨

وقد تصل عقوبة التعزير إلى القتل وذلك في الجرائم التي تهدد أمن المجتمع وتعرض مكتسبات الدعوة للخطر ولم يرتدع المجرم عن جرائمه إلا بالقتل (مثل الجاسوس المسلم إذا تجسس للعدو على المسلمين .. والداعية إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة)^(١) والذي يريد الانحراف بالمجتمع عن جادة الطريق المستقيم إلى البدع المحدثه فأمثال هؤلاء من واجب ولي الأمر أن يتخذ ضدهم القرارات المناسبة لحفظ الأمة من شرورهم ، والواقع أن جرائم التعزير غير محددة وعقوباتها كذلك فأمرها مفوض إلى ولي الأمر كلما حدثت جريمة لا سابقة لها فله أن يحدث لها عقاباً مناسباً لها وذلك بالرجوع إلى نصوص الشريعة العامة .

إن إقامة الحدود التي شرع الله لعباده المؤمنين ، وكذلك العقوبات التعزيرية التي يراها أهل العلم كل ذلك للحفاظ على مكتسبات الدعوة وصيانة المجتمع الإسلامي من عبث العابثين بانتهاك محارم الله وبالتالي تتحقق الهيبة في نفوس الناس فتصان الحرمات ويحترم الشرع ويسود الأمن والأمان ، وينعم الناس بالاستقرار في حياتهم ، وبالله التوفيق .

^١ - انظر: السياسة الشرعية ص ٩٨-٩٩ وقد ذكر هنا شيخ الإسلام ابن تيمية اختلاف العلماء على ذلك

الفصل الخامس

إرسال الرسل والمعاهدات والصلح حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المبحث الأول : إرسال الرسل والكتب حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المبحث الثاني : المعاهدات والصلح حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المبحث الأول : إرسال الرسل والكتب حفاظاً على مكتسبات الدعوة :

ويتضمن ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : إرسال الرسل والرسائل إلى الملوك حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المطلب الثاني : إرسال الكتب إلى القبائل وزعمائها وبعض الأفراد حفاظاً على

مكتسبات الدعوة

المطلب الثالث : رسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين

رضي الله عنهم

تمهيد :

المقصود بكلمة (الرسول بمعنى الرسالة يؤنث ويذكر والرسول معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعته أخذاً من قولهم جاءت الإبل رسلاً أي متتابعة)^(١)، وأيضاً (هو الذي أمره المرسل بأداء الرسالة بالتسليم أو القبض والرسالة : هي المجلة المتمثلة على قليل من المسائل التي تكون من نوع واحد ، والمجلة هي الصحيفة يكون فيها الحكم)^(٢) ، والمراد هنا من إرسال الرسل والكتب تلك الكتب أو الرسائل التي أملاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث بها إلى الملوك والأمراء والقبائل أو الأفراد متضمنة الدعوة إلى الإسلام ونشره والحفاظ على مكتسبات الدعوة

هذه المراسلات كانت بعد صلح الحديبية وتأمين جبهة قريش والتفرغ لغيرها من الجهات الأخرى وقد صيغت هذه الرسائل بأساليب تناسب وضع الشخص المخاطب ومكانته الاجتماعية وديانته مع توحيدها في المضمون غالباً، ومن اللافت للنظر أن الدبلوماسية الإسلامية لعبت دوراً هاماً وناجحاً خلال هذه الفترة لا يقل أهمية عن الدور الحربي والعسكري .. إذ أن صياغة نصوص الكتب صياغة دقيقة .. تنطوي على — ذكر أسماء وألقاب الملوك والرؤساء ومكانتهم فدياجة الكتب وخاتمتها تفتح المجال أمام المرسل إليه للتفاوض والتفاهم ، كما أن ذكر الألقاب والوظائف .. — يوجد — نوعاً من الارتياح النفسي لدى المخاطب دون مدهانة في حق الله . كما أن نصوص الكتب تدل على رفض

١- لسان العرب ، ابن منظور ، مادة رسل ج ١١ ص ٢٨٣-٢٨٤

٢- التعريفات للجرجاني ص ١١٠

عبادة الأوثان وعبادة الصليب لمن يعبد الصليب^(١) ، وتدعو المجتمع إلى عبادة الواحد الأحد
الفرد الصمد والإيمان برسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

١- تاريخ الدعوة الإسلامية عصر النبوة د/ محمود رزق محمود ص ١٣٨ ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، دار الهداية

المطلب الأول : إرسال الرسل والرسائل إلى الملوك حفاظاً على مكتسبات الدعوة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستهدف برسائله الجهات المؤثرة في المجتمع وأصحاب اتخاذ القرار والنفوذ لأن التأثير عليهم تأثير في رعيتهم وفي الغالب وصول الرسل والرسائل إلى الملوك لا يخفى على الرعية ، فبالتالي الدعوة موجهة للجميع ولبيان ما تضمنته هذه الكتب وما حققته من نشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها تأتي إلى عرض الرسائل ونبدأ برسالة النجاشي رحمه الله لاعتبارات منها أنه أوى الصحابة فنال شرف الحفاظ على مكتسبات الدعوة ، ومنها استقبال رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بصدر رحب ثم أسلم وحسن إسلامه وأيضاً عند وفاته نعاه النبي صلى الله عليه وسلم وصلى عليه صلاة الغائب وكان حامل الرسالة هو الصحابي الجليل عمرو بن أمية الضمري ^(١) وهذا نصها

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله ، إلى النجاشي ملك الحبشة سلم أنت ، فإني أحمد إليك الله لا إله إلا هو ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت به فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاتة على طاعته ، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى) ^(٢)

أو ضحت هذه الرسالة معالم الدعوة الإسلامية وإخلاص العبادة لله وحده وبطلان عقيدة التثليث التي يدين بها كثير من النصارى بعد تحريفهم لعقيدة التوحيد التي جاء بها المسيح عليه السلام .

^١ - تاريخ الطبري ، محمد بن جرير ، ج ٢ ص ٦٥٢

^٢ - المرجع السابق ج ٢ ص ٦٥٢ وانظر: إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، محمد بن طولون

ص ٥٤ ، ط ٢ - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، مؤسسة الرسالة

وقد تعددت رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي في مناسبات مختلفة أوصلها بعضهم إلى خمسة رسائل أو لها (كان بعد غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة) (١) ولعل آخرها كان الخطاب الذي طلب فيه النبي صلى الله عليه وسلم من النجاشي إعادة من تبقى من المهاجرين إلى الحبشة وتزويجه بأمة حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها وقام النجاشي رضي الله عنه بتك المهمة على أكمل وجه وأصدق أم حبيبة (أربعمائة دينار) (٢) ، وحمل ما تبقى من الصحابة بأرض الحبشة في سفينتين فوافوا رسول الله عليه وسلم في فتح خير وكان قد أرسل النجاشي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب يعلن فيه إسلامه ومبايعته للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: (وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يده لله رب العالمين ، وبعثت إليك يا بني أرها ابن الأصم فأني لا أملك إلا نفسي وإن شئت أن أتيك يا رسول الله فعلت فأني أشهد أن ما تقوله حق والسلام عليك يا رسول الله.... وذكروا أن ابنه خرج في ستين نفساً من الحبشة في سفينة في البحر فلما توسطوا البحر غرقوا كلهم) (٣) ، والحاصل أن رسائل النبي صلى الله عليه وسلم للنجاشي حققت أهدفها من نشر الدعوة الحفاظ على مكتسباتها على الوجه الأكمل والله الحمد .

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملك الروم :

مملكة الروم كانت من أقرب الدول إلى الدولة الإسلامية التي أنشأها النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة وكان الحفاظ على مكتسبات الدعوة يقتضي المبادرة بدعوها إلى الإسلام والتفاهم معها وردعها إن حاولت الاعتداء على الإسلام والمسلمين ولذلك بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بمراسلتها وكان حامل الخطاب هو دحية بن خليفة الكلبي (٤)

١- كتاب الوحي د/أحمد عبد الرحمن عيسى ص ١٤٦، ط، ١- ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، دار اللواء الرياض، والمصباح المضيئ للشيخ محمد بن علي الأنصاري ج ٢ ص ٣٥، ط، ١- ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد

٢- تاريخ الطبري ، محمد بن جرير ، ج ٢ ص ٦٥٣ و الكامل ، ابن الأثير ج ٢ ص ٢١٣ .

٣- إعلام السائلين ، محمد بن طولون، ص ٥٦، وانظر: كتاب الوحي أحمد عبد الرحمن عيسى ص ١٥٥ وتاريخ الطبري

، محمد بن جرير ، ج ٢ ص ٦٥٣ ،

٤- الطبقات الكبرى ابن سعد ج ١ ص ٢٥٩

وهذا نصه :-

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الإريسيين ^(١) و: ﴿قُلْ يَتَاهَلَّ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَرُ إِلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ^(٢) ^(٣)

وقد وافق وصول هذا الخطاب تواجد أبو سفيان في أرض الشام على رأس قافلة تجارية لقريش فاستدعاه مع مجموعة من رفقاءه هرقل وسأله عن الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته وقال لأصحاب أبي سفيان إن كذبتني فكذبوه فكانت الإجابات كلها في صالح الحفاظ على مكتسبات الدعوة دون إرادة من أبي سفيان لأنه كان مشركاً في ذلك الوقت وعدواً للدعوة .

قال : هرقل " فإن كان ما تقوله حق فسيملك موضع قدمي هاتين " وعندها قال أبو سفيان لأصحابه "لقد أمر أمرُ ابن أبي كبشة إنه يخافه ملك بني الأصفر"

وقال بعد إسلامه وهو يحكي هذه القصة (فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام) ^(٤) فكان هذا الخطاب سبباً في الهزيمة النفسية التي لحقت بالروم والقرشيين معاً في أن واحد ولحقتها الهزيمة العسكرية بعد ذلك في فتح مكة وبلاد الشام ومصر ، وبالرغم من إقرار واعتراف هرقل بالدعوة الإسلامية وأنها دعوة عالمية وسوف تسيطر على ما تحته لم يكتب له الإيمان بها وآثر الملك الفاني خوفاً من أهل دينه أن يقتلوه أو يسلبوه ملكه فمات على كفره .

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط:

كانت مصر في ذلك الوقت موالية وتابعة للدولة الرومية وإن كانت تتمتع بنوع من الاستقلال بقيادة المقوقس الذي راسله النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه وهذا نص الرسالة

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن

^١ - الإريسيون : هم القادرون على هداية قومهم ولم يهدوهم . انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، (أرس) ٥/٦ .

^٢ - آل عمران آية : ٦٤

^٣ - الحديث رواه البخاري مطولاً في كتاب بدء الوحي ١ باب ٦ حديث ٧ ص ٤

^٤ - رواه البخاري كتاب بدء الوحي ١ باب ٦ حديث ٧ ص ٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٥

توليت فإن عليك إثم القبط ﴿ قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦١﴾ (١) ثم ختم الكتاب (٢) قال : حامل الكتاب حاطب بن أبي بلتعة (فجثته بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلني في منزله وأقمت عنده ثم بعث إلي وقد جمع بطارقه وقال : إني سائلك عن كلام فأحب أن تفهم عني قال قلت هلم قال : أخبرني عن صاحبك أليس هو نبي ؟ قلت بلى هو رسول الله قال فماله حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها ؟ قال فقلت عيسى بن مريم أليس تشهد أنه رسول الله قال بلى قلت فماله حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حيث رفعه الله إلى السماء الدنيا ؟ فقال لي : أنت حكيم قد جاء من عند حكيم هذه هدايا أبعث بها معك إلى محمد .. فأهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جوار منهن أم إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٣)

رسالة النبي صلى الله عليه وسلم للمقوقس لا تختلف عن رسالته لقيصر الروم في المضمون وأن كل منهما كان رده إيجابياً وإن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ويميز الرد هنا بإكرام حامل الخطاب والدخول معه في مناظرة مباشرة دون سؤال الآخرين وقد برز حاطب كمناظر قوي راسخ في العلم خبير بديانة وعقائد من أرسل إليه وحمله على الانهزام والاعتراف بقوة الحجة والبيان حتى قال : "أنت حكيم قد جاء من عند حكيم " وأرسل معه الهدايا مما يعد اعتراف منه بالدولة الإسلامية وبذلك يعتبر الخطاب حقق الحفاظ على مكتسبات الدعوة وبالله التوفيق

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحارث بن أبي شمر الغساني :

الغساسنة . من عرب الشام ومعظمهم كان يدين بالنصرانية وكانوا تابعين للدولة الرومية كغيرهم من عرب شمال الجزيرة العربية والحارث كان بدمشق ملكاً على الغساسنة وموالي قيصر الروم (٤) وهذا نص الخطاب :

١- آل عمران آية: ٦٤

٢- إعلام السائلين محمد بن طولون ص ٨١-٨٢

٣- البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧١-٢٧٢

٤- انظر : فلسفة تاريخ محمد صلى الله عليه وسلم ، محمد جميل بيهم ، ص ١٥٠-١٥١ ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون تاريخ الطبع .

(من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحارث بن أبي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق فيني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك)^(١) .

وكان حامل الخطاب شجاع بن وهب الأسدي^(٢) هذا الخطاب الذي تضمن دعوة التوحيد والاغراء والترغيب ببقاء الملك إن قبل الدعوة لم يجد الترحيب من الحارث فبعد أن قرأه رمى به وقال له : "من يترع مني ملكي؟ أنا سائر إليه ولو كان باليمن جئته" وأخبر بما عزم عليه قيصر الروم فنهاه عن ذلك وقال له (لا تسير إليه واله عنه ووافني بإيلياء)^(٣) فتراجع عن رأيه وأكرم حامل الخطاب وأقرأ الرسول صلى الله عليه وسلم السلام ولم يؤمن وقامت عليه الحجة وجبن من حرب المسلمين فكان ذلك حفاظاً على مكتسبات الدعوة والحمد لله .

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى فارس :

دولة الفرس كانت تعادل الدولة الرومية في القوة وتقاسم البلاد وكانت ممالك صغيرة في شرق الجزيرة العربية وجنوبها تابعة لمملكة الفرس الجوسية ، ورغبة من النبي صلى الله عليه وسلم في نشر دعوته الغالية والحفاظ على مكتسباتها راسل كسرى ومن كان يدور في فلكه من العرب وهذا نص رسالة النبي صلى الله عليه وسلم لكسرى التي كان يحملها عبد الله بن حذافة السهمي

^١ - الوثائق السياسية ، ص ٤٩ والبداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ٤ ص ٢٦٧

^٢ - الطبقات الكبرى ابن سعد ج ١ ص ٢٦١

^٣ - المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٦١ .

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فإن أبيت فإن عليك إثم الجحوس) (١) .

و(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله ابن حذافة السهمي فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزقه فحسبت أن ابن المسيب قال فدعا عليهم رسول صلى الله عليه وسلم أن يمزقوا كل ممزق) (٢) ولم يكتب كسرى بتمزيق الكتاب شأنه في ذلك شأن كل متكبر جبار بل قال : "يكتب إلي بهذا وهو عبيدي" وأرسل إلى عامله باذان باليمن وأمره أن يرسل من يأتيه بكتائب الكتاب فأرسل باذان رجلين لهذه المهمة فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجلين أن ربه قتل ربهما كسرى في تلك الليلة التي قتل فيها كسرى فلما عادا وأخبرا بذلك باذان وعلم بصحة الخبر آمن باذان ومن معه من الأبناء وأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملكه باليمن (٣) .

يؤكد خطاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى الدعوة إلى التوحيد كغيره من الكتب والإيمان به صلى الله عليه وسلم وأنه أرسل إلى الناس كافة عربهم وعجمهم، وكان هذا الخطاب سبباً في إسلام باذان ملك اليمن ومن معه من الأبناء ، فتحققت به مكاسب

١- إعلام السائلين ، محمد بن طولون ص ٦٦ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٥٤

٢- رواه البخاري كتاب العلم ٣ باب ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان ٧ حديث ٦٤ ص ١٩ والمغازي ٤٦ باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر ٨٣ حديث ٤٤٢٤ ص ٩١٣

٣- البداية والنهاية ابن كثير ج ٤ ص ٢٦٩

دعوية جديدة وأيضاً الحفاظ على مكتسبات الدعوة، حيث أمنت الدعوة من الجبهة اليمنية في جنوب الجزيرة بانضمام باذان إلى موكب الدعوة وحمايتها من الجنوب وأيضاً انضمامه إلى الجبهة الإسلامية شكل إضعافاً لمملكة فارس التي بدأت تتآكل من أطرافها ودب الشلل فيها من أوساطها والله عاقبة الأمور.

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوي :

المنذر بن ساوي العبدي ملك البحرين كان موالياً لكسرى فارس وجه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاباً مع العلاء ابن الحضرمي يدعوه فيه إلى الإسلام ويرغبه في إستمراره على ملكه إن أجاب وقبل الإسلام وإلا ستصل إليه خيل المجاهدين وتزيله عن ملكه وهذا نص الرسالة (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر ابن ساوي سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك إلى الإسلام فأسلم تسلم يجعل لك ما تحت يديك وأعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر)^(١) .

هذه الرسالة حققت أهدافها وكتب الله للمنذر الهداية وتقبل الرسالة بقبول حسن (فأسلم المنذر بن ساوي وأسلم جميع العرب بالبحرين أما أهل البلاد من اليهود والنصارى والمجوس فإنهم صالحوا العلاء والمنذر على الجزية من كل حالم دينار ولم يكن بالبحرين قتال إنما بعضهم أسلم وبعضهم صالح)^(٢) فانضمت البحرين من الدولة الفارسية إلى الدولة الإسلامية وتم الحفاظ على مكتسبات الدعوة في جزء من شرق الجزيرة العربية والله الحمد .

١- الوثائق السياسية ص ٦٥-٦٦، وإعلام السائلين محمد بت طولون ص ٢

٢- الكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٢٥١

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى جيفر وعبد النبي الجلندي الأزديين ملكي عمان

كانت مملكتهما تابعة لمملكة فارس بعث إليهما النبي صلى الله عليه وسلم برسالة

عمرو بن العاص السهمي^(١) رضي الله عنه وهذا نصها

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي سلام

على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما فإني رسول الله

إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، وإنكما إن أقرتما

بالإسلام وليتكما وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيلي تحل

بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما)^(٢) قال : عمرو حامل الرسالة :

(فأجابا إلى الإسلام .. وصدقا بالنبي صلى الله عليه وسلم وخليا بين الصدقة وبين

الحكم فيما بينهم وكانا لي عوناً على من خالفني ، فأخذت الصدقة من أغنيائهم ورددتها

في فقرائهم فلم أزل مقيماً فيهم حتى بلغنا وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم)^(٣) .

وبانضمام عمان إلى الدولة الإسلامية ومن قبلها البحرين واليمن تم تأمين معظم الجزيرة

العربية من الشرق والجنوب والله الحمد .

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هوزة بن علي الخنفي ملك اليمامة :

اليمامة تعتبر وسط الجزيرة وكانت تسيطر عليها قبيلة بنو حنيفة وملكهم هوزة بن

علي "كان نصرانياً"^(٤) ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سليط بن عمرو -

^١-انظر:فتوح البلدان البلاذري ص ٨٧

^٢- إعلام السائلين محمد بن طولون ص ٩٧، والوثائق السياسية ص ٨١

^٣- الطبقات الكبرى ابن سعد ج ١ ص ٢٦٣

^٤-الكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٢١٥

رضي الله عنه - يدعو إلى الإسلام وهذا نص الرسالة .

(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هودة بن علي سلام علي من اتبع الهدى واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك)^(١)، أما هودة فطمعه الزائد لم يوفقه للاستجابة للإسلام فلما قرأ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم رد عليه بقوله (ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله ، وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب قهاب مكاني فاجعل لي بعض الأمر اتبعك ...)^(٢) ولم يكن من منهج النبي صلى الله عليه وسلم القبول بمثل هذا الشرط بل أخبر أنه (بادوبادما في يديه)^(٣) وقال : (اللهم اكفنيه فمات بعد قليل)^(٤) .

أما قبيلته فجاء وفداهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ثم تنبأ فيهم مسيلمة الكذاب ، فوقف معه أغلبهم .

وسياسة الرسول صلى الله عليه وسلم في مكاتبة الملوك وإن كان المضمون واحداً في الدعوة إلى الإسلام وإفراد الله بالعبودية أى التوحيد الخالص لله عز وجل كان الأسلوب مختلفا بحسب ديانة الملك ومكاته الاجتماعية بل موقعه الجغرافي فملك الحبشة والروم ومصر والفرس يختلف أسلوبهم في المخاطبة من ملوك الجزيرة العربية ، لأن الحفاظ على مكتسبات الدعوة يستوجب أن يخاطب هؤلاء باللين والمداراة فإن قبلوا فهو المطلوب وإن رفضوا فإن عليهم إثم أتباعهم دون التهديد بالقضاء عليهم، أما (أمر مملكة عمان واليمامة والبحرين يحتاج إلى سياسة فيها الحزم والشدة والصرامة ، وهذا تفسير الكتب التي وجهت إلى هذه الممالك ، فإما الإسلام وإما الحرب ولا ثالث لهما، فإنها ممالك لا تعرف مبادئ الإنسانية ولا

١- الوثائق السياسية ص ٧٧، وإعلام السائلين محمد بن طولون ص ١٠٩

٢- الطبقات الكبرى ابن سعد ج ١ ص ٢٦٢

٣- المصدر نفسه ج ١ ص ٢٦٢

٤- الكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٢١٥

تحقق أي نوع من أنواع العيش الكريم للبشرية ، بل.. — كانت آنذاك — أوكار الشر ومعاقل الدمار ومأوى القراصنة فإذا ما سنحت لها الفرصة وهيأت لها الأسباب انطلقت كالأعاصير تنشر الشر تشيع الدمار بغير حساب (١) .

أمر آخر يلزم التنبه إليه هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذ سياسة الأولويات والتدرج تجاه تلك الملوك في نشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها فإن الدعوة . قد أبلغهم إياها جميعا في رسائله لكن إزالة من يعاديها ويقف أمامها تحتاج إلى عدم تأليب الجميع وتكالبهم ضدها ومن ثم البدء بالأقرب فالأقرب كما قال عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ۗ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) . فتطهير الجزيرة العربية وتأمينها وجعلها دار الإسلام مقدم على سائر البلاد وأن تمدد الإسلام في البلاد المجاورة لها سيأتي شيئا فشيئا قبل هؤلاء الملوك أم لم يقبلوا ولا يلزم ذلك أن يتحقق في حياته صلى الله عليه وسلم لأن مهمة نشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها مهمة كل مسلم حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد تحقق ذلك بفضل الله تعالى ثم جهود المسلمين الأوائل من السلف الصالح رحمهم الله الذين جاهدوا في الله حق جهاده وضحوا بأموالهم وأنفسهم رخيصة في سبيل عز الإسلام وقوته .

١- الجانب السياسي في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم د/ أحمد محمد ص ١٢٥-١٢٦ ، ط ، ١- ١٤٠٢هـ

١٩٨٢م ، دار القلم ، الكويت

٢- التوبة آية : ١٢٣

المطلب الثاني: إر سال الكتب إلى القبائل وزعمائها وبعض الأفراد حفاظاً على مكتسبات الدعوة:

وحرصاً منه صلى الله عليه وسلم على نشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها لم يكتف بمراسلة الملوك والعظماء بل راسل القبائل وزعمائها ومعظم الشخصيات المؤثرة في المجتمع بالإضافة إلى مراسلة مبعوثيه في البلاد التي أذعن للإسلام بالتوجيه والتعليم وتدير الأمور وكيفية التعامل مع المستجندات ولبيان ذلك تجدر الإشارة إلى ذكر بعض هذه الرسائل مع توضيح أوجه الحفاظ على مكتسبات الدعوة فيها

فمنها: رسالته صلى الله عليه وسلم إلى أهل خيبر عن ابن عباس -رضي الله عنهما

- أنه كان يقول: كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر

(بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله صاحب موسى وأخيه والمصدق لما جاء به موسى، ألا إن الله عز وجل قال لكم يا معشر يهود وأهل (التوراة) وإنكم تجدون ذلك في كتابكم أن ﴿رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(١) إلى آخر السورة وإني أنشدكم بالله الذي أنزل عليكم وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى وأنشدكم بالذي أيس البحر لآبائكم حتى أنجاكم من فرعون وعمله ألا أخبرتمونا هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٢)، وأدعوكم إلى الله تعالى وإلى نبيه صلى الله عليه وسلم)^(٣)

وإن خيبر كان يسكنها اليهود (وكانت خيبر هي وكرة الدس والتأمر ومركز الاستفزازات العسكرية ومعدن التحرشات وإثارة الحروب .. لأن أهل خيبر هم الذين جذبوا الغدر والخيانة ثم أخذوا في الاتصالات بالمنافقين الطابور الخامس في المجتمع الإسلامي - وبغطفان وأعراب البادية)^(٤)

١- الفتح آية: ٢٩

٢- البقرة آية: ٢٥٦

٣- إعلام السائلين محمد بن طولون ص ٩٣-٩٤، والوثائق السياسية ص ٢٤

٤- انظر: الرحيق المختوم، المباركفوري ص ٤٨٤

وفي محرم من السنة السابعة من الهجرة وبعد الحديبية قام صلى الله عليه وسلم بغزو خيبر وفتحها ثم أقر اليهود عليها بنصف ما يخرج من المحاصيل الزراعية وهذه الرسالة الدعوية الشريفة من النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل خيبر وإن لم يرد ما يبين أنها كانت قبل الفتح أو بعد فهي رسالة تحمل الدعوة وأبعادها ومجادلة أهل الكتاب والتي هي أحسن وتعريفهم بأخوة الأنبياء ووحدة دينهم وتصديق بعضهم بعضاً ، ثم مخاطبتهم بالألقاب المحبة إليهم من يهود وأهل التوراة كل ذلك تمهيداً لعلهم يقرون بالحقيقة أن محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه أوصافهم موجودة في كتابهم ، ثم التحول معهم إلى أسلوب آخر في الجدل بالثوابت المقررة عندهم وعنده بمناشدتهم بالله الذي أنزل على موسى التوراة والذي أطعم أسلافهم المن والسلوى وأيس البحر لآبائهم فعبروها فراراً من فرعون ، هل يجدون فيما أنزل إليهم إيمانهم . بمحمد ؟ وحتى لو قالوا أنهم لا يجدون يلزمهم الإيمان به لأن هذه الحجج والمعلومات الثابتة لا يمكن أن يحصل عليها محمد صلى الله عليه وسلم إلا عن طريق الوحي ، ومهما يكن أن النبي صلى الله عليه وسلم نازل اليهود بالحجة والبيان ثم بعد أن اعذر وأنذر نازلهم بالسيف والسنان حتى أخذ نارهم وكسر شوكتهم وأذعنوا للعيش تحت حكم الدولة الإسلامية مسالمين وبذلك تحقق الحفاظ على مكتسبات الدعوة بتأمين جبهة اليهود في الجزيرة العربية ، والله الحمد والمنة

كتابه صلى الله عليه وسلم إلى جهينة^(١)

جهنية إحدى القبائل الكبيرة والمشهورة وجه إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه فيه النهي عن الانتفاع بأجزاء الميتة ويبدو من الخطاب أنهم

^(١) - انظر: أخبار جهينة وأنسائها في جمهرة أنساب العرب ، ابن حزم الأندلسي ص ٤٤٤-٤٤٥ ، دار المعارف القاهرة

كانوا يتعا ملون بما أو ينتفعون وهذا نصه ،(عن عبد الله بن عكيم) ^(١) قال :
 أتانا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بأرض جهينة ،وأنا غلام
 شاب (أن لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب) ^(٢) .
 الخطاب يدل على أن جهينة في وقت إرساله كانت مسلمة بدليل عدم ورود
 الدعوة فيه إلى الشهادتين وإنما كان فيه الحفاظ على مكتسبات الدعوة من
 الأشياء المؤذية كأجزاء الجيف المنتنة فالدين الإسلامي يدعو إلى الطهر
 والنظافة يحلل الطيبات ويحرم الخبائث .

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني زهير بن أقيش وهم حي من

عكل) ^(٣) دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام وما يلزمهم من
 فرائض الصلاة والزكاة والمغنم ونصها (من محمد رسول الله إلى بني زهير بن أقيش ،
 إنكم إن شهدتم : أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة
 وأديتم الخمس من المغنم وسهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم الصفي ^(٤)) (أنتم آمنون

١- عبد الله بن عكيم بالتصغير الجهني أبو معبد الكوفي مخضرم وقد سمع كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى جهينة
 مات في إمرة الحجاج ، انظر: تقريب التهذيب ابن حجر العسقلاني ص ٣١٤ ، ط ، ٢ — ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م ، دار
 الرسيد سوريا حلب

٢- الحديث رواه الترمذي في كتاب اللباس باب ما جاء في جلود الميتة إذا دُمغت ٧ ، حديث ١٧٢٩ ، ص ٢٩٨ قال
 الألباني صحيح ج ٢ ص ١٤٦ ، وهو في إعلام السائلين ، محمد بن طولون ٨٦

٣- الطبقات الكبرى ابن سعد ج ١ ص ٢٧٩

٤- الصفي ، هوشي ، نفيس كان يصطفيه النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه ، كسيف أو فرس أو أمة" انظر: التعريفات

للجر جاني ص ص ١٣٤

بأمان الله ورسوله^(١)، هذا الأمان مشروط بالتزامهم بهذه الثوابت الإسلامية المقررة في الخطاب فإن التزموا بها صاروا مكتسبا من مكتسبات الدعوة ووجب الحفاظ عليهم وعدم

التعرض لهم في نفوسهم وأموالهم لهم ما للمسلمين من مغنم وعليهم ما على المسلمين من مغرم .

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى رعية السحيمي :

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رعية السحيمي بكتاب فأخذ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقع به دلوه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فأخذوا أهله وماله وأفلت رعية على فرس له عريانا ليس عليه شيء فأتى ابنته وكانت متزوجة في بني هلال ... وكانوا أسلموا فأسلمت معهم ... فلما رأته ابنته عريانا ألفت عليه ثوبا وقالت مالك قال : كل شرما ترك لي أهل ولا مال قال : أين بعلك قالت في الإبل .. فأتاه وأخبره قال : خذ راحلتي برحلتها ونزودك من اللبن قال : لا حاجة لي فيه ولكن أعطني قعود الراعي وإداوة ماء فإني أبادر محمداً لا يقسم أهلي ومالي فانطلق . حتى دخل المدينة ليلاً .. فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر قال له : يا رسول الله ابسط يدك فلأبائعك .. فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده يهزها فرفعها ثم قال (أيها الناس : هذا رعية السحيمي الذي كتبت إليه فأخذ كتابي فرقع به دلوه فأسلم ، ثم قال : يا رسول الله أهلي ومالي فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم أما مالك فقد قسم بين المسلمين وأما أهلك فانظر من قدرت عليه منهم)^(٢)

من الناس من لا يعتبر الإحسان والإكرام والتقدير ويقابل من يبذل ذلك له بالاستهتار والترفع وعدم المبالاة ، فيحتاج إلى الضرب والتأديب بل الإهانة حتى يعود الى رشده ويبدو أن رعية السحيمي قبل إسلامه كان من هذا النوع مما حملة أن يرقع بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم دلوه ولما علم صلى الله عليه وسلم بفعلة أرسل إليه سرية تقوم بتأديبه ومحاسبته وعندما شعر رعية بمداهمة السرية له ترك المال والأهل وولى هاربا دون أن يتمكن حتى من ستر سواته والثوب الذي ألقته إليه ابنته حينما دخل عليها بتلك الصورة المشينة لم يكن كافيا لحاجته كما ذكر الراوي إذا ستره رأسه برز إسته وإن ستر إسته برز رأسه ووصل المدينة في هذه الصورة وهو بجر أذيال الذل والمهانة خاضعا مستسلما يطلب

١- رواه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفتى ١٩ باب ما جاء في سهم الصفي ٢١ ، حديث ٢٩٩٩ ، ص ٣٤٠ ، قال الألباني صحيح الإسناد ج ٢ ص ٥٨١ ، وهو في إعلام السائلين محمد بن طولون ص ٨٨ ، والوثائق ص ٢٠٩

٢- انظر: إعلام السائلين ابن طولون ص ١٠٣-١٠٥ ، والوثائق السياسية ص ٢١٠ ومسنند الإمام أحمد ج ٥ ص ٢٨٦ ، وقال في الموسوعة الحديثية ، رجاله ثقات رجال الشيخين لكنه منقطع ، لم يصرح الشعبي بالسماع من رعية ، ج ٣٧ ص ١٣٣

العفو عما صدر منه وإعادة ماله وأهله إليه بعد أن أعلن إسلامه ،فما كان من النبي الكريم صلى الله عليه وسلم إلا أن عفا عنه ورد إليه أهله أما ماله فكان من حق المجاهدين فقد تم تقسيمه بينهم .

فهذه الرسالة كان فيها الحفاظ على مكتسبات الدعوة من التطاول فيها من رعية وأمثاله وكان فيها أيضا مكتسبات دعوية يادخال رعية وأهله على الإسلام وإحراز أمواله .

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم لرفاعة بن زيد إلى قومه :

كان من هديه صلى الله عليه وسلم إذا جاءه زعيم من زعماء القبائل أو وجيه فيهم فأسلم أرسله إليهم داعياً إلى الإسلام لأنه أعرف بأسلوب دعوتهم والتعامل معهم والحفاظ عليهم فعند ما (قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية قبل خيير رفاعه بن زيد الجذامي وأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاماً ، وأسلم وحسن إسلامه ... كتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً إلى قومه هذا نصه

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لرفاعة بن زيد : إني بعثته لقومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم إلى الله وإلى رسوله فمن قبل منهم ففسي حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدير فله أمان شهرين) فلما قدم إلى قومه أجابوا وأسلموا.....^(١) والله الحمد

فهذا التفويض العام الذي منحه صلى الله عليه وسلم لرفاعة بمهمة القيام بالدعوة في قومه ومن دخل معهم كان عامل تشجيع له على بذل الجهد في نشر الدعوة وقد تخللت جهوده بالنجاح وقبل قومه بالإسلام دون مقاومة وبذلك تم الحفاظ على مكتسبات الدعوة ونشرها في آن واحد والله الحمد والمنة .

^١ - إعلام السائلين محمد بن طولون ص ١٢٢ والوثائق السياسية ص ١٧٠ وسيرة ابن هشام ج ٤ ص ٥٩٦

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب قواده ودعاته بالإرشادات والتوجيهات من أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة، فعندما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب بنجران فدعاهم حسب توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب هذا نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خالد بن الوليد سلام عليك فيني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإن كتابك جاءني مع رسولك يخبر أن بني كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم وأقبل وليقبل معك وفدهم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته) ^(١) بين هذا الكتاب أن بني الحارث بن كعب صاروا مكتسباً من مكتسبات الدعوة بفضل من الله ثم توجهات رسوله صلى الله عليه وسلم وجهود خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وفتعين الحفاظ عليهم بالتبشير والإنذار ترغيباً وتحبيبا لهم للإسلام ثم توجيه الدعوة لقدم وفدهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، للتأكيد والتوثيق من مدى اقتناعهم بالإسلام ومعرفتهم له وتزويدهم بجرعة إيمانية تعينهم على المضي في سبيل الدعوة ثم بعد أن عاد وفدهم بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (عمرو بن حزم ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ويأخذ منهم صدقاتهم وكتب له كتاب عهد إليه فيه عهده وأمره فيه بأمره) ^(٢)، والكتاب مطول فيه الأمر بتقوى الله والأخذ بالحق وتعليم الناس القرآن والنهي عن

^١ - انظر : سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٥٩٣ ، وإعلام السائلين محمد بن طولون ص ١٣٦ ، والمصباح المضيئ محمد بن

علي الأنصاري ج ٢ ص ٢٥٨

^٢ - سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٥٩٤

مسه بدون طهارة وتبصير الناس بالذي لهم والذي عليهم مع اللين في الحق والشدة في الظلم ، والتبشير بالجنة والإنذار بالنار وتأليف الناس حتى يتفقهوا في الدين وتعليمهم كيفية الحج والعمرة ، وكيفية لبس الملابس في الصلاة وغيرها والنهي عن الدعاء إلى القبائل والعشائر بل تكون لله وحده ، وكيفية الصلاة وبيان أوقاتها مع توضيح توزيع الغنائم وفرائض الزكاة ، ووضع الجزية على من بقي على نصرانيته أو يهوديته ، فالكتاب يحتوي على جوانب كثيرة من مجالات الحفاظ على مكتسبات الدعوة (١) .

وبعد فهذه نماذج من رسائل وكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأكاسرة والقيصرة والقبائل والأفراد ، وقد اشتملت هذه الرسائل والكتب النبوية على أصول العقيدة والشريعة والأخلاق ومن خلال النظر في مضامين تلك الرسائل والكتب ندرك أهميتها وعظمتها حيث أسهمت في الحفاظ على مكتسبات الدعوة من خلال تلك الأصول التي تضمنتها هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن تلك الرسائل والكتب اشتملت على أصول الدعوة وبينت أولويات الدعوة وكيف تكون الدعوة في مخاطبتها للمدعوين من حيث مراعاة أحوالهم ، واختيار أنسب الوسائل والأساليب الملائمة لكل صنف من أصناف المدعوين .

هذا فضلاً عن استخدام الحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن ، كل ذلك مما يعتبر زاداً للدعاة إلى الله تعالى ، يمكن توظيفه للحفاظ على مكتسبات الدعوة في العصر الحاضر .

١- وللمزيد من الاطلاع انظر: سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٥٩٥-٥٩٦ ، وإعلام السائلين ص ١٣٨-١٤١ .

المطلب الثالث : رسائل الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم للحفاظ على مكتسبات الدعوة

الفرع الأول : رسائل الصديق رضي الله عنه حفاظاً على مكتسبات الدعوة

تواصلت رسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة ونشرها في عهد الخلفاء كما كانت في عهده صلى الله عليه وسلم وإن اختلفت في الأسلوب والمضمون بحسب تقلبات الوضع وبحريات الأمور، فلكل مقام مقال ولكل زمان رجال وليكن البدء برسالة الصديق لعامة الأمة فمن ثبت على دينه ومن ارتد، وقد أرسلت هذه الرسالة أمام ألوية المجاهدين في وقت حرج للدعوة الإسلامية وقد تحقق بموجها الحفاظ على مكتسبات الدعوة والله الحمد ولذلك لزم إيرادها كاملة مع طولها وهذا نصها :

(بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بلغه كتابي هذا عامة وخاصة أقام على الإسلام أم رجع عنه ، سلام على من اتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والهوى فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، نقر بما جاء به ونكفر من أبي ذلك ونجا هذه، أما بعد فإن الله أرسل بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين فهدى الله بالحق من أوجب إليه وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدير عنه ، حتى صار إلى الإسلام طوعاً أو كرها ثم توفي الله رسوله وقد نفذ لأمر الله ونصح لأمره وقضى الذي عليه ، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل فقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ^(١) وقال : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَلَيْنَ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ ^(٢) وقال للمؤمنين ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۗ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنَ يَصُرُّ اللَّهَ شَيْئاً ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ ^(٣)

١- الزمر آية: ٣٠

٢- الأنبياء : ٣٤

٣- آل عمران: ١٤٤

فمن كان إنما يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان إنما يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ولا تأخذه سنة ولا نوم حافظ لأمره ، منتقم من عدوه ، إني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبيكم وما جاءكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم وأن تهتدوا بهداه ، وأن تعتصموا بدين الله ، فإن كل من لم يهده الله ضال وكل من لم يعنه الله مخذول ومن هداه غير الله كان ضالاً قال الله تعالى ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۗ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ (١) ولن يقبل له في الدنيا عمل حتى يقربه ، ولم يقبل له في الآخرة صرف ولا عدل وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به ، اغتراراً بالله وجهلاً بأمره وإجابة للشيطان قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ (٢) ، وقال ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۗ إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٣) ، إني بعثت إليكم في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، وأمرته أن لا يقبل من أحد إلا الإيمان بالله ولا يقتله حتى يدعوه إلى الله عز وجل فإن أجاب وأقر وعمل صالحاً قبل منه وأعانه عليه وإن أبي حاربه عليه حتى يفيء إلى أمر الله ثم لا يبقى على أحد منهم قدر عليه وأن يحرقهم بالنار وأن يقتلهم كل قتلة ، وأن يسي النساء والداري ولا يقبل من أحد إلا الإسلام ، فمن اتبعه فهو خير له ، ومن تركه فلن يعجز الله ، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابه في كل جمع لكم ، والداعية الآذان فإذا أذن المسلمون فكفوا عنهم ،

١- الكهف آية: ١٧

٢- الكهف آية : ٥٠

٣- فاطر آية: ٦

وإن لم يؤذونوا فسلوا ما عليهم ، فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقروا حمل منهم على ما ينبغي لهم^(١)

تضمنت هذه الرسالة الكريمة حجج وبراهين من القرآن الكريم تعين على التثبيت في الدين كما فيها التلميح باستخدام القوة من قبل جيش المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بالإحسان على من ارتد عن الإسلام ذلك بإجماع من المسلمين ويعرض على المرتدين إما الإسلام أو القتل وسي النساء والذراري ، وقد كان لهذا الكتاب والمنهج السليم في التعامل مع المرتين أثره الكبير في تثبيت الإسلام في الجزيرة العربية والحفاظ على مكتسبات الدعوة في فترة وجيزة والحمد لله .

كتاب الصديق إلى خالد ووصيته بأهل فارس وكتاب خالد لهم ، (ولما فرغ خالد بن الوليد - رضي الله عنه - من أمر اليمامة كتب إليه أبو بكر - رضي الله عنه - وخالد مقيم باليمامة سر إلى العراق حتى تدخلها وابدأ بفرج الهند - وهي الابله - وتألف أهل فارس ومن كان في ملكهم من الأمم)^(٢)

بعد أن خمدت نار المرتدين والمتبئين وتم القضاء عليهم أمر الصديق قائده المظفر سيف الله المسلول خالد بن الوليد لمواصلة الفتوح ونشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها ، بالتوجه إلى العراق والاستيلاء على المواقع المهمة والإستراتيجية وتألف في جهاده أهل فارس ومن والاهم ويجب إليهم الإسلام ، ولم يكن لأبي سليمان أن يتأخر عن تنفيذ هذه المهمة النبيلة وقام بها أتم القيام ثم كتب إلى قائد الفرس هرمز من موقف القوة والعزة والإيمان بتحقيق

١- البداية والنهاية ابن كثير ج ٦ ص ٣٢٠، والوثائق السياسية ص ٢٢١-٢٢٣

٢- الوثائق السياسية ص ٢٣١، وانظر: البداية والنهاية ابن كثير ج ٦ ص ٣٤٧

النصر على الأعداء (أما بعد فأسلم تسلم أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة وأقرر بالجزية وإلا فلا تلومن إلا نفسك ، فقد جئت بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة) (١) .

ولا شك من أن هذه الحرب النفسية كانت تزلزل قلوب الأعداء قبل الحرب الفعلية وتحطم معنوياتهم فهي وسيلة من وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

كتاب الصديق إلى خالد يأمره فيه بالتوجه إلى الشام وذلك لإمداد ونصرة الجيوش الإسلامية التي جمع لها الروم الجموع لضر بها وقد حقق خالد من قبل في الجبهة الفارسية انتصارات عظيمة قلبت على الفرس حساباتهم واحتل توازنهم مما جعلهم يتقهقرون إلى الخلف عن مواجهة المسلمين وقد (وإني خالد كتاب أبي بكر بالخيرة منصرفه من حجه الذي حج محتفياً - وفيه - أن سر حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك فإنهم قد شجوا وأشجوا (٢) ، وإياك أن تعود لمثل ما فعلت ، فإنه لم يشج الجموع من الناس بعون الله شجيك ولم يترع الشجي من الناس نزعك فليهنك أبا سليمان النية والخطوة فأتمم يتم الله لك ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل وإياك أن تدل بعمل فإن الله له المن وهو ولي الجزاء) (٣)

يعتبر خالد بن الوليد رجل المئات الصعبة وموضع ثقة عند الصديق ولذلك عندما شعر أن مكتسبات الدعوة في الشام تتعرض للمخاطر أمره بإدراكها كما عتب عليه في

١- الوثائق السياسية ص ٢٣١

٢- الشجو: الحزن والهم.. والشجي ما نشب في الخلق من غصة هم وأشجاء حزنه وأشجاك قرنك قهرك وغلبك حتى شجين به، والشجا: ما اعترض في خلق الإنسان والدابة من عظم أو عود أو غيرها ، انظر: معجم مقاييس اللغة ابن فارس ج ٣ ص ٢٤٨، ولسان العرب ج ٤ ص ٤٢٢، مادة شجا

٣- الوثائق السياسية ص ٢٤٣، والبداية والنهاية ابن كثير ج ٦ ص ٣٥٧

حججه محتفياً دون علمه وأثنى عليه في جهاده ونكايته بالعدو من باب ذكر الجميل لأهله وحذره من العجب بنفسه وذلك حفاظاً عليه وعلى من معه من المجاهدين .

الفرع الثاني: كتب الفاروق رضي الله عنه حفاظاً على مكتسبات الدعوة

كان الفاروق رضي الله عنه شديد الحرص في التواصل مع قادة الجيوش الإسلامية التي كانت تضرب في جبهة متعددة في آن واحد، وتبادل الكتب والرسائل كانت من أهم الوسائل التي اتخذها الفاروق في التوجيه والإرشاد لقيادة الجيوش الإسلامية ومنها:

كتاب الفاروق إلى سعد بن أبي وقاص

بعد انتداب خالد بن الوليد إلى الشام تولى قيادة الجيوش الإسلامية في الجبهة الفارسية المثنى بن حارثة ثم أناط الفاروق هذه المهمة لأبي عبيد بن مسعود وبعد استشهاده في موقعة الجسر عادت القيادة للمثنى بن حارثة إلى أن عين الفاروق لهذه المهمة سعد بن أبي وقاص سنة أربع عشرة وكانت رسائل الفاروق في الحفاظ على مكتسبات الدعوة متوالية بينه وبين قواده ومنها :- (إني قد ألقى في روعي أنكم إذا لقيتم العدو هزمتوه فاطرحوا الشك وآثروا التقية عليه فإن لاعب أحد منكم أحداً من العجم بأمان أو قرفه بإشارة أو بلسان كان لا بدري الأعجمي ما كلمه به وكان عندهم أمان فأجروا ذلك مجرى الأمان . وإياكم والضحك والوفاء الوفاء فإن الخطأ بالوفاء بقية وإن الخطأ بالغدر الهلكة ، وفيها وهنكم وقوة عدوكم وذهاب ربحكم وإقبال ربحهم واعلموا أي أحذركم أن تكونوا شيئاً على المسلمين وسبباً لتوهينهم) (١) .

وتواصلت الرسائل بين الفاروق وسعد بن أبي وقاص ، سعد يصف مواقع القتال وعدد الجيوش الفارسية وقوادها والفاروق يشير إلى سبل مواجهتها وذلك قبل موقعة القادسية قال سعد : " وإن الذين أعدوا لمصادمتنا رستم في أمثال له منهم فهم يحاولون إنفاضنا وإقحامنا ونحن نحاول إنفاضهم وإبرازهم وأمر الله بعد ماض وقضاؤه مسلم إلى من قدر لنا وعلينا فنسأل الله خير القضاء وخير القدر في عافية " فكتب إليه عمر: " قد جاءني كتابك وفهمته فأقم مكانك حتى ينفذ الله لك عدوك وأعلم أن لها ما بعدها فإن منحك الله أديارهم فلا تترع عنهم حتى تقحم عليهم المدائن فإنه خرابها إن شاء الله) (٢) .

وكما توقع الفاروق بعد هزيمة القادسية ثم المدائن لم تقم للفرس دولة وكل ما كان يملكونه صار مكتسباً من مكتسبات الدعوة فينبغي المحافظة عليه .

١- الوثائق السياسية ص ٢٤٤، والكامل ابن الأثير ج ٢ ص ٤٥٤

٢- الوثائق السياسية ص ٢٥١

كتاب الفاروق إلى النعمان بن مقرن :

النعمان بن مقرن قاد الجيوش الإسلامية في الجبهة الفارسية بعد سعد بن أبي وقاص واستشهد في نهاوند بعد انتصار المسلمين فيها وهذا نص كتاب الفاروق رضي الله عنه:

(بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقرن سلام عليك فإنه أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فإنه قد بلغني أن جموعاً من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله وبعون الله وبنصر الله بمن معك من المسلمين ولا توطئهم وعرأ فتؤذيتهم ولا تمنعهم حقاً فتكفرهم ولا تدخلنهم غيضة فإن رجلاً من المسلمين أحب إلي من مائة ألف دينار والسلام عليك) ^(١) .

شدة حرص الفاروق في الحفاظ على مكتسبات الدعوة واضحة في هذه الرسالة حيث أمر قائده وأوصاه بما معه من المجاهدين أن يسلك بهم الطرق الممهدة تخفيفاً عليهم وعلى رواحلهم مع إعطاء حقوقهم كاملة لأن ذلك يشيع روح المحبة بين الجيش وقائده كما وصاه بتحري مظاهر السلامة والأمان والبعد عن مواقع الخوف والتهلكة حفاظاً على جيشه

الفرع الثالث : كتب عثمان بن عفان رضي الله عنه حفاظاً على مكتسبات الدعوة .

كان عثمان رضي الله عنه كثير الاهتمام بالحفظ على مكتسبات الدعوة وحث الناس على التمسك بالكتاب والسنة والبعد عن المحدثات في الدين ، وكان يكتب بذلك لكل من كان يقوم بمهمة من مهام المجتمع قال ابن كثير رحمه الله :

(كتب عثمان بن عفان إلى عماله على الأمصار أمراء الحرب ، والأئمة على الصلوات ، والأمناء على بيوت المال بأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحثهم على طاعة الله وطاعة رسوله ويحرضهم على الأتباع وترك الأبتداع) ^(٢)

١- الوثائق السياسية ص ٢٦٣

٢- البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٥٥

ومنها كتاب عثمان بن عفان إلى الوليد بن عقبة :

الوليد بن عقبة بن أبي معيط كان والياً على الكوفة من قبل عثمان بن عفان ابتداء من سنة أربع وعشرين وفيها كتب إليه بإمداد أهل الشام ونصرهم^(١) وهذا نص الكتاب (أما بعد فإن معاوية بن سفيان كتب إلي يخبرني أن الروم قد أجلبت على المسلمين بجموع عظيمة وقد رأيت أن يمدهم إخوانهم من أهل الكوفة فإذا أتاك كتابي هذا فابعث رجلاً ممن ترضى بجدته وبأسه وشجاعته وإسلامه في ثمانية آلاف أو تسعة آلاف أو عشرة آلاف إليهم من المكان الذي يأتيك فيه رسولي . والسلام)^(٢) ، فما كان من الوليد إلا أن (ندب الناس وحثهم على الجهاد ومعاونة معاوية وأهل الشام وأمر سلمان بن ربيعة على الناس الذين يخرجون إلى الشام فأتدب في ثلاثة أيام ثمانية آلاف فبعثهم إلى الشام وعلى جند المسلمين حبيب بن مسلم الفهري ، فلما اجتمع الجيشان شنوا الغارات على بلاد الروم وغنموا وسبوا شيئاً كثيراً وفتحوا حصونا كثيرة والله الحمد)^(٣) .

وبذلك تحققت مكتسبات دعوية جديدة وتم الحفاظ على المكتسبات السابقة بفضل من الله ثم رسالة الخليفة عثمان عفان رضي الله عنه السريعة وإمداد أهل الشام في الوقت المناسب .

١- انظر: البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٥٥

٢- الوثائق السياسية ص ٢٩٨، وانظر: فتوح البلدان البلاذري ص ٢٠١

٣- البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ١٥٥

الفرع الرابع : من كتب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، في الحفاظ على مكتسبات الدعوة

حرص علي رضي الله عنه ورغبته الشديدة في وحدة الأمة والكف عن سفك الدماء جعله يتنازل حتى من حقوقه المشروعة ، فوقع على كتاب التحكيم كمحاولة أخرى في إيقاق القتال بين الطائفتين المسلمتين حفاظاً على مكتسبات الدعوة .

لاشك من أن مكتسبات الدعوة تعرضت للمخاطر بعد مقتل عثمان رضي الله عنه وما نتج عن ذلك في موقعة الجمل والصفين ، وللخروج من هذا المأزق اصطلاح أمير المؤمنين علي ومعاوية رضي الله عنهما في التحكيم وهذا جزء من نص الكتاب .

(بسم الله الرحمن الرحيم ... هذا ما قضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ، قاضى علي على أهل الكوفة ومن معهم وقاضى معاوية على أهل الشام ومن معهم إننا نترل عند حكم الله وكتابه وأن لا يجمع بيننا غيره وأن كتاب الله بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحبي ما أحيا ونميت ما أمات ، فما وجد الحكمان في كتاب الله وهما أبو موسى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عملا به ، وما لم يجدها في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة .

وأخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين من العهود والمواثيق أنهما آمنان على أنفسهما وأهليهما والأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه ، وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة لا يردها في حرب ولا فرقه حتى يقضيا^(١) وكتب في يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع

١- الكامل ، ابن الأثير ، ج ٣ ص ٣٢٠ والبداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ٧ ص ٢٨٧ والوثائق السياسية ، ص ٢٩٩ .

وثلاثين ..^(١)) (وتفرق الناس إلى بلادهم من صفين ، وخرج معاوية إلى دمشق بأصحابه ورجع علي إلى الكوفة)^(٢) ، فكان هذا الكتاب سبباً في الحفاظ على مكتسبات الدعوة والكف عن إراقة دماء طاهرة من الطائفتين .
المسلمتين وانصراف كل منها إلى بلاده والحمد لله .

والكتب التي كتبها الخلفاء الراشدون من أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة ومن قبلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة ولكن خشية الإطالة تعين الاكتفاء بهذه النماذج التي توضح حرص المصطفى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم في الحفاظ على مكتسبات الدعوة ونشرها .

^١- البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ٧ ص ٢٨٨

^٢- المرجع السابق ج ٧ ص ٢٨٩

المبحث الثاني : المعاهدات والصلح والهدنة حفاظاً على مكتسبات الدعوة :

ويتضمن مطلبين :

المطلب الأول : المعاهدات والصلح والهدنة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

المطلب الثاني : المعاهدات والصلح والهدنة في عهد الخلفاء الراشدين رضي

الله عنهم

التعريف بمفردا البحث

العهد (جمع العهدة وهو الميثاق واليمين التي تستوثق بها ممن يعاهدك وإنما سمي اليهود والنصارى أهل العهد للذمة التي أعطوها والعهدة المشترطة عليهم ولهم العهد والعهدة واحد) ^(١)، كما أن العهد هو (حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال وشرعاً: العهد يختص بمن دخل من الكفار في عهد المسلمين) ^(٢) .

الصلح: (الصلح السلم وقد اصطلحوا وصالحوا وأصلحوا وتصالحوا) ^(٣)، فهو (في اللغة اسم من المصالحة وهي المسالمة بعد المنازعة وفي الشريعة عقد يرفع النزاع) ^(٤)

الهدنة: (الماء والذال والنون أصل يدل على سكون واستقامة) ^(٥) (وهادنته مهادنة صالحه والاسم منها الهدنة وأصل الهدنة السكون بعد الهيج ويقال الصلح بعد القتال والموادعة بين المسلمين والكفار وبين كل متحارين هدنة) ^(٦) .

والهدنة شرعاً: (هي الصلح مع الكفار على ترك القتال مدة معينة من غير عوض أو بعوض) ^(٧)، (وتعقد الهدنة لمصلحة المسلمين إذا دعت الضرورة

١- لسان العرب ، ابن منظور ، مادة عهد ج ٣ ص ٣١١

٢- مفردات ألفاظ القرآن للراغب ، الأصفهاني ص ٥٩١ ، ط ٢ - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ، دار القلم ، دمشق

٣- لسان العرب ، ابن منظور ، مادة صلح ج ٢ ص ٥١٧

٤- التعريفات للجر جاني ص ١٣٤

٥- معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، مادة هذن ج ٦ ص ٤١

٦- لسان العرب ، ابن منظور ، ج ١٣ ص ٤٣٤ - ٤٣٥

٧- العلاقات العامة والخاصة في الإسلام د/ يوسف محمود عبد المقصود وآخرون ص ١٣٠ ، دار المعارف ، جامعة الأزهر ، بدون تاريخ

كضعف الجيش لقلة عدده أو رجاء دخول الكفار في الإسلام بهذا العقد أو لغرض الجزية إذا كانت بلاد المسلمين تحتاج إلى مال^(١) فلا بد أن يكون الدافع للمعاهدة أو الصلح والهدنة حصول منفعة راجحة أو رفع مضرة. بموجبها يحافظ على مكتسبات الدعوة ويضمن نشرها وكل المفاوضات والمعاهدات التي جرت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين لا تخرج عن هذا المضمار .

١- العلاقات العامة والخاصة في الإسلام ، د ، يوسف عبد المقصود ، ص ١٣٠

المطلب الأول : المعاهدات والصلح والهدنة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم حفاظا على مكتسبات الدعوة

قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجراً من مكة فوجدها وهي تعج بطوائف دينسية وعرقية مختلفة ومتناحرة، فاستطاع أن يكون من الجميع أمة متحدة في الدفاع عن المصالح العامة والخاصة وذلك بالتوقيع على وثيقة المعاهدة التي هي بمثابة دستور لأهل المدينة بمختلف طوائفهم الدينية وأعرافهم المتباينة .

وكان يتكون مجتمع المدينة من المهاجرين من أهل مكة ومن لحق بهم والأنصار من الأوس والخزرج ومن بقي منهم في شركهم ويهود بقبائلهم الثلاثة قينقاع والنضير وقريظة .

وهذا جزء من نص وثيقة التعايش التي وقعت بين فئات المجتمع المدني في سبيل

الحفاظ على مصالحهم :

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم إثم أمة واحدة من دون الناس المهاجرون من قريش على ربعتهم)^(١) يتعاقلون بينهم وهم يقدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى ، كل طائفة تفتدي عانيها بالمعروف ، والقسط بين المؤمنين وبنو ساعدة على ربعتهم .. وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة^(٢) ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وإن أيديهم عليه جميعاً

^١ - الربعة : الحالة التي جاء الإسلام وهم عليها . انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، (ربيع) ١٠٧/٨ .

^٢ - الدسيعة الشيء المأخوذ ظلماً وعدواناً أو العطفة بالإكراه انظر : لسان العرب ، ابن منظور ، (دسع) ٨٥/٨ .

ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ولا ينصر كافر على مؤمن وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أديانهم وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ، وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ... وإنه لا يجير مشرك مאלاً لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن .. وإنه لا يجل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله عليه وسلم وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم ، فإنه ، لا يوتغ إلا نفسه، وأهل بيته وإن يهود بني النجار مثل ما يهود بني عوف .. وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم وإنه لا ينحجز على ثار جرح ، وأنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته ، إلا من ظلم ، وإن الله على أبر هذا وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم من النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وإن بينهم النصح والنصيحة .. وإن بينهم النصر على من دهم يشرب..^(١) .

(هذه المعاهدة .. — الشاملة — نظم الرسول صلى الله عليه وسلم .. الحياة في — "يشرب" وأمن المسلمون غائلة اليهود ولو إلى حين وأخذ

١- انظر: سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٥٠١-٥٠٤

ضعف المسلمين المؤقت في هذا المجتمع القوي الماكر يتحول إلى ميزان القوة شيئاً فشيئاً^(١) ، كما أن (الوثيقة تنطق برغبة المسلمين في التعاون الخالص مع يهود المدينة لنشر السكينة في ربوعها والضرب على أيدي العادين ومدبري الفتن أيا كان دينهم وقد نصت بوضوح على أن حرية الدين مكفولة فليس هناك أدنى تفكير في محاربة طائفة أو إكراه مستضعف بل تكاتفت العبارات في هذه المعاهدة على نصرة المظلوم وحماية الجار ورعاية الحقوق الخاصة والعامة)^(٢) ، وقد ساعد ذلك في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في وقت كانت الدعوة في أمس الحاجة إلى سلوك تلك الطريقة المسالمة من غير ضعف أو تنازل عن المبادئ السامية والثوابت الشرعية.

وبهذه المعاهدة عرف كل فريق أو فئة من سكان المدينة ماله وما عليه ولم يترك الوضع صلى الله عليه وسلم للاجتهادات الفردية والمطامع الشخصية والتعصبات القبلية والفتوية كما كان الحال قبل هجرته .

وتعد هذه المعاهدة (أروع عهد أو اتفاق دولي بين المسلمين من طرف واليهود من الطرف الآخر)^(٣) ، كما تعد تمهيداً لمعاهدات وهدنات تلتها مع القبائل المجاورة للمدينة من أجل التفرغ للعدو الحقيقي الذي يتمثل في قريش التي أخرجت المسلمين من ديارهم وأموالهم بغير حق واضطهدتهم في دينهم بل بدأت تلاحقهم في مقر هجرتهم فكانت السياسية الحكيمة تتطلب مثل هذا الإجراء من أجل تقليل الأعداء وتوحيد جبهة المواجهة سيما مع قلة

١- كتاب الوحي د/ أحمد عبد الرحمن عيسى ص ١٠٣

٢- فقه السيرة للغزالي ص ١٩٧

٣- منهج الإسلام في السلم والحرب محمد مهنا العلي ص ٢٥، ط ١، ١٤١٢هـ - دار أمية، الرياض

المسلمين وإحاطة مخالفيهم بهم من جميع النواحي ، فكان هذا الإجراء سبباً عظيماً في الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

وفي أول غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ المهادنة والموادعة مع القبائل المجاورة للمدينة وذلك في غزوة " ودان " أو الأبواء فقد (خرج صلى الله عليه وسلم غازياً في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة) ^(١) يريد قريشاً وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فوادعته فيها بنو ضمرة ، وكان الذي وادعه منهم عليهم مخشي ابن عمرو الضمري وكان سيدهم في زمانه ^(٢) .

ويعتبر هذا أول حلف ومعاهدة وقعها رسول الله صلى الله عليه وسلم خارج المدينة من أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة وهذا نصها .

(هذا كتاب محمد رسول الله لبني ضمرة فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وإن لهم النصر على من رامهم إلا أن يجاربوا دين الله ما بل بحر صوفة وأن النبي إذا دعاهم لنصره أجابوه) ^(٣) .

وعمثل هذه التحالف بدأ نفوذ الدعوة يتقوى يوماً بعد يوم بينما قريش كلما تحالفت قبيلة مع النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك تضيقاً عليهم وقطعاً لمعيشتهم وسبل تجارتهم وتقليص نفوذهم واستمراراً لعملية التحالف مع القبائل واعتراضاً لعير قريش خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازياً

١- البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ٣ ص ٢٤٢

٢- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٥٩١

٣- الرحيق المختوم ، المباركفوري ، ص ٢٧٨

(حتى نزل العشيرة من بطن ينبع فأقام بها جمادى الأولى وليالي من جمادى الآخرة وادع فيها لبني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً^(١)) ، وقد فاتته العير متجهة إلى الشام (وهي العير التي خرج في طلبها حين رجعت من الشام فصارت سببا لغزوة بدر الكبرى)^(٢) .

وإن لم يدرك العير فقد استفاد صلى الله عليه وسلم بتوقيع هذا التحالف مع تلك القبائل التي تقطن في طريق تجارة قريش إلى الشام فهم إما أن يقفوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم في محاربة قريش ويكون له عيوناً وإما أن يكون محايدين فلا يتعرضوا له ولمن يمر عليهم من المسلمين ، وفي كلا الحالتين فهو المستفيد وعدوه المخذول والمضيق عليه .

وفي غزوة الخندق عندما تحزب الأحزاب ضد الدعوة وضيقوا الخناق على المدينة أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يفرق جمعهم ويحافظ على مكتسبات الدعوة وذلك بتوقيع المصالحة مع بعض القبائل المتحزبة مع قريش في مبادرة منه صلى الله عليه وسلم في تخفيف الوطأة على المسلمين (فبعث .. إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف المري وهما قائدا غطفان وأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه فجرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ذلك بعث إلى السعدين فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه فقال : يا رسول أمراً تحبه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا فقال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب رمتكم

^١ - سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٥٩٩ ، والبداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ٣ ص ٣٤٥

^٢ - الرحيق المختوم ، المباركفوري ، ص ٢٨٠

عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قرى أو يبيعا أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم ؟ مالنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنت وذاك فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا^(١) ، فالخاصل أن النبي صلى الله عليه وسلم هم بتوقيع هذه المصالحة من أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة ولكن قوة عزيمته السعديين في مناجزة العدو والمسلمون معهم ساهم في عدم المضي في توقيعها وكان ذلك خيراً فأرسل الله على عدوهم جنوداً من عنده فشتتهم وفرقت جمعهم والله الحمد .

ومن أهم المعاهدات التي وقعها النبي صلى الله عليه وسلم من أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة (صلح الحديبية) ، وذلك في ذي القعدة من السنة السادسة عندما قصد مكة معتمراً فمنعته قريش من دخولها فعدل إلى الحديبية وجرت المفاوضة بينه وبينهم أسفرت عن توقيع مصالحة بشروط ظاهرها في مصلحة قريش وباطنها الرحمة بالمسلمين ونصرهم وعزهم .

وهذا نص المعاهدة بعد تعديلها بالتفاف الطرفين ،(بسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه وإن بيننا عيبة مكفوفة وأنه لا إسلال ولا إغلال وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد

^١ - البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ٤ ص ١٠٦

قريش وعهدهم دخل فيه . فتوأببت خزاعة فقالوا نحن في عقد محمد وعهده وتوأببت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم ، وأنك ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فاقمت بها ثلاث معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها (١) .

وتم توقيع الصلح والمعاهدة على هذه البنود وتوقعت قريش أنها المنتصرة بردها رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا العام من دخول مكة لكن مرور الأيام أثبتت أنها الخاسرة في توقيع هذه الهدنة فـ (لقد انفرط عقد الكفار في الجزيرة منذ تم هذا العقد فإن قريشاً كانت تعتبر رأس الكفر وحاملة لواء التمرد والتحدي للدين الجديد وعندما شاع نبأ تعاهدها مع المسلمين جمدت فتن المنافقين الذين يعملون لها ، وتبعثرت القبائل الوثنية في أنحاء الجزيرة ، وخصوصاً لأن قريش جمدت على سياستها النفعية واهتمت بشعونها التجارية فلم تجتهد في ضم الأحلاف لها في الوقت الذي اتسع فيه نشاط المسلمين الثقافي والسياسي والعسكري) (٢) ، وذلك عندما (استراح النبي صلى الله عليه وسلم من قريش فتفرغ ليهود خبير وللممالك الأجنبية يرسل الرسل إلى عظمائها بالدعوة إلى دينه) (٣) ، ويفاوض من جاءه ويزيل عنه الغبش الذي كانت قريش تحاول به السد عن الدعوة فكان ذلك فتحاً عظيماً (قال : ابن

١- سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣١٧-٣١٨ وانظر: البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ٤ ص ١٧٠

٢- فقه السيرة للقرظي ص ١٩٢

٣- عبقرية محمد عباس محمود العقاد ص ٦٣ ، منشورات المكتبة العصرية صيدا ، بيروت

إسحاق في قوله تعالى ﴿ فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾^(١) صلح الحديبية قال : الزهري فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه إنما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس كلم بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ولقد دخل في تلك السنتين مثل ما كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر قال : ابن هاشم : والدليل على ما قاله الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة رجل في قول جابر ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف^(٢)، مما يدل على أن صلح الحديبية تحقق به الحفاظ على مكتسبات الدعوة ونشرها في فترة وجيزة .

ويمكن تعليل هذا الازدياد في أعداد المسلمين بأن (حالة الحرب التي سادت حتى ذلك الحين بين المسلمين والمشركين كانت قد أقامت بينهما برزخاً عريضاً . كان الحقد العام على الإسلام قد حال بين العرب وبين الامتزاج بالمسلمين ومن هنا لم تتح لهم أيما فرصة للاحتكاك بالمسلمين والتعرف على الفضائل الإسلامية . فإذا بصلح الحديبية يعقد ما بين الفريقين للمرة الأولى .. لقد أتاح ذلك للمشركين فرصة التفكير الهادئ في فضائل الإسلام الفطرية وأدركوا كيف هذب جميع أولئك الذين تأثروا بسلطان الرسول صلى الله عليه وسلم - الأخلاقي إلى صعيد أسمى إن

^١ - الفتح آية : ٢٧

^٢ - البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ٤ ص ١٧٢

من طبيعة النفس البشرية أن يعم المرء عن رؤية محاسن من يضرهم لهم العداة ولو في أوهن أشكاله .

(وكان العرب قد عقدوا العزم على إبادة الإسلام فهم في وضع لا يساعدهم على أن يقدروا تعاليم الإسلام حق قدرها أما وقد أزيل ذلك الحاجز الآن واستؤنف الاتصال السوي بالمسلمين فقد أمسوا في مركز يمكنهم من أن يدرسوا أخلاق المسلمين وعاداتهم لقد تلاشت جميع انطباعاتهم الخاطئة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الانطباعات التي خلقتها العداوة والبغضاء وأدركوا أنه ليس براغب في قطع صلة الرحم ولا بمثير للشقاق أو متاجر به)^(١) ، كما كان يروج به الأعداء قبل توقيع هذه الاتفاقية المباركة التي أنهت حروباً طاحنة بين الجانبين الإسلامي والقرشي وهيات لفتح مكة دون مقاومة تذكر من جانب قريش التي أنهكتها الحروب .

ولأول مرة تعترف قريش بالإسلام وتجلس للمفاوضة مع المسلمين وتعاملهم معاملة السند بالسند ، وعندما تأكد لبعض كبار القادة السياسيين والعسكريين أن زمن المكابرة والكبرياء قد ولى إلى غير رجعة ، وأن ميزان القوة تحول إلى القوة الإسلامية المتنامية بادروا بالانضمام إلى صفوف المسلمين أمثال (خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة)^(٢) ، فكان ذلك ضربة سياسية لقريش ساعدت في انهيار بنيانهم المتداعي بذلك على ذلك أن خالد بن الوليد رضي الله عنه هو الذي شنت شمل المجموعة المتمردة التي حاولت أن تقاوم يوم الفتح ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (خالد بن الوليد أن يدخل من أسفل مكة من الليط)^(٣) في بعض الناس ، وكان معه أسلم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من

١- حياة محمد ورسائله ، محمد علي ص ١٨٧ ، ط ٧ - ١٩٨٤ م ، دار العلم للملايين ، بيروت

٢- الكامل ، ابن الأثير ، ج ٢ ص ٢٣٠

٣- اسم مكان بأسفل مكة . انظر : معجم البلدان ج ٥ ، ص ٣٤ (ليط) .

العرب، وهو أول يوم أمّرفيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد (١) .
والحاصل أن صلح الحديبية ساهم بجوانب كثيرة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة
ونشرها ولله الحمد والمنة .

المعاهدات والصلح مع بعض الزعماء في شمال الجزيرة العربية .

وكان ذلك في السنة التاسعة في غزوة تبوك (لما انتهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى تبوك أتاه يوحنة بن ربيعة صاحب أيلة) (٢) فصالح رسول الله عليه وسلم وأعطاه
الجزية .. وكتب ليحنة بن ربيعة وأهل إيلية بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه أمانة من الله
ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن ربيعة وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله
ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم
حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه . وأنه طيب لمن أخذه من الناس ، وأنه لا يحل أن يمنعوا
مساء يردونه ولا طريقاً يردونه من بر أو بحر .. وأتاه أهل جرباء وأذرح (٣) وأعطوه الجزية
وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً فهو عندهم .. بسم الله الرحمن الرحيم الله
، هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لأهل جرباء وأذرح إنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد
وأن عليهم مائة دينار في كل رجب ، ومائة أوقية طيبة وأن الله عليهم كفيل بالنصح
والإحسان إلى المسلمين ومن لجأ إليهم من المسلمين (٤) .

١- الكامل ، ابن الأثير ، ج ٢ ص ٢٤٦ .

٢- أيلة — بالفتح — مدينة على ساحل بحر قزقم مما يلي الشام ، وقيل : هي آخر الحجاز وأول الشام . انظر : معجم
البلدان للحموي ج ١ ص ٢٩٢ (أيلة) .

٣- أذرح : اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة ثم من نواحي البلقاء ، وبين أذرح والجرباء ثلاثة أيام ، وقيل
ميل واحد . المرجع السابق ج ١ ص ١٢٩ .

٤- البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ٥ ص ١٥ ، وسيرة ابن هشام ج ٤ ص ٥٢٥ .

هذه المعاهدات التي وقعها صلى الله عليه وسلم في تبوك تختلف عن المعاهدات السابقة سواء كان منها ما وقع مع يهود المدينة أو القبائل المجاورة لها مثل بني ضمرة وبني مدلج وحلفاءهم أو مع قريش في الحديبية لأن التعامل فيها كان يجري معاملة الند بالند وكان المقصود منها إما المناصرة وعدم التعدي بالأذى في الجانب الثاني أو إيقاف الحرب القائمة بين الجانبين أما معاهدات تبوك فتميزت بأمر منها .

(مبادرة زعماء الحدود - الشمالية - بالمثل أمام الرسول صلى الله عليه وسلم لتقدم الطاعة والاعتراف بالتبعية لدولة الإسلام وعقد الرسول صلى الله عليه وسلم المعاهدات معهم ليعتبر من أبرز الدلالات على .. ما وصلت إليه القوة الإسلامية بزعامة رسولها القائد صلى الله عليه وسلم ودليلاً واضحاً على تمرد هؤلاء الزعماء على سلطة روما بانضوائهم تحت جناح دولة الإسلام لينعموا بعدالة الإسلام والأمن والسلام وحسن الجوار)^(١)، ومنها أيضاً أن هذه المعاهدات بموجبها تدفع أموال للجانب الإسلامي (وأصبحت الدولة الإسلامية ملزمة بحماية الشعوب التي عقدت معها المعاهدات وهذا مؤشر إعلامي للدول والشعوب المجاورة لأخذ العلم بمدى ما وصلت إليه قوة الإسلام الناشئة من سلطان أهلها لعقد المعاهدات وفرض الحماية والجزية)^(٢) . وهذا لم يكن متحققاً في المعاهدات السابقة .

إن أهل هذه المناطق بادروا بأنفسهم بالتوقيع على هذه المصالحة دون قتال أو مقاومة كما اشترط على أهل "إيلية" عدم منع الناس مما يحتاجونه من سلوك السبل وورود المياه واشترط على أهل "جرباء وأذرح" بالنصح والإحسان إلى المسلمين ومن لجأ إليهم من المسلمين . وهذا عين الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

^١ - الأثر والدلالات الإعلامية لرسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والقادة، أحمد محمد العقيلي ص ٢٢٩، ط،

١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، مطابع خزام للأوفست، الرياض

^٢ - انظر: المصدر السابق، ص ٢٣٠

وفي جنوب الجزيرة العربية وقع رسول الله صلى الله عليه وسلم معاهدة مع نصارى
نجران هذا نصها .

(بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم
لأهل نجران إذ كان عليهم حكمه في كل ثمرة وفي كل صفراء وبيضاء ورقيق فأفضل ذلك
عليهم وترك ذلك كله لهم على ألفي حلة من حلال الأواقي : في كل رجب ألف حلة وفي
كل صفر ألف حلة مع كل حلة أوقية من الفضة فما زادت على الخراج أو نقصت عن
الأواقي فبالحساب وما قضوا من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض أخذ منهم بالحساب
،وعلى نجران مؤنة رسلي ومنتعتهم ما بين عشرين يوماً فمادون ذلك ولا تحبس رسلي فوق
شهر وعليهم عارية ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً إذا كان كيد باليمن ومعرفة .
وما هلك مما أعاروا رسلي من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض فهو ضمير على رسلي
حتى تؤدوه إليهم .

ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأنفسهم
وملتهم وغائبهم وشاهدتهم وعشيرتهم ويبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير لا يغير
أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته وليس عليهم دنية ولا دم
جاهلية ولا يحشرون ولا يعشرون ولا يطأ أرضهم جيش ومن سأل منهم حقاً فينبهم النصف
غير ظالمين ولا مظلومين ومن أكل ربا من ذي قبل فذمي منه بريئة ولا يؤخذ رجل منهم
بظلم آخر وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله حتى يأتي الله بأمره
ما نصحوا وأصلحوا ما عليهم غير مثقلين بظلم...^(١)

عند ما رأى نصارى نجران إسلام القبائل المجاورة لهم وإرسال وفودهم إلى العاصمة
الإسلامية المدينة النبوية بادروا بإرسال وفدهم إلى المدينة للقاء النبي صلى الله عليه وسلم
وطلب البقاء في دينهم وأرضهم مقابل الولاء التام للدولة الإسلامية ودفع الجزية لها ، فقبل
منهم صلى الله عليه وسلم واشترط عليهم شروطاً هي في صالح الحفاظ على مكتسبات الدعوة

^١ - انظر: البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ٥ ص ٥٠ ، والكامل ، ابن الأثير ، ج ٢ ص ٢٩٣ ، الوثائق السياسية ص : ٩٣ .

فتضمنت هذه الشروط مع الوفاء بدفع الجزية ضيافة المبعوثين عشرين يوماً فما دون وإعارة المعدات الحربية للجيش الإسلامي إذا احتاج إلى ذلك من أجل الحفاظ على أرض اليمن وشعبها ، كما اشترط عليهم عدم التعامل بالربا والنصح للمسلمين .

هذه أبرز المعاهدات التي وقعها النبي صلى الله عليه وسلم من أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة ، وقد أتت ثمارها والله الحمد .

المطلب الثاني : المعاهدات والصلح والهدنة في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم حفاظاً على مكتسبات الدعوة .

كثرت المعاهدات في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم خاصة عهد الفاروق نظراً لاتساع رقعة الأراضي المفتوحة وقد كانت المعاهدات توقع من أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

ففي عهد الصديق رضي الله عنه وقعت بعض المعاهدات لكن لم تكن كثيرة نظراً لانشغاله بحروب الردة وقلة فترة خلافته وكانت الفتوحات في بداياتها ومع ذلك وقع خالد بن الوليد بعض المعاهدات في الجبهة الفارسية وجاء وفد نصارى نجران إلى أبي بكر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ليجددوا العهد فكتب لهم الصديق كتاباً جدد لهم فيه العهد^(١)، أما خالد بن الوليد رضي الله عنه بعد أن فرغ من حروب الردة مع أهل اليمامة توجه إلى العراق وبدأ في فتح الجبهة الفارسية بعضها عنوة وبعضها صلحاً ومعاهدة ومن ذلك معاهدته مع أهل الحيرة وهذا نصها

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عدنيا وعمر ابني عدي وعمرو بن عبد المسيح وإياس بن قبيصة وحيري بن أكال ... وهم نقباء أهل الحيرة، ورضي بذلك أهل الحيرة وأمرهم به عاهدهم على تسعين ومائة ألف درهم تقبل في كل سنة جزاء عن أيديهم في الدنيا رهبانهم وقسيسهم إلا من كان منهم على غير ذي يد حبساً عن الدنيا تاركاً لها .. وعلى المنعة فإن لم يمنعهم فلا شيء عليهم حتى يمنعهم ، وإن

١- انظر: تاريخ الطبري ، محمد بن جرير ، ج ٣ ص ٣٢١

غدروا بفعل أو بقول فالذمة منهم بريئة وكتب في ربيع الأول من سنة اثنتي عشرة (١) ،
(فكانت أول جزية حملت إلى المدينة من العراق) (٢) .

ومما يدل على أن هذه المعاهدة وقعت من أجل الحفاظ على مكتسبات
الدعوة قول خالد بن الوليد رضي الله عنه "وشرطت عليهم أن عليهم عهد الله وميثاق
الذي أخذ على أهل التوراة والإنجيل أن لا يحالفوا ولا يعينوا كافرين على مسلم من العرب
ولا من العجم ولا يدلّوهم على عورات المسلمين عليهم بذلك عهد الله وميثاقه (٣)
، كما اشترط عليهم (على أن يكونوا عيوناً) (٤) على أعدائه يخبرونه عن تحركاتهم المريبة .
وجاء إلى خالد وفود بعض المناطق المجاورة للحيرة يطلبون أن يعاملهم معاملة أهل
الحيرة في المصالحة على دفع الجزية فقبل منهم ذلك رضي الله عنه (٥) .

أما في عهد الفاروق رضي الله عنه فقد كثرت المعاهدات كما توسعت الفتوحات
وفتحت معظم مدن الشام صلحاً بعد حصار طويل كما حصل في حمص ، (وصالح أهل
حمّة على الجزية لرؤوسهم والخراج على أرضهم " كما " طلب أهل حلب الصلح على
أنفسهم وأولادهم" وفتحت الأردن صلحاً كما فتحت نابلس صلحاً (٦) وكثير من المدن
والمراكز الساحلية صالحت واشترط على أهلها أن يخبروا المسلمين بخير الروم (٧) مما يدل
على أن الصلح كان حفاظاً على مكتسبات الدعوة .

ومن أعظم المعاهدات معاهدة الفاروق مع أهل بيت المقدس وذلك
عندما طلبوا أن يصالحوا على صلح أهل مدن الشام وأن يكون المتولي للعقد

١- تاريخ الطبري ، محمد بن جرير ، ج ٣ ص ٣٦٤ ، والوثائق السياسية ، ص ٢٣٢

٢- تاريخ الطبري ، محمد بن جرير ، ج ٣ ص ٣٤٥

٣- الوثائق السياسية ، ص ٢٣٣

٤- تاريخ الطبري ، محمد بن جرير ، ج ٣ ص ٣٤٦

٥- المرجع السابق ، ج ٣ ص ٣٦٧-٣٦٩

٦- انظر: الكامل ، ابن الأثير ، ج ٢ ص ٤٩١-٤٩٨

٧- المرجع السابق ، ج ٢ ص ٤٩٦

عمر بن الخطاب ^(١) " فأجاب الفاروق طلبهم وحضر من المدينة بنفسه ووقع معهم المعاهدة وهذا نصها . (بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمتها وبريئتها وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ، ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت ^(٢) ، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم على بيعهم وصلبهم ، حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء يحصر حصادهم ، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية .. - وكان ذلك - سنة خمس عشرة ^(٣) .

إن حضور الفاروق من المدينة لتوقيع هذه الاتفاقية كان من أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة وتخفيف الوطأة على الجيش الإسلامي الذي واجه الصعوبة في فتح بيت المقدس (وقد أنزلت المنحنيات التي نصبها الروم

^١ - انظر: تاريخ الطبري ، محمد بن جرير ، ج ٣ ص ٦٠٨

^٢ - اللصت بفتح اللام : اللص في لغة طيء وجمعه لصوت انظر: لسان العرب ، ابن منظور ، ج ٢ ص ٨٤

^٣ - تاريخ الطبري ، محمد بن جرير ، ج ٣ ص ٦٠٩ ، والوثائق السياسية ، ص ٢٨٦ وقيل افتتحت إيلياء وأرضها على يدي عمر في ربيع الآخر سنة ست عشرة انظر تاريخ الطبري ج ٣ ص ٦١٠ .

على أسوار مدينة بيت المقدس خسائر فادحة بالعرب الذين قاسوا الأمرين من شدة الرد وقد حاصر المسلمون هذه المدينة أربعة أشهر لم ينقطع فيها القتال^(١) ومن ضمن الشروط التي اشترطها الفاروق على أهل إيلياء إخراج كل من يعادى المسلمين من مدينتهم مثل اليهود والروم أو يخل بالأمن كالألصوص لأن ذلك ينافي الحفاظ على مكتسبات الدعوة ويعرض الأمن للخطر ومن واجب المسلمين تأمين المدينة من العدو الخارجي والداخلي الذي يسبب القلق والاضطراب بين السكان والمقيمين بها .

وفي الجبهة الشرقية تمت معاهدات كثيرة في عهد الفاروق يتضح من نصوصها أنها كانت من أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة فمنها معاهدة عبد الله بن عبد الله بن عتبان الأنصاري^(٢) مع أهل إصبهان ونصها . (بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب من عبد الله للفاذ وسفان وأهل إصبهان وحواليها إنكم آمنون ما أديتم الجزية ، وعليكم من الجزية بقدر طاقتكم في كل سنة تؤدونها إلى الذي يلي بلادكم عن كل حالم ، ودلالة المسلم وإصلاح طريقه وقراه يوماً وليلة وحملان الراجل إلى مرحلة ، لا تسلطوا على مسلم وللمسلمين نصحكم وأداء ما عليكم ، ولكم الأمان ما فعلتم ، وإذا غيرتم شيئاً أو غير مغير منكم ولم تسلموه فلا أمان لكم ومن سب مسلماً بلغ منه فإن ضربه قتلناه)^(٣) .

إن الناظر في مثل هذه المعاهدات يتبين له أن المجاهدين الذين كانوا يجرون هذه المعاهدات هم ممن قال الله فيهم ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾^(٤) وقال عز وجل ﴿ أذِلَّةٍ

^١ - تاريخ الإسلام حسن إبراهيم ج ١ ص ٢٣٠

^٢ - كان شجاعاً بطلاً من أشراف الصحابة ومن وجوه الأنصار حليفاً لبني الحلبى من بني أسد انظر: تاريخ الطبري ،

محمد بن جرير ، ج ٤ ص ١٣٨

^٣ - المرجع السابق ، ج ٤ ص ١٤١ هذه المعاهدة سبقتها معاهدة وقعها النعمان بن مقرن مع أهل — ماه بمراذن — مشاهمة لها في الشروط وأخرى وقعها حذيفة بن اليمان مع أهل — ماه دينار — سنة واحد وعشرين انظر: تاريخ

الطبري ج ٤ ص ١٣٦-١٣٧

^٤ - الفتح آية : ٢٩

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكٰفِرِينَ مُجْتَهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَخَافُونَ
لَوْمَةً لَّآئِمَةً ﴿١٠٠﴾^(١)، وعزة المسلم ليست لشخصه وإنما عزته لما يحملة من
هذا الدين فالتعدي عليه هو التعدي على الدين ولذلك عظمت عقوبة من
ينتهك حرمة بالسب أو الضرب .

والمسلم المجاهد في تلك البلاد النائية عن موطنه الأصلي كان يحتاج
لوضع تلك الإجراءات لحمايته مما يواجهه من الصعوبات والمخاطر في الطرق
التي يسلكها وانقطاع الزاد والراحلة أحياناً وقلة الناصر والمعين خاصة إذا
تخلف عن الجيش أو فارقه في الطريق لسبب أو لآخر فلزم من أجل ذلك
الحفاظ على مكتسبات الدعوة اتخاذ مثل هذا الإجراء الاحتياطي والوقائي
لحمايته.

أما الجبهة المصرية وما جاورها من البلاد تمت فيها أيضاً بعض
المعاهدات في عهد الفاروق من أهمها معاهدة عمرو بن العاص مع أهل مصر
وهذا نصها

(بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من
الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم لا
يدخل عليهم شئ من ذلك ولا ينقص ولا يساكنهم النوب وعلى أهل مصر أن
يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف
ألف وعليهم ما جنى لصوتهم ، فإن أبي أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من
الجزء بقدرهم ، وذمتنا من أبي بريئة وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى

رفع عنهم بقدر ذلك ومن دخل في صلحهم من الروم والنوب فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا . عليهم ما عليهم أثلاثا في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم على ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين ، وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا ، وكذا وكذا فرساً على ألا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة .. فدخل في ذلك أهل مصر كلهم وقبلوا الصلح (١) .

خضعت مصر لحكم الدولة الإسلامية بعد معارك طاحنة قادها عمرو بن العاص والزبير بن العوام وبموجب هذا الصلح أصبحت مصر ولاية من الولايات الإسلامية وأرضا آمنة ينطلق منها المجاهدون للفتوح إلى إفريقية والمغرب العربي والأندلس فكان هذا الصلح له أثر كبير في الحفاظ على مكتسبات الدعوة ونشرها والله الحمد .

ويمكن الاكتفاء بهذه النماذج من المعاهدات في عهد الفاروق رضي الله عنه والعبور إلى عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقد تواصلت المعاهدات والفتوحات في عهده وانتقضت بعض البلاد فأمر بإعادتها فعاتت وصالحت مرة أخرى ، كـ كالا سكندرية وأهل الري وأهل أرمينية، وأذر بيجان ، وخراسان (٢) ، وغيرها وفتحت بلاد جديدة وتمت المعاهدات مع أهلها منها في الجبهة الشرقية معاهدة مع أهل (مروروذ) ونصها

١- تاريخ الطبري ، محمد بن جرير ، ج ٤ ص ١٠٩ ، وعنه الوثائق السياسية ، ص ٢٩٣ ، والبداية والنهاية ، ابن كثير ،

ج ٧ ص ١٠٠-١٠١

٢- انظر: الكامل ، ابن الأثير ، ج ٣ ص ٨١-١٢٨

(بسم الله الرحمن الرحيم) من صخر بن قيس أمير الجيش إلى باذان مرزبان مروروذ ومن معه من الأساورة والأعاجم سلام على من اتبع الهدى وآمن واتقى، أما بعد فإن ابن أخيك ماهك قدم عليّ فنصح لك جهده وبلغ عنك وقد عرضت ذلك علي من معي من المسلمين وأنا وهم فيما عليك سواء وقد أجبناك إلى ما سألت وعرضت علي أن تؤدي عن أسرتك وفلاحيك والأراضين ستين ألف درهم إليّ وإلى الوالي من بعدي من أمراء المسلمين إلا ما كان من الأراضين التي ذكرت أن كسرى الظالم لنفسه أقطع جد أبيك لما كان من قتله الحية التي أفسدت الأرض وقطعت السبل . والأرض لله ولرسوله يورثها من يشاء من عباده ، وإن عليك نصرة المسلمين وقاتل عدوهم بمن معك من الأساورة إن أحب المسلمون ذلك وأرادوه ، وإن لك على ذلك نصرة المسلمين على من يقاتل من وراءك من أهل ملتك جار بذلك مني كتاب يكون لك بعدي ولا خراج عليك ولا على أحد من أهل بيتك من ذوي الأرحام ، وإن أنت أسلمت واتبعت الرسول كان ذلك من المسلمين العطاء والمترلة والرزق وأنت أخوهم ولك بذلك ذمتي وذمة أبي وذمم المسلمين وذمم آبائهم...) (١)

هذه المعاهدة لم يلتزم فيها الجانب المسلم بحماية المعاهد بل عليه نصرة المسلمين إن احتاجوا إلى ذلك وأرادوه مع دفعه للحزبية . وشبيهة بما معاهدة المسلمين مع أهل (قيرص) الذين كانوا يدفعون للروم سبعة آلاف دينار

١- تاريخ الطبري ، محمد بن جرير ، ج ٤ ص ٣١٠-٣١١

فاشترط عليهم المسلمون أن يدفعوا مثله لهم (وليس على المسلمين منعهم ممن أرادهم ممن وراءهم ، وعليهم أن يؤذنوا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم ويكون طريق المسلمين إلى العدو عليهم) ^(١) .

وهذا يدل على اتساع مجال المعاهدات والمصالحات بحسب الظروف والوقائع الزمانية والمكانية وتكون بأنماط مختلفة وشروط متعددة ومتباينة يراعى فيها جانب الحفاظ على مكتسبات الدعوة ونشرها ومصالحة المسلمين العامة .

وفي الجهة المصرية صالح عبد الله بن سعد أهل النوبة وذلك عندما (ولاه إياها عثمان بن عفان رضي الله عنه صالحهم على هدية عدة رؤس منهم يؤدوهم إلى المسلمين في كل سنة ، ويهدي إليهم المسلمون في كل سنة طعاما مسمى وكسوة من نحو ذلك) ^(٢) وقد ورد نص هذه المعاهدة مكتملا في موضع آخر .

(بسم الله الرحمن الرحيم الله ، عهد من الأمير عبد الله بن سعد ابن سرح لعظيم النوبة . ولجميع أهل مملكته عهد عقده على الكبير والصغير من النوبة من حد أرض أسوان إلى حد أرض علوة ، إن عبد الله بن سعد جعل لهم أماناً وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين وأهل الذمة ، إنكم معاشر النوبة آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا نحاربكم ولا تنصب لكم حربا ولا نغزوكم ما أقمتم على الشرائط التي

^١ - الكامل ، ابن الأثير ، ج ٣ ص ٩١ ، مع ذكر الخلاف في سنة فتحها فقبل سنة ثمان وعشرين وقيل تسع وعشرين وقيل ثلاث وثلاثين

^٢ - تاريخ الطبري ، محمد بن جرير ، ج ١١١

بيننا وبينكم على أن تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه ، وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو يطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم ، وأن عليكم رد كل آبق (عبد هارب) خرج إليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه إلى أرض الإسلام ولا تسلوا عليه ولا تمنعوا منه ولا تتعرضوا لمسلم قصده وحاوره إلى أن ينصرف عنه ، وعليكم حفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ولا تمنعوا منه مصلياً وعليكم كنسه وسراجه وتكرمته ، وعليكم في كل سنة ثلاثمائة وستون رأساً تدفعونها إلى إمام المسلمين من أوسط رقيق بلادكم غير المعيب يكون فيها ذكران وأناث ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم تدفعون ذلك إلى والي أسوان ، وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ولا منعه عنكم من حد أرض علوة إلى أرض أسوان^(١) .

إن قبول التوبة بهذه المعاهدة لم يكن بالأمر السهل لما عرفوا به من قوة البأس والخبرة بالرمي وقد كانت المواجهة الأولى معهم سنة عشرين وقيل سنة إحدى وعشرين (فرجع المسلمين بالجراحات وذهب الحدق لجودة رميهم ، فسموهم رمات الحدق)^(٢) .

أما المواجهة الثانية فكانت ، في سنة إحدى وثلاثين في خلافة عثمان - رضي الله عنه - وقد تمياً واستعد عبد الله بن سعد لهذه المواجهة (وحصرهم في مدينة دنقله حصاراً شديداً ورماهم بالمنجنيق ولم تكن التوبة تعرفه وخسف

١- الخطط القريري ج ١ ص ٣٧٥ دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، دون تاريخ طبع

٢- الكامل ، ابن الأثير ، ج ٢ ص ٥٦٧

بهم كنيستهم بحجر فبهزهم ذلك وطلب ملكهم واسمه قليدوا روث الصلح^(١) بعد أن تيقن أن الغلبة للمسلمين وأن الفرصة المناسبة أمامه هي توقيع المعاهدة والقبول بالجزية من أجل الحفاظ على أرضه وشعبه وقد تم ترسيم حدود المعاهدة من علوة إلى حد أرض أسوان ومن حد أرض أسوان إلى حد أرض علوة واشترط فيها الحفاظ وعدم التعدي على رعايا الدولة الإسلامية من مسلم ومعاهد ، ورد كل عبد فر إلى النوبة ، لأنه مكتسب من مكتسبات الدعوة فلزم الحفاظ عليه ويلزمهم أيضاً بموجب هذه الاتفاقية الحفاظ على المسجد الذي بجوار مدينتهم والقيام بما يحتاجه من إضاءة وكنس وعدم منع من قصده للصلاة من المسلمين ، ولا يلتزم الجانب المسلم بحماية النوبة لمن اعتدى عليهم من غير المسلمين مما يدل على أن بنود هذه المصالحة كلها كانت من مصلحة الدعوة والحفاظ على مكتسباتها ، كما أن عهد عثمان رضي الله عنه يعد امتداداً لعهد الفاروق رضي الله عنه لما حفل به بالكثير من المعاهدات والفتوحات المتواصلة من أجل نشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها .

وأما عهد علي رضي الله عنه فبالرغم مما تعرض له من الفتن الداخلية والخلافات السياسية التي أدت إلى القتال بين المسلمين ، فإنه تمكن من الحفاظ على الأراضي المفتوحة وإعادة من نقض العهد وإجباره على توقيع معاهدات جديدة ففي سنة سبع وثلاثين (بعث علي جعدة بن هبيرة المخزومي إلى خراسان بعد عودته من صفين فأنتهى إلى نيسابور وقد كفروا وامتنعوا فرجع

١- الخطط ، المقرئزي ، ج ١ ص ٣٧٤

إلى على ، فبعث خلود بن قره اليربوعي فحاصر أهلها حتى صالحوه وصالحه أهل مرو^(١) .

وفي سنة ثمان وثلاثين أراد أهل فارس أن يمنعوا الخراج فأرسل إليهم على رضي الله عنه زياد بن أبيه (في جمع كثير فوطئ بلاد فارس فأدوا الخراج واستقاموا)^(٢) ، وواصل زياد زحفه إلى البلاد المجاورة ففي سنة تسع وثلاثين أخضع أهل (كرمان إلى دفع الخراج كما فعل بأهل فارس ثم عاد إلى فارس واستقر بها)^(٣)

هذه بعض الإشارات التي تدل على أن الإمام علي رضي الله عنه رغم انشغاله بالأوضاع الداخلية لم يمنعه من الحفاظ على الثغور وإعادة من انتهز فرصة انشغال المسلمين وأراد التمرد والتخلي عن المعاهدات التي تم توقيعها .

إن جميع المعاهدات والمصالحات والمهادنات التي أبرمت سواء كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أم في عهد خلفائه الراشدين رضي الله عنهم كان مجالها نشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها وإظهار عزة المسلم وإعلاء كلمة الله وسلطان الحق والعدل بين الناس وقد تحقق كل ذلك والله الفضل والمنة وبه تم الفصل ويليه بإذن الله فصل القيام بالجهاد في سبيل الله حفاظاً على مكتسبات الدعوة .

١- الكامل ، ابن الأثير ، ج ٣ ص ٣٢٦

٢- المرجع السابق ، ج ٣ ص ٣٦٧

٣- المرجع السابق ، ج ٣ ص ٣٨٢

الفصل السادس

القيام بالجهاد في سبيل الله حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المبحث الأول : الظروف التي شرع فيها الجهاد حفاظاً على مكتسبات

الدعوة

المبحث الثاني : الإعداد للجهاد حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المبحث الثالث : الأخذ بعوامل النصر حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المبحث الأول : الظروف التي شرع فيها الجهاد حفاظاً على مكتسبات الدعوة :

ويتضمن مطلبين :

المطلب الأول : الظروف التي سبقت تشريع الجهاد

المطلب الثاني : التدرج في تشريع الجهاد

تعريف الجهاد

الجهاد لغةً :

(محاربة الأعداء، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل)^(١)
 (هو المبالغة واستفراغ ما في الوسع و الطاقة من قول أو فعل يقال جهد الرجل في شئ أي
 جد فيه وبالغ وجاهد في الحرب مجاهدة وجهاداً)^(٢)
 وهو أيضاً (بكسر الجيم مصدر جاهدت العدو مجاهدة وجهاداً .. وهو مشتق من الجهد
 بفتح الجيم وهو التعب والمشقة لما فيه من ارتكابها أو من الجهد بالضم وهو الطاقة لأن كل
 واحد منهما بذل طاقته في دفع صاحبه)^(٣) .

الجهاد اصطلاحاً :

هو بذل الجهد في قتال الكفار^(٤) ؛ لنصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله^(٥) ، فهو من
 أعظم وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة ونشرها .
 (و القتال في الإسلام لا يكون قط إلا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله سبحانه
 وتعالى وتأمين دينه وحماية نشر دعوته والدفاع عن حربه حتى لا يغلبوا على حقهم ولا
 يصدوا عن إظهار أمرهم والحفاظة على المسلمين عامة وبلادهم وممتلكاتهم من الطامع
 المهاجم إذا هم باغتصابها أو التمتع بخيراتها أو يآذ لا لهم في أي بقعة من أرض الله)^(٦)
 فهو مشروع لنشر الدعوة وحمايتها والحفاظ على مكتسباتها.

^١ - لسان العرب ، ابن منظور ، ج ٣ ص ١٣٥ ، مادة ، جهد .

^٢ - النهاية في غريب الحديث ، ابن الأثير ج ١ ص ٣١٩

^٣ - إرشاد الساري للقسطلاني ج ٥ ص ٣١

^٤ - فتح الباري ، ابن حجر ج ٦ ص ٢

^٥ - إرشاد الساري ، القسطلاني ، ج ١ ص ٣١٩

^٦ - القتال في الإسلام ، أحمد نار ص ١٧ ، ط ٢ - ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م الدار السعودية ، جدة

المطلب الأول : الظروف التي سبقت تشريع الجهاد

منذ أن صدع النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الله تعالى، والمشركون يكيّدون للإسلام ولنبيه وللمسلمين، ويسومونهم سوء العذاب .

وقد وصف صلى الله عليه وسلم تلك الظروف التي مرت به وهو الصادق المصدوق بقوله (لقد أخفت في الله عز وجل وما يخاف أحد ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولا ليلال طعام يأكله ذو كبد إلا شئ يواريه إبط بلال)^(١) .

لقد تحمل صلى الله عليه وسلم الكثير من صنوف الأذى في سبيل نشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها خاصة في مراحلها الأولى، فقد استخدمت قريش كل وسائل الاضطهاد والإهانة ضده، حتى يثبته عن دعوته، لكنه صلى الله عليه وسلم صمد لهم وصبر صمود الجبال الرواسي أمام العواصف أو أشد حتى شقت دعوته طريقها إلى الشعوب والأمم وأخرجتهم من ظلمة الجهل والكفر والشرك إلى نور العلم والإيمان والهدى إلى صراط الله المستقيم .

لقد أوذى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أشد الأذى في مكة، وتعرض للمحن فـ (بينما النبي صلى الله عليه وسلم ساجد وحوله ناس من قريش جاء عقبة بن أبي معيط بسلا جزور فقذفه على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره ودعت على من صنع)^(٢)، ولم يكتف عدو الله عقبة بن أبي معيط بهذه الفعل الشنيعة بل واصل أذاه لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال

^١ - رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٣ ص ٢٨٦، قال الأرئوط : إسناده صحيح على شرط مسلم ج ٢١ ص

٤٤٣ ، وقال الألباني في صحيح الجامع : صحيح ، ج ٢ ص ٩١١

^٢ - رواه البخاري كتاب مناقب الأنصار ٦٣ باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من المشركين بمكة ٢٩

عروة بن الزبير (سألت ابن عمر بن العاص قلت أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلى في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾^(١)، أما عقبة بن أبي معيط فقد أخذ بجريرته وقتل يوم بدر صيراً^(٢) .

ومن أشد أعداء رسول الله وأكثرم أذية له بالقول والفعل أبو جهل لعنه الله فقد قال في ملا من قريش (يا معشر قريش إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آباتنا وتسفيه أحلامنا وسب آلهتنا وأبي أعاهد الله لأجلس له غداً بحجر فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم فلما أصبح أبو جهل لعنه الله أخذ حجراً ، ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره ، وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو .. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى وقد غدت قريش فجلسوا في أنديةهم ينتظرون ، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنى منه رجع منبهتها ممتقعا لونه مرعوباً قد ييست يدها على حجره حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجال من قريش فقالوا له : ما بك يا أبا الحكم ؟ فقال قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط فهم أن يأكلني^(٤) ، ولم يعتبر أبو جهل ويأخذ درساً من هذه الحادثة وغيرها بل واصل

١- غافر آية : ٢٨

٢- رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار ٦٣ باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة

٢٩ حديث ٣٨٥٦ ص ٧٨٨

٣- انظر : سيرة ابن هشام ج ١ ص ٧٠٨

٤- البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ٣ ص ٤١

أذاه ومكيدته للتخلص من الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته وهو الذي أقترح قتله حين انعقد برلمان قريش للنظر فيما يقومون به للتخلص من رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوته قال تعالى ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ (١) .

واستمر أبو جهل في طغيانه وجبروته ومكيدته إلى أن تم القضاء عليه في غزوة بدر مع أمثاله من صنديد قريش وسحب إلى قلب بدر غير مأسوف عليه ومن الذين سعوا في أذية النبي صلى الله عليه وسلم وعرقلة دعوته كي لا تنتشر عمه أبو لهب وزوجته أم جميل قال ابن كثير (وتسلط عليه وعلى من تبعه من أحاد الناس من ضعفائهم الأشداء الأقوياء من مشركي قريش بالأذية القولية والفعلية وكان من أشد الناس عليه عمه أبو لهب .. وامرأته أم جميل) (٢) ، وقد أنزل الله في حقهما سورة تتلى تتحدث عن خزيهما وخسارتهما في الدنيا والآخرة (٣) .

ولم يقتصر الأذى على شخص النبي صلى الله عليه وسلم بل تعداه إلى الصحابة الذين آمنوا به وصدقوه ونالوا صنوف الأذى والتعذيب وتعرضوا للأضرار البدنية والنفسية والمادية قال : ابن إسحاق (ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يجسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه ، ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم) (٤) .

١- الأنفال آية : ٣٠

٢- البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ٣ ص ٣٩

٣- هي سورة ، المسد

٤- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣١٧

فإذا كانت هذه حال النبي صلى الله عليه وسلم وحال الصحابة قبل تشريع الجهاد فما هي الوسائل التي استخدمت لتخفيف هذه الوطأة على النفوس والمضي في طريق الدعوة دون كلل وملل؟ الحقيقة أن الوسيلة التي كانت أمامهم في تلك المرحلة والشعار المرفوع هو (الصبر على الأذى والحرمان والصفح عن الإساءة والعدوان .. وذلك لأن الدعوة وليدة عهد جديد وفي مرحلة النمو والتكوين .. فإشهار السلاح في تلك الفترة والحال كما ذكر ضرره أكبر من نفعه ، إذ قد يؤدي إلى هلاك المسلمين وإبادتهم جميعاً ، أو قد يؤدي إلى قتل الرسول صلى الله عليه وسلم والقضاء على الرسالة بالكلية)^(١)، وهو ما كانت تسعى له قريش لكنها لم تفلح في ذلك وآيات القرآن التي كانت تنزل في تلك المرحلة تأمر بالصبر والصفح والإعراض عن المشركين وعدم مجاراتهم والدخول معهم في حرب غير متكافئة حفاظاً على مكتسبات الدعوة قال تعالى :

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾^(٢) وقال

﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾^(٣)

^(٤) وقال تعالى: ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾^(٥) وقال عز وجل ﴿ فَأَعْفُ عَنْهُمْ

وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٦) وقال عز وجل:

﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٧)، وقال تعالى ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ

وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(٨) .

^١ - الجهاد سيلنا ، عبد الباقي عبد القادر ص ١٨ ، ط ، ١ - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، مطابع الشمال الكبرى ، تبوك ١

^٢ - الروم آية : ٦٠

^٣ - النحل آية : ١٢٧

^٤ - الحجر آية : ٨٥

^٥ - المائدة آية : ١٣

^٦ - الأنعام آية : ١٠٦

^٧ - الأعراف آية : ١٩٩

وقص الله على نبيه قصص الأنبياء وما جرى لهم من الأذى وشدة وكيف صبروا على ذلك تثبيتاً له ولأئمة قال تعالى ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِمْ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١)، فكان عندما يأتي الصحابة إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشتكون شدة الأذى الذي يصيبهم من قريش يخفف من آلامهم بقص ما جرى للمؤمنين السابقين لهم من شدة العذاب والقتل وثباتهم على دينهم. قال خباب (أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة ولقد لقينا من المشركين شدة فقلت ألا تدعوا الله لنا ؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ، ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع الميشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله "زادبيان:" والذئب على غنمه)^(٢)

فالحديث فيه تثبيت وتصبير من جانبيين من جانب أن الذي وقع للصحابة من الأذى وقع أشد منه للمؤمنين السابقين لهم فصبروا فهذا يدعوهم إلى تحمل ما يلاقونه من الأذى . أما الجانب الثاني أن ما هم عليه من الأذى سيزول بعد فترة وأن دعوتهم ستنتصر والعدل والأمن سينتشر وأن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة والمؤمن حياته كلها لا تخلو من الجهاد فهو إما في جهاد النفس والشيطان أو جهاد الكفار فكان الجهاد في المرحلة المكية (جهاد النفس بتقويتها وتزكيتها وتطهيرها وإصلاحها لتكون وتبقى آمنة مطمئنة راضية قوية الإيمان راسخة اليقين)^(٣) لا يزعزعها إرجاف المرجفين ولا يهون من عزيمتها كيد الكافرين .

^١ - هود آية : ١٢٠

^٢ - رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار ٦٣ باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ٢٩ حديث ٣٨٥٢ ص ٧٨٧ .

^٣ - الجهاد سبيلنا ، عبد الباقي عبد القادر ، ص ٢٢ .

(وإذا كان الدعاة في مكة قد نهوا عن استعمال السيف والسنان في مقابلة العدوان فإنهم كانوا مأمورين بمجاهدة الكفار بالعلم الذي استقوه من القرآن والحجة والبيان قال عز وجل ﴿ فَلَا تُطِيعِ الْكٰفِرِينَ وَجٰهِدْهُمْ بِمِ جِهَادٍ كَبِيرًا ﴾^(١) وهذه آية من سورة الفرقان وهي مكية ، والمقصود جهادهم بما في القرآن من حق وفرقان وتنفير لما هم عليه من العقائد الباطلة والقيم الهابطة .

وهكذا فقد كانت هذه المرحلة أولى مراحل الجهاد خاضت فيها الجماعة المؤمنة معارك قاسية ضد العقائد الفاسدة والأخلاق والقيم والموازين الجاهلية وشهوات النفس ونوازعها في معارك أشد هي حقيقتها من معارك السيوف والرماح ، وقد كان لا بد من الانطلاق منها لأنها كالأساس للمراحل الأخرى ولا يقوم بناء بغير أساس^(٢) الوسيلة الثانية التي استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم للتخفيف عن أصحابه من وطأة قريش هي البحث عن الحماية خارج مكة وبموجب ذلك تحققت الهجرة إلى الحبشة ثم المدينة وقد تقدم الحديث عنهما في مبحث مستقل .

ولا شك من أن الظروف التي مرت على الصحابة ومن سبقهم من المؤمنين ، قد تمر على المؤمن في كل زمان أو مكان فليكن الأخذ بمنهجهم في التعامل معها والحفاظ على مكتسبات الدعوة .

و (إنما قص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم لتكون عبرة لنا فنشبه حالنا بحالهم ونقيس أواخر الأمم بأوائلها فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بما كان للمؤمن من المتقدمين ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المتقدمين قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾^(٣) (٤) .

١- الفرقان آية : ٥٢

٢- الجهاد ميادينه وأساليبه د/ محمد نعيم يا سين ص ٦٧، ط، ١- ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م ، مكتبة الأقصى، عمان ، الأردن

٣- يوسف آية : ١١١

٤- ثلاث رسائل في الجهاد، شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٥٥، ط، ١- ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، دار النفائس، الأردن

وعموماً الظروف التي تعرض لها المسلمون في المرحلة المكية من اضطهاد وأذى مما اضطرتهم للفرار بدينهم وما لا قوة أثناء الهجرة من الملاحقة والإعادة وسلب الأموال والإستيلاء على الممتلكات والأثاث كل ذلك وغيره قد هيأهم وشوقهم لتشريع الجهاد لا استعادة كرامتهم والقتصاص من عدوهم برفع راية الجهاد عالية خفاقة يقاتلوا تحتها كل من يقف أمام الدعوة لعرقلة سبيلها من الوصول إلى قلوب العباد وبسط سيطرتها على أرض الله الواسعة وضد كل من يريد أن ينال من مكتسبات الدعوة .

المطلب الثاني : التدرج في تشريع الجهاد حفاظا على مكتسبات الدعوة :

قبل الحديث عن التدرج في تشريع الجهاد في الإسلام يجدر الإشارة إلى أن القتال لم يكن بدعا في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم بل كان مشروعاً في شريعة موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء عليهم السلام.

وقد ذكر الله قصة موسى مع قومه عندما أمرهم بالجهاد معه ودخولهم بيت المقدس و ﴿ قَالُوا يَمْوَسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا ۗ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ١ قال رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۗ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ٢ قال فَإِنَّهَا حُرْمَةٌ عَلَيْهِمْ ۗ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ٣ ﴿١﴾

والمقصود إن (الله قد فرض عليهم جهاد عدوهم ليخرجوه من ديارهم فوعظهم موسى عليه السلام وذكرهم ليقوموا على الجهاد)^(١)، لكنهم جنبوا ولم يطيعوا نبيهم فعاقبهم الله بالتية .

وبالنظر إلى دواعي الحروب والقتال الذي كان ينشب بين الجماعات والأمم يظهر أنها متباية ، ولها أسباب متعددة منها ما يأتي :

(السبب الأول : يكون للغيرة والمنافسة ، وأكثر ما يجري هذا بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة والحروب التي من هذا القبيل ليست إلا حروب بغية وفتنة.

السبب الثاني : مجرد عدوان وأكثر ما يكون هذا بين الأمم المتوحشة الساكنين في البراري والقفار وهم الذين جعلوا أرزاقهم في رماحهم ومعاشهم بأيدي غيرهم ، ومن دافعهم عن متاعه آذنوه بالحرب لا بغية لهم فيما وراء ذلك من رتبة أو مال وهذا النوع من الحروب

^١ - المائدة الآيات : ٢٤-٢٦

^٢ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ عبد الرحمن السعدي ، ص ١٨٩

أشد بغياً وفساداً في الأرض وهذه الصفة من الحروب تنطبق اليوم على الحروب التي تشنها الدول الكبيرة على الدول الصغيرة لتستعمرها وتستغلها في مصالحها .

السبب الثالث : تدعيم الملك وتوطيد أركانه وتثبيت دعائمه وذلك يكون بين الدولة والخارجين عليها والمانعين لطاعتها وهم الذين يسمون بالبغية ويطلق عليها الحروب الأهلية

السبب الرابع : الحروب التي تسمى في الشريعة الإسلامية الجهاد وأكثر ما يكون ذلك

لرد المعتدين وإعلاء كلمة الحق والدين وهذه الحروب حرب جهاد وعدل^(١)

وللجهاد في الإسلام مقاصد نبيلة وعظيمة وسامية يمكن ذكر البعض منها :

١- رد العدوان والدفاع عن النفس والأهل والمال والوطن والدين

٢- تأمين حرية الدين والعقيدة للمؤمنين

٣- حماية الدعوة حتى تبلغ الناس جميعاً

٤- تأديب ناكثي العهد من المعاهدين أو الفئة الباغية على جماعة المؤمنين

٥- إغاثة المظلومين من المؤمنين أينما كانوا والانتصار لهم من الظلم^(٢)

٦- تذليل العقبات التي تعترض طريق الدعوة الإسلامية

فالقتال في الإسلام هو مركب يعبر عليه المسلمون ليقيموا دولة الإسلام وينشروا العدل والسلام ولا ضير عليهم أن يحملوا السلاح من أجل أهداف نبيلة ومقاصد سامية فجهادهم يرمي إلى إحقاق الحق ، وإبطال الباطل ، ورفع راية الإسلام وتحقيق العبودية الخالصة لله وحده لا شريك له ، والتمكين لإقامة شرع الله ، وتطبيق منهجه سبحانه .

^١ - غاية الإرشاد إلى أحكام الجهاد ، الشيخ فرج محمد غيث ص ٦١، ط١ - ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م ، شركة مصطفى الباي الحلبي وأولاده ، بمصر

^٢ - الإعداد المعنوي للقتال في الإسلام ، العميد فيصل بن جعفر بالي ص ٢٨-٣٠، ط٢ - ١٤١٢هـ مطبعة سفير، الرياض

أما ما يتعلق بموضوع التدرج في تشريع الجهاد فإن رسول صلى الله عليه وسلم مكث في مكة ثلاث عشرة سنة ولم يشرع له الجهاد في تلك الفترة كل ما كان يطلبه من القبائل التي كان يعرض نفسه عليها الحماية حتى يبلغ دعوته ولم يطلب منهم النصر والجهاد أو القتال ضد عدوه ومن أجل ذلك ذهب إلى الطائف بنفسه ومن أجل الحماية أمر الصحابة بالهجرة إلى الحبشة ثم المدينة وعندما وقع البيعة مع الأنصار في العقبة كان الاتفاق على حمايته مما يحموا منه أبنائهم ونسائهم ولذلك عندما قال الأنصار بعد تمام البيعة (إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيا فإنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن أرجعوا إلى رحالكم)^(١)، وأخفوا أمر بيعتكم لأن الظروف لم تنهياً والأمر بالجهاد لم يترل وبعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة من قبله وتأسس المجتمع الإسلامي بالمدينة واحتاج إلى حماية للحفاظ على مكتسباته ونشر دعوته جاء تشريع الجهاد متدرجاً كغيره من التشريعات الأخرى، قالت عائشة رضي الله عنها مبينة فائدة التدرج في الشريعة عموماً :

(إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً ولو نزل لا تزنا لقالوا : لا ندع الزنا أبداً)^(٢) (ولم تكن شريعة الجهاد بمعزل عن هذه السنة بل هي أولى الشرائع بذلك .. لماذا ؟ لأنها لا تتعامل مع طبيعة الإنسان وما جبل عليه .. — فحسب بل هي أرحب وأوسع وأشمل، فهي تتعامل مع الواقع —

^١ - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٤٨

^٢ - رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ٦٦ باب تأليف القرآن ٦ حديث ٤٩٩٣ ص ١٠٨٧

وتغيراته من زمان إلى زمان أو مكان إلى آخر^(١)، فبينما كان القتال ممنوعاً في المرحلة المكية بدأ تشريعه في المرحلة المدنية بالإذن والإباحة دون الأمر به وإيجابه جملة واحدة قال تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ۖ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝﴾ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هَدَمْتَ صَوْمِعُ وَيَعُجُ وَصَلَوْتُ وَمَسَجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝﴾^(٢) .

قال ابن القيم رحمه الله مبينا التدرج في تشريع الجهاد من خلال هذه الآيات (فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأيده الله بنصره، وعباده المؤمنين الأنصار، وألف بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التي كانت بينهم، فمنعته أنصار الله وكتيبة الإسلام من الأسود والأحمر، وبذلوا نفوسهم دونه وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج وكان أولى بهم من أنفسهم، رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة وشمروا لهم عس ساق العداوة والمحاربة، وصاحوا بهم من كل جانب، والله سبحانه يأمرهم بالصبر والعفو والصفح حتى قويت الشوكة واشتد الجناح، فأذن لهم حينئذ في القتال ولم يفرضه عليهم.. ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ﴾^(٣)، ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة وكان محرماً، ثم مآذوناً به ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ثم مأموراً به لجميع المشركين إما فرض عين

^١ - انظر: الثمرات الجياد في مسائل فقه الجهاد، أحمد بن نصر الله المصري ص ٢٠، في ١٢/٢٥/١٤١١هـ - دار

المجتمع، جدة

^٢ - الحج الآيات : ٣٩-٤١

^٣ - البقرة آية : ١٩٠

على أحد القولين أو فرض كفاية على المشهور^(١) ومن أدلة فرض الجهاد كافة قوله تعالى:

﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾^(٢) وقال عز وجل ﴿ فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٣)، وقال سبحانه ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾^(٤).

والناظر في سرايا الرسول صلى الله عليه وسلم وغزواته وتعامله مع مخالفه في العقيدة عموماً يجد هذا التدرج في تشريع الجهاد واضحاً، فإنه صلى الله عليه وسلم عقد العهد مع اليهود في المدينة وهادن القبائل المشركة حولها ولم يبادئهم بالقتال إنما وجه جهده وجهاده حين أذن له بالقتال إلى قريش الذين ظلموا واعتدوا عليه وعلى أصحابه بصنوف الأذى والاضطهاد وسلب الأموال والممتلكات ، فبدأ يرسل ضدهم السرايا ويغزو بنفسه لاعتراض غير قريش والتجسس على تحركاتهم وكان غالب من خرج في هذه السرايا والغزوات من المهاجرين (ولم يبعث الرسول صلى الله عليه وسلم أحداً من الأنصار مبعثاً حتى غزاهم بداراً وذلك أنهم شرطوا له أنهم يمنعونهم في دارهم)^(٥).

وأيضاً المقام والواقع يقتضي أن تكون المبادرة والمبادأة من المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق والأنصار يأتوا فيما بعد لنصرتهم ونجدتهم وقد تحقق

١- انظر : زاد المعاد ، ابن القيم ، ج ٣ ص ٦٩-٧١

٢- التوبة آية : ٣٦

٣- التوبة آية : ٥

٤- التوبة آية : ٢٩

٥- الطبقات الكبرى ابن سعد ٢ ص ٦

ذلك في بدر وما بعدها كما أن المرحلة الثانية في مشروعية الجهاد وهي قتال من قاتلهم بدأت عمليا في بدر وما بعدها حيث قاتل صلى الله عليه وسلم قبائل اليهود الذين نقضوا العهد وبعض القبائل الأخرى التي تحزبت مع قريش وبأدأوه بالقتال والعداوة فكانت ردود أفعال من باب قوله تعالى ﴿ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾^(١) :

وقوله عز وجل ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾^(٢)؛ وامتدت هذه المرحلة إلى فتح مكة والانتصار على قريش ثم جاءت المرحلة الثالثة من مراحل تشريع الجهاد (وهي مرحلة وجوب قتال الكفار جميعاً سواء اعتدوا بالفعل أم لم يعتدوا ولم يستثن في هذه المرحلة من القتال سوى المعاهدين ولم تدخل الدعوة بهذه المرحلة إلا بعد أن مكن الله للدعاة في الأرض وأصبح لديهم القدرة على مواجهة الباطل وأهله في كل مكان وكان ذلك بعد فتح مكة حيث خضع معظم العرب لحكم الله عز وجل ، فترلت بعد ذلك سورة براءة ووضعت الأحكام النهائية للعلاقة بين الدولة ودولة الكفار)^(٣) .

هذه المراحل والظروف التي مرت بها الدعوة من يوم أن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يوم وفاته قابلة للتكرار في أي زمان ومكان مع بعض المؤمنين إن لم يكن كلهم فليكن أسوقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتعاملوا معها كما تعامل معها ، وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى ذلك بقوله (فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف فليعمل بأية الصبر والصفح والعفو عن

١- البقرة آية : ١٩٤

٢- البقرة آية : ١٩٠

٣- الجهاد الإسلامي المعاصر ، حسني أدهم جرار ص ٣١

يؤذى الله ورسوله من الذين أتوا الكتاب والمشركين أما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين وبآية قتال الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون^(١)، فشيخ الإسلام لا يرى نسخ أي مرحلة من مراحل تاريخ الدعوة في عهدها المكي والمدني بما بعده إنما يعمل بكل مرحلة حسب ضعف المسلمين وقوتهم ويؤيد ذلك ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(٢)

، فيقول (آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك فأما إن كان العدو كثيفاً فإنه يجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه الآية الكريمة وكما فعل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص والله أعلم^(٣) .

وهذا يدل على سماحة الشريعة ونفي الحرج عمن لا يستطيع قتال الكفار ومواجهتهم جميعاً والأخذ بما استقر عليه من مراحل الجهاد النهائية، ومع ذلك ينبغي أن يسعى ويجد ويعد للوصول إلى أعلى درجات الجهاد كما وصل إليه المسلمون في عهد الرسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه الراشدين رضي الله عنهم، ومن بعدهم .

^١ - الصارم المسلول على شاتم الرسول، شيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٢١، عالم الكتب في ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

^٢ - الأنفال آية : ٦١

^٣ - تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج ٢ ص ٣٢٣

المبحث الثاني : الإعداد للجهاد حفاظاً على مكتسبات الدعوة :

ويتضمن مطلبين :

المطلب الأول : الإعداد البشري للجهاد حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المطلب الثاني : الإعداد المادي للجهاد حفاظاً على مكتسبات الدعوة

المطلب الأول : الإعداد البشري للجهاد حفاظاً على مكتسبات الدعوة :

العنصر البشري هو الركيزة الأساسية في مجال الإعداد والجهاد في سبيل الله لأن العنصر البشري هو الذي يقوم بالتخطيط للجهاد واتخاذ القرار والتنفيذ ، فترتيبه التربية المتكاملة وإعداده للجهاد من أجل المهمات وأعظم الواجبات ، وتبدأ مرحلة الإعداد من يوم ولادة الطفل وتتضافر فيه عوامل مختلفة تبدأ بالوالدين وتؤثر فيها البيئة والرفاق والمجتمع عموماً فالتربية "هي من أهم العامل المؤثرة في سلوك الإنسان فهي التي تقوي ملكاته وتنمي قدراته وتمذب سلوكه حتى يصبح صالحاً للحياة أو بكلمة أخرى : التربية تنمي شخصية الطفل من الناحية الجسمية والعقلية والخلقية ، حتى يصبح قادراً على مؤالفة الطبيعة ويعمل على إسعاد نفسه وإسعاد الناس" (١) في كل ما يتعلق بأمر الدنيا والدين ومن أهم مقومات الإعداد والتربية التي يحتاجها المجاهد الإعداد الجسمي والنفسي لأن (الجهاد مشتق من المجاهدة والمكابدة لشدة ما فيه من المهام والأعباء والبأس والشدائد، والمشاق والمعاناة والمخاوف والمخاطر .. من حمل السلاح وعتاد وتأمين ذخيرة وزاد ، ومشى طويل وركض وقفز ، ومصادمات ومصارعات وكر وفر ومناورات ... إلى غير ذلك من أجواء الغبار واللهيب والدخان ، وفي جحيم الشظايا والقذائف والنيران وبين الأشلاء والجثث والدماء ... مع معاناة التعب والإرهاق والسهر والحرمان .. فالجهاد والحال هكذا يحتاج إلى أجسام مرنة رشيقة قوية ، وسواعد وعضلات فولاذية وعزائم وهمم عالية ومتينة كالجبال ، تتحمل كل هذه الألوان والأصناف من المشاق والمهام ، لا تكمل ولا تمل حتى نهاية المعركة ، التي تقصر أو تطول ، والتي قد تبرد وتحمي فلا بد إذن من انتقاء الأجسام المناسبة والملائمة للجهاد ومن ثم تدريبها قوة وعزيمة ، خفة ورشاقة خشونة وقسوة ... لتتمرس على الصعاب وتعود على المكاره ، حتى لا تفاجأ بما لم يكن بالحسبان ، فتتقاعس وتتأقل وتبوء بالفشل والنكوص والخسران) (٢)

١- الإعلام والبيت المسلم فهمي قطب الدين النجار ص ١٧، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، شركة الشعاع للنشر

الكويت

٢- الجهاد سييلنا عبد الباقي عبد القادر منصور ص ١٢٩

وعندما اختار الله طالوت لقيادة الجهاد ميزه بقوة العلم والجسم قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾^(١) فالعنى "إن الله زاده بسطة في العلم الذي هو ملاك الإنسان ورأس الفضائل وأعظم وجوه الترجيح ، وزاده بسطة في الجسم الذي يظهر به الأثر في الحروب ونحوها فكان قويا في دينه وبدنه وذلك هو المعبر لا شرف النسب فإن فضائل النفس مقدمة عليه"^(٢)

وقد أمر تعالى بإعداد القوة مطلقا للجهاد في سبيله في قوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾^(٣) أي كل ما تقدرن عليه من القوة العقلية والبدنية^(٤) التي تعينكم على واجب الجهاد في سبيل الله على أكمل وجه والحفاظ على مكتسبات الدعوة وقد أخبر صلى الله عليه وسلم بأن (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ..)^(٥) .

وتتضمن هذا القوة البدنية والعقلية والإيمانية وقوة السلطة كما يشير الحديث الآخر إلى ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)^(٦) .

فالقوة المطلوبة لإرهاب الكفار وأهل المعاصي والفجور ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم يشجع الصحابة رضي الله عنهم (على كل ما يحفظ لهم لياقتهم البدنية فكان يشجع على العدو وركوب الخيل والسباحة والمصارعة وغيرها من ألوان الرياضة .

وكان لكل من أصحاب الرسول رياضته المحببة التي يتفوق فيها على إخوانه : فعمر رضي الله عنه شغوف بركوب الخيل وعلي كان لا يدركه مدرك في العدو وطلحة والزبير كانا من أشد المصارعين مراساً ، والمقداد بن الأسود كان لقوته وبراعته يضرب الرجل بالسيف

^١ - البقرة آية : ٢٤٧

^٢ - فتح القدير ج ١ ص ٢٦٤

^٣ - الأنفال آية : ٦٠

^٤ - تيسير الكريم الرحمن ص ٦٨٥

^٥ - مسلم كتاب القدر ٤٦ باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ٨ حديث ٢٦٦٤ ص ١٠٦٩

^٦ - سبق تخرجه في ص : ٢٣٣ .

فيشطر نصفين.... وكان عليه الصلاة والسلام يشجع الجنود على صعود الجبال وعلى السباق وإن سباق سلمة بن الأكوع الأنصاري الذي لا يسبق شداً - أي عدواً على الرجلين - يشهد بتعلق الصحابة بالرياضة والفتوة (١) .

وقد ساعد ممارسة رياضة الجري على الأفدام في إنقاذ إبل النبي صلى الله عليه وسلم من غطفان قال : سلمة بن الأكوع (خرجت قبل أن يؤذن بالأولى وكانت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعى بذي قرد قال : فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال : أخذت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت من أخذها ؟ قال : غطفان قال : فصرخت ثلاث صرخات يا صباحاه قال : فأسمعت ما بين لا بيتي المدينة ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء فجعلت أرميهم بنبلي وكنت رامياً وأقول : أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع وأرتجز حتى استنقذت اللقاح منهم واستلبت منهم ثلاثين بردة ، قال : وجاء النبي صلى الله عليه وسلم والناس فقلت : يا نبي الله ، قد حميت القوم الماء وهم عطاش ، فابعث إليه الساعة فقال : يا ابن الأكوع ملكك فاسحح ، قال : ثم رجعنا ويردني رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته حتى دخلنا المدينة (٢) .

ولعل هذا الإرداف كان إكراماً له وتشجيعاً لغيره لما قام به من عمل نبيل فاق التخيلات فهو رجل واحد لكنه أمة في فكره وتصرفاته توفرت فيه قوة العدو وقوة الرماية فأعجز قراصنة غطفان وأنقذ منهم لقاح النبي صلى الله عليه وسلم بل ترك ما أثقلهم من أمتعتهم وملابسهم ولم يمكنهم حتى من شرب الماء الذي كانوا في أشد الحاجة إليه بعد فر وكر ومطاردات مع رجل يمثل قوة أمة وجيش مقدم فرضي الله عن ابن الأكوع وأمثاله من أبطال الصحابة الذين فهموا حقيقة إعداد القوة للحفاظ على مكتسبات الدعوة .

وتشجيعاً منه صلى الله عليه وسلم في اكتساب المهارة في الرمي والتفوق في المصارعة أذن بالانضمام في جيشه لمن كان دون السن المؤهلة للالتحاق بالجيش لمن علم منه أنه يتفوق على أقرانه في ذلك قال ابن هشام : (وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ

١-الإسلام والحرب أبو لياة حسين ص ٥٦-٥٧، ط١- ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، دار اللواء، الرياض

٢- رواه البخاري كتاب المغازي ٦٤ باب غزوة ذات قرد وهي الغزوة التي أغاروا فيها على لقاح النبي صلى الله

عليه وسلم ٣٨ حديث ٤١٩٤ ص ٨٦٤

أي يوم أحد - سمرة بن جندب ... ورافع بن خديج .. وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان قد ردهما فقبل له يا رسول الله إن رافعا رام ، فأجازه ، فلما أجاز رافعا قبل له يا رسول الله فإن سمرة يصرع رافعا فأجازه (١) بعد أن (أمرهما أن يتصارعا أمامه فتصارعا) (٢) فصرع سمرة رافعا وفاق كل واحد منهما الآخر في مجال معين من مجالات قوة الإعداد للجهاد .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث المسلمين على التدريب في جميع الأسلحة المتاحة لديهم منها الرمي بالنبل وغيرها قال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه (مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم ينتضلون فقال النبي صلى الله عليه وسلم " ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا ارموا وأنا مع بني فلان قال : فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالكم لا ترمون ؟ قالوا كيف نرمي وأنت معهم ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا فأنا معكم كلكم) (٣) ، وعن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي (٤) .

(والحديث ينوه بما لإصابة الأهداف من أثر حاسم في كسب المعارك والرمي أعم من أن يكون بالسهم أو بالرصاص أو بالقنابل) (٥) ، وقال ابن القيم (إن منفعة الرمي ونكايته في العدو فوق منفعة سائر آلات الحرب ، فكم من سهم واحد هزم جيشاً وإن الرامي الواحد ليتحاماها الفرسان ، وترعد منه أبطال الرجال هذا وإن السهم يريد الموت ترسله إلى عدوك فيكفيك مؤنته على البعد وقد علم بالتجربة أن الرامي الواحد إذا كان جيد الرمي فإنه يأخذ الفئة من الناس الذين لا رامى معهم ويطردهم جميعاً ولهذا عند أرباب الحروب : أن كل سهم مقام رجل ، فإذا كان مع الرجل الرامي مائة سهم عدّ

١- سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٦٦

٢- الرحيق المختوم ، المباركفوري ، ص ٣٤٥

٣- رواه البخاري في كتاب الجهاد ٥٦ ، باب التحريض على الرمي ٧٨ ، حديث ٢٨٩٩ ، ص : ٥٨٨ .

٤- رواه مسلم في كتاب الإمارة ٣٣ ، باب فضل الرمي والحث عليه وذم علمه ثم نسيه ٥٢ ، ص : ٧٩٥ .

٥- آيات الجهاد في القرآن الكريم د/ كامل سلامة القدس ص ١١٣ ، دار البيان الكويت ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .

بمائة رجل ، والخصم يخاف من الشباب أضعاف خوفه من السيف والرمح ، وإذا كان الرجل واحد رام أمكنه أن يأخذ مائة فارس لا رامي فيهم ويغلبهم^(١) ولأهمية الرمي في التنكيل بالعدو جاء التحذير في تركه بعد تعلمه في قوله صلى الله عليه وسلم (من تعلم الرمي ثم تركه فليس منّا أو قد عصي)^(٢)

والإعداد للجهاد مهمة تم كل مسلم قادر في حمل السلاح ومناجزة الأعداء (وكل من دخل الإسلام أصبح بدخوله جندياً من جنود الله يدافع عن دينه ، وقد صرح القرآن أنه لا يعفى من الجنديّة إلا الضعفاء والمرضى والعجزة من الشيوخ والصغار الذين لم يبلغوا سن الرشد - كما قال تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾^(٣) ، وقال عز وجل ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَْعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾^(٤)

فهؤلاء وأمثالهم يعتبرون من أهل الأعدار أما غيرهم فينبغي إعدادهم الإعداد المستمر في وقت السلم والحرب معا حتى يكونوا دائما في حالة استعداد تام لأي معركة مع أي عدو في أي وقت ولهذا التدريب درجات :

(الدرجة الأولى ما يتحقق به الحد الأدنى من الاستعداد لكل فرد من أفراد المسلمين ليستطيع - على الأقل - أن يدافع عن نفسه ووطنه وعرضه عند اللزوم وأن يلي نداء النفير العام عندما يناديه الأمير الشرعي للحرب. وهذا التدريب يجب أن يقوم به كل فرد أو يجبره الأمير على القيام به لأن الضرورة تقتضيه وهي حفظ النفس ..

^١ - الفروسية ابن قيم الجوزية ص ٦٣

^٢ - رواه مسلم في كتاب الإمارة ٣٣ باب فضل الرمي والحث عليه ، ودم من علمه ثم نسيه ٥٢ حديث ١٩١٩ ص ٧٩٥

^٣ - التوبة آية : ٦١

^٤ - آيات الجهاد في القرآن الكريم د/ كامل سلامة الدقس ، ص : ١١٢ .

^٥ - الفتح آية : ١٧

الدرجة الثانية درجة عالية وهي التدريب المتخصص للجيش الإسلامي المعد للجهاد في سبيل الله إذ يجب أن يدرّب تدريبا يفوق به أعداءه ما استطاع إلى ذلك سبيلا يتحمل به الأتعاب والمشقات ويحمل السلاح ويستعمله بكل أنواعه وهذا يستلزم تنوع التدريب وتقسيم الجيش الإسلامي المقاتل إلى فرق بحيث تتقن كل فرقة منه نوعا من أنواع التدريب أكثر من غيرها وتجيد استعمال نوع من أنواع السلاح كذلك أكثر من الفرق الأخرى .. (١)

وهذا يساهم في تكميل الجيش الإسلامي بعضه بعضا وتغطية المجالات التي تعد من الإعداد للجهاد كما يجب الحذر واليقظة من مكاييد الأعداء وتربصهم

قال تعالى ﴿يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ (٢) وقال عز وجل ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتِهِمْ فِإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ ۗ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَحِيدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ۗ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٣)

فالحذر واليقظة والاستعداد التام واجب تفاديا للمباغطة والاقترحام من جانب العدو والمفاجآت غير المحسوبة والمتوقعة التي لها قوة بالغة في التأثير على القوة المادية والمعنوية للجيش .

فإذا كان الحذر واليقظة والتهيؤ من واجبات الجيش الإسلامي فهو أيضاً من واجبات المجتمع المسلم الذي ينبثق الجيش منه، (فالمجتمع لا بد أن يشعر بأهمية الموقف

١- الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته د/ عبد الله بن أحمد القادري ج ١ ص ٤٥٣، ط ٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

دار المنارة، جدة

٢- النساء آية : ٧١

٣- النساء آية : ١٠٢

وعظم الدور الذي سيحيط به ، وليس معناه أن يدبّ الرعب في قلوب المواطنين بل المراد ههيئة أفراد المجتمع إلى أن كل واحد منهم مسئول عن حماية البلد والدفاع عنه ومراقبة المداخل وملاحظتها حتى لا يدخل منها الأعداء ويندسوا بين المواطنين لنقل الأخبار والتجسس على البلاد^(١)

ومعرفة نقاط الضعف للولوج منها ، فسد هذه المنافذ من واجبات كل فرد في المجتمع الإسلامي الذي يحرص في حماية الدعوة والحفاظ على مكتسباتها ، ولكي يرتقي المجتمع الإسلامي إلى هذه الدرجة (لا بد من تعبئة الجماهير تعبئة كاملة ، وإيجاد المحبة والإلفة فيما بينهم وتوجيه القوى المسلحة وغير المسلحة نحو الهدف الواحد وكسب الأصدقاء وفضح الطغاة ، والمستبدين ، وإظهار تفوق النظام الإسلامي على نظام الشرك والأنظمة الأخرى وتعليم ونشر العقيدة)^(٢) الصحيحة في أوساط المجتمع عموماً.

(ومن إعداد العدة إخفاء الخطط العسكرية من أن يعلمها العدو وكما أن من الإعداد معرفة حال العدو ومدى استعداده وقوته ومخططاته بواسطة العيون تبت في أرض العدو لرصد تحركاته ومعرفة أسراره ، ويشمل الإعداد والاستعداد كل قوة مادية أو معنوية أو سياسية أو اقتصادية أو نفسية أو اجتماعية بحيث يكون المسلمون في حالة تأهب كامل لأي اعتداء محتمل في كل وقت من الأوقات)^(٣) لأن العدو لم يكن ليكف عن اعتدائه إلا بقوة ضاربة واستعداد كامل يرهبه عن التفكير في الاعتداء على المسلمين ونسأل الله أن تعاد للأمة الإسلامية قوتها ومهابتها لتحافظ على مكتسبات دعوتها ، وتقوم بنشرها .

١- القتال في الإسلام أحكامه وتشريعاته دراسة مقارنة محمد بن ناصر بن عبد الرحمن الجعوان ص ٨٥، ط، ١ —

١٤٠١هـ-١٩٨١م، بدون ذكر الناشر

٢- فن الحرب الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم د/ محمد ظاهر وتر ص ٩١، دار الفكر ، دمشق ، بدون تاريخ طبع

٣- التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية ، محمد راكان الدغمي ص ٣١، ط، ١-١٤٠٤هـ-١٩٨٢م ، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان،

المطلب الثاني : الإعداد المادي للجهاد حفاظاً على مكتسبات الدعوة :

الإعداد المادي والبشري كل منهما جزء لا يتجزأ عن الآخر وقد يطلق عليهما الإعداد المادي ، وبما أنه قد سبق الحديث عن الإعداد البشري فالمقصود هنا بالإعداد المادي ما يتعلق بإعداد العتاد والإمداد وأدوات الحمل والتنقل البرية والبحرية والجوية (فإن توفير وسيلة نقل المقاتلين إلى الميدان وإعداد العدد القتالية والتدريب على استخدامها يعد من أركان الواجبات لأنها ركن الزاوية في الحرب ولهذا كان لزاماً على المسلمين أن يستعدوا ويعدوا لعدوهم ما استطاعوا)^(١) إلى ذلك سيلاً.

والقوة التي أمر الله بإعدادها في قوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾^(٢) تختلف باختلاف الزمان والمكان فما كان يعد قوة في الأزمنة السابقة قد لا يعد اليوم قوة وما يعد اليوم قوة قد لا يكون في المستقبل كذلك ، (فالقوة كلمة تتسع لكل ما عرف ويعرف من آلات الحرب برية وبحرية وجوية وتشمل ما يلزم لذلك من التعليم والتدريب وإقامة المصانع الحربية وإيجاد الخبرات العسكرية والكفاءات اللازمة لذلك فمن بيانية "وقوة نكرة ، وما من صيغ العموم فعلى هذا ليس المراد قوة بعينها ولا ما يصلح لوقت دون آخر بل أنواع القوة وما يناسب كل زمان ومكان فقد يكون ما يمكن أن يستعمل في زمن من الأزمان أو يتغلب به على جيش بعينه غير ما يصلح لزمان آخر وما يفتك بقوة أخرى وهذا حال العصر الحاضر ففي كل يوم تطالعنا الدنيا بأخبار جديدة في الاختراع والابتكار وإنتاج الأسلحة المتطورة)^(٣) ، والصناعات المختلفة التي ينبغي للمسلمين أن يكون لهم منها النصيب الأوفر الذي يمكنهم من الحفاظ على مكتسبات الدعوة ونشرها .

١- الإسلام والحرب ، أبو لبابة حسين ص ٥٨

٢- الأنفال آية : ٦٠

٣- القتال في الإسلام، الجعوان ص ٧٨

وقد قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله متحدثاً في إعداد والقوة في الآية (كل ما تقدررون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من مدافع والرشاشات والبنادق والطائرات الجوية والمراكب البرية والبحرية والقلاع والخنادق وآلات الدفاع والرأي والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم ، وتعلم الرمي والشجاعة والتدبير ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم " ألا إن القوة الرمي " ومن ذلك الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال ولهذا قال تعالى (ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان وهي إرهاب الأعداء والحكم يدور مع علته ، فإذا كان شئ موجوداً أكثر إرهاباً منها كالسيارات البرية والهوائية المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد كانت مأموراً بالاستعداد بها والسعي لتحصيلها حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلم الصناعة وجب ذلك لأن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب ^(١) .

وعلى هذا فإن المسلمين إذا لم يعدوا العدة التي ترهب أعداء الله وكان ذلك في مقدورهم فإنهم آمنون معرضون لعقاب الله في الدنيا والآخرة ويترتب على إهمال المسلمين لهذا الأمر وعدم تنفيذ سيطرة الكفار وإذلال المسلمين ونفور الناس من الدخول في الإسلام وهم يرون أهله مستضعفين مهانين ولا يرون الجوانب المشرقة في الإسلام مطبقة في الأرض لصد أعداء الله أهل الإسلام عن تطبيقها ، كما أنه يترتب على إعداد القوة المستطاعة تنفيذ أمر الله ورد عدوان أهل الكفر على المسلمين وإرهاب أهل الكفر وتحطيم قوى البغي في الأرض ^(٢) ، ولا يتم ذلك إلا بالإعداد الكامل والتهيؤ الشامل لخوض المعارك الفاصلة والتخطيط للتفوق في جميع مجالات الحياة وتسخير ذلك في النشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها .

فالأمة الإسلامية يجب أن تتفوق على الأمم الأخرى في كل مجال نافع لأنها أخرجت للناس لتهدئهم إلى الله سبحانه ، وهذه القيادة تقتضي تفوقهم على غيرهم تفوق أفرادهم

^١ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ عبد الرحمن السعدي ، ص ٢٨٦

^٢ - الجهاد في سبيل الله د/ عبد الله القادري ص ٤٥١

على أفراد الأمم الأخرى في العلوم الإنسانية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية وغيرها وفي العلوم الكونية : الطبية والفلكية والتجارية والصناعية والجغرافية وغيرها لأن هذه المجالات كلها يكمل بعضها بعضاً^(١)، وإن كان بعضها أهم من البعض الآخر في مجال الإعداد للجهاد في سبيل الله والله سبحانه وتعالى عندما يأمرنا باتخاذ القوة (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة " يدلنا أيضاً على منابع القوة ومصادرها قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۗ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۗ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ ﴾^(٢) فهذه آية فذة ذات مغزى عظيم في لفت الأنظار وتنبية العقول إلى ما في (الحديد) من قوة تشد عضد المؤمنين في التمسك بحقهم والحفاظة عليه .. انظر كيف زواج بين الكتاب والميزان وبين الحديد في أنه أنزل الجميع ، وكيف خلع على الحديد الذي به قوام الميزان وحفظ القسط ، هذين ، الوصفين : البأس الشديد والنفع العظيم .

تأمل هذا ثم انظر مم تتخذ أدوات القتال برية وبحرية وجوية ، وما الحديد في كل هذه الأدوات ؟ ثم تأمل في قوله بعد " وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب " لتعلم أن نصر الله معقود لمن سخر الحديد واتخذ منه القوة والبأس^(٣) .

وانظر إلى امتنان الله على نبيه داود عليه السلام بتسخير الحديد فقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ۗ يَنْجِبَالُ أَوِيٍّ مَعَهُ وَالطَّيْرُ ۗ وَالنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝ ﴾^(٤) ، الذي استخدمه في صناعة الأسلحة والدروع الواقية للأجسام من نفاذ الأسلحة كما قال تعالى

١- الجهاد في سبيل الله ، الدكتور عبد الله القادري ، ص ٤٤٧

٢- الحديد آية: ٢٥

٣- انظر: الإسلام والعلاقات الدولية في السلم والحرب الشيخ محمود شلتوت ص ٤٩/مكتب شيخ الجامع الأزهر

للشؤون العامة الرسالة الأولى مطبعة الأزهر ، بدون تاريخ طبع

٤- سبأ آية : ١٠

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾^(١) ، (هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب وهو قول أهل العقول والألباب لا قول الجهلة الأغبياء القائلين بأن ذلك إنما شرع للضعفاء ، فالسبب سنة الله في خلقه فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة)^(٢) ، فالكتاب يأمر بالإعداد والحذر الشديد والأخذ بأكمل الأسباب والسنة كذلك والتجارب والممارسة عبر التاريخ والعصور يشهد بأن النجاح لا يتحقق إلا لمن أخذ بالأسباب .

وبالعودة إلى العهد النبوي وعهد الخلفاء يتبين أنهم قاموا بالإعداد للجهاد وأخذوا بجميع الأسباب والوسائل المتاحة في تلك الفترة والبيئة بل واستفادوا من تجارب البيئات الأخرى ليفاجئوا بها الكافرين و المعاندين فكان النصر حليفهم ويظهر ذلك جليا في غزوة الأحزاب التي تحزب وتجمع فيها مشركو العرب واليهود ضد المسلمين في المدينة (فما كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن سارع إلى عقد مجلس استشاري أعلى ، تناول فيه موضوع خطة الدفاع عن كيان المدينة ، وبعد مناقشات جرت بين القادة وأهل الشورى اتفقوا على قرار - اقتراح - قدمه الصحابي النبيل سلمان الفارسي رضي الله عنه قال سلمان : يا رسول الله ، إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا - وكانت خطة حكيمة لم تكن تعرفها العرب قبل ذلك)^(٣)

وقد تغلب المسلمون على هذه الحيلة حينما استخدمت ضدهم في الفتح الإسلامي للجهة الفارسية في موقعة الأنبار عندما حفر الفرس خندقاً حول المدينة ، فلما رأى خالد بن الوليد خطة الفرس (تقدم خالد إلى الخندق فاستدعى برذايا الأموال من الإبل فذبجها حتى ردم الخندق بها وجاز هو وأصحابه فوقها فلما رأى شيرزاد - قائد الفرس - ذلك أجاب إلى الصلح على الشروط التي اشترطها خالد)^(٤) فهذا يدل على أن المسلمين

١- الأنبياء آية : ٨٠

٢- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج ١١ ص ٢٢٧

٣- الرحيق المختوم ، المباركفوري ، ص ٤٠٨

٤- البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ٦ ص ٣٥٣

استفادوا من خبرات الآخرين واستطاعوا أن يتغلبوا على حيلهم بالوسائل المتاحة لديهم دون عناء وتردد .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهز الجيش بأحسن ما يمكن أن يجهز به جيش ذلك العصر وحرصاً منه صلى الله عليه وسلم في الأخذ بالأسباب في الإعداد للجهاد (لبس صلى الله عليه وسلم بنفسه الدرع والمغفر في غزوة أحد)^(١) ، وقال عندما تجهز للخروج إلى أحد (ليس لني إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل)^(٢)

ويوم الفتح استغرب أبو سفيان من إعداد الجيش الإسلامي وذلك عندما قال : صلى الله عليه وسلم لعمة العباس (ا حبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر المسلمين)^(٣) (ومرت - عليه - القبائل على راياتها .. حتى مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيسته الخضراء^(٤) فيها المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم لا يرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال سبحانه الله : يا عباس من هؤلاء ؟ قال : قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد هؤلاء قبل ولا طاقة)^(٥)

فأبو سفيان مع أنه القائد المحنك والخبير بالحروب والاستعداد لها لم يسبق له أن رأى جيشاً بهذه الكيفية من التنظيم والانضباط والتجهيز بالأسلحة والدرع الواقية التي غطت جميع أبدانهم فلا يظهر منها إلا العيون ، فما كان من أبي سفيان إلا أن نطق بالحقيقة التي شعر بها في كنانة نفسه حيث قال : " ما لأحد هؤلاء من قبل ولا طاقة " .

١- الرحيق المختوم ، المباركفوري ، ص ٣٦٤

٢- أخرجه أحمد في المسند ج ٣ ص ٣٥١، وقال الأرنؤوط في الموسوعة الحديثية : صحيح لغيره ج ٢٣ ص ١٠٠

٣- رواه البخاري كتاب المغازي ٦٤ باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح ٤٩ حديث ٤٢٨٠ ص ٨٨٠

٤- قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها ، انظر: سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٤٠٤

٥- المرجع السابق ، ج ٣ ص ٤٠٤

و مع أن الجيش الإسلامي كان بهذه الصورة من العتاد والتجهيز عندما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج في غزوة حنين استعار من صفوان بن أمية (مائة درع بأداتها) ^(١)، وكان صفوان في ذلك الوقت مشركاً وليس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين درعين والمغفر والبيضة) ^(٢) أخذاً بأسباب القوة والحذر وتشريعاً لأمته ليتأسوا به في ذلك وفي غزوة الطائف عندما تغيرت استراتيجية المعركة عن سابقاتها من المعارك استعمل الرسول الله صلى الله عليه وسلم أسلحة جديدة لم يسبق أن استعملها من قبل مما يدل على أن كل معركة أو بيعة أو زمن له سلاحه الذي ينبغي توفيره لاستخدامه إذا دعت الضرورة لذلك .

فأهل الطائف ثقيف عندما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم .. وأدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة .. واغلقوا عليهم وتهيأوا للقتال وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم قرياً من حصن الطائف وعسكر هناك فرموا المسلمين بالنبل رمياً شديداً كأنه رجل جراد حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة وقتل منهم اثنا عشر رجلاً .. فارتفع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضع مسجد الطائف .. فحاصره ثمانية عشر يوماً ونصب عليهم المنجنيق) ^(٣)

١- الطبقات الكبرى ابن سعد ج ٢ ص ١٢٠

٢- المرجع السابق ، ج ٢ ص ١٥٠

٣- المرجع السابق ، ج ٢ ص ١٥٨

كما سير إليهم جنده في الدبابات والضبور^(١) ليتقي بها المسلمون النبل الموجه^(٢) من قبل أهل الطائف ، فهي لا شك أنها خطوة متقدمة في الإعداد الهجومي والدفاعي في آن واحد .

هيئة المراكب وأدوات النقل في الإعداد للجهاد :

من تكريم الله للإنسان أن سخر له وطوع وسائل تحمله في البر والبحر والجو ويستخدمها في الدفاع والهجوم على الأعداء وأغراض شتى قال تعالى ﴿ * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾^(٣)

وقال تعالى ﴿ وَالْأَنْعَمَ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا دِفْعًا وَمَنْفَعًا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾^(٤) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْتَمُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ^(٥) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَلِّغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ^(٦) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ^(٧) ﴿^(٨) وقد أقسم الله تعالى بالخيال التي أعدت للجهاد ، إذا أجريت في سبيله فعدت وضبحت^(٩) (٩) (٦) ، قال تعالى : ﴿ وَالْعَنَدِيَّةِ صَبْحًا^(١٠) فَالْمُورِيَّةِ

١- الضير: جلد يغشى خشباً فيها رجال تقرب إلى الحصون لقتال أهلها، والجمع، ضبور، ومنه قولهم، إنا لا نأمن أن يأتوا بضبور، وهي الدبابات التي تقرب للحصون لتتقب من تحتها، الواحدة، ضيرة، انظر: لسان العرب ، ابن منظور ، ج ٤ ص ٤٨٠، مادة ضير

٢- تاريخ الإسلام حسن إبراهيم ج ص ١٤٢

٣- الإسراء آية : ٧٠

٤- النحل الآيات : ٥-٨

٥- ضبحت، الخيل ضباحاً وضباحاً أسمع من أفواها صوتاً ليس بصهيل ولا حممة " انظر: إعراب القرآن الكريم للدرويش ج ١٠ ص ٥٥٢

٦- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج ٤ ص ٥٤١

قَدْحًا ﴿١﴾. ، وما ذلك إلا لعظم نفعها وتأثيرها في استراتيجية المعركة قال صلى الله عليه وسلم (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة)^(٢) ، وقد كان صلى الله عليه وسلم شديد الاهتمام بإعداد الخيل للجهاد وإضمارها لتحمل المشاق وتقوى للفر والكر قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (أجرى النبي صلى الله عليه وسلم ما ضمّر من الخيل من الخفاء إلى ثنية الوداع وأجرى ما لم يضمّر من الثنية إلى مسجد بني زريق قال سفيان بين الخفاء إلى ثنية الوداع خمسة أميال أو ستة وبين ثنية إلى مسجد بني زريق ميل)^(٣) . ولم يكن للمسلمين خيل تذكر في بداية تشريع الجهاد ولكن حرص النبي صلى الله عليه وسلم في اقتنائها وإعدادها للجهاد حفاظاً على مكتسبات الدعوة ونشرها ، كان له وقع كبير في نفوس الصحابة فبادروا في امتلاكها وتدريبها والتدرب عليها حتى فاقوا فرسان عصرهم كما وكيفا فبينما لم يكن للمسلمين في غزوة بدر (إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد)^(٤) زاد هذا العدد زيادة كبيرة ليبلغ في غزوة بني قريظة إلى ثلاثين فرساً^(٥) .

واستغل صلى الله عليه وسلم فرصة حصوله على سبايا بني قريظة في تسخيرها للإعداد للجهاد (وبعث من السبايا إلى نجد تحت إشراف سعد بن زيد الأنصاري فابتاع بها خيلاً وسلاحاً)^(٦) ، وبذلك تضاعفت أعداد خيول المسلمين لتبلغ في غزوة خيبر إلى

١- العاديات آية : ١-٢

٢- رواه البخاري كتاب الجهاد والسير ٥٦ باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ٤٤ حديث ٢٨٥٠ ص ٥٧٩

٣- رواه البخاري كتاب الجهاد والسير ٥٦ باب السبق بين الخيل ٥٦ حديث ٢٨٦٨ ص ٥٨٢

٤- تفسير القرآن العظيم ابن كثير ج ٤١ ص ٥٤١

٥- انظر: الرحيق المختوم ، المباركفوري ، ص ٤٢١

٦- المصدر السابق ، ص ٤٢٦

مائتين فرس^(١)، وغزوة تبوك عشرة آلاف فرس^(٢) مما يدل على أن الإعداد قد أكتمل لفتح بلاد الشام وفارس قبل وفاته صلى الله عليه وسلم ولم يكتف في إعداده صلى الله عليه وسلم للجهاد بالخيال بل كان يعد أيضاً الإبل ويسابق عليها لأنها كانت ولا زالت تعد من أهم وسائل النقل والتنقل على الأقل في البلاد التي لم تكتمل فيها الحضارة الحديثة قال : أنس بن مالك رضي الله عنه (كان للنبي صلى الله عليه وسلم ناقة تسمى العضباء لا تسبق .. أو لا تكاد تسبق فجاء أعرابي على قعود فسبقها فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه فقال - صلى الله عليه وسلم "حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه")^(٣) .

وقد ركب صلى الله عليه وسلم الحمار تواضعاً منه وغزا على البغال ، فيوم حين كان النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحارث آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب)^(٤) ، يدل هذا على أن النبي صلى الله عليه وسلم استخدم جميع وسائل النقل التي كانت موجودة في زمنه وبيئته أما السفن فلم تكن الحاجة ماسة إليها في وقته للغزو ولكن بشر أمته بأنهم سيمتلكونها ويغزوا فيها فقال صلى الله عليه وسلم (ناس من أمي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله مثلهم مثل الملوك على الأسرة)^(٥) .

وقد تمكن المسلمون من إيجاد أسطول بحري في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وغزوا به في البحر وذلك عندما فتحت معاوية جزيرة قبرص وغزا معه جمع كبير من

١- انظر: البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ٤ ص ٢٠٣

٢- الطبقات الكبرى ابن سعد ج ٢ ص ١٦٦

٣- رواه البخاري كتاب الجهاد والسير ٥٦ باب ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ٥٩ حديث ٢٨٧٢ ص ٥٨٣

٤- رواه البخاري كتاب الجهاد والسير ٥٦ باب بغلة النبي صلى الله عليه وسلم البيضاء ٦١ حديث ٢٨٧٤

ص ٥٨٣

٥- رواه البخاري كتاب الجهاد والسير ٥٦ باب غزو المرأة في البحر ٦٣ حديث ٢٨٧٨ ص ٥٨٣

الصحابة .. وقد رتب معاوية أمر الغزو في البحر وأعد لذلك أسطولا جعل أميره عبد الله بن قيس الحارثي حليف بني فزارة، فكان يغزو كثيراً ما بين شاتية وصائفة في البحر ولم يغرق فيه أحد ولم ينكب ولكنه خرج في يوم طليعة في قارب فانتهى إلى المرقى من أرض الروم فنذريه فتكاثروا عليه وقتلوه (١) .

ومن أشهر الوقائع البحرية في عهد عثمان رضي الله عنه معركة الصواري التي أنهزم فيها جيش الروم بقيادة قسطنطين وانتصر فيها الجيش الإسلامي بقيادة عبد الله بن أبي سرح وغنموا فيها مراكب كثيرة أضافوها إلى أسطولهم الذي أثبت تفوقه أمام الأسطول الرومي (٢) مما يدل على أن المسلمين كانوا قد أعدوا واستعدوا لخوض المعارك البحرية بكل ثقة وروح عالية وأنهم كسبوا التفوق العسكري بفضل الله ثم إعدادهم الكامل بما هو موجود في عصرهم من سلاح ومراكب برية وبحرية وإشارة إلى ما يوجد بعد وقت نزول القرآن قال تعالى ﴿ وَبَخَلُّوا مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

(مما يكون بعد نزول القرآن من الأشياء التي يركبها الخلق في البر والبحر والجو يستعملونها في منافعهم ومصالحهم فإنه لم يذكرها بأعيانها لأن الله تعالى لم يذكر في كتابه إلا ما يعرفه العباد أو يعرفون نظيره ، أما ما ليس له نظير في زمانهم فإنه لو ذكر لم يعرفوه ولم يفهموا المراد به ، فيذكر أصلاً جامعاً يدخل فيه ما يعلمون وما لا يعلمون كما ذكر نعيم الجنة وسمى منه ما نعلم ونشاهد نظيره كالنخل والأعناب والرمان وأجمل ما لا يعرف له نظيراً في قوله ﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ (٤) ، فكذلك هنا ذكر ما تعرفه من المراكب كالخيل والبغال والحمير والإبل والسفن وأجمل الباقي في قوله ﴿ وَالْخَيْلَ

١- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الشيخ محمد الخضري بك ج ٢ ص ٢٩

٢- انظر : البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ٧ ص ١٦٣

٣- النحل آية : ٨

٤- الرحمن آية : ٥٢

وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾^(١) ﴿١٢﴾^(٢)، فمن واجب كل جيل من أجيال الأمة الإسلامية أن يعد للجهاد في سبيل الله من أجل حماية الدعوة ونشرها كلما هو متوفر ويمكن الحصول عليه في وقتهم من المراكب والأسلحة المتطورة وجميع التقنيات التي تعينهم على تنفيذ ما أمرهم الله به من الإعداد لمواجهة الأعداء بما يرهبهم ويوقفهم في حدهم .

ومن الإعداد المادي للجهاد الإعداد المالي : الذي لا يقل أهمية عن النفس بل قدم في الترتيب على النفس في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قال تعالى ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾^(٣) ﴿٢٠﴾^(٤)، وقال عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكَّرُ عَلَىٰ تَحِيْرَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُوْلِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيْلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾^(٥) .

فالمال والنفس (ركنان لا يغني أحدهما عن الآخر إذ لو وجد المجاهد المسلم المدرب على جميع وسائل الحرب بدون مال لا يستطيع أن يخوض معارك الجهاد ضد الأعداء لأنه يحتاج إلى نفقات لأكله وشربه ولباسه وسلاحه وما يحمله ويحمل عدته ونفقات أهله الذين يخلفهم .. ولو وجد المال الوفير الذي به توجد الأسلحة والكفاية

^١ - النحل آية : ٨

^٢ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ عبد الرحمن السعدي ، ص ٣٨٩

^٣ - التوبة آية : ٢٠

^٤ - الصف الآيتان : ١٠-١١

وغيره بدون نفوس مسلمة معدة للقتال تواقفة إلى الجهاد في سبيل الله لنيل إحدى الحسينين النصر أو الشهادة فماذا عسى أن يفعل ذلك المال بدون رجال (١) .

ويدل على أهمية إعداد المال للجهاد قصة فقراء الصحابة رضي الله عنهم الذين جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتهيأ للخروج إلى غزوة تبوك فطلبوا منه أن يحملهم فلم يجد ما يحملهم عليه قال تعالى في حقهم ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِدٌ مَّا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ (٢)

ولمعرفة الصحابة بأهمية المال في الإعداد للجهاد كانوا يتنافسون في إنفاقه في سبيل الله قال الفاروق رضي الله عنه (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً أن نتصدق فوافق ذلك مالاً عندي فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما أبقيت لأهلك ؟ قلت مثله قال : أتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما أبقيت لأهلك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله قلت : لا أسابقك إلى شيء أبداً) (٣) (وانفق عثمان بن عفان رضي الله عنه في غزوة تبوك - نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها .. كانت ثلاثمائة بغير بأملاسها وأقتابها وعدتها وألف دينار عينا) (٤) ، رضي الله عن الصحابة أجمعين فقد بذلوا أموالهم وأنفسهم من أجل نشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها وهم القائلون لرسولهم صلى الله عليه وسلم

١- الجهاد في سبيل الله د/ القادري ج ١ ص ٤٧٦

٢- التوبة آية : ٩٢

٣- رواه أبو داود في كتاب الزكاة ٩، باب الرخصة في ذلك ١٦٧٨، ٤٠٠، ص ١٩٧ قال : الألباني

"حسن" انظر: صحيح أبي داود ج ١ ص ٤٦٦

٤- زاد المعاد ، ابن القيم ، ج ٣ ص ٥٢٧

قبيل المواجهة مع الكفار في غزوة بدر الكبرى (فامض فصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وعاد من شئت وسالم من شئت وخذ من أموالنا ما شئت .. واعطنا ما شئت وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرت به من أمر فأمرنا تبع لأمرك فو الله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك)^(١) .

وبين ابن قيم رحمه الله أهمية المال في الإعداد للجهاد من خلال حديثه عن الفقه والفوائد التي تضمنتها غزوة بدر الكبرى فقال "ومنها : وجوب الجهاد بالمال ، كما يجب بالنفس وهذا إحدى الروايتين عن أحمد ، وهي الصواب الذي لا ريب فيه فإن الأمر بالجهاد بالمال شقيق الأمر بالجهاد بالنفس في القرآن وقرينه ، بل جاء مقدما على الجهاد بالنفس في كل موضع إلا موضعا واحداً ، وهذا يدل على أن الجهاد به أهم وأكد من الجهاد بالنفس ، ولا ريب أنه أحد الجهادين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا)^(٢) ، فيجب على القادر عليه كما يجب على القادر بالبدن ولا يتم الجهاد بالبدن إلا ببذله ، ولا ينتصر إلا بالعدد والعدد فإن لم يقدر أن يكثر العدد وجب عليه أن يمد بالمال والعدة وإذا وجب الحج بالمال على العاجز بالبدن فوجوب الجهاد بالمال أولى وأحرى)^(٣) ، لأن فائدة المال المبذول للجهاد فائدة عامة والمنفعة العامة مقدمة على الخاصة وأهمية إعداد المال للجهاد في سبيل الله تبدو في أنه أمر لا يمكن الاستغناء عنه بحال من الأحوال لأنه الوقود الذي يحرك عجلة الجهاد في مرحلة الإعداد والتنفيذ ففي مرحلة الإعداد لا بد من توفير المال للمدرب والمتدرب ووسائل التدريب وكل ما هو إعداد للجهاد يحتاج إلى المال ، وفي أثناء المعركة والمواجهة مع العدو تكون الحاجة إلى المال أشد وأعظم لتوفير السلاح والذخيرة وجميع الإمدادات الغذائية والعسكرية .

عموماً لا بد للأمة أن تكون في أتم الاستعداد لبذل المال والنفس من أجل نشر العقيدة والحفاظ على مكتسباتها وإلا فأعداء الإسلام لا يمكن أن يتركوه ينتشر أو على الأقل يحافظ على قوته بل هم في تربص به إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها والصراع

١- البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ٣ ص ٢٦٣

٢- رواه البخاري كتاب الجهاد والسير ٥٦ باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير ٣٨ حديث ٢٨٤٣ ص ٥٧٧

٣- زاد المعاد ، ابن القيم ، ج ٣ ص ٥٥٨-٥٥٩

بين الحق والباطل قديم وما زال وسيظل وكلما تمسكت الأمة الإسلامية بدينها واستعدت لمواجهة الأعداء قويت وعزت وانتصرت وكلما تهاونت بأمر الدين وأخذت إلى الراحة وبجثت عن السلام مع الأعداء دخلها الوهن والضعف ونقص من الأطراف بل وفي أوساطها كما هو الحال في هذا الوقت نسأل الله أن يبدل حالنا اليوم إلى أحسن منه ويرينا عز الإسلام وانتصاره .

المبحث الثالث : الأخذ بعوامل النصر حفاظاً على مكتسبات الدعوة :

ويتضمن ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الإيمان بالله والتوكل عليه والتحريض على الجهاد حفاظاً على مكتسبات الدعوة .

المطلب الثاني : الوحدة وطاعة الأمير وعدم الاغترار بالقوة حفاظاً على مكتسبات الدعوة .

المطلب الثالث : الصبر والذكر والدعاء في الجهاد حفاظاً على مكتسبات الدعوة .

تهييد :

الإعداد المادي الذي سبق الحديث عنه في المبحث السابق يعد نوع من أنواع الأخذ بعوامل النصر وسيتركز الحديث هنا في هذا المبحث في العوامل المعنوية التي لا تقل أهمية عن العوامل المادية بل العوامل المعنوية هي التي تدفع لإيجاد العوامل المادية وترعاها (وتعتبر الروح المعنوية العالية من أهم عوامل النصر في الحرب إذ هي الباعث الأساسي لإرادة القتال وهي مستودع القوة والقدرة على مواجهة مشاق المعركة وأهوالها والتغلب عليها والتصميم على إحراز النصر على العدو مهما كانت التضحيات .

كذلك تعتبر الروح المعنوية العالية في وقت السلم من أهم الدوافع إلى الإخلاص والإيجابية والحماسة في العمل في مجالات الاستعداد والتدريب والحراسة وغيرها من أسباب إعداد القوة وهي بلا شك مطلب حيوي للنصر في الحرب)^(١) .

^١ - النظرية الإسلامية في بناء الروح المعنوية وإرادة القتال ، اللواء الركن محمد جمال الدين بن علي محفوظ ص ١٧ ، دار العلوم للطباعة - القاهرة ، بدون تاريخ طبع

المطلب الأول : الإيمان بالله والتوكل عليه ثم التحريض على الجهاد حفاظاً على**مكتسبات الدعوة**

الإيمان بالله يعتبر أقوى قوة معنوية يواجه بها المؤمن أعداء الله فهو عندما يتيقن ويستقر في قلبه أن كل قوة فوقها قوة القوي القهار يهون عليه مواجهتها ويزداد قوة إلى قوته ولا يخطر بباله الضعف والوهن والتخاذل والاستسلام والانهزام إنما يتأس بمن قال الله تعالى فيهم ﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (١)

فهو أيضاً متحنب ما نهي الله عنه ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْآعْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَلِكُمْ ﴾ (٢) ، فالؤمن يقدم على الجهاد بنفس راضية وهمة عالية ولسان حاله ومقاله يقول لأعدائه ﴿ قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ﴾ (٣) ، إما الظفر بالأعداء والنصر عليهم ونيل الثواب الأخروي والديني وإما الشهادة التي هي من أعلى درجات الخلق وأرفع المنازل عند الله (٤) ، ففي كلا الحالتين هو الرابع وعدوه الخاسر لأن المؤمن (يقاتل وهو يدرك تمام الإدراك أنه يخوض حرباً عادلة وشرعية المقاصد والوسائل وبذلك تتوفر له جميع الظروف الموضوعية لبعث الروح المعنوية) (٥) ، لأنه يقاتل في سبيل الله وعدوه يقاتل في سبيل الشيطان كما قال عز وجل ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَاقْتُلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (٦)

١- آل عمران آية : ١٤٦

٢- محمد آية : ٣٥

٣- التوبة آية : ٥٢

٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ عبد الرحمن السعدي ، ص ٣٠٠

٥- بناء الروح المعنوية محمد جمال الدين محفوظ ص ٢٧

٦- النساء آية : ٧٦

ومما يقوي عزيمة المجاهد في سبيل الله ويرفع معنوياته يشعر ويتيقن ويؤمن بإيمانا راسخاً بأنه من حزب الله وجندي من جنود الله وأن الله يدافع عنه إن أخذ بعوامل النصر وتوكل على الله قال تعالى ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(١) وقال ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾^(٢) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤﴾ وقال ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾^(٥) .

والله سبحانه هو الخبير بخفايا النفوس يعلم ما للإيمان الصادق وما للروح المعنوية القوية من أثر بالغ في صدق الدفاع والنصر لهذا جعل المؤمن الصادق الإيمان يساوي في المعركة عشرة رجال حيث قال : ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَبَرُوا يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾^(٦) ، (ثم رأى جل شأنه أن هذا المقاتل المثالي قليل الوجود فجعل المؤمن الواحد يساوي اثنين من الأعداء من باب التخفيف والرحمة حيث قال : ﴿ أَلَعَنْ حَقَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^(٧) .

فهذا يدل على أن للقوة المعنوية أثرها الذي لا يخفى على أحد في ميدان القتال لذا فإن الإسلام يعتمد على الروح المعنوية أكثر مما يعتمد على القوة المادية^(٨)

١- المجادلة آية : ٢٢

٢- الصافات الآيات : ٧١-٧٣

٣- الحج آية : ٣٨

٤- الأنفال آية : ٦٥

٥- الأنفال آية : ٦٦

٦- الجهاد في التشريع الإسلامي د/ محمود محمد علي ص ٨٠، ط ١، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، دار الاتحاد العربي

وأعداء الإسلام عرفوا مقاتل الأمة فاستهدفوها في عقيدتها (لأن العدو على يقين من خطورة العقيدة عليه .

وقد أثبت تاريخ الأمم أن الجيوش لا تهزم لقلّة موادها بل لضعف عقيدتها ومن مخططات العدو تشكيك الأمة في دينها واتهام الدين بالرجعية والتخلف وأنه سبب لكل تأخر وفقر يصيب الأمة ، ليصل بذلك إلى قتل روح الجهاد والمقاومة في الأمة فيتسلط عليها ويستعمرها ويسلب حريتها ويتنفع بخيراتهما وليوقف المد الحضاري الذي ينبع من دينها ، والواقع شاهد على ما نقوله فلا تكاد تجد دولة استعمرها العدو إلا أفسد عقائدها ونشر الفساد فيها وإذا خرج منها جعل مقاليد الحكم في أيدي من تربوا على موائده لينهجوا نهجه ويسيروا في ركابه دون أن يكلفه ذلك شيئا^(١) .

فعلى الأمة أن تستيقظ من سباتها وتصون عقيدتها مما علق بها من شبهات المستعمرين وخرافات المشعوذين وتمسك بعقيدتها وتطبق شريعتها التي فيها عزها ونجاحها في دنياها وأخرتها وتجاهد من أجل نشرها والحفاظ على مكتسباتها .

التوكل على الله :

التوكل على الله والثقة بوعده وتفويض الأمر كله إليه بعد اتخاذ كافة أسباب النصر التي أمر بها من جماع الإيمان وكمالها^(٢) .

وقد أمر الله تعالى بالتوكل عليه في كثير من آيات القرآن وامتدح المتوكلين عليه في أمورهم كلها والجهاد خاصة وضمن لهم النصر والعون على الأعداء إن قاموا باستيفاء عوامل النصر قال تعالى ﴿ إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۗ وَإِنْ يَخَذِلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي

^١ - الإعداد المعنوي للقتال في الإسلام ، العميد فيصل بن جعفر بالي ص ٤٣ ، ط ، ٢ - ١٤١٢هـ - مطبعة السفير

^٢ - الجهاد في سبيل الله ، كامل سلامة ص ٢٢٥

يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ^(١) والتوكل هو) أن لا تطلب لنفسك ناصرًا غير الله ولا لرزقك خازنًا غير ه ولا لعملك شاهداً غيره ^(٢)، بل يكون اعتمادك على الله في أمورك كلها فهو كافيك ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٣﴾ وحقيقة الإيمان تتطلب تفويض الأمر إلى الله مع الأخذ بالأسباب ﴿ قَالُوا يَنْمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ نَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٤﴾ ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥﴾ وقال عز وجل مخاطباً نبيه ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿٦﴾ قال ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ مَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧﴾ وقال ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨﴾ ^(٧)

فالتوكل على الله يعطي المجاهد دفعة إيمانية قوية تجعله لا يهاب الأعداء مهما كثر عددهم وقويت عدتهم لأنه يعلم ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فقلبه معلق بالله وجوارحه مسلطة على مكايده الأعداء وهو يتطلع إلى إحدى الحسينيين إما الظفر بالأعداء أو الفوز بالجنة وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن المتوكلين على الله يدخلون الجنة بغير حساب وأوضح أو صافهم بقوله (هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتنون وعلى رهم يتوكلون) ^(٨) .

١- آل عمران آية : ١٦٠

٢- معالم التنزيل للبغوي ج ١ ص ٣٦٧، دار المعركة، بيروت بدون تاريخ طبع

٣- الطلاق آية : ٢

٤- المائدة آية : ٢٢

٥- آل عمران آية : ١٥٩

٦- الأنفال آية : ٦٠

٧- الأحزاب آية : ٤٨

٨- رواه البخاري في كتاب الطب ٧٦ باب من اكوى أو كوى غيره، وفضل من لم يكتو ١٧ حديث ٥٧٠٥

وقد أبحر تعالى عن قوة توكل الصحابة واعتمادهم عليه وأنهم لم يتأثروا بإشاعات العدو ولم يرهبوا قوته المادية فكان النصر حليفهم قال تعالى ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾^(١) فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾^(١) .

فهذا جزاء من توكل على الله مع الأخذ بالأسباب المشروعة التي أمر الله بها .

التحريض على الجهاد

لاشك أن التحريض على الجهاد له أثر كبير في رفع معنويات المجاهدين في سبيل الله ، قال تعالى ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۗ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَكْوِيلًا ﴾ ^(١) ^(٢) ، وقال تعالى ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۗ ﴾ ^(٣) ، وأي حثهم واستنهضهم إليه بكل ما يقوى عزائمهم وينشط همهم من الترغيب في الجهاد ومقارعة الأعداء والترهيب من ضد ذلك وذكر فضائل الشجاعة والصبر وما يترتب على ذلك من خير في الدنيا والآخرة وذكر مضار الجبن وأنه من الأخلاق الرذيلة المنقصة للدين والمروءة ، وأن الشجاعة بالمؤمنين أولى من غيرهم ^(٤) ، لأنهم يرجون من الله ما لا يرجوه غيرهم ولأهمية التحريض كعامل من عوامل النصر جاء في القرآن والسنة بأساليب مختلفة ، فمرة يأتي بأسلوب الترغيب في الجهاد بالمال والنفس وأخرى بالترهيب من ترك ذلك فالترغيب كقوله تعالى ﴿ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۗ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۗ فَاسْتَبَشِرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۗ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ^(٥) ، وقال تعالى ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنَجِّيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۗ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ۗ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۗ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

^١ - لسان العرب ، ابن منظور ، مادة ، حرص ، ج ٧ ص ١٣٣

^٢ - النساء آية : ٨٤

^٣ - الأنفال آية : ٥٦

^٤ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ عبد الرحمن السعدي ، ص ٢٨٧

^٥ - التوبة آية : ١١١

وَمَسْكِنَ طَيْبَةً فِي جَنَّتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣٦﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ
وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَثَرٌّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٧﴾ (١) .

قال ابن القيم رحمه الله معلقاً على آية التوبة فليتأمل العاقد مع ربه عقد هذا التباع
ما أعظم خطره وأجله فإن الله عز وجل هو المشتري ، والتمن جنات النعيم والفوز برضاه
والتمتع برؤيته والذي جرى على يده هذا العقد أشرف رسله وأكرمهم عليه من الملائكة
والبشر ، وإن سلعة هذا شأنها لقد هيئت لأمر عظيم وخطب جسيم (٢) .

فليبادر المؤمن إلى بيع النفس والمال لموهبهما الخالق الرازق الذي ضمن النصر في الدنيا
والجنة في الآخرة لمن خرج مجاهداً في سبيله وقد قال صلى الله عليه وسلم (انتدب الله لمن
خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديقاً برسلي أن أرجعه بما نال من الأجر أو
غنيمة أو أدخله الجنة ولو أن أشق على أمي ما قعدت خلف سرية ولو وددت أن أقتل في
سبيل الله ثم أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل (٣) ، وقال صلى الله عليه وسلم (ما من عبد
يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد لما يرى
من فضل الشهادة فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى (٤) .

لا شك في أن أدلة الكتاب والسنة الناطقة بفضل الجهاد والاستشهاد تهم المشاعر وترفع
معنويات المقاتل وتجعله يجود بالنفس والمال من أجل نشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها.

* الترهيب من ترك الجهاد أو الفرار من المعركة قال تعالى ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ

١- الصف الآيات : ١٠-١٣

٢- زاد المعاد ، ابن القيم ، ج ٣ ص ٧٢

٣- رواه البخاري كتاب الإيمان ٢ ، باب الجهاد من الإيمان ٢٦ ، حديث ٣٦ ص ١١

٤- رواه البخاري كتاب الجهاد ٥٦ ، باب الحور العين وصفتهن ، ٦ ، حديث ٢٧٩٥ ص ٥٦٨

الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ^٤ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾^(١)، (هذا تهديد شديد ، ووعيد مؤكد لمن ترك النفير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم)^(٢)، (فإن عدم النفير في حالة الاستنفار من كبائر الذنوب الموجبة لأشد العقاب لما فيه من المضار الشديدة فإن المتخلف قد عصى الله تعالى وارتكب لنهييه ولم يساعد على نصر دين الله ولا دب عن كتاب الله وشرعه ولا أعان إخوانه المسلمين على عدوهم الذي يريد أن يستأصلهم ويمحق دينهم ، وربما اقتدى به غيره من ضعفاء الإيمان)^(٣)، فحري بالمؤمن أن يبادر إلى نداء الله وأقل ما يفعله يكثُر سواد المسلمين ويشجع غيره في الإقدام والصمود والتصدي لأعداء الله . وقال تعالى محذراً عن الفرار عند منازل الأعداء ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿٤٠﴾ وَمَنْ يُوَلَّهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَنَهُ جَهَنَّمَ^٥ وَيَسَّ الْصَّيْرُ ﴿٤١﴾^(٤) .

وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الجهاد والركون إلى ملذات الدنيا فقال : (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا يترعه حتى ترجعون إلى دينكم)^(٥) .

^١ - التوبة الآيتان : ٣٨-٣٩

^٢ - فتح القدير ، الشوكاني ، ج ٢ ص ٣٦٢

^٣ - تيسير الكرم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ عبد الرحمن السعدي ، ص ٢٩٧

^٤ - الأنفال آية : ١٦

^٥ - رواه أبو داود في كتاب البيوع ٢٢ باب النهي عن العينة ٥٤ ، حديث ٣٤٦٢ ص ٣٨٦ قال الألباني في صحيح

سنن أبي داود : صحيح ج ٢ ، ص ٦٦٣ .

(وسبب هذا الذل والله أعلم أنهم لما تركوا الجهاد في سبيل الله الذي فيه عز الإسلام وإظهاره على كل دين عاملهم الله بتقيضه وهو إنزال الذلة بهم) ^(١)، لأنهم لم يقوموا بواجب الجهاد وحماية الدعوة كما أمرهم الله وكان الحديث يحكي عن واقع الأمة المعاصر الذي أصبحت فيه بين الأمم أقل مهابة وفي موقع لا تحسد عليه وما ذلك إلا بترك الجهاد الذي كان سبب عزها ورفعتها ، فهل من عودة والأخذ بعوامل النصر والتمكين وتجميع شتات الأمة والوقوف ضد الأعداء صفاً واحداً وفي خندق واحد لنصرة دين الله وإعلاء كلمته ، وللأسف الشديد اليوم أغلب أفراد الأمة الإسلامية إلا من رحمه الله مصاب بمرض الغفلة وعدم الانتباه واللامبالاة حتى عن التفكير في القيام بفريضة الجهاد وقد حذر صلى الله عليه وسلم من ذلك بقوله (من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق) ^(٢)

* التحريض على القتال عند لقاء العدو

لا ريب من أن الفترة التي تسبق خوض المعركة مع العدو أنها فترة حرجة عند المقاتل يحتاج فيها إلى مزيد من رفع الروح المعنوية والتثبيت والتذكير بفضائل الجهاد وما أعده الله له من نعيم مقيم إن استشهد والنصر والتمكين وحياة العز والكرامة إن مد الله في عمره . ولأهمية التحريض قبل بدء المعركة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم بهذه المهمة بنفسه كما فعل في بدر عندما قال لجيشه (قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض " قال : عمير بن الحمام الأنصاري : يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض ؟ قال (نعم) قال : يخ يخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما يحملك على قولك يخ يخ

^١ - عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، ج ٩ ص ٣٣٨ ، دار الفكر .

^٢ - رواه مسلم كتاب الإمارة ٣٣ ، باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ٤٧ ، حديث ١٩١٠ ص ٧٩٢ .

" قال : لا ، والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال "فإنك من أهلها " فأخرج تمرات من قرنه يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى أكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة .. فرمي بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل (١) رضي الله عنه فهو نموذج من أولئك الأبطال الذين حرضهم النبي صلى الله عليه وسلم في تلك المعركة الفاصلة التي قسمت ظهر المشركين مع كثرتهم وقلة المجاهدين الذين كان النصر حليفهم .

(وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبائع أصحابه في الحرب على ألا يفروا وربما بايعهم على الموت) (٢) كما قال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه في يوم الحديبية (٣) .

ولم يغفل الصحابة رضي الله عنهم عن سنة التحريض عند لقاء العدو بل استمروا عليها في قتال الأعداء فهذا بن رواحة رضي الله عنه يحرض أصحابه في غزوة مؤتة فيقول (يا قوم والله إن الذي تكروهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا به الله فانطلقوا ، فإنما هي إحدى الحسينين إما الظفر وإما الشهادة) (٤) .

ومن المواقع المشهودة التي أخذت حظاً وافراً من التحريض موقعة اليرموك بأرض الشام حيث (قام خالد بن الوليد في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي ، أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم ، وإن هذا يوم له

١- رواه مسلم كتاب الإمارة ٣٣ ، باب ثبوت اللجنة للشهيد ٤١ ، حديث : ١٩٠١ ، ص ٧٨٩

٢- زاد المعاد ، ابن القيم ، ج ٣ ص ٩٥

٣- انظر : صحيح البخاري كتاب المغازي ٦٤ باب غزوة الحديبية ٣٦ ، حديث ٤١٦٩ ص ٨٦٠

٤- زاد المعاد ، ابن القيم ، ج ٣ ص ٣٨٢

ما بعده لو رددناهم اليوم إلى خندقهم فلا نزال نردهم ، وإن هزمونا لا نفلح بعده أبداً^(١) .

ومع قيام القائد أو الأمير بمهمة التحريض كان هنالك أشخاص آخرون يدورون في الجيش ويؤدون مهمة التحريض فكان في اليرموك (قاصهم الذي يعظهم ويحثهم على القتال أبو سفيان بن حرب)^(٢) الذي قال : من جملة ما قال (يا معاشر أهل الإسلام حضر ما ترون فهذا رسول الله والجنة أمامكم والشيطان والنار خلفكم)^(٣) .

وكان (قارئهم الذي يدور على الناس فيقرأ سورة الأنفال وآيات الجهاد المقداد ابن الأسود)^(٤) .

وهذا يدل على أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يولون التحريض على القتال أهمية كبيرة لما فيه من رفع المعنويات وتحمل وطأة القتال في سبيل الله وفي موقعة القادسية بأرض العراق عند لقاء الفرس (صلى سعد)^(٥) بالناس الظهر ثم خطب الناس فوعظهم وحثهم وتلا قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾^(٦) .

وقرأ القراء آيات الجهاد وسوره ، ثم كبر سعد أربعاً ثم حملوا بعد الرابعة^(٧)

١- البداية والنهاية ، ابن كثير ، ج ٧ ص ٧

٢- المرجع السابق ، ج ٧ ص ٧

٣- المرجع السابق ، ج ٧ ص ٩

٤- المرجع السابق ، ج ٧ ص ٨

٥- هو سعد بن أبي وقاص قائد معركة القادسية المشهورة

٦- الأنبياء آية : ١٠٥

٧- البداية والنهاية ابن كثير ، ج ٧ ص ٤٤

على عدوهم فكان النصر حليفهم ويتبين من ذلك أن التحريض على القتال له وقع كبير في نفوس المجاهدين وأن آيات الجهاد ترفع من معنويات المجاهد إلى أعلى قمم البأس والشجاعة والإقدام دون كلل أو ملل لأنه إن قتل فهو حي يرزق عند الله في جنات النعيم وإن بقي في الدنيا فهو في عز ورفعة ينتظر الجزاء الأوفى يوم القيامة ونسأل الله أن يكتبنا من المجاهدين في سبيله .

المطلب الثاني : الوحدة وطاعة الأمير وعدم الاغترار بالقوة في الجهاد حفاظاً على مكتسبات الدعوة

الوحدة عامل فعال من عوامل النصر والتمكين ، وهي (سياج الأمة ودرعها الواقى والصخرة التي تحطم عليها قوى البغي والعدوان)^(١) ، (وتقوم النظرية الإسلامية في تحقيق الوحدة والتماسك على ٠٠٠ (التوحيد) الذي هو مبدأ الإسلام وجوهره والذي يتغلغل في كيان المؤمن ويعمر به قلبه ونفسه ووجدانه ومن ثم تكوين الاتجاهات الفكرية للجماعة الإسلامية موحدة وتتركز في مبادئ وعقائد عامة يعتنقها جميع المسلمين)^(٢) ، ويدافعون عنها بكل ما يمكن المدافعة به ويسعون لنشرها عبر الوسائل المتاحة لديهم وقد أمر الله تعالى بالوحدة وعدم التفرق لأن في الوحدة قوة ونصر وعز وفي التفرقة ضعف وهوان فقال عز وجل ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ ﴾^(٣) قال : ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير هذه الآية المقصود بحبل الله (هو الجماعة وقال : عليكم بالجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة)^(٤)

وقال : صلى الله عليه وسلم (إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً ، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال)^(٥) ، فالوحدة والاجتماع على الحق وعدم التفرقة والتنافر مما

^١ - وسائل النصر في القرآن والسنة د/ محمد جمعه عبد الله ص ٥٤، ط ١، ١٤٠٥-١٩٨٥ م، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة

^٢ - النظرية الإسلامية في بناء الروح المعنوية اللواء محمد جمال الدين على محفوظ ص ٤٧

^٣ - آل عمران آية : ١٠٣

^٤ - مختصر تفسير البغوي د/ عبد الله الزيد ج ١ ص ١٣٤

^٥ - رواه مسلم في كتاب الأفضية ٣٠ باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة...، ٥ حديث ١٧١٥ ص ٧١٢

يجبه الله عز وجل وخاصة في الجهاد لأنه من عوامل النصر ، أما التفرقة والاختلاف فمن موجبات الهزيمة والفسل والخذلان كما قال تعالى ﴿ وَلَا تَنْزِعُوا أَيْدِيَكُمْ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ لِيُنزِعَهَا اللَّهُ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٤٥ ﴾ (١)

قال : مجاهد "وتذهب ريحكم " نصرتمكم .. والريح هنا كناية عن انفاذ الأمر وجريانه على المراد تقول العرب هبت ريح فلان إذا أقبل أمره على ما يريد قال قتادة وابن زيد هو ريح النصر لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها عز وجل تضرب وجوه العدو) (٢)

فإذا حصل التنازع والفرقة حرم المجاهدون من هذا التأييد والنصر وحل محله الهزيمة والفسل أمام العدو، كما قال عز وجل ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ٣٢ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّنْ بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ ٣٣ مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ٣٤ ثُمَّ صَرَّفَكُمْ اللَّهُ فِي الْأَمْزَجِ ٣٥ إِنَّكُمْ لَعِنْدَهُ ٣٦ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ٣٧ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ٣٨ ﴾ (٣)

وهذا التنازع حصل من الرماة يوم أحد وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أقامهم في موضع وقال : (احموا ظهرنا ، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتمونا نغتم فلا تشاركونا " فلما غتم النبي صلى الله عليه وسلم وأناخوا عسكر المشركين أكب الرماة جميعا في العسكر ينهبون) (٤) ، وجاءت خيل المشركين من موقع الرماة وأطبقت على المسلمين فكان ما كان من فسل في المعركة .

١- الأنفال آية : ٤٦

٢- انظر: مختصر تفسير البغوي د/ عبد الله الزيد ج ١ ص ٣٤٥

٣- آل عمران آية : ١٥٢

٤- تفسير القرآن العظيم ابن كثير ج ١ ص ٤١٢

والمطلوب من المؤمنين أن يقفوا صفاً واحداً تجاه عدوهم كما قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرَّضُوصٌ ﴾^(١)

وكما قال : صلى الله عليه وسلم (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)^(٢) ، فكما أن البنيان يعطي لبعضه البعض قوة التماسك والتناسق والاتحام فيقوى على الصمود أمام العواصف والرياح العاتية فكذلك المؤمن إذا وقف بجانب أخيه المؤمن وقفة اتحاد وتآلف وتعاون وصمود أمام الأعداء كانت النتيجة النصر والفوز بإذن الله إن عاجلاً أو آجلاً .
ولأهمية الاتحاد والتآلف في النصر على الأعداء كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي قواده بالاجتماع والتآلف فعندما أرسل عمر بن العاص إلى ذات السلاسل في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ثم طلب المدد بعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين .. وأمره أن يلحق بعمسرو وأن يكونا جميعاً ولا يختلفا)^(٣) لأن اختلاف القادة يتسبب في اختلاف الجيش وانشغاله عن العدو المشترك وعدم الصمود أمامه أو التغلب عليه.

وقد أدرك خالد بن الوليد رضي الله عنه أهمية توحيد القادة عند ما جاء من العراق إلى الشام في معركة اليرموك حيث (وجد خالد الجيوش متفرقة فجيش أبي عبيدة وعمرو بن العاص ناحية وجيش يزيد وشرحبيط ناحية فقام خالد في الناس خطيباً فأمرهم بالاجتماع ونهأهم عن التفرقة والاختلاف فاجتمع الناس وتضافوا مع عدوهم)^(٤) وكانت خطة خالد في توحيد القادة التناوب بأن يتولى القيادة كل يوم أحدهم واقترح أن يكون اليوم

^١ - الصف آية : ٤

^٢ - رواه البخاري كتاب الصلاة ٨ ، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره ٨٨ ، حديث ٤٨١ ص ١٠٢ ،
ومسلم كتاب البر والصلة والآداب ٤٥ ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ١٧ ، حديث ٢٥٨٥ ص ١٠٤١

^٣ - انظر: طبقات ابن سعد ج ٢ ص ١٣١

^٤ - انظر: البداية والنهاية ابن كثير ج ٧ ص ٧

الأول له فوافق القادة على اقتراحه وهم يظنون أن الأمر يطول ولكن تم النصر في نفس اليوم وقبل انتهاء نوبة خالد رضي الله عن الجميع^(١)

والحمد لله على نصره الإسلام وعزه والحديث عن الوحدة كعامل من عوامل النصر يضاف إليه الحديث عن طاعة الأمير أو القائد كعامل من عوامل النصر الذي يحذر التنبيه له .

وقد أمر الله تعالى بذلك فقال ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢) ، وهم الولاة على الناس من الأمراء والحكام والمفتين فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم ، طاعة لله ورغبة فيما عنده . ولكن بشرط أن لا يأمروا بمعصية الله فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق^(٣) ، والغالب في القائد المسلم الذي خرج في الجهاد لإعلاء كلمة الله لا يأمر إلا بالمعروف وإن كان قد يحصل منه نوع الخطأ كغيره من البشر فيناصح في ذلك دون التشهير والتأليب عليه لأن المصلحة العامة تقتضي ذلك والعالم بمصالح عباده العاجلة والآجلة هو الذي أمر بطاعة ولاة الأمور وأيضاً رسوله قد أمر بذلك حيث قال : صلى الله عليه وسلم (من أطاعني فقد أطاع الله ومن يعصني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد

^١ - انظر ا لبداية والنهاية ابن كثير ج٧ ص ١٤

^٢ - النساء آية : ٥٩

^٣ - تيسير الكرم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ ، عبد الرحمن السعدي ص ١٤٨

أطاعني ومن يعصي الأمير فقد عصاني) ^(١)، وقال (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) ^(٢)

وتطبيقاً لمبدأ الطاعة في المعروف للأمرء قال الصديق رضي الله عنه في أول خطاب له عند توليه الخلافة (أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم) ^(٣)، فطاعة الأمير عامل مهم من عوامل النصر على الأعداء لأنه به تحقق وحدة المسلمين وتماسكهم والوقوف في وجه العدو بكل قواهم مع الاحترام المتبادل بين القائد والجندي الذي يرى طاعة الأمير من طاعة الله ورسوله وأنه حق يجب الوفاء به ويحرص الأمير أن لا يشق على أتباعه ويحملهم ما لا يطيقون بل يسهل عليهم ويتجنب إليهم ويسعى أن يكون ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم) ^(٤) .

ومن عوامل النصر عدم الاغترار بكثرة العدد وقوة العدد لأن النصر من عند الله كما قال عز وجل : ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ ^(٥) ، أما حشد الجيوش والتجهيز بالعتاد فهذه أسباب أمر الله باتخاذها دون الاعتماد عليها والغرور بها وعندما رأى بعض المسلمين كثرة عدد المسلمين يوم حنين وقال (لا تغلب اليوم من قلة) ^(٦) عاقبهم الله على ذلك فكانت الهزيمة في بادئ الأمر ثم بعد أن عرفوا عجزهم من الله عليهم بالنصر ، ليتبين للناس أن النصر ليس بكثرة العدد والهزيمة بالقلة فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، قال تعالى مخبراً عما وقع يوم حنين ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ

^١ - رواه مسلم كتاب الإمارة ٣٣ باب وجوب طاعة الأئمة في غير معصية وتحريمها في المعصية ٨ ، حديث ١٨٣٥ ص ٧٦٧

^٢ - رواه مسلم كتاب الإمارة ٣٣ باب وجوب طاعة الأئمة في غير معصية وتحريمها في المعصية ٨ ، حديث ١٨٣٩ ص ٧٦٨

^٣ - البداية والنهاية ابن كثير ج ٦ ص ٣٠٦

^٤ - رواه مسلم كتاب الإمارة ٣٣ باب خيار الأئمة وشرارهم ١٧ حديث : ١٨٥٥ ، ص ٧٧٤

^٥ - آل عمران آية : ١٢٦

^٦ - الطبقات الكبرى ابن سعد ج ٢ ص ١٥٠

فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ
 عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى
 رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ
 الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾^(١)، فليحرص المجاهد أن يكون قلبه معلق بالله ويطلب منه النصر المدد
 والعون فإنه نعم المولى ونعم النصير.

١- التوبة الآيات: ٢٥-٢٦

المطلب الثالث : الصبر والذكر والدعاء في الجهاد حفاظاً على مكتسبات الدعوة

الصبر لغةً :

هو المنع والحبس ، ..حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي والجوارح عن لطم الحدود وشتق الثياب ونحوها ويقال صبر يصبر صبراً وصبر نفسه (١) .

أما حقيقته :

فهو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل ، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها (٢) ، فما من فضيلة إلا والصبر دعامتها ولا رذيلة إلا والصبر الدرع الواقية من شرها فهو خلق الأنبياء وزاد العظماء (٣) به يتحقق النصر والظفر على الأعداء والتغلب على المحن والابتلاء ، فالصبر من أعظم عوامل النصر على الأعداء لأنه يضاعف قوة المؤمن حتى يتمكن من هزيمة الأعداء قال تعالى ﴿ فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٤) ، ومن كان الله معه فهو الغالب والمتنصر قال الشوكاني في تفسير الآية (فيه الترغيب إلى الصبر والتأكيد عليهم بلزومه والتوصية به وأنه من أعظم أسباب النجاح والفلاح والنصر والظفر لأنه من كان الله معه لم يستقم لأحد أن يغلبه) (٥) .

١- عدة الصابرين ودخيرة الشاكرين ابن قيم الجوزية ص ٢٧ ، في ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان

٢- المصدر السابق ص ٩٩

٣- الإعداد المعنوي للقتال في الإسلام العميد فيصل بالي ص ٤٥

٤- الأنفال آية : ٦٦

٥- فتح القدير الشوكاني ج ٢ ص ٣٢٤

وقد أمر الله بالاستعانة بالصبر فقال ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١)، وقال عز وجل ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢)، فالآية الكريمة (تدعونا إلى الصبر في البأساء والضراء وحين البأس وأثناء العمل والكفاح وفعل الخير وتدعونا إلى منافسة الغير ومسابقته فيه ، تدعونا إلى أن يكون صبرنا في الجهاد والكفاح أقوى وأعمق وأكثر من صبر الأعداء فمن بذل كل إمكانياته وقدم كل طاقاته في سبيل الله وابتغاء مرضاته وصبر وصابر كان الله معه موقفاً ومقويا ومعينا وناصرأً فهو الذي يقول ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣)، وإنما أمرنا الله بالمصابرة بعد الصبر لأن النصر في المعارك دائماً لا يكون إلا للصابر الأخير^(٤) (ومما لا شك فيه أن الثبات عند لقاء العدو يعد عاملاً من أجل العوامل التي تساعد على الانتصار وهو دليل واضح على قوة الروح المعنوية التي هي الدافع القوي على القتال والاستبسال والاستماتة في القتال وقد انتصر المسلمون في كل غزواتهم بهذه الروح التي يبثها الإيمان في نفوس المحاربين فتتضاعف إمكانياتهم الحربية وقدرتهم على مواجهة العدو)^(٥)، والصمود في وجهه حتى يتحقق النصر وقد امتدح الله تعالى الصابرين في شدائد الحياة وخاصة القتال في سبيله فقال : ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٦) .

١- البقرة آية : ١٥٣

٢- آل عمران آية : ٢٠٠

٣- العنكبوت آية : ٦٩

٤- وسائل النصر د/ محمد جمعه ص ١٠٠

٥- الجهاد في سبيل الله د/ كامل سلامة ص ٢٢٤

٦- البقرة آية : ١٧٧

فالمجاهد لا بد أن يدرّب نفسه ويعودها على شدائد الأمور لأنه مقدم على محن وابتلاءات تتطلب منه الجلد والصبر ليفوز في الدارين قال تعالى ﴿ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَنَشِيرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (١) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٢﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿٣﴾ (١) ، والله سبحانه وتعالى إن علم من عباده الصدق والإخلاص في الجهاد في سبيله يعينهم على الصبر والثبات ويكرمهم بالنصر كما قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصَرُوا لِلَّهِ يَنصِرْكُمْ وَيُخْرِجْكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ الَّتِي كَفَرْتُمْ فِيهَا ۚ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر الصحابة بالصبر عند اللقاء ويشهرهم بالجنة على ذلك بقوله (يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا وأعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف) (٣) ، ولا يثبت تحن ظلال السيوف إلا أهل الشجاعة والإقدام والهمم العالية والمقامات الرفيعة الذين يعرفون أن الجنة محفوفة بالمكاره لأنها سلعة الله الغالية التي اشترى الله بها نفس المؤمن وماله .

ومن أهم العوامل التي يتحقق بها النصر على الأعداء والحفاظ على مكتسبات الدعوة ذكر الله عز وجل مع الصبر و الثبات في المعركة قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٤) ، لأن الذكر عامل من عوامل الطمأنينة والسكون كما قال عز وجل ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ

١- البقرة الآيتان : ١٥٥-١٥٦

٢- محمد آية : ٧

٣- رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير ٣٢، باب كراهية تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء ٦

حديث ١٧٤٢ ، ص ٧٢٣

٤- الأنفال آية : ٤٥

قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ^١ أَلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٧٤﴾^(١) ، تسكن قلوب المؤمنين ويستقر فيها اليقين^(٢) ، فلا تفكر في الفرار والانهزام أمام العدو بل في الصمود وطرق التغلب على العدو حتى يتم النصر أو الشهادة وفي الأمر بالإكثار من ذكر الله في الحرب تنبيه على أنه يجب على العبد ألا يفتر من ذكر الله أكثر ما يكون هما وأشغل ما يكون قلبا، وأن العبد ينبغي ألا يشغله شيء عن ذكر الله تعالى وأن يلتجئ إليه عند الشدائد ويقبل عليه بكلية فارغ البال واثقا بأن لطفه لا ينفك عنه في حال من الأحوال^(٣) .

وقد امتدح الله أصحاب العقول الذكية الذين يذكرونه في جميع أحوالهم وتصرفاتهم ممتلئة قلوبهم تعظيما وإجلالا لربها قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٤٤﴾^(٤) ، فهذه القلوب التي عمرت بذكر الله والألسن التي تعودت وتمرس وصارت رطبة بذكر الله في حال الرخاء هي حرية أن تكون في حال الشدة والجهاد أكثر ذكرا والتجاء إلى الله عز وجل طلبا للنصر والفوز في الدارين .

ومن عوامل النصر الدعاء الذي هو السلاح الفتاك الذي يضرب في صميم العدو وما يدري أين مصدره فهو سلاح المؤمن الذي لا يخونه في حال من الأحوال ، وقد أمر الله به مع ضمان الإجابة في قوله تعالى ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ^(٥) ﴾^(٥) ، وأخبر أنه قريب من الداعي الذي يدعوه ويرفع أكف الضراعة إليه كما قال عز وجل ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ

١- الرعد آية : ٢٨

٢- مختصر تفسير البغوي د/ عبد الله الزيد ، ج ١ ص ٤٦٣

٣- وسائل النصر د/ محمد جمعه ص ٩٦

٤- آل عمران آية : ١٩١

٥- غافر آية : ٦٠

عِبَادِي عَنِّي قَرِيبٌ أَحْيَبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ
يُرْشَدُونَ ﴿١﴾

فمن دعا ربه بقلب حاضر ودعاء مشروع ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء كأكل الحرام ونحوه ، فإن الله قد وعده بالإجابة ، وخصوصاً إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية والإيمان به الموجب للاستجابة (٢) .

ومن أسباب استجابة الدعاء ، الدعاء عند لقاء العدو كما كان الحال في غزوة بدر قال تعالى ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴾ (٣) ، وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم دعاء طويلاً مبتهلاً إلى الله يناشده أن ينجز له وعده بنصره ومنها أنه (استقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مدّ يديه فجعل يهتف بربه "اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني اللهم إن هلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض ، فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك منا شدتك ربك فإنه سيجزيك ما وعدك فأنزل الله عز وجل (إذ تستغيثون ربكم) (٤) .

١- البقرة آية : ١٨٦

٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ، عبد الرحمن السعدي ص ٦٩

٣- الأنفال آية : ٩

٤- رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير ٣٢ باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم ١٨ ، حديث ١٧٦٣

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق على الأحزاب (اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزمهم) ^(١)، فاستجاب الله دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم فكانت النتيجة كما قال الله عز وجل ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ ^(٢)، وجند الله هم الغالبون في كل موطن وكان من دعاء طالوت وجنوده كما قال عز وجل ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٣) .

يتبين من هذه الشواهد أن الدعاء له وقع كبير في النصر على الأعداء والتمكين في الأرض لإعلاء كلمة الله عز وجل ولا شك من أن الدعاء (فيه إظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار وفيه الاعتراف بقدرة المسؤول على دفع هذا الضرر ونيل المطلوب وجلب المنافع ودرء المضار ولا يصلح الذل والافتقار إلا لله وحده لأنه حقيقة العبادة) ^(٤) .

فتعين إخلاص الدعاء لله وحده دون سواه عز وجل لأنه هو الناصر والمعين ونسأل الله إلهام الدعاء والنصر على الأعداء والفوز بالجنة والنجاة من النار .

^١ - متفق عليه، رواه البخاري كتاب المغازي ٦٤ باب غزوة الخندق وهي الأحزاب ٣٠، حديث ٤١١٥ ص ٨٤٨، ومسلم كتاب الجهاد والسير ٣٢ باب استجاب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو ٧ حديث : ١٧٤٢، ص ٧٢٣ .

^٢ - الأحزاب آية : ٩

^٣ - البقرة الآيتان : ٢٥٠-٢٥١

^٤ - جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي ص ٤٨١

الفصل السابع

أوجه الاستفادة من وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة في العصر النبوي
وعصر الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - في العصر الحاضر .

المبحث الأول : أوجه الاستفادة من وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة في
مواجهة الأخطار الداخلية .

المبحث الثاني : أوجه الاستفادة من وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة في
مواجهة الأخطار الخارجية

المبحث الأول : أوجه الاستفادة من وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة في مواجهة الأخطار الداخلية ، ويتضمن ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : الاستفادة من وسيلة التعليم في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في العصر الحاضر .

المطلب الثاني : الاستفادة من وسيلة الحسبة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في العصر الحاضر .

المطلب الثالث : الاستفادة من وسيلة العدالة ، وإقامة الحدود ، والعقوبات التعزيرية في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في العصر الحاضر .

تمهيد :

مما هو مسلم به أن الدعوة الإسلامية من يوم انبثاق فجرها في مكة المكرمة إلى اليوم وهي تتعرض لمخاطر داخلية وخارجية ، وقد صمدت في وجه تلك المخاطر بعون من الله ثم صمود وجهود الدعاة في نشرها والذود عن حماها ، ومكتسباتها ، ولا ريب أن هذه المخاطر تستمر وتقوى في حال ضعف المسلمين ، وتضعف عند قوتهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد شرع الله وسائل لمواجهة هذه المخاطر ، وأن الأخذ بها كان له الدور الكبير في نشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها في الماضي ، وهي كفيلة بأن تحقق في هذا العصر ما حققته في العصور السابقة .

المطلب الأول : الاستفادة من وسيلة التعليم في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في**العصر الحاضر .**

الكتابة في موضوع التعليم في العصر الحاضر يحتاج إلى مساحة أوسع من مطلب في مبحث لأن المتبع لأحوال العالم الإسلامي اليوم في مجال التعليم يقف في حيرة من أين يبدأ الكتابة؟ هل يتحدث عن جهل الشعوب الإسلامية بعقيدتها وعموم مبادئ دعوتها أم من التجهيل الذي تتعرض له والمفروض عليها من قبل أعدائها؟ وأيا كان الأمر فلا بد من الولوج في الموضوع ، فالعلم في أي عصر من العصور هو الذي يزيل ظلام الجهل ويبعث في النفوس روح نشر المبادئ والحفاظ عليها و(أن للعلوم والكتب روحاً وضميراً ، كالكائنات الحية، وهو باطن هذه العلوم والروح السارية في الكتب ، فالعلوم التي أنشأها الإسلام وصاغها في قلبه قد سرت فيها روح الإيمان بالله ، والتقوى والخشية لله ، والفضيلة، والإيمان بالآخرة ، والعلوم التي وضعها اليونان أو رتبوها اشتملت على خرافاتهم ، وعلى روحهم الجاهلية وكذلك العلوم التي دونتها أمم أوروبا الملحدة ، والكتب التي ألفها أدباؤها وفلاسفتها قد سرى فيها الإلحاد والجحود ، والإيمان بالماديات والمحسوسات فقط^(١) فدل ذلك على أن كل أمة تحيا وتعيش بروح العلم الذي تتلقاه فتسعد به أو تشقى في الدنيا والآخرة ويؤكد ابن القيم رحمه الله أن كل صفة مدح الله بها العبد وهي سبب في الحفاظ على مكتسبات الدعوة بأنها تعود إلى العلم النافع وكل صفة تخالف ذلك تعود إلى الجهل فقال مفصلاً في ذلك.

(إن كل صفة مدح الله بها العبد في القرآن فهي ثمرة العلم ونتيجته وكل ذم ذمه فهو ثمرة الجهل ونتيجته ، فمدحه بالإيمان وهو رأس العلم ولبه ومدحه بالعمل الصالح الذي هو ثمرة العلم النافع ومدحه بالشكر والصبر والمسارة في الخيرات والحب له والخوف منه والرجاء والإنابة والحلم والوقار واللب والعقل والعفة والكرم والإيثار على النفس والنصيحة لعباده والرحمة بهم والرفقة وخفض الجناح والعفو عن مسيئهم والصفح عن جانبيهم وبذل الإحسان لكافتهم ودفع السيئة بالحسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر في مواطن الصبر والرضا بالقضاء واللين للأولياء والشدة على الأعداء والصدق في الوعد والوفاء

^١ - التربية الإسلامية ، أبو الحسن علي الحسن الندوي ص ١٠ ط ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

بالعهد والإعراض عن الجاهلين والقبول من الناصحين واليقيين و التوكل والطمأنينة والسكينة والتوصل والتعاطف والعدل في الأقوال والأفعال والأخلاق والقوة في أمره والبصيرة في دينه والقيام بأداء حقه واستخراجه من المانعين له والدعوة إليه وإلى مرضاته وجنته والتحذير عن سبيل أهل الضلال وتبيين طرق الغي وحال سالكيها والتواصي بالحق والتواصي بالصبر والحض على طعام المسكين وبر الوالدين وصلة الأرحام وبذل السلام لكافة المؤمنين إلى سائر الأخلاق المحمودة والأفعال المرضية التي أقسم الله سبحانه على عظيمها فقلا تعالى ﴿رَبِّهِمْ وَأَلْقَلَمٍ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾^(١) قالت عائشة رضي الله عنها وقد سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن فاكتفى بذلك السائل وقال فهمت أن أقوم ولا أسأل عن شيء بعدها فهذه الأخلاق ونحوها هي ثمرة شجرة العلم .

أما شجرة الجهل، فتثمر كل ثمرة قبيحة من الكفر والفساد والشرك والظلم والبغي والعدوان والجزع والهلع والكنود والعجلة والطيش والحدة والفحش والبذاء والشح والبخل ولهذا قيل في حد البخل جهل مقرون بسوء الظن ومن ثمرته الغش للخلق والكبر عليهم والفخر والخيلاء والعجب والرياء والسمعة والنفاق والكذب وإخلاف الوعد والغلظة على الناس والانتقام ومقابلة الحسنه بالسيئة والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف وترك القبول من الناصحين وحب غير الله ورجائه والتوكل عليه وإيثار رضاه على رضا الله وتقديم أمره على أمر الله والتماوت عند حق الله والثوق بما عند حق نفسه والغضب لها والانتصار لها ، فإذا انتهكت حقوق نفسه لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم بأكثر من حقه وإذا انتهكت محارم الله لم ينبض له عرق غضبا لله فلا قوة في أمره ولا بصيرة في دينه ومن ثمرتها الدعوة إلى سبيل الشيطان وإلى سلوك طرق البغي واتباع الهوى وإيثار الشهوات على الطاعات وقيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ووأد البنات وعقوق الأمهات وقطيعة الأرحام وإساءة الجوار وركوب مركب الخذي والعار وبالجملة فالخير بمجموعة ثمر يجتني من شجرة العلم والشر بمجموعة شوك يجتني من شجرة الجهل^(٢) .

^١ - القلم الآيات ١-٤

^٢ - مفتاح دار السعادة ابن القيم ج ١ ص ١١٥-١١٦

فهذا يدل على أن كل خصلة من خصال العز والرفعة والكرامة وحماية الدعوة منوطة بالعلم النافع المأخوذ من الكتاب والسنة والوسائل والأساليب الداعمة لنشره .
والناظر في واقع التعليم اليوم في العالم الإسلامي يتبين له أن هذا الحال سبقه جهل وبعث عن التربية والتعليم وعدم الأخذ بوسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة مما هيا الجو للغزو العسكري بصحبة الغزو الفكري من البلاد الغربية التي أطبقت على العالم الإسلامي من الشرق والغرب وتناحرت فيما بينها عندما وقع الخلاف في تقسيم التركة، فكان تقريباً نصيب بريطانيا الثلث بينما حصل التنازع في الثلثين بين روسيا، وفرنسا، وجاءت إيطاليا لنفوز بالسدس ودول أخرى أيضاً كان لها نصيبها من التركة قل أو أكثر بقدر نفوذها وحضورها في وقت تقسيم التركة ومكانها، وكل هذه الدول اتفقت في فرض ثقافتها وتعليمها على البلاد الإسلامية التي فازت بها مع نهب خيراتها وثرواتها وتحويلها إلى بلادها ولمعرفة هذه الدول أهمية التعليم في التأثير على الأمة ركزت في هذا المجال وأولته اهتمامها الكبير ولاشك من أنه لا يوجد (أشد خطراً وأعمق أثراً في مستقبل الأمة وحياتها، من التربية والتعليم فزلة من زلاتها، قد تردى أمة بأسرها في هاوية، وقد تؤدي بها إلى الاضمحلال والتفسيخ والفوضى في الأخلاق والاجتماع والسياسة والتعليم واللا دينية والإلحاد) (١) .

وقد تعرض الكثير من البلاد الإسلامية لمثل هذا الحال نتيجة للاستعمار العسكري والفكري الذي خضع له (و أن القوى الاستعمارية حرصت على السيطرة على التعليم في البلاد الإسلامية وتوجيهه توجيهاً خاصاً بحيث يخدم أغراضها خلال فترة السيطرة الفعلية على الأقطار الإسلامية كما خططت له أن يخدم مصالحها على المدى البعيد بعد انسحاب القوة الاستعمارية وزوال الوجود الاستعماري العسكري من البلاد الإسلامية المستعمرة) (٢) . وبعد استقلال الدول الإسلامية من الاستعمار العسكري استمر نظام التربية والتعليم على المنهج الذي خطط له من قبل الاستعمار (ولم تبدل حكومات الاستقلال جهوداً حقيقية كافية لتحرير التربية من رواسب النظم التربوية الاستعمارية وإن الإصلاح التربوي في الأقطار

١- التربية الإسلامية، أبو الحسن الندوي ص ٢٢

٢- نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية والتعليم ص ٦ وهو خمسة من أساتذة التربية والتعليم، ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر

الإسلامية حتى الآن إنما هي إصلاح توفيقى لم يتعرض للأسس الجذرية لفلسفة التربية والتعليم واتجاهاتها الأساسية (١) .

ولم يكتف الاستعمار بتوجيه التعليم العام في البلاد الإسلامية بل أنشأ مدارس وجامعات للتصير فلقد (استطاعت المدارس والجامعات التصيرية في البلاد العربية خاصة ، مثل الجامعة الأمريكية في كل من القاهرة وبيروت ، والجامعات اللبنانية أو جامعة القديس يوسف ، في لبنان وآلاف المدارس التصيرية في البلاد العربية ، استطاعت هذه أن تنشئ رجالاً لم يتعدوا فقط عن دينهم وعقيدتهم ، بل أصبحوا أعداء لهذا الدين ورسلاً للصليبية العالمية في نشر أفكارها وآرائها وتصورها للحياة ، وإلقاء نظرة على الأحزاب القومية والشيوعية ومؤسسيها في البلاد العربية وتلامذتهم يكفي في هذا المقام) (٢) .

فإذا كان هذا هو حال التعليم اليوم في معظم البلاد الإسلامية التي كانت تعيش في كنف دولة واحدة تقريباً ثم تمت تجزئتها من قبل الاستعمار إلى دويلات متناحرة يضرب بعضها بعضاً بسبب الحدود الجغرافية التي وضعها الاستعمار بطريقة يمكن فيها تأجيج الحرب بسهولة بين تلك الدول في الزمن والوقت المناسب فمن تمكن من تطوير بعض القدرات العسكرية استخدمها في التعدي وضرب جاره الضعيف ولم يوجهها إلى العدو المشترك ، فاستغاث الضعيف الذي انتهكت حرمانه وهز كيانه بدول الاستعمار التي هي حريصة في الحفاظ على مصالحها ومبادئها ، فقامت بضرب المعتدي الذي كان في سن الحبو فشلت حركته وكلما أراد أن يتحرك أو فكر في الحركة أعطي ركلة جعلته يعيش في شلل ليكون عيرة لمن يريد النهوض والاستقلالية عن التبعية المفروضة على الدول والبلاد الإسلامية .

فما هو الحل للخروج من هذا الضعف والهوان والتبعية التي تعيشها الأمة الإسلامية وخاصة في مجال التربية والتعليم ؟

وللإجابة عن مثل هذا السؤال وغيره والخروج من الوضع الحالي للأمة الإسلامية عقدت مؤتمرات وندوات وقدمت بحوث ومحاضرات نتج عن ذلك اقتراحات وتوصيات ، ولم تر حتى الآن النور في مجال التطبيق .

١- نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية والتعليم لخمسة من أساتذة التربية والتعليم ، ص ٧ .

٢- الإعلام والبيت المسلم ، فهمي قطب الدين التجار ، ص ٢٠ .

و (لاشك أن ظروف التحدي التي تعيشها الأمة الإسلامية اليوم تدفعها إلى مراجعة ماضيها والنظر إليه من الناحية التي يتطلبها الوضع الإسلامي في الصراع الحالي وعلى المسلمين أن يتأملوا بهدوء وروية وضمير حي في أنهم أمة واحدة تشترك في ماضي واحد وحاضر واحد ومستقبل واحد بالرغم من تفاوت الواقع ، وبالرغم من تحالف القوة الغربية للإطباق علينا وقطع مسيرتنا الحضارية . وهنا تتجلى لدينا الأهمية الكبرى لقدرة تربية وتعليمية توحد القوى ، وتضع جيلا مسلماً يستمد قوته من ذاته في وثبة إلى الأمام ، فتبدأ المسيرة بتربيته تربية صحيحة من الأساس ، ثم ينمو ويتكامل ويستعيد ثقته بنفسه بصياغة حياة أفضل)^(١) ولتحقيق ذلك (يجب على المدرسة أن تستقي مناهجها وكتبها ومقرراتها ونشاطها من صميم عقيدة الأمة وتاريخها وأهدافها ومتطلباتها وآمالها وآلامها حتى تخرج جيلا يحس بمشكلات مجتمعه ويعمل على حلها ويحس بآلام أمته ويربي على السعي إلى محوها يعادي من يعادي أمته وتحيى في نفسه مثلها العليا ومصالحها فيعمل على تحقيقها منذ نشأته ، ليستمر متعاطفاً مع مجتمعه وقضايا أمته موالياً للأمة الإسلامية مخلصاً لها طيلة حياته)^(٢) .

ولإيجاد مثل هذا الجيل الذي يحرص في نشر مبادئه ويحافظ على مكتسبات الدعوة لا بد من العمل لصياغة (نظام للتربية والتعليم ، يقوم على تطبيق بين العقيدة والثقافة وبين قوة العاطفة وإشراق الروح والتهاب جذوة الإيمان وبين العلم الواسع والفكر النير ، ومعرفة أحدث ما وصلت إليه الأجيال البشرية من تجربة واكتشاف .

ولا بد من بدء عجلة تطوير المناهج لهذا الغرض وسبك منهج تعليمي جديد ، يستغل في أحشائه الإيمان بالله وسيطر على جميع فروعهِ وجزئياته في الأواسط العلمية في الشرق إنه مشروع ضخم يتطلب ثورة في التفكير ومغامرة في المساعي والجهود ومثابرة تنهك القوى وتستنفذ الجهود ولكنه عمل تجديدي من أعمال الإصلاح والتربية وأكبر خدمة

^١ - التربية الإسلامية أمام التحديات ص ٦١ ، مؤتمر التربية الإسلامية المنعقد في بيروت ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م الكتاب

الثاني

^٢ - أصول التربية الإسلامية ، عبد الرحمن النحلوي ص ١٦٣ ، ط ٣ - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م دار الفكر المعاصر

بيروت، لبنان،

للإسلام والمسلمين في هذا العصر والذي يقوم به يستحق شكر الأجيال القادمة (١) والثناء من الأجيال المعاصرة التي تعاني حالياً من الواقع المرير وتتطلع لمن ينقدها منه .

(والحاجة إلى التربية الإسلامية والتعليم اليوم مشتقة من نفس الحاجة إلى تطبيق التشريع الإسلامي في مجتمعاتنا العربية ، والإسلامية لأن مناهج التربية الإسلامية هي التي تصوغ الفرد المسلم ، والأسرة المسلمة ، والمجتمع المسلم وفق مبادئ الإسلام العظيم ، ورسالته العالمية فإذا أردنا إذن أن نحافظ على شخصية الأمة المسلمة وأن نوجد المجتمع المسلم ، فلا مناص لنا من صياغة إسلامية لنا هج التربية والتعليم (٢) ، صياغة تستوعب أقصى ما توصلت إليه التقنية الحديثة مع الحفاظ على الثوابت الإسلامية ، وتسخير التقنية الحديثة لخدمة الأمة ، والحفاظ على مكتسباتها ، وإبراز الرؤية الموحدة للأمة الإسلامية ، وأن تكون هذه الرؤية نابعة من الكتاب والسنة الصحيحة ، مع البعد عن الحزبية والإقليمية والمذهبية ، والتشيزم الذي عانت وتعاني منه الأمة ، كما ينبغي أن يكون منهج التربية والتعليم مرناً وواقعياً بحيث يتناسب مع إمكانيات وظروف البلاد الإسلامية (الذي يجوي جميع المناخات الطبيعية ومختلف الدرجات الاجتماعية من أعلى درجات الغنى إلى أبسط مظاهر الفقر والشظف . . . وأن يكون كل جزء منه مناسباً للمرحلة التي وضع لها من مراحل أعمار الناشئين كبناء التعليم الديني والثقافي في مرحلة الطفولة على أساس يتناسب مع التطور الديني (٣) والنمو اللغوي لهذه المرحلة ، ومعالجة مشكلات الشباب في المرحلة الثانوية وتربية الانتماء الاجتماعي إلى الأمة الإسلامية في المرحلة المتوسطة (٤) ، والتوسع في العلوم المختلفة ، وتبني قضايا الأمة السياسية وعلاقتها بشعوب العالم ، ومعرفة توجهاتهم العقيدية والسياسية ، وكيفية دعوتهم في المراحل الجامعية .

وعموماً (أن الضرورة تقتضي بحث وسائل الوحدة التربوية والتعليمية في العالم الإسلامي بالاتفاق على سياسة تربوية إسلامية واحدة ، ومحاولة توحيد مناهج التعليم في العالم الإسلامي ، كما كان ذلك قديماً حينما كانت الكتب والمناهج لا تختلف من بلد

١- التربية الإسلامية، الندوي ص ٤١-٤٢

٢- نحو صياغة إسلامية لنا هج التربية والتعليم ص ١١ لخمس من أساتذة التربية والتعليم

٣- لعل المقصود ما يمكن أن يستوعبه الطالب في هذه المرحلة وإلا فليس هناك ما يطلق عليه بالتطور الديني لأن الشريعة جاءت كاملة

٤- أصول التربية الإسلامية ، عبد الرحمن النحلوي ص ١٩٨

إسلامي لآخر^(١)، وكان ذلك عنوان وحدتها ومصدر قوتها، ووسيلة الحفاظ على مكتسبات دعوتها، وهو اليوم أحوج ما تكون الأمة إليه، كما ينبغي أن تكون لغة المنهج الموحد لغة القرآن الكريم، والحديث الشريف لغة المبعوث رحمة للعالمين، وهي اللغة التي انتشر بها الإسلام كما أنها لغة العبادة، وفهم الإسلام على حقيقته من معينه الصافي الكتاب والسنة .

والمستعمر أدرك هذه الحقيقة ففرض لغته على التعليم النظامي كما شجع اللغات واللهجات المحلية في سبيل إبعاد اللغة العربية عن صدارتها في العالم الإسلامي، ولا شك أن إعادة اللغة العربية إلى مكائنها الطبيعية نوع من الحفاظ على مكتسبات الدعوة في المجال التعليمي والتربوي، والدور الرائد الذي تطلع به جامعات المملكة في معاهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها لا ريب من أنه جهد موفق ومشكور يصب في مجال الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

وعموماً مهمة توحيد مناهج التعليم في البلاد الإسلامية ليست سهلة وميسرة بعد الوهن والشتات واختلاف الموارد والمشارب الذي ابتليت به الأمة الإسلامية، واتخاذ كل دولة منها منهاجاً خاصاً بها نشأ فيه الصغير وهرم فيه الكبير، فالأمر يتطلب جهوداً جبارة تتضافر فيه جميع الدول، والشعوب الإسلامية وتوظف من أجل ذلك قنوات الاتصال الجماهيرية المتاحة من إذاعة وتلفزيون وصحافة، ومنابر المساجد وقاعات الجامعات لإقناع الشعوب بالفكرة قبل إنزال المنهج، وأن يتولى طرح الفكرة العلماء الموثوق بهم بالإضافة إلى المتخصصين من علماء التربية والتعليم، ومفكري الأمة الحريصين والمهتمين بقضايا الأمة ووحدها، والحفاظ على مكتسباتها، وبالله التوفيق .

^١ - النظرية التربوية الإسلامية، ومفهوم الفكر التربوي الغربي، آمال حمزة المرزوقي ص ١٥٧ - ط، ١، ١٤٠٢ هـ -

المطلب الثاني : الاستفادة من وسيلة الحسبة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في العصر الحاضر :

الحسبة تكليف شرعي في تنفيذ ما جاءت به الشريعة من الأوامر والنواهي من أجل مصلحة المجتمع في أمورهم الدينية والدينية في كل زمان ومكان، وذلك حيث ما كان المؤمنون لا بد أن يكون حالاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإلا فلم تكتمل حقيقة الإيمان في النفوس قال تعالى ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (١) .

فالواجب على كل فرد من أفراد المجتمع أن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لأن ذلك "دعامة المجتمع فلا يقوم المجتمع إلا إذا شعر كل فرد من أفرادها أنه جزء من كل وأن فساد جزء من هذا الكل فساد للجميع . . إن الواجب علينا أن نتعاون تعاوناً حقيقياً فعلاً في إصلاح المجتمع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن نكون كلنا جنداً وهيئة في هذا الأمر العظيم كما جعلنا نبينا صلى الله عليه وسلم فقال (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) (٢) وإن علينا أن نعرف أن الذمة لا تبرا ونحن نعلم المنكر ولا نغيره، أو نبلغه لمن يغيره إذا لم نستطع تغييره" (٣) ، فمهمة الحفاظ على مكتسبات الدعوة شاملة لجميع أفراد الأمة دون استثناء كل حسب طاقته وإدراكه للمعروف والمنكر، وعلى كل مسلم أن يأمر بالمعروف وأن ينهى عن المنكر في الأشياء التي يستوي فيها العالم والجاهل، كالزنا وشرب الخمر والربا والغيبة والنميمة والكذب والحلف بغير الله وصفاته والاعتماد على غير الرازق

١- التوبة آية ٧١

٢- سبق تخريجه في ص ٢٣٣

٣- الضياء اللامع من الخطب الجوامع، للشيخ محمد صالح بن العثيمين ص ٢٦٢-٢٦٣، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م دار الريان القاهرة

سبحانه وتعالى وأذى الناس وإعانة الظالم وترك الصلاة والزكاة والصيام والحج إلى غير ذلك مما عمّ العلم به وشاع بين أفراد الأمة ^(١) .

ومما عمّت به البلوى في هذا العصر تجاهل معظم المسلمين إلا من رحم الله لواجب الاحتساب ، و(أن الكثير من المسلمين يرى المنكر أمام عينيه يفعل له ولده وتفعله زوجته وتفعله ابنته ويرى المنكر في الطريق وفي مكان العمل . . . ولا ينكره بل قد يعيب على من ينكر المنكر مع علمه الجازم بأنه منكر حتى صار المنكر ديدن غالبية أهل هذا الزمان عالمهم وجا هلهم وصار عند الكثير من الناس المنكر معروفاً .^(٢) وما ذلك إلا لكثرة شيوعه وتعدد وسائله ومهارة دعائه في عرضه بصور مختلفة ، وجذابة ومغرية تصيد ضعفاء الإيمان ، وتوقع أصحاب الشهوات والملذات في شراكها فيصعب أو يتعذر التخلص منه ، ومن تلك الوسائل التلفزيون المجهز لاستقبال القنوات الفضائية التي غالب عرضها الفجور والجون ، والجرائد والمجلات التي تعرض الصور الخليعة للممثلين والممثلات والمغنين والمغنيات وتطلق عليهم نجوم الفن بالإضافة لعرضها عارضات الأزياء ، والكتابة عن الجنس وتمييع الشهوات دون حياء ولا عفة ، فالذي يقرأ هذه المجلات ويشاهد تلك القنوات ويستمتع الأغاني . . . مرور الزمن يتبلد حسه فلا يشعر أن ما هو عليه منكر ، بل كل منكر يصير عنده معروفاً والعياذ بالله ، وللتخفيف من هذا الواقع الأليم والخروج منه لا بد من إفشاء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أوساط المسلمين أفراداً وجماعات رجالاً ونساءً .

وللشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله كلاماً نفيساً يوضح فيه كيفية الحفاظ على مكتسبات الدعوة بوسيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيقول :

معلقاً على قوله تعالى ﴿ يَا مُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ ^(٣) .

^١ - من كلام د/ محمد جميل غازي في مقدمة ، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، للشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٥ - دار المدني بجدة

^٢ - أضواء على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، عبده غالب أحمد عيس ص ٢٤ ط ١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م دار الجليل بيروت

^٣ - التوبة آية ٧١

هذا واجب عظيم فيه صلاح الأمة وبه نصر الدين وبه القضاء على أسباب الهلاك والمعاصي والشورور، فالمؤمنون والمؤمنات يأمران بالمعروف وينهون عن المنكر، المؤمن لا يسكت إذا رأى من أخيه منكراً ينهيه عنه وهكذا إن رأى من أخته أو عمته أو خالته أو غيرهن إذا رأى منهن منكراً نهاهن عن ذلك، وإذا رأى من أخيه في الله أو أخته في الله تقصيراً في الواجب أنكر عليه ذلك وأمره بالمعروف كل ذلك بالرفق والحكمة والأسلوب الحسن فالمؤمن إذا رأى أخاً له في الله يتكاسل عن الصلوات أو يتعاطى الغيبة أو النسيمة أو شرب الدخان أو المسكرات أو يعصي والديه أو أحدهما أو يقطع أرحامه أنكر عليه بالكلام الطيب والأسلوب الحسن لا بالألقاب المكروهة والأسلوب الشديد وبين له أن هذا الأمر لا يجوز له وهكذا إذا رأى من أخته في الله منكراً أنكر عليها ذلك كأن يراها تعصي والديها أو تسيء إلى زوجها أو تقصر في تربية أولادها أو تتساهل بالصلاة أنكر عليها، سواء كان زوجها أو أباه أو أخاه أو ابن أختها أو ابن أخيها، أو ليس قريباً لها بل من الناس الذين عرفوا ذلك منها، وهي كذلك إذا رأت من زوجها تقصيراً نهته عن ذلك كأن رآته يشرب الخمر أو رآته يدخن أو رآته يتساهل بالصلاة أو يصلي في البيت دون المسجد تنكر عليه بالأسلوب الحسن وبالكلام الطيب كأن تقول له: يا عبد الله اتق الله وراقب الله هذا لا يجوز لك حافظ على الصلاة في الجماعة دع عنك ما حرم الله عليك من المنكرات أو التدخين أو حلق اللحية أو إطالة الشوارب أو إسبال الثياب كل هذه المنكرات يجب على كل واحد من المؤمنين والمؤمنات والصلحاء إنكارها، وعلى الزوج والزوجة وعلى الأخ والقريب على الجار وعلى الجليس وعلى غيرهم القيام بذلك كما قال الله تعالى في وصف المؤمنين والمؤمنات (يأمران بالمعروف وينهون عن المنكر)، وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم (إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه^(١)) ويقول صلى الله عليه وسلم (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)^(٢)، وهذا عام لجميع المنكرات سواء كانت في الطريق أو في البيت أو في المسجد أو في الطائرة أو في القطار أو في السيارة أو في أي مكان وهو يعم الرجال

^١ - رواه الإمام أحمد في المسند ج ١ ص ٧، قال الأرثووط: إسناده صحيح على شرط الشيخين ج ١ ص ٢٠٨،

وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير: صحيح، ج ١ ص ٣٩٨

^٢ - تقدم تخريجه في ص ٢٣٣.

والنساء جميعاً المرأة تتكلم والرجل يتكلم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن في هذا صلاح الجميع ونجاة الجميع، ولا يجوز السكوت عن ذلك من أجل خاطر الزوج أو خاطر الأخ أو خاطر فلان وفلان لكن يكون بالأسلوب الحسن والكلمات الطيبة لا بالعنف والشدة ومع ملاحظة الأوقات المناسبة، فقد يكون بعض الناس في وقت لا يقبل التوجيه ولكنه في وقت آخر يكون متهيئاً للقبول فالمؤمن والمؤمنة يلاحظان للإنكار والأمر بالمعروف الأوقات المناسبة، ولا ييأس إذا لم يقبل منه اليوم أن يقبل منه غداً^(١).

فليكن بال محتسب طويلاً حتى يتحقق ما يريد من احتسابه في هداية من يحتسب عليه، وبذلك يكون قد ساهم في الحفاظ على مكتسبات الدعوة، وإذا كانت مسؤولية الحسبة شاملة لجميع أفراد الأمة (فلا يعني ذلك تساويها لدى كل الأفراد بل إنها متفاوتة تفاوتاً كبيراً، فذوو السلطان أولى من غيرهم وعليهم من الوجوب ما ليس على غيرهم، فإن مناط الوجوب هو القدرة فيجب على كل إنسان بحسب قدرته^(٢)، فأهل التمكين من الولاية والعلماء وأهل الحسبة عليهم مسؤولية كبيرة، وكذلك راعي كل مجموعة كرب الأسرة ومدير المدرسة ومدير المؤسسة وأمير البلدة عليهم مسؤولية أكبر من غيرهم . . وهكذا فالراعي مسؤول عن رعيته مهما كانت صغيرة أو كبيرة، ومهما كان نوعها ذكوراً أو إناثاً صغيراً أو كباراً مسلمين وغير مسلمين^(٣) .

وفي إطار الحديث عن تفاوت المسؤولية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يأتي دور العلماء الرائد في هذا المجال لأنهم هم الذين يقومون في توعية المجتمع من حكام ومحكومين في تبصير كل منهم للقيام بواجبه تجاه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (فالأمة الإسلامية اليوم تريد من علمائها الأفاضل أن ينتبهوا إلى ما يحيق بها من مكر سيئ وأن يبذلوا قصارى جهدهم لتقوم أمرها وإيقاظها من سباتها الذي طال عهده . والعلماء الذين قصروا في حق دينهم وانهمزموا أمام أعداء الأمة عليهم أن يعيدوا الكرة ويجعلوا من فشلهم

١- من أخلاق المؤمنين والمؤمنات، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ص ١٠-١٢، صادر عن شعبة العلاقات والتوجيه والتوعية الدينية - شرطة منطقة الرياض

٢- الحسبة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢١

٣- فقه الاحتساب على غير المسلمين د/ عبد الله بن إبراهيم الطريقي ص ٧٣، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، دار

ساعة ندم على ما فات فما زال الطريق مفتوحاً لمن أراد الخير، ولمن خاف مقام ربه وخاف وعيد^(١)، وقام بواجب دينه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الوجه الذي تبرا به ذمته، وليكن هذا هم الجميع كما سبق، لأن (مهمة الإصلاح المتمثلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لها دور عظيم في فلاح المجتمع ورقية وبأدائها على الوجه الأكمل الصحيح ينحسر الشر، وبالمقابل ترتفع شجرة الخير وتتعدد أغصانها فينال الجميع من ثمارها الطيبة وفي النهاية ينعم الناس بالأمن والرخاء)^(٢) .

(وبالجملة فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أمهات الفرائض التي بها تنهذب النفوس، ويصان الدين من الضياع وبها تنطوي القلوب على حب التعاون على البر والإحسان والتباعد عن الإثم والعدوان، وبها تستنير العقول بكمال الحقائق الدينية وتطهر النفوس من أدران المعاصي، وتتمدي إلى أقوم طرق الرشاد الموصلة إلى السعادة في الدنيا والآخرة)^(٣)، ومن أجل تحقيق هذه الغايات النبيلة والمآل الرفيعة التي بها يتم الحفاظ على مكتسبات الدعوة لزم تكاتف الأمة وتعاونها في بث روح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما بينهم حتى يمارس كما تمارس بقية الواجبات أو أشد لأن المصلحة مصلحة عامة وفيها صلاح الدين والدنيا، وبالله التوفيق .

^١ - مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاروق عبد المجيد حمود السامرائي ص ١١، مكتبة دار الوفاء، جدة .

^٢ - المرجع السابق، ص ٢٨ .

^٣ - الحسبة في الإسلام إبراهيم، دسوقي الشهاوي ص ١٣-١٣٨٣هـ-١٩٦٣، مطبعة المدني القاهرة، بدون ذكر الطبعة .

المطلب الثالث : الاستفادة من وسيلة العدالة وإقامة الحدود والعقوبات

التعزيرية في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في العصر الحاضر .

الناس في حاجة في كل عصر من العصور إلى العدل، ورفع الظلم وإقامة الحدود على منتهكها، وما أحوج الناس إلى العدل في عصرنا الحاضر الذي فشا فيه الظلم والجور، وانقلبت الموازين والمعايير، فبدلاً من أن ينصر المظلوم ينصر الظالم ليستمر في ظلمه تحت حماية وموافقة من الظلمة الكبار ولا أحد يتجرأ بالاعتراض على الواقع الأليم، ومن اعترض أولم يوافق فهو ينتظر دوره لإيقاع الظلم عليه حتى يكون عيرة للآخرين، هكذا صار الحال عموماً عندما بحث الناس العدل في غير مظاته في القوانين الوضعية والهيئات الأهمية التي شكلت أساساً لحماية مصالح الأقوياء على حساب الضعفاء والمغلوبين .

فعلى الأمة الإسلامية إن أرادت تغيير واقعها المعاصر إلى الأفضل أن تعود إلى كتاب ربها وسنة نبيها لتعود إليها كرامتها المفقودة وعزتها، وإلا سيستمر الحال إلى الأسوأ كما هو مشاهد اليوم ولا ريب من أن (المجتمع الذي تهدر فيه الحقوق ويسود فيه الخداع والغش وتضيع الأمانات مجتمع محكوم عليه بفقدان الأمن وسوء العاقبة، ولا سبيل لإنقاذه إلا بإقرار الحق وإقامة العدل في كل شأن صونا له من الدمار، وحفظاً لروابطه من التقطع والفساد وأخذاً بالأسباب التي تبقي عليه مكرماً في العاجلة والآجلة)^(١) .

والعدل الذي يدعو إليه الإسلام هو العدل في صورته الشاملة والمتكاملة لأنه ليس عدلاً من صنع البشر الذي تتحكم فيه العوامل والمؤثرات المختلفة والمتباينة، فالله (تعالى) هو المشرع في الإسلام لذلك فإن تشريعاته لا تحيف ولا تميل إلى غني على حساب فقير ولا إلى فقير على حساب غني ولا تمالي الأقوياء على حساب الضعفاء بل تقف وسطاً بين الجميع، وتساوي بينهم في الحقوق والواجبات وتفتح أمامهم جميعاً مجال الارتقاء ثم تكفل ضعفاءهم وتنصف لهم وتغرس في نفوس الجميع الحب والصفاء)^(٢) (الذي يؤدي افتقادهم إياه إلى فساد في حياتهم واضطراب في أمورهم يؤخرهم ويمنعهم من أن يظفروا بالسعادة والطمأنينة

^١ - كلمة الحق في القرآن الكريم، محمد الراوي ج ٢ ص ٦٩٥ - ط ١٤٠٩ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

^٢ - الإسلام والوعي الحضاري د/ أكرم ضياء العمري ص ١٧٨، ط-١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، دار المنار، جدة

وأن يحققوا الرفاهية والرخاء^(١) المنشود، (فالعدالة في الإسلام قبل كل شيء عدالة إنسانية شاملة لكل جوانب الحياة الإنسانية، وليست مجرد عدالة اقتصادية محدودة، وهي تتناول جميع مظاهر الحياة وجوانب النشاط فيها، كما تتناول الشعور والسلوك والضمائر والوجدان)^(٢) فالكل في عدل الإسلام يجد مطلبه إذا كان متجرداً من طغيان الأهواء والشهوات و(لقد اهتم الإسلام بتحقيق العدل الشامل على صعيد العلاقات الفردية والجماعية فبدأ العدل حسب المفهوم الإسلامي مبدأ مطلق شأنه شأن سائر القيم الخلقية والاجتماعية فهو يسري على الحاكم والمحكوم وعلى القوي والضعيف وعلى المسلم وغير المسلم لا تؤثر في إقامته البغضاء والشنآن ولا تغير الزمان والمكان)^(٣) قال تعالى ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوْا أَعْدِلُوْا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾^(٤)

ولكي تحقق العدالة الإسلامية الحفاظ على مكتسبات الدعوة، كما حققته في العصور الفاضلة لا بد من ممارستها بمفهومها الواسع (فأمور الناس وعلاقتهم والأواصر التي تربطهم يجب أن تكون مركزة على هذه العدالة مضبوطة بمنطقها قائمة على الإنصاف والموضوعية والمنطق حتى تصان الحقوق فلا تهدر، وتحفظ الواجبات فلا تمتهن ويشارك في ظلم ولا يعن على باطل، ومما لا يخفى أن أحب الناس إلى الله عز وجل هم أولئك الذين يرعون العدالة ويحتكمون إليها ويحملون غيرهم على الأخذ بها وإن صلاح الأمة وسداد أمرها ورشاد حاضرها ومستقبلها لا يتم إلا بالعدل ولا ينهض إلا عليه)^(٥)، فلزم الأخذ به والحفاظ عليه حتى يكون سمة من سمات المجتمع المسلم في شعوره وتصرفاته فيما بينه، وأيضاً بين الآخرين ليفوز بنشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها عن طريق ممارسة العدالة دون تفرقة بين أحد من البشر أياً كان وحيث كان . هذا ما يتعلق بالعدالة كوسيلة من وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

^١ - فلسفة التشريع الإسلامي، فتحي رضوان، ط، ١-١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، دار ثقيف للنشر والوزيع، الرياض

^٢ - هذا هو الإسلام د/أحمد عبد الرحيم السايح ص ٢٠٢، الدوحة، دار الثقافة

^٣ - الإسلام والوعي الحضاري، د، أكرم ضياء العمري، ص ١٦٣

^٤ - المائدة آية ٨

^٥ - هذا هو الإسلام، السايح ص ٢٣٨

أما إقامة الحدود والعقوبات التعزيرية التي يقصد بها ضبط النظام الداخلي في المجتمع وحفظ حياة الناس وأموالهم وأعراضهم من الانتهاك والعبث فإن الشريعة الإسلامية جاءت بنظام متكامل صالح في كل زمان ومكان، ويتألف من شقين أحدهما ثابت لا يتطرق إليه التغيير ولا التبديل في أي عصر وفي أي مكان وهو ما يتعلق بالحدود والقصاص، أما الشق الثاني: فهو ما يتعلق بالتعزير ففيه مرونة وسعة فهو داخل في مجال المتغيرات فتراعى فيه المصلحة وظروف الجريمة المرتكبة لأن جرائم التعزير لا حصر لها فكلما استجدت جريمة لا سابقة لها أوجدت لها الشريعة عقوبة تناسبها قوة وضعفاً وهذا من سماحة الشريعة الإسلامية حيث جمعت بين الثوابت والمتغيرات من أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة، وهذا ما لا يوجد ولن يوجد في الأنظمة الأخرى .

ومع (أن استقرار المجتمعات هو الهدف الأول الذي تسعى جميع النظم والتنظيمات الاجتماعية لتحقيقه وتذرع بلوغه بشتى الأساليب والمناهج وتجرب من أجله كل ما يعين لها أنه ينطوي على ما يساعد على هذا الاستقرار، ومن يستقرئ هذه المجتمعات المعاصرة ويرى ما تصطنعه من أدوات، وأجهزة ووسائل وما تستخدمه من فلسفات ومناهج وأساليب تقف من ورائها مؤسسات علمية وتربوية وفنية إلى جانب ما يضع السياسة العامة لهذه المجتمعات من مؤسسات سياسية وتشريعية وتنفيذية . . من يستقرئ ويرى كل هذا، ثم يجد أن هذه المجتمعات دون استثناء تعاني في المجال الاجتماعي اضطراباً وعدم استقرار يتمثل في انتشار الجريمة بل صورها، من سرقة وسطو وسلب بالإكراه، على هتك الأعراض واغتصابها بالقوة إلى اغتياالات جريئة، وقاتل يتحدى كل أجهزة الأمن القائمة إلى ما لا يوصف من جرائم السكر وما يقترف بسببه وتحت ستاره لأنه في نظر القوانين الوضعية ظرف مخفف . . من يرى كل هذه الوسائل التي يتذرع بها لتحقيق الاستقرار والأمن الاجتماعي، ثم يجد النتيجة بعيدة عن تحقيق الغاية، فلن يسعه إلا أن يعترف بقصور هذه الأدوات جميعاً^(١) .

إن الاستقرار والأمن المطلوب لا يتأتى إلا من خلال تطبيق العقوبات التي شرعها الله للأخذ بها في كل زمان ومكان، وهو أعلم بما يصلح عباده ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ

١- أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع د/ محمد حسين الذهبي ص ٣١، ط-١، ١٣٩٨-١٩٧٨م، دار الاعتصام

الْحَبِيرُ ﴿١﴾^(١)، ولا شك أن (الهدف من تطبيق أحكام الإسلام هو إقامة مجتمع إسلامي عزيز كريم آمن لا دنية فيه ولا إقرار للجريمة ولا اعتبار للفساد والمنكر والشذوذ والانحراف فبقدر الإمكان، والإسلام في تقريره العقوبة تحقيق المصلحة ودفع المفسدة، فالغاية من العقاب في الفقه الإسلامي أمران، أحدهما حماية الفضيلة . . والثاني المنفعة العامة أو المصلحة وما من حكم في الإسلام إلا كان فيه مصلحة للناس والمصالح التي حماها الإسلام بتقرير العقوبات عند الاعتداء عليها ترجع إلى أصول خمسة هي: حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ العقل وحفظ النسل وحفظ المال . فعقوبة حماية الدين كعقوبة الردة والزندقة، وحماية العقل كحد الشرب وما دونه من العقوبات، وحماية النسل كحد الزنا وما دونه، وحماية المال كعقوبة السرقة ومادون)^(٢) .

ويشترك في الحفاظ على هذه الضرورات الوازع الديني والسلطاني وباجتماعهما في المجتمع يتحقق الأمن والكرامة والرفاهية والعزة، والله سبحانه عند ما شرع العقوبات شرعها لحكمة بالغة وغاية حميدة، فهي تعتبر (موانع قبل الفعل زواجر بعده أي العلم بشرعيتها يمنع الإقدام على الفعل وإيقاعها بعده يمنع من العودة إليه)^(٣) .

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله مبيناً الحكمة من مشروعية الحدود وصلاحيته في كل زمان ومكان (أيها المؤمنون اتقوا الله تعالى وتأملوا أحكامه وحدوده بعلم وإيمان تجدوها تابعة للحكمة والمصلحة في كل زمان ومكان، فإن الذي وضع تلك الحدود هو أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين علم أن مصالح العباد لا تقوم إلا بها فشرعها وعلم أن بها درعاً للمفاسد فأمر بها وحتمها، فالحدود تمنع من الجرائم وتكفر ما اقترفه المحرم من المآثم انظروا إلى البلاد التي تقام فيها الحدود كيف يستتب فيها الأمن والاطمئنان، أما البلاد التي لا تقام فيها الحدود، فتكثر فيها الجرائم والاعتداء والطغيان . . ومن نظر إلى حكم الله تعالى في الحدود وجده الحكم المتضمن للحكمة التي تبهر العقول وأنه لا حكم أحسن منه وأصلح

١- الملك آية ١٤

٢- في أساسيات التشريع الجنائي الإسلامي د/ عبد المنعم أحمد بركة ص ٢-٣، مركز الإسكندرية للكتاب

٣- الحدود في الإسلام د/ أحمد فتحي ص ٩، ط، ٣-١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة

للأمة وإن ما سواه فهو جهل وطغيان لا تقوم به المصالح ولا تندري به المفاصد قال تعالى :

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾^(١) ^(٢)

فلا مجال للقضاء على الجرائم أو التخفيف من وطأتهما إلا بالرجوع إلى حكم الله وتطبيق شريعة الله في عباده، فما شرعه هو الحق والعدل ومتضمن لمصالح العباد والبلاد في العاجل والآجل وبالله التوفيق.

^١ - المائدة آية ٥٠ .

^٢ - الضياء اللامع ، الشيخ محمد بن عثيمين ، ص ٢٧٢-٢٧٣

المبحث الثاني : أوجه الاستفادة من وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة في

مواجهة الأخطار الخارجية :

ويتضمن ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الاستفادة من وسيلة الهجرة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في

العصر الحاضر .

المطلب الثاني : الاستفادة من وسيلة إرسال الرسل والرسائل والمعاهدات

والصلح في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في العصر الحاضر .

المطلب الثالث : الاستفادة من وسيلة الجهاد في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في

العصر الحاضر

المطلب الأول : الاستفادة من وسيلة الهجرة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في

العصر الحاضر .

الهجرة مشرعة في كل زمان ومكان للمسلم الذي يقع فيه الظلم والاضطهاد في الدين أينما كان ، وواقع العقليات الإسلامية اليوم وما يتعرضون له من قتل وفتنة في الدين وانتهاك للأعراض في بعض البلاد المتعصبة يوجب عليهم الهجرة والفرار بالدين إلى حيث يجدون الأمن والاستقرار وإقامة شعائر الإسلام .

ولم يكن الاضطهاد في هذا العصر قاصراً في البلاد التي يشكل فيها المسلمون أقلية بل يوجد الاضطهاد والفتنة في الدين في بعض البلاد الإسلامية نظراً لوقوعها تحت أنظمة لها ظروفها الخاصة يعيش فيها المسلم خائفاً مسلوب الحقوق والكرامة لا يستطيع إظهار شعائر دينه ، أما الكافر فيعيش فيها آمناً مرفوع الرأس تحت حماية السلطة بل يرغم السلطة في توفير كل متطلباته لأن له ظهر قوي في الخارج إذا لم تتحقق له مطالبه يمكنه أن يتسبب في تغيير هذه الأنظمة التي يصدق عليها قول القائل: أسد علي وفي الحروب نعمة .

ومع أنه (يغلب على الإنسان حب الأوطان وحب الاستقرار ويصعب عليه مغادرة مألوفاته وذكرياته وخلقائه وأصدقائه ولكن أصحاب المبادئ وإن كانوا يحبون أوطانهم التي نشأوا بها وهذا شئ طبيعي إلا أنهم يغلبون المبادئ على هذه النوازع الفطرية ، فأرض الله واسعة وإقامة الدين وشعائره والصدع بكلمة الحق وبث كلمة التوحيد من أعظم واجبات المسلم)^(١) التي يسعى لتحقيقها ، فإن لم يتمكن من ذلك إلا بتحمل تبعات الهجرة وجبت عليه ، مع العلم بأن أمر الهجرة اليوم أشد صعوبة من ذي قبل نتيجة للحدود الجغرافية التي وضعت بين الدول والأوضاع السياسية السائدة في الوقت الحاضر ، فقد لا يجد المهاجر المسلم دولة إسلامية ترحب به في أراضيها فيمم وجهته إلى بلاد الكفر مكرهاً ، وبالمقابل يرى اليهود قد اغتصبوا أرضاً إسلامية ويستقبلون فيها اليهود من جميع أنحاء المعمورة بل يشجعون ويرغبون اليهود بالهجرة إليها بمختلف الإغراءات حتى يكون لهم عوناً وسنداً ضد المسلمين ، فهل يتنبه ولاة الأمور في البلاد الإسلامية إلى خطورة المخططات اليهودية

^١ - الطريق إلى المدينة دروس من السيرة النبوية ، محمد العبد ص ٨٣ ، دار الجوهري ، عمان ، الأردن ، بدون ذكر

وكيدهم بالمسلمين؟ وهل يتنبهوا لمعاناة إخوانهم المسلمين ويسعوا في إيجاد الحلول المناسبة لمعاناتهم في بلادهم التي يقيمون فيها أو تيسير طريق الهجرة لهم في البلاد الإسلامية واستقبالهم بحفاوة وتكريم، كما كان يستقبل المهاجرون إلى المدينة؟ وهل تكون النظرة إليهم بمبدأ (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى) ^(١) .

هذا هو المطلوب من المسلم تجاه إخوانه المسلمين، ولكن حقيقة الواقع اليوم تغاير ذلك فكثير من المسلمين يسمع عن مآسي المسلمين واضطهادهم وتعذيبهم فلا يهتز له شعور، بل يتلقاه ببرودة وعدم المبالاة كأنه أمر عادي ولا شأن له به. إذا كانت هذه هي النظرة والشعور ممن يتوقع منهم النصرة والحفاظ على مكتسبات الدعوة، فما هو واجب المسلم الذي يقع عليه الظلم والإهانة؟ (إن أي داعية مسلم في أي مجتمع من المجتمعات سواء الإسلامية أو غيرها، إذا وجد أن هناك خطر على عقيدته أو على حياته من النظام السياسي الذي يسود في المجتمع الذي ينتمي إليه، وكان هناك مجتمع آخر، وإن كان مغاير ومخالف للمبادئ التي يؤمن بها، ولكن هناك احترام للعقائد والأفكار وليس هناك ظلم فإن للمسلم الحق بالهجرة إلى تلك المجتمعات التي تمنع الاضطهاد والاستبداد حتى يتم قيام المجتمع الإسلامي الذي يمكن للمسلم أن يهاجر إليه) ^(٢) .

وإذا انقلبت الأوضاع في تلك البلاد التي هاجر إليها عليه أيضا أن يبحث عن موقع آخر ولا يرضى بالهوان والذل، نسأل الله أن ييسر أمور إخواننا المسلمين فوق كل أرض وتحت كل سماء.

^١ - رواه البخاري في كتاب الأدب ٧٨، باب رحمة الناس والبهائم، ٢٧ حديث ٦٠١١ ص ١٢٧٩

^٢ - رؤية معاصرة لمواقف من السيرة د/ محمد بن عبد الله الشباني ص ٢٨، ط، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، دار عالم الكتب، الرياض

المطلب الثاني : الاستفادة وسيلة إرسال الرسل والرسائل والمعاهدات والصلح

في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في العصر الحاضر .

قد سبق الحديث عن أهمية إرسال الرسل والرسائل في مجال نشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها في (فجر الإسلام أي في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين حيث كانت الأولوية لنشر الدين الجديد كما أمر بذلك الله سبحانه وتعالى ، تارة بالدعوة السلمية وأخرى بالجهاد في سبيل الله وفي كلا الحالتين كانت الدعوة بحاجة إلى داعين ورسول ، ففي الجهاد احتاج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مفاوضين لعقد اتفاقيات الصلح أو الهدنة وتبادل الأسرى وفدائهم وفي السلم أرسل محمد صلى الله عليه وسلم رسلا إلى النجاشي ملك الحبشة والمقوقس ملك مصر وكسرى ملك الفرس وهرقل إمبراطور الروم يدعوهم لاعتناق الإسلام . وقد سار الخلفاء الراشدون على خطاه بعد موته صلى الله عليه وسلم ولكن بصورة أوسع فزادت الحاجة للاتصال عن طريق الرسل والمبعوثين لعقد المعاهدات وتسوية الخلافات وحل المنازعات باتساع رقعة الدولة وخصوصا على عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث اقتربت حدود الدولة من آسيا الصغرى وجاورت بذلك دولة الروم)^(١) .

واستمرت هذه المهمة تؤدي نفس الأدوار التي كانت تؤديها إلى عصرنا الحاضر ، وإن كان قد حصل فيها بعض التغييرات في المسمى وطريقة أداء المهمة ، فيطلق عليها اليوم اسم البعثات الدبلوماسية والقنصلية ، كما أن هذه البعثات يغلب عليها طابع الاستقرار في البلاد المستقبلية إلا إذا حصل سوء تفاهم وتوتر العلاقات بين الدولتين . ومع اتساع عدد الدول المستقلة ازدادت الحاجة إلى كثرة المبعوثين وتعددت مهامهم نظراً لتشابك المشكلات القائمة والسعي في حلها والمصالح المشتركة بين الدول عموماً والإسلامية خاصة لأن الدول الإسلامية تربطها مصالح مشتركة تتمثل في نشر المبادئ وحماتها .

^١ - العلاقات الدبلوماسية والقنصلية د/ عدنان البكري ص ٢٩ بتصرف يسير، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، المؤسسة

الجامعية للدراسات والنشر التوزيع ، بيروت

فإذا كان (الدبلوماسي الناجح اليوم هو الذي يستطيع أن يعبر عن وجهات نظر بلاده ونشر أفكارها ويدافع عنها)^(١)، فلتكن هذه مهمة جميع دبلوماسي الدول الإسلامية مع غيرها من دول العالم غير الإسلامية، والسعي في حل المشكلات العالقة بين الدول الإسلامية بالطرق السلمية والعمل من أجل التقارب والوحدة بين كياناتها المختلفة، والوقوف ضد العدو الخارجي المشترك إذا أراد المساس بأي أرض أو دولة إسلامية تضامناً معها وحفاظاً على المكتسبات الإسلامية التي هي واجب كل مسلم حسب استطاعته والمهمة المنوطة به، ومهام المبعوث أو السفير المسلم لدى الدول الأجنبية تتركز في محاور هي كلها تهدف إلى نشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها .

١- تمثيل الدولة الإسلامية حيث إن المبعوث أو السفير المسلم يعد ممثلاً رسمياً للدولة الإسلامية ومعبراً عن إرادتها وسياستها الرسمية إزاء الدولة الموفد إليها أو المعتمد لديها، ولهذا فإن دولته تسأل عن كافة التصرفات والأفعال التي يأتيها في نطاق مباشرته للمهمة الرسمية التي انبعث من أجلها .

٢- الدعوة إلى الإسلام :

تمثل هذه المهنة جوهر المهام المنوطة بالسفير أو المبعوث المسلم ولا سيما في حالة البعثات العارضة أو المؤقتة إذ كان الغرض من إرسال البعثات وتبادلها مع الدول غير الإسلامية يتحصل أساساً في حمل لواء الدعوة إلى الجهة الموفد إليها السفارة وإطلاعها على أحكام الدين الإسلامي . ولا شك من أنه تقع على عاتق أولي الأمر في الدولة الإسلامية مهمة إيصال الدعوة إلى غير المسلمين في أنحاء الأرض عبر وسائل وأدوات متعددة أهمها أو من بينها إرسال الرسل والسفارة .

٣- التفاوض : عادة ما توكل إلى مبعوث الدولة الإسلامية بغض النظر عما إذا كان رئيس بعثة دائمة أو مؤقتة مهمة التفاوض مع السلطات المستولة في الدولة الموفد إليها بشأن التوصل إلى اتفاق بين الدولتين إبرام معاهدة هدنة أو معاهدة التبادل التجاري والاقتصادي

^١ - في الدبلوماسية المعاصرة د/ السيد أمين شلي ص ١٨-١٩ ط، ١ ، ١٩٨٨ م ، عالم الكتب القاهرة

أو معاهدة خاصة بأوضاع رعايا كل من الدولتين في الدولة الأخرى إلى غير ذلك من مختلف جوانب العلاقات الثنائية بين البلدين .

٤- تتبع الأوضاع في الجهة الموفد إليها والاستعلام عن كافة أحوالها، واقع الأمر أن اضطلاع سفير الدولة الإسلامية أو مبعوثها إلى الغير بهذه الوظيفة يعد أمراً بالغ الأهمية بالنسبة لتحديد موقف الدولة الإسلامية إزاء الدولة الموفد إليها السفير أو المبعوث ، ولا سيما إذا كانت علاقة الجانبين مشوبة بنوع من التوتر أو كان يغلب عليها طابع العداء والصراع .

٥- حماية مصالح الدولة الإسلامية ورعاياها لدى الدولة المعتمد لديها ، تمثل فكرة المصلحة العامة للدولة الإسلامية وحماية مصالح رعاياها في الداخل والخارج هدفاً أساسياً لتبادل الرسل والسفارات بين المسلمين وغيرهم ، وتبني وظيفة حماية المصالح التي يضطلع بها سفراء الدولة الإسلامية لدى الدول الموفدين إليها على الواجب الأساسي للدولة الإسلامية في ضرورة حماية رعاياها المقيمين خارج إقليمها مسلمين كانوا أو ذميين ، أو هو ما اصطُح على تسميته في القانون الدولي المعاصر بالحماية الدبلوماسية^(١) .

هذه أهم مهمات الدبلوماسية المسلم المعاصر ، وإن كان (اليوم بفضل سهولة المواصلات وتطور الاتصالات أصبح من المألوف أن يقوم رئيس الدولة نفسه أو الممثل الشخصي له أو وزير الخارجية بإجراء المفاوضات وعقد الاتفاقيات . . فسرعة المواصلات سهلت سفر رئيس الدولة أو وزير الخارجية ووفرت لهم الجهد والوقت مما يتيح الانتقال بسهولة، وسرعة الاتصال جعلت دور الدبلوماسية يتحول من مفاوض إلى منسق للتفاوض يجهز المعلومات وينسقها ويحللها لتكون مادة التفاوض بين وزير الخارجية ونظيره من الطرف الآخر^(٢) .

ومهما تكون الأدوار ومن يقوم بها فالهدف المطلوب هو الحرص على إحراز مكاسب لصالح الإسلام والأمة الإسلامية والحفاظ على ما تحت يدها من المكاسب ،

١- انظر: العلاقات الدولية في الأصول الإسلامية لمجموعة من الباحثين ، بإشراف د/ نادية محمود مصطفى ج ٥ ص ١٣٦-١٤١ ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ المعهد العلمي للفكر الإسلامي

٢- مستقبل الدبلوماسية في ظل الواقع الإعلامي والاتصال الحديث البعد العربي ، حيدر بدوي صادق ص ٢٨ ، العدد

٥- تصدر عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

ولاشك أن هذه المهمة مهمة عظيمة ونبيلة ومن يؤديها على الوجه الأكمل فقد قام بعمل
يشكر فيه لصالح الإسلام والمسلمين .

أهمية المعاهدات والصلح في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في العصر الحاضر .

(كانت المعاهدات التي تعقد بين ملوك الإسلام ^(١) أو بينهم وبين غير المسلمين تدور حول عهود الأمان أو المهادنات أو عقود الصلح أو تبادل التجارة أو المخالفات أو قد تجمع في آن واحد إقامة السلام وتبادل التجارة) ^(٢) ، واليوم الحاجة إلى ذلك لا تزال قائمة ، وستظل لأن الأوضاع البشرية لا تستقيم إلا على ذلك في حالتي الحرب والسلم ، وتعد المعاهدات والصلح نتيجة أو ثمرة للتفاوض الذي هو في (درجة كبيرة من الأهمية في نطاق الأدوات والوسائل التي تستعين بها الدولة الإسلامية على تحقيق الأهداف والمقاصد المنشودة من وراء تبادلها العلاقات مع الدول والجماعات غير الإسلامية ، وترجع الأهمية التي تكتسبها المفاوضات في هذا الخصوص إلى حقيقة كونها وسيلة ذات طبيعة سلمية تتحصل في تبادل الحوار والمجادلة والإقناع العقلي في جو من التفاهم والاحترام المتبادل ، وهو ما يمثل أداة مهمة في إطار تحقيق العديد من أهداف العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية ، كما هو الشأن بالنسبة للتمكين لنشر الدعوة الإسلامية ، وتسوية ما قد ينشأ من منازعات بين المسلمين وغيرهم ، إلى جانب استخدام التفاوض في إبرام العديد من الاتفاقات والمعاهدات المؤقتة والدائمة بشأن كثير من المسائل والموضوعات التي تخص العلاقات بين الجانبين ، هذا فضلا عما تلعبه المفاوضات من دور مهم وأساسي في بناء وتدعيم السلم والأمن وإشاعة روح التعاون والتفاهم بين الدولة الإسلامية والدول الأخرى غير الإسلامية) ^(٣) ، وهذا يدل على أن المفاوضات تشكل دورا محورياً وأساسيا في إتمام عملية المعاهدات ، والصلح التي تسعى الدولة الإسلامية من خلالها لتحقيق المصلحة العامة للدعوة الإسلامية .

أما المعاهدات نفسها إذا نظرنا إليها بنجدها (بحق أداة بالغة الأهمية بالنسبة لإدارة العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية ، ويرجع السبب في تبوأ المعاهدات مثل هذه المكانة إلى مجموعة من العوامل والاعتبارات أهمها أن قيام المعاهدة على مبدأ الرضا المتبادل بين أطرافها فيما يتعلق بتحديد الحقوق وترتيب الالتزامات الناشئة عنها من شأنه أن يجعل من المعاهدة أداة فضلى في مجال تبادل العلاقات وإنماء التعاون بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول .

^١ - الأولى أن يقال : بين الملوك في العصور الإسلامية .

^٢ - النظم الدبلوماسية في الإسلام / صلاح الدين المنجد ، ص ١٧٤ ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م - دار الكتاب الجديد ، بيروت .

^٣ - العلاقات الدولية في الأصول الإسلامية لمجموعة من الباحثين بإشراف الدكتورة نادية محمود مصطفى ، ج ٥ ص ١٥ .

كذلك فإن وجود معاهدة بين الدولة الإسلامية ودولة أخرى بشأن موضوع معين أو مسألة محددة يمثل في حد ذاته ضماناً قانونية لاحترام وتنفيذ الالتزامات المتعلقة بهذا الموضوع أو تلك المسألة . . . ومن ناحية أخرى فإن التعاهد . . . يظل وسيلة صالحة وملائمة لتنظيم علاقات الدولة الإسلامية مع غير المسلمين في وقت الحرب ، بالنظر إلى ما قد تدعو الحاجة إليه في مثل هذه الظروف من ضرورة الاتفاق على تبادل الأسرى والجرحى . . . إلى غير ذلك من الأمور والمسائل المتعلقة بسير الحرب أو المترتبة على إنهاؤها (١) .

ويتضح من هذا أن على الدولة الإسلامية من أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة ونشرها (أن تعقد معاهدات الصلح والهدنة وحسن الجوار ، والمعاهدات الثقافية والمعاهدات التجارية والمالية وما شابه ذلك من المعاهدات التي تقتضيها مصلحة الدعوة الإسلامية بالشروط التي يقرها الإسلام . . . فإذا كانت بين الدولة الإسلامية وبين عدوها حالة حرب فإنه يجوز لها أن تعقد معاهدة هدنة ومعاهدة صلح حسب ما يقتضيه الموقف حينئذ وما تتطلبه مصلحة الدعوة ، وإذا رأت الدولة الإسلامية أن تسالم وتصادق دولة مجاورة أو دولة بعيدة لأمر تقتضيه الدعوة فإنه يجوز لها أن تفعل ذلك ، فقد تجددت الدولة في المواعيد مع الأعداء أداة لتوصيل الدعوة إليهم ، ولإيجاد رأي عام عندهم عن الإسلام ، وقد تجددت المواعيد دفع شر كبير أو التوصل إلى عدو آخر ، ولذلك يجوز للدولة الإسلامية أن تعقد مع الدول المجاورة معاهدة حسن الجوار كما يجوز أن تعقد مع الدول غير المجاورة معاهدات عدم الاعتداء لمدة معينة إذا رأت في ذلك طريقاً للدعوة الإسلامية أو حماية للمسلمين أو مصلحة لهم ، فقد عاهد الرسول صلى الله عليه وسلم بني مدلج وغيرهم ليؤمن الطريق التي يسلكها جيشه لمحاربة عدوه (٢) .

ومما يدل على أن قانون المعاهدات والصلح والهدنة يخدم لمصلحة الدعوة ، فكل طريق يؤدي للحفاظ على مكتسبات الدعوة ونشرها يجب سلوكه مع الأعداء والأصدقاء مع الالتزام بالضوابط الشرعية وسلوك الطرق الحكيمة التي تؤدي إلى المقصود ، وبالله التوفيق .

١- انظر: العلاقات الدولية في الأصول الإسلامية ، لمجموعة من الباحثين ، ص ٤١

٢- الفقه السياسي للوثائق النبوية ، خالد سليمان الفهداوي ص ٣٣ ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، دار عمار ، عمان ،

المطلب الثالث : الاستفادة من وسيلة الجهاد في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في

العصر الحاضر .

أوضاع الأمة الإسلامية اليوم يحتاج إلى مراجعة وإعادة نظر للوقوف في موضع الخلل وعلاجه فقد مرت الأمة بتجارب كثيرة كان المفروض أن تكون كافية للاعتبار وأخذ الدروس ، فهي مرت بفترة ضعف قبل أن يفرض عليها الجهاد ، وبعد فرضه عزت وقويت وانتشر الإسلام ، ثم حصلت بعض الإخفاقات في الأوضاع الداخلية استطاعت أن تتغلب عليها وتستعيد عافيتها واستمر عزها فترة ليست بقليلة تلت تلك الفترة فترات تخللها ضعف وقوة ، ولم تصل أوضاع الأمة الإسلامية في تلك الفترات إلى ما وصلت إليه اليوم من الضعف والتفرق وتسلب الأعداء ، وما ذلك إلا بسبب التقاعس ، والعزوف عن الجهاد في سبيل الله ، والرضا بالحياة الدنيا والانغماس في ملذاتها والبحث عن السلام في غير مظاهره ، وبالرغم من ذلك فإن الحروب لا تزال قائمة ومستمرة بأشكال مختلفة ومسميات متعددة ، فهي تقوم أحيانا في صورة حروب أهلية مدمرة في إطار الدولة الواحدة ، أو فيما بين الدول الإسلامية أو مع دول الجوار غير الإسلامية ، ولكن تحت راية وطنية أو قومية .

وقد حرفت في هذا العصر (مفهوم كلمتي الجهاد والاستشهاد إلى معان أخرى لا تمت إلى المعنى الإسلامي الذي يعبر عن مفهوم خاص يتصل ببناء أمة الإسلام فقد تم سلب هذا المعنى بحيث أدى إضفاء كلمة الجهاد على كل تحرك قتالي تحت أية راية ، وبالتالي فإن مفهوم كلمتا الجهاد والاستشهاد ابتعدتا عن المعنى الذي جاء الإسلام به ، فأصبح كل ناعق يستخدم ألفاظ الجهاد والمجاهدين والشهادة والشهداء وفق رغبته وتصوره في مساندة الباطل الذي يدعو إليه وينادي به . وبالتالي استخدمت الآيات والأحاديث التي تحت على الجهاد والشهادة لتضليل السذج من الناس الذين لا يدركون ما يراد بهم ولا يعرفون تحت أي راية يقاتلون)^(١) .

(إن وضوح مفهوم الجهاد ومفهوم الشهيد المجاهد أمر ضروري لكل مسلم في عصر كثرت فيه الفتن وكثر فيه الداعون للقتال باسم الجهاد ، وأن القتال تحت ألويتهم هو جهاد في سبيل الله ، وأن من قتل سوف ينال أجر الشهيد المجاهد وفق ما ورد في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية .

^١ - رؤية معاصرة لمواقف من السيرة د/محمد بن عبد الله الشباني ص ١٠٦

إن على المسلم أن يحذر الانزلاق حتى لا يفقد دينه حين يقاتل تحت راية عمية جاهلية تدعو إلى جاهلية، وتحمي وجهات نظر وفلسفات جاهلية تصادم الإسلام عقيدة ومبادئ^(١)، فلو كانت هذه الحروب الطاحنة التي تفتك بجسد الأمة الإسلامية تحت شعارات ورايات مختلفة اليوم جهاداً في سبيل الله وفق ما جاء في الكتاب والسنة، ومفهوم السلف الصالح لما كلفت ما تكلفه هذه الحروب اليوم، ولحفظت للأمة عزها واستعادت كرامتها ووحدها وبالتالي حافظت على مكتسباتها . الحقيقة التي لا تغيب عن بال الأعداء بمرور الأزمان أن كلمة — الجهاد في سبيل الله — مخيفة ومرهبة ولا يرتاح لهم بال حتى تمحي من أفكار وتراث الأمة، فبمجرد سماعهم لهذه الكلمة يجن جنونهم وإن كان الذي يقولها غير مستعد للمواجهة ولم يمتلك أبسط أسلحة المقاومة مقارنة بهم أو هو أصلاً ليس من أهل حمل هذه الكلمة وإنما يقولها لمصلحة ما يتوقعها من خلالها، وهم يحولون صراعاتهم إلى صداقات من أجل ضرب الإسلام، والمسلمين، ويصف سيد قطب رحمه الله أن الصراع الذي كان قائماً بين الكتلة الشرقية والغربية في حياته أنه لن يستمر طويلاً وسيكون الصراع الحقيقي ضد الإسلام كما هو مشاهد اليوم يقول: (يبدو جلياً أن الصراع الحقيقي في المستقبل لن يكون بين الرأسمالية والشيوعية ولا بين المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي . . ولكنه سيكون بين المادية المتمثلة في الأرض كلها وبين الإسلام . . أو بتعبير أصح وأدق ستكون بين النظام الذي يحمل العبودية لله وحده ويخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده وبين سائر الأنظمة الأرضية التي تقوم على أساس من عبودية العباد للعباد . والمعسكران الشرقي والغربي على السواء يدركان هذه الحقيقة ويعملان معا على كل ما بينهما من منافسات ومن مناقضات — على سحق حركات البعث الإسلامي في كل مكان وعلى حرب الإسلام بكل صور الحرب في كل مكان .

هذا ما ينبغي أن يدركه الداعون إلى الله، فلا يتخذوا بهذا النزاع الظاهر بين المعسكرات المختلفة وبين الأنظمة المختلفة، إن الإسلام هو القوة الحقيقية التي يحسب لها المعسكران كل حساب ويبقى أن يعرف أصحاب الإسلام هذه الحقيقة وأن يقيموا خططهم

^١ - رؤية معاصرة لمواقف من السيرة، محمد بن عبد الله الشباني ص ١١٨

على هذا الأساس^(١) .

إن الأعداء اليوم باسم القضاء على الإرهاب يسعون لسحق كل من ييوح بكلمة الجهاد في سبيل الله أو يتوقع أن ييوح بها مستقبلا فهم يريدون تخفيف منابع الجهاد بتغيير المناهج وإغلاق المؤسسات والمعاهد الدينية وتكميم أفواه العلماء من قول الحق ﴿ وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾^(٢) ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾^(٣)

إن الأمة الإسلامية وهي ثمر اليوم بأحرج فترة من حياتها وتواجه هذه التيارات والصراعات والمؤامرات والحروب والاعتداءات . . . جدير بها أن تفيء إلى أمر الله وأن تأخذ من الصبر إن الوقاية التي تحفظها من ويلات ما تعاني من اضطهاد وتشريد وتدمير وقتل جماعي دون تفريق بين شيوخ وأطفال ونساء وأن تتسلح بجميع ما أمر الله به من أنواع القوة سواء كانت المعنوية أم المادية لتقف في وجه خصومها وأعدائها وأن تقف في وجه البغي والطغيان والظلم والعدوان ، وما أخرى بأمة الإسلام أن تملك بدورها وتساما بأخلاقها عن كل ما يقعد بمهنتها ويزري بكرامتها ويحط من قدرها وأن تتسم بالشجاعة والقوة والاعتزاز بهذا الدين في البأساء والضراء وحين البأس إيمانا بأن العاقبة للمتقين^(٤) ، مهما طغت وتجبرت قوى الشر والعدوان ، وليكن حاضرا في ذهن كل مسلم أنه لا يمكن أن تقوم الأمة الإسلامية بنشر الإسلام والحفاظ على مكتسبات الدعوة إلا بإقامة شعيرة الجهاد في سبيل الله ، ونسأل الله أن يعيد للأمة عزها ونصرها ووحدها لتكون يدا وحدة ضد الأعداء ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

^١ - العدالة الاجتماعية في الإسلام ، المودودي ص ٢٩٢ .

^٢ - الأنفال آية : ٣٠ .

^٣ - الصف آية : ٨ .

^٤ - الإعداد المعنوي للقتال في الإسلام ، العميد فيصل بالي ص ٤٨ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين .

فبعد أن عشت مع فصول هذا البحث في فترة هي من أعز فترات التاريخ الإسلامي والتي هي فترة النبوة بشقيها المكي والمدني وفترة الخلافة الراشدة ، وأنا أبحث عن مكتسبات الدعوة ووسائل الحفاظ عليها للاستفادة منها في العصر الحاضر ، أوجز هنا أهم نتائج البحث :

١- إن الدعوة بدأت سراً مع الأقارب والأصدقاء حتى تمكنت من اكتساب فئة من الأخيار صاروا النواة الطيبة للدعوة واستطاعوا عند الجهر بها بيان معالمها والتفاني في تبليغها رغم كل ما تعرضوا له من الضغوط والاضطهاد .

٢- بعد الجهر بالدعوة انتشر صداها ، وانقسم الناس بين مؤيد وهم قلة ومعارض وهم الأكثرية وأصحاب السلطة الذين أرادوا كبتها وإخفاءها ، بل القضاء عليها في مهدها ومع كل ذلك انتشرت أخبارها خارج مكة في الجزيرة العربية ، مع وفود الحجاج والزائرين للبيت الحرام ، ونتيجة لهذا الدور الإعلامي الذي اكتسبته الدعوة خارج مكة جاءت وفود للتأكد مما يقال عن الدعوة الجديدة ، وتمثل هذه الوفود في قدوم أبي ذر الغفاري إلى مكة والطفيل بن عمرو الدوسي وعمر بن عبسة ، ووفد همذان ونصارى نجران ، ووفود الأنصار فيما بعد ، وكل هذه الوفود آمنت وجلبت مكتسبات أخرى للدعوة .

٣- إن الهجرة إلى الحبشة كان لها أثر فعال في المكتسبات البشرية والمعنوية للدعوة الإسلامية ، حيث بدأت تنتشر في بلاد الحبشة ، وعلى رأس من استهدفتهم الدعوة ملك الحبشة الذي آمن بعد التأكد من سلامة المنهج وصدق الدعاة الذين عرضوا له الدعوة في صورتها الحقيقية كما أنزلت .

٤- تمكنت الدعوة بعد بحث شاق وطويل من العثور على موقع مناسب تأوي إليه وتنطلق منه في أنحاء المعمورة ، وهي المدينة النبوية التي استقبلت المهاجرين من كل مكان بجفاوة وتكريم ، كما اكتسبت الدعوة في المرحلة المكية فئة عظيمة من الدعاة من المهاجرين والأنصار كانوا سنداً للنبي صلى الله عليه وسلم في حياته ، وقاموا بعده بنشر الدعوة

والحفاظ على مكتسباتها .

٥- المرحلة المدنية تعد مرحلة انتقال الدعوة من طور إلى آخر حيث أسست الدولة الإسلامية وشرعت وسائل الحفاظ على مكتسباتها وكيانها المبارك، ونشرها في أقطار المعمورة فقد شرع الجهاد ، فكان من أسباب الحصول على المكتسبات البشرية والجغرافية والمادية حيث كان الخيار أمام الأعداء الإسلام ،أو المعاهدة ودفع الجزية والخضوع لسلطان الإسلام أو القتال ،فبالخيار الأول :تحققت المكتسبات البشرية والمعنوية والجغرافية ،وبالخيار الثاني تحققت المكتسبات المعنوية والمادية ،ومرور الزمن أيضاً كانت تتحقق المكتسبات البشرية والجغرافية بتحول المعاهدين إلى الإسلام أفراداً أو جماعات ،وأما الخيار الأخير وهو القتال كان النصر في الغالب حليف المسلمين ،وبه تحققت جميع المكتسبات .

٦- الكتب والرسائل التي كان يرسلها النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والزعماء والقبائل ،كان لها إسهام كبير في تحقيق مكتسبات الدعوة ،حيث استجاب عدد من الملوك والزعماء فمنهم من أسلم ومنهم من رد رداً جميلاً ،وقليل منهم أساء الرد فكانت عاقبتهم غير محمودة إلا من تراجع عن موقفه وأسلم .

٧- إن الدعوة الذين أرسلهم النبي صلى الله عليه وسلم كان لهم إسهام بارز في نشر الدعوة وهداية الناس ،كما كان للوفود التي جاءت ملية لنداء الدعوة وعادت تبشر بها الدور الفعال في المكتسبات الدعوية ،حيث توافدت هذه الوفود من جميع أنحاء الجزيرة العربية ،وخضعت كل الجزيرة العربية لسلطة الدولة الإسلامية والله الحمد .

٨- في عهد الخلافة الراشدة تواصلت المكتسبات الدعوية ،بوحدة الأمة على خلافة الصديق بعد أن ظهرت بوادر الخلاف بين المهاجرين والأنصار، وتمت استعادة النظام في الجزيرة العربية بدحر المرتدين والمنتبئين ،ثم بدأت الفتوحات في الجبهة الفارسية بفتح العراق ،وفي الجبهة الرومية بمحاصرة بعض مدن الشام، وتنتج عن تلك الفتوحات مكتسبات بشرية ،ورفع الروح المعنوية للجيش الإسلامي ، بالإضافة إلى المكتسبات المادية والجغرافية .

٩- و في عهد الفاروق توالت المكتسبات الدعوية ،فتم النصر الكامل في الجبهة الشامية على الدولة الرومية بعد تساقط مدنها الأولى تلي الأخرى وعلى رأسها بيت المقدس العاصمة المقدسة لبلاد الشام ،ودمشق العاصمة السياسية ، كما فتحت مصر، وتواصلت الفتوحات في

الجبهة الشرقية وتمت السيطرة على الأراضي الفارسية، كما تم التقدم إلى بلاد الأتراك، وتمت السيطرة في معظم بلاد الأكراد، ومدن السند، وسجستان .

ونتيجة لهذه الفتوحات الواسعة في تلك البلاد الشاسعة والغنية بمواردها الطبيعية اكتسبت الدعوة مكتسبات مادية هائلة بالإضافة إلى المكتسبات البشرية والمعنوية، فوضع الفاروق السياسة المالية، وفرض لكل أحد ما يستحقه من العطاء .

١٠- في عهد عثمان تواصلت الفتوحات في الجبهة الشرقية، ففتحت طبرستان، والمناطق المجاورة لها، كما أعيدت مناطق أخرى إلى الطاعة بعد أن نقضت عهدها، وفي الجبهة الرومية فتحت قرص وواصل المجاهدون زحفهم إلى أن وصلوا مضيق القسطنطينية، وفتحت شمال إفريقية، ووصلت طلائع المجاهدين إلى الأندلس .

ونتيجة لهذه الفتوحات توسعت الموارد المالية، فزاد عثمان رضي الله عنه في عطايا الناس ومستحقاتهم .

١١- فيما يتعلق بأهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في المرحلة المكية، بدأت الدعوة سرّاً مع الأقارب والأصدقاء بالتركز في مجال العقيدة، كما اتخذت سياسة تفادي المواجهة المبكرة مع المجتمع وتحمل كل صنوف الأذى والاضطهاد، وكان صلى الله عليه وسلم يذكر الصحابة بما جرى للمؤمنين السابقين من الأذى، ويشيرهم بالمستقبل المشرق للدعوة واستفاد صلى الله عليه وسلم في سبيل الحفاظ على مكتسبات الدعوة من الجانب القبلي الذي كان سائداً في المجتمع، حيث استطاع أن يستعطف إلى جانبيه بنو هاشم وبنو عبد المطلب برفضهم تسليمه إلى قريش .

١٢- قام أبو بكر رضي الله عنه بعق بعض العبيد المستضعفين في دينهم حفاظاً عليهم .

١٣- استفاد الرسول صلى الله عليه وسلم من بعض الأعراف السائدة في المجتمع مثل الدخول في الجوار، كما بذل جهده في إيجاد موقع آمن للدعوة ومن أجل ذلك كان يعرض نفسه للقبائل، كما ذهب إلى الطائف .

١٤- أهمية الحفاظ على الدعوة في المرحلة المدنية، تكمن في دمج المهاجرين والأنصار في مواخاة بينهم تخفيفاً على المهاجرين وتأليفاً بين الجميع، كما وضع صلى الله عليه وسلم ميثاق تعايش بين مجتمع المدينة عموماً بمختلف قومياتهم ودياناتهم، كما دعا صلى الله عليه وسلم ربه أن يرفع حمى المدينة التي أهدمت المهاجرين إلى الجحفة .

١٥- إخراج اليهود من المدينة بعد نقضهم العهد، والقضاء على الشخصيات الإجرامية التي تزعمت التمرد ضد الدعوة الإسلامية، وضرب القبائل التي تهيئة لمهاجمة المدينة، وسعى صلى الله عليه وسلم في إطفاء نار الفتنة قبل استفحالتها بين أصحابه في مواقف متعددة كما سعى في فك الأسرى بالفداء لتخليصهم من يد الأعداء .

١٦- المسارعة إلى تجلية الأمور وتطبيب النفوس وإزالة الشبهات المنافية للحفاظ على مكتسبات الدعوة، والتأليف بالمال والجاه والعفو عما سلف، بالإضافة إلى الحرص على السمعة الحسنة للدعوة ويتمثل ذلك في التعامل مع المنافقين المحسوبيين من المسلمين في الظاهر .

١٧- أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد الصديق تتجلى في مواقف عدة، منها: تمالك نفسه عند وفاة الرسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الناس الحق، واتحدت الأمة في توليته الخلافة، وقام بتنفيذ جيش أسامة الذي ما مر على قوم كانت تراودهم فتنة الردة إلا كان لهم تثبيتاً على الإسلام، ثم اتخذ الصديق رضي الله عنه القرار بإعلان الحرب على المرتدين والتغلب عليهم، وقام بجمع القرآن بعد استشهاد عدد كبير من القراء في معركة اليمامة ضد مسيلمة الكذاب، وآخر إجراء اتخذه في سبيل الحفاظ على مكتسبات الدعوة هو كتابة العهد للفاروق ورضي الناس بذلك قبل وفاته .

١٨- أبرز الأمور التي اتخذها الفاروق رضي الله عنه في سبيل الحفاظ على مكتسبات الدعوة، تتمثل في مخاطبته لقواد الجيوش في الشام والعراق بالمحافظة على المجاهدين من كل سوء والحرص على سلامتهم، وفرض للمولود عند ما علم أن الناس يسرعون في فطام أبنائهم من أجل أن يفرض لهم، ومن أجل الحفاظ على المال العام كان يقوم بإحصاء مال الوالي قبل أن يباشر عمله وبعد انتهاء مدة عمله، وعدم تقسيم أراضي السواد والشام لتكون مصادر دخل مستمر للمجاهدين في الثغور، ووضع التاريخ الذي يعين على ضبط النظام وفهم الوقائع والحوادث والفصل في الخصومات وغير ذلك، وإخراج اليهود والنصارى من الجزيرة العربية .

١٩- أما أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في خلافة عثمان رضي الله عنه فتظهر في توجيه الجيوش إلى بعض البلاد التي نقضت العهد وإخضاعها مرة أخرى للسلطة الإسلامية، وبناء الأسطول البحري لحماية الشواطئ الإسلامية، وجمع الأمة على قراءة واحدة مخافة

الاختلاف في القرآن بعد أن ظهرت بعض البوادر التي تنبئ بذلك ، ومتابعة الولاية واستدعائهم لمحاسبتهم والتشااور معهم في الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

٢٠- من أهم الأمور التي قام بها علي رضي الله عنه من أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة : عزل عمال عثمان رضي الله عنه الذين اتخذهم أهل الفتنة مطية للقيام بجريمتهم ، وإرسال عمال جدد يقومون بمهامهم ، والسعي من أجل توحيد الأمة تحت خليفة واحد، ثم التزول إلى التحكيم من أجل إيقاف القتال بين الطائفتين المسلمتين ، وتوجيه الجيوش إلى المناطق التي انتهزت فرصة انشغال المسلمين بأوضاعهم الداخلية ونقضت العهد وإرغامها في تراجعها عن قرارها .

٢١- التعليم لكونه وسيلة من وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة ، نزلت آيات كثيرة ترفع من مكانة العلم والعلماء وآيات أخرى تدم الجهل والجهلاء ، وتحذر من كتمان العلم كما وردت نصوص كثيرة في السنة النبوية المطهرة تتحدث عن ذلك ، وكان للبعثات التعليمية أهمية كبيرة في نشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها ، كما كان للمؤسسات التعليمية من الكتاتيب والبيوت والمساجد الدور الفعال والمؤثر في توعية المجتمع وتعليمه والرقى به إلى معالي الأمور والحفاظ على مكتسباته .

٢٢- الحسبة كوسيلة من وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة شرعت للرسول عليهم السلام جميعاً ، وقاموا بمهمة الحسبة على أمتها ، وقد جاء بيان ذلك في القرآن الكريم وبينه النبي صلى الله عليه وسلم في السنة المطهرة ، فأمروا بالمعروف وأعلاه رتبة توحيد الله عز وجل ، ونهوا عن المنكر وأشنعه الشرك بالله عز وجل .

وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم بمهمة الحسبة بنفسه في مجال العقيدة والشريعة والأخلاق والآداب ، كما أوكلها إلى غيره وعلى الطريق نفسه سلك الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم لعلمهم أن الحسبة صمام الأمان في المجتمعات ؛ لأنها تحمي المجتمعات — بإذن الله — من كل ما يهدده سواء أكان في مجال العقيدة أم في مجال الشريعة أم في مجال الأخلاق ، ولا بد للمحتسب أن يأخذ بدرجات الاحتساب وفي ذلك صيانة وحماية لمكتسبات الدعوة .

٢٣- اتخذ الأنبياء عليهم السلام الهجرة وسيلة من وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة فراراً بالدين وحفاظاً على أتباعهم من الأعداء المتربصين، وعند ما قام كفار قريش باضطهاد

المسلمين أرشدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة، وخطط لها تخطيطاً دقيقاً فمكن ذلك — بعد عون الله تعالى — المهاجرين من الوصول إلى الهدف دون أن تشعر بهم قريش، واستطاع المهاجرون أن ينقلوا الصراع خارج مكة في وقت مبكر من تاريخ الدعوة .

٢٤- الهجرة إلى المدينة تعد أهم حدث في تاريخ الدعوة، لأنها كانت نقطة تحول في تاريخ المسلمين من ضعف إلى القوة ومن العيش تحت كيانات مختلفة إلى تكوين دولة قوية تدافع عنهم وتنشر مبادئهم، وما دام الصراع باقياً بين الحق والباطل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فعلى الدعاة أن يدرسوا الحلول المناسبة للحفاظ على مكتسبات الدعوة والخروج بها إلى بر الأمان من أمواج الباطل المتلاطمة التي تحيط بها من كل جانب .

٢٥- العدل وسيلة من وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة، وله أهمية كبيرة في حياة الناس من الأمن والاستقرار، وهو واجب على كل فرد تجاه نفسه وتجاه الآخرين، فهو واجب مع المخالفين وواجب مع الأولاد، كما أنه واجب مع الزوجات، وواجب على القاضي كما هو واجب على الوالي .

ولقد كان للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وقوادهم مواقف عظيمة من مواقف العدالة أسهمت إسهاماً كبيراً في الحفاظ على مكتسبات الدعوة، خاصة في الأقاليم والمدن التي فتحها المسلمون، لأن عدالة الحكام والولاة والقواد المسلمين مع المسلمين وغيرهم كانت مثار إعجاب غير المسلمين ودافعاً لحب الإسلام، وكانت عامل جذب له، كما كان لها الأثر الكبير في دخول الناس في دين الله أفواجاً .

٢٦- إقامة الحدود وسيلة من وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة، وإقامة حد الزنا يمنع من الوقوع في فاحشة الزنا التي تتسبب في جرائم القتل وانتشار الأمراض الخطيرة واختلاط الأنساب والعار الذي ينكس الرؤوس وغير ذلك من مفاصد الزنا، كما أن حد القذف يمنع من اللوغ في أعراض الناس والتشهير بهم وإيلاهم نفسياً، إذا علم القاذف أنه سيعاقب بعقوبة بدنية ما دية بجلده ثمانين جلدة وعقوبة أدبية معنوية برد شهادته وعقوبة دينية بدمغه بالفسق والخروج عن طاعة الله .

كما وضعت الشريعة عقوبة في شرب الخمر لما يسببه من الأضرار في النفس والعقل والصحة والمال، وذيوع العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة، ولأنها رجس

من عمل الشيطان، فإذا علم شارب الخمر أو من يهيم بشرها أنه سيجلد ثمانين أو أربعين ويشهر ذلك أمام الناس سيقلع عن شرها أو يتراجع عن التفكير فيها وبذلك يأمن المجتمع عموماً من أضرار الخمور المادية والبشرية والخلقية، ويتحقق الحفاظ على مكتسبات الدعوة .
ووضعت الشريعة حداً للسرقه، بقطع يد السارق، حفاظاً على أمن الناس في أموالهم وممتلكاتهم من تلك الفئة التي لا يمنعها الوازع الديني والأخلاقي، بإقامة الحد هو السبيل الأمثل لردعهم وإيقافهم عن حدهم، كما وضعت الشريعة حداً في " الحراة " الذين يقطعون السبيل فينهبون الأموال ويقتلون الأنفس، فإذا علم هؤلاء أن مصيرهم القتل أو الصلب أو تقطيع الأيدي والأرجل أو النفي من الأرض، فلن يقدموا في مثل هذه الجريمة وبذلك يتم الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

ولزم قتال البغاة لأنهم يتسببون في تفرقة الجماعة وإضعاف قوة المسلمين وقتل الأنفس وهلاك الأموال وانتهاك الأعراض، فإذا علم الذي يهيم بالخروج على الأئمة أن الأمة كلها ستقف ضده وأن القتل مصيره لم يقدم على هذا الأمر فيريح ويستريح .
وشرع حد الردة، وهو القتل، صيانة للدين من عبث العابثين ولتبقى للإسلام هيئته وتماسك أهله واعتصامهم به، وليسد الباب أمام أعداء الله من التسلل إلى الصف الإسلامي لخلخلته من الداخل .

وشرع تنفيذ القصاص ليحد من جريمة القتل أو التعدي على أي جزء من أجزاء الإنسان بالقطع أو الجرح، فمن علم أنه سيفعل به مثل ما فعل لا يكاد يقدم على الجريمة إلا القليل من الناس الذين لعب بهم الشيطان ليكونوا عيرة للمعتبرين .
٢٧- وشرعت العقوبات التعزيرية على الجرائم التي لا حد فيها وتسمى العقوبات التفويضية، لأن أمرها مفوض إلى ولي الأمر أو من يقوم مقامه، فقد تكون هذه العقوبات بالسجن وقد تكون بالجلد، كما تكون بالوعظ والهجر والتوبيخ، أو بالتهديد والتشهير، وقد تكون بأمر أخرى، ويقصد بذلك كله صيانة المجتمع الإسلامي من عبث العابثين بعدم التعرض في حقوقه وممتلكاته، ويراعى فيه جانب الحفاظ على مكتسبات الدعوة .

٢٨- كان النبي صلى الله عليه وسلم يستهدف بكتبه ورسائله الجهات المؤثرة في المجتمع، وأصحاب اتخاذ القرار والنفوذ، لأن التأثير عليهم تأثير في رعيته، وإن كان مضمون هذه الرسائل تنفق في الدعوة إلى لإسلام وإفراد الله بالعبودية كان الأسلوب مختلفاً بحسب ديانة

الشخص ومكانته الاجتماعية، بل موقعه الجغرافي، فملك الحبشة والروم ومصر والفرس يختلف أسلوبهم في المخاطبة من ملوك الجزيرة العربية، لأن الحفاظ على مكتسبات الدعوة يستدعي ذلك، ومن أجل نشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها لم يكتب النبي صلى الله عليه وسلم بمراسلة الملوك، بل راسل القبائل وزعمائها، كما راسل دعائه ومبعوثيه في المناطق المختلفة، وعلى نفس الضرب سار الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم .

٢٩- اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعاهدات والصلح والهدنة كوسيلة من وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة من غير التنازل عن المبادئ السامية والثوابت الشرعية، لتقليل الأعداء وتوحيد جبهة المواجهة، كما وقع صلى الله عليه وسلم معاهدات مع بعض المناطق التي قبلت بالجزية والبقاء على دينها، وبنفس الطريقة مضت الأمور في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وأن جميع المعاهدات والمصالحات والمهادنات التي أبرمت سواء أكان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم أم في عهد خلفائه الراشدين رضي الله عنهم كان مجالها نشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها، وإظهار عزة المسلم وإعلاء كلمة الله وسلطان الحق والعدل بين الناس وقد تحقق كل ذلك والله الفضل والمنة .

٣٠- وسيلة الجهاد هي من أعظم وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة، وقد شرع الجهاد للدفاع عن النفس والمال والأرض، وحماية الدعوة حتى تبلغ للناس جميعاً وتأديب ناكثي العهد، وإغاثة المظلومين من المؤمنين أينما كانوا، ولهذه الأهداف النبيلة وجب على المؤمنين الإعداد البشري والمعنوي والمادي، والأخذ بعوامل النصر من تعميق الإيمان والتوكل على الله عز وجل، والصبر وتحمل مشاق الجهاد والذكر، والدعاء بالنصر على الأعداء، والوحدة والتماسك وطاعة الأمير والتحريض على الجهاد في سبيل الله، وكل هذه العوامل تتكاتف بعد عون الله تعالى في النصر على الأعداء والحفاظ على مكتسبات الدعوة .

٣١- الأخذ بوسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة في مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية كان له الأثر الفعال في الحفاظ على مكتسبات الدعوة بعد عون الله تعالى وهي اليوم كفيلة بأن تحقق ما حققته في الماضي، فالعلم في أي عصر من العصور هو الذي يزيل ظلام الجهل، وأن التربية هي التي تصوغ الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم وفق مبادئ الإسلام العظيم وتحميه من المبادئ الأفكار الوافدة، كما أن وسيلة الحسبة لها أهمية عظيمة في صلاح الأمة ونصر الدين والقضاء على أسباب الهلاك والمعاصي والشور، فواجب الأمة

والتعاون في بث روح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة، كما يجب على الأمة أن تسعى لإقامة العدل ورفع الظلم عن المظلوم وتطبيق الشريعة، وإقامة الحدود والقصاص والعقوبات التعزيرية على الجناة والمخالفين لتعيش الأمة في أمن وأمان ورفاهية واستقرار.

٣٢- والهجرة كما كانت وسيلة من وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة من الأخطار الخارجية فهي في الوقت الحاضر من الوسائل المهمة للفرار بالدين والنفس إلى المكان الذي يجد فيه المسلم الأمن والاستقرار وممارسة شعائر الدين بكل راحة ويسر، كما أن الحاجة ماسة في العصر الحاضر من أجل نشر الدعوة والحفاظ على مكتسباتها إلى إرسال الرسل والرسائل والمعاهدات والصلح والهدنة مع العدو الخارجي بقصد دعوته إلى الإسلام أو تبادل المصالح المشتركة معه أو التفاوض معه من أجل الأمن من شروبه، وكل طريق يؤدي للحفاظ على مكتسبات الدعوة ونشرها يجب سلوكه مع الأعداء والأصدقاء مع الالتزام بالضوابط الشرعية وسلوك الطرق الحكيمة التي تؤدي إلى المقصود.

وأخيراً الوسيلة التي كان لها الأثر الكبير والحظ الوافر من وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة هي الجهاد في سبيل الله، والأمة اليوم في أمس الحاجة إلى الأخذ بهذه الوسيلة المشروعة بشروطها للخروج من محنتها التي تعيشها حيث تتكالب عليها الأمم من الشرق والغرب للقضاء في آخر معاقلها وتغير مبادئها إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ونسأل الله أن لا يتحقق لهم ذلك، وأن يلهم ولاية أمور المسلمين لإقامة شعيرة الجهاد في سبيل الله على الوجه الذي كان عليه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه الراشدين رضي الله عنهم ومفهوم السلف الصالح رحمهم الله.

التوصيات

١- إن ما تناوله هذا البحث في موضوع مكتسبات الدعوة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين يعد أقل بكثير مما ينبغي لضيق المجال المتاح له في هذا البحث وهو مبحث من فصل، والأمر كذلك فيما يتعلق، بأهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة وهي أيضاً محاولة أولية فيما يتعلق بمكتسبات الدعوة، فيوصي الباحث الدعاة أن يولوه الاهتمام والمتعمق فيه بالبحث، كما يوصي أن يكون من مقررات السنة التمهيدية في مرحلة الماجستير أو الدكتوراه في كليات الدعوة في الجامعات.

٢- إن العهد النبوي وعهد الخلافة الراشدة هو عهد القدوة والأسوة للأمة الإسلامية فينبغي دراسته دراسة تأصيلية من جميع الجوانب لتطبيقها في العصر الحاضر والمستقبل لأن الأمة لا تصلح إلا بما صلح به أولها .

٣- السيرة النبوية هي التطبيق العملي لمفهوم الكتاب والسنة ودراستها والعمل بما فيها يجنب الكثير من الهفوات والزلال الذي يقع فيه اليوم بعض المسلمين الذين يأخذون نصوص الكتاب والسنة دون دراية بما تنطوي عليه من المعاني ودون الرجوع إلى أهل العلم لفهم محتواها .

٤- التأكيد والاهتمام بوسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة وأن ما تناوله البحث من الوسائل يعد جزء من تلك الوسائل المباركة التي استخدمها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وستخدمها الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم وهي اليوم تؤدي نفس الدور الذي كانت تؤديه في ذلك العصر المبارك لأنها وسائل شرعها الله لتواكب كل عصر وكل مكان خاصة الوسائل التي هي من الثوابت الشرعية التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان .

٥- وأخيراً يشيد الباحث بما تقوم به هذه البلاد المباركة المملكة العربية السعودية من نشر الدعوة في أنحاء العالم والسعي في الحفاظ عليها بكل وسيلة، وما ذلك إلا لمعرفة أهل هذه البلاد بالمسئولية الملقاة عليهم، ونسأل الله أن يحفظ هذه البلاد وسائر بلاد المسلمين من كل سوء وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفهارس

. فهرس الآيات القرآنية

. فهرس الأحاديث النبوية

. فهرس الأعلام

. فهرس القبائل

. فهرس الأماكن والبلدان

. فهرس المصادر والمراجع

. فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

| الآية | السورة | رقم الآية | الصفحة |
|---|--------|-----------|----------|
| ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ | البقرة | ٣ | ٢٢٠ |
| ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ تَأْتُمُونَنَا بِمَا لَا يَنْفَعُكُمْ ﴾ | | ٥٤ | ١٩٣ |
| ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ | | ٦٧ | ١٣٥ |
| ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ ﴾ | | ١١٤ | ١٧٥ |
| ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾ | | ١٥٣ | ٤٥٩ |
| ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ﴾ | | ١٥٥ | ٤٦٠ |
| ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ ﴾ | | ١٥٩ | ١٦٢ |
| ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ | | ١٧٤ | ١٦٣ |
| ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ | | ١٧٧ | ٤٥٩، ٢٢٠ |
| ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾ | | ١٧٨ | ٣٢٨ |
| ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ | | ١٧٩ | ٣٢٧ |
| ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ | | ١٨٦ | ٤٦١ |
| ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ﴾ | | ١٩٠ | ٤١٢ |
| ﴿ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ | | ١٩٤ | ٤١٤، ٣٢٧ |
| ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ ﴾ | | ٢١٧ | ٣٢٤ |
| ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ ﴾ | | ٢٤٧ | ٤١٨ |
| ﴿ رَبَّنَا أفرغ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾ | | ٢٥٠ | ٤٦٣ |
| ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ | | ٢٥٣ | ١٣٨ |

| الآية | السورة | رقم الآية | الصفحة |
|--|----------|-----------|----------|
| ﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ | البقرة | ٢٥٦ | ٣٥٦ |
| ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ | | ٢٥٨ | ١٩٠ |
| ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا ﴾ | | ٢٨٣ | ١٦٧ |
| ﴿ ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ | | ٢٨٥ | ٢٢٠ |
| ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ | آل عمران | ٧ | ١٣٢ |
| ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ | | ١٨ | ١٣٣ |
| ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ | | ٦٤ | ٣٤٩، ٣٤٨ |
| ﴿ وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا ﴾ | | ٧٢ | ٣٢٥ |
| ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ | | ١٠٢ | ١ |
| ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ | | ١٠٣ | ٤٥٢ |
| ﴿ وَلَتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ | | ١٠٤ | ١٩٨ |
| ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ | | ١١٠ | ١٩٨ |
| ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ ﴾ | | ١٢٦ | ٤٥٦ |
| ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ | | ١٤٤ | ١٠٣ |
| ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ ﴾ | | ١٤٦ | ٤٤٠ |
| ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ | | ١٥٢ | ٤٥٣ |
| ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ | | ١٥٩ | ٤٤٣ |
| ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾ | | ١٦٠ | ٤٤٣ |
| ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا ﴾ | | ١٦٤ | ١٥٩ |
| ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا ﴾ | | ١٧٣ | ٤٤٤ |

| الآية | السورة | رقم الآية | الصفحة |
|--|----------|-----------|-----------|
| ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ | آل عمران | ١٨٧ | ١٦٢ |
| ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيمَا وَفَعُوا ﴾ | | ١٩١ | ٤٦١ |
| ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾ | | ٢٠٠ | ٤٥٩ |
| ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ | النساء | ١ | ١ |
| ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ | | ٣ | ٣١٠ ، ٢٨٦ |
| ﴿ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾ | | ٣٤ | ٣٣٣ ، ٣٣٦ |
| ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ | | ٥٨ | ٢٨٩ ، ٢٩٢ |
| ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ ﴾ | | ٥٩ | ٤٥٥ |
| ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ | | ٦٣ | ٢٣٢ |
| ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ | | ٧١ | ٤٢٢ |
| ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ | | ٧٦ | ٤٤٠ |
| ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾ | | ٨٤ | ٤٤٥ |
| ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا ﴾ | | ٩٢ | ٣٢٩ |
| ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ | | ٩٣ | ٣٢٨ |
| ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمًا لِنَفْسِهِمْ ﴾ | | ٩٧ | ٢٤٠ |
| ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ ﴾ | | ١٠٢ | ٤٢٢ |
| ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ | | ١٣٥ | ٢٨٣ |
| ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ | المائدة | ٣ | ٢٨ |
| ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُجِلَّ لَهُمْ ﴾ | | ٤ | ١٣٦ |

| الآية | السورة | رقم الآية | الصفحة |
|--|---------|-----------|----------|
| ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ۤأَلَّا تَعْدِلُوۡا ۗ ﴾ | المائدة | ٨ | ٤٨٠، ٢٨٤ |
| ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۗ ﴾ | | ١٣ | ٤٠٥ |
| ﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ۗ ﴾ | | ٢٢ | ٤٤٣ |
| ﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا ۗ ﴾ | | ٢٤ | ٤٠٩ |
| ﴿ إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ حُجِّرُوا۟نَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۗ ﴾ | | ٣٣ | ٣٢٠ |
| ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۗ ﴾ | | ٣٤ | ٣٢١ |
| ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ۗ ﴾ | | ٣٨ | ٣١٨ |
| ﴿ وَإِن حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ۗ ﴾ | | ٤٢ | ٢٩٠ |
| ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ۗ ﴾ | | ٤٥ | ٣٢٨ |
| ﴿ أَفْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةُ يَبْغُونَ ۗ ﴾ | | ٥٠ | ٤٨٣ |
| ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ ۗ ﴾ | | ٥٤ | ٣٩٢، ٣٢٤ |
| ﴿ يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۗ ﴾ | | ٦٧ | ٢٢٣ |
| ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ ۗ ﴾ | | ٧٨ | ٢١٧، ١٩٤ |
| ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ۗ ﴾ | | ٩٠ | ٣١٥ |
| ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۗ ﴾ | الأنعام | ٣٥ | ١٣٥ |
| ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۗ ﴾ | | ١٠٦ | ٤٠٥ |
| ﴿ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ جَاهِلُونَ ۗ ﴾ | | ١١١ | ١٣٥ |
| ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۗ ﴾ | | ١١٥ | ٢٨١ |
| ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ ۗ ﴾ | | ١٥١ | ٣٢٨، ١٩٧ |

| الآية | السورة | رقم الآية | الصفحة |
|---|---------|-----------|---------------|
| ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ | الأنعام | ١٥٢ | ٢٨٣ |
| ﴿ قُلْ أَمْرِي بِالْقِسْطِ ﴾ | الأعراف | ٢٩ | ٢٩٠ |
| ﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ | | ٣١ | ١٧٦ |
| ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ ﴾ | | ٦٢ | ١٨٨ |
| ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ | | ٦٥ | ١٨٨ |
| ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ | | ٧٣ | ١٨٩ |
| ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِي أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ ﴾ | | ٨٠ | ١٩١ |
| ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ | | ٨٥ | ١٩٢ |
| ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ | | ١٠٥ | ١٩٢ |
| ﴿ وَجَنُوزَنَا بِنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ﴾ | | ١٣٨ | ١٩٣ |
| ﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ﴾ | | ١٤٢ | ٤ |
| ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ | | ١٤٨ | ١٩٣ |
| ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ | | ١٥٧ | ١٩٦ |
| ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ | | ١٩٩ | ٤٠٥ |
| ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ | الأنفال | ٩ | ٤٦٢ |
| ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا ﴾ | | ١٥ | ٤٤٧ |
| ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ ﴾ | | ٢٢ | ١٣٥ |
| ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ ﴾ | | ٢٦ | ٢ |
| ﴿ وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ | | ٣٠ | ٢٦٦، ٤٠٤، ٤٩٦ |
| ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ | | ٣٤ | ١٣٥ |

| الآية | السورة | رقم الآية | الصفحة |
|---|---------|-----------|--------------------|
| ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ﴾ | الأنفال | ٤٥ | ٤٦٠ |
| ﴿ وَلَا تَنَزَعُوا فِتْفَشَلُوا وَتَذْهَبَ رِجَالُكُمْ ﴾ | | ٤٦ | ٤٥٣ |
| ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ | | ٦٠ | ٤٢٤٠ ، ٤١٨ |
| ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْهَا ﴾ | | ٦١ | ٤١٥ ، ٤٤٣ |
| ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾ | | ٦٥ | ٤٤١ |
| ﴿ أَلْقِنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾ | | ٦٦ | ٤٤١ |
| ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ ﴾ | التوبة | ١٨ | ١٧٥ |
| ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ | | ٢٠ | ٤٣٤ |
| ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ | | ٢٥ | ٤٥٧ ، ٤٣ |
| ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ | | ٣٥ | ٨٠ |
| ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾ | | ٣٦ | ٤١٣ |
| ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا ﴾ | | ٣٨ | ٤٤٧ |
| ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴾ | | ٤٠ | ٢٦٩ |
| ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ | | ٥١ | ٢٢٠ |
| ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ﴾ | | ٥٢ | ٤٤٠ |
| ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ | | ٦٠ | ٢٩٥ |
| ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ | | ٧١ | ٤٧٤ ، ١٩٨ ، ٤٧٥ |
| ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى ﴾ | | ٩١ | ٤٢١ |
| ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾ | | ٩٢ | ٤٣٥ |

| الآية | السورة | رقم الآية | الصفحة |
|--|---------|-----------|---------|
| ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ ﴾ | التوبة | ١١١ | ٤٤٥ |
| ﴿ التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ ﴾ | | ١١٢ | ١٩٩ |
| ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ﴾ | | ١٢٢ | ١٥١ |
| ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ ﴾ | | ١٢٣ | ٣٥٥، ٤٩ |
| ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا ﴾ | هود | ٥٨ | ١٨٩ |
| ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا ﴾ | | ٦٦ | ١٨٩ |
| ﴿ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ﴾ | | ٨١ | ٢٤٦ |
| ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا ﴾ | | ٩٤ | ١٩٢ |
| ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ ﴾ | | ١٢٠ | ٤٠٦ |
| ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ | يوسف | ٢٢ | ١٣٧ |
| ﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ ﴾ | | ٦٨ | ١٣٧ |
| ﴿ نَزَّعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ ﴾ | | ٧٦ | ١٣٨ |
| ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﴾ | | ١٠٨ | ١٥٤ |
| ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ ﴾ | الرعد | ١٩ | ١٣٤ |
| ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ | | ٢٨ | ٤٦٠ |
| ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ | إبراهيم | ٦ | ٢٣٨ |
| ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ | الحجر | ٩ | ١٠٦ |
| ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴾ | | ٧٣ | ١٩١ |
| ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصْبِحِينَ ﴾ | | ٨٣ | ١٨٩ |
| ﴿ فَأَصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ | | ٨٥ | ٤٠٥ |

| الآية | السورة | رقم الآية | الصفحة |
|--|---------|-----------|-----------|
| ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ | الحجر | ٩٤ | ٧٨ |
| ﴿ وَاللَّاتُ عَمَلٌ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ ﴾ | النحل | ٥ | ٤٣٠ |
| ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ | | ٨ | ٤٣٤ ، ٤٣٣ |
| ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ﴾ | | ٣٦ | ١٨٧ |
| ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ ﴾ | | ٤٣ | ١٥١ |
| ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ | | ٩٠ | ٢٢٩ ، ٢٨٣ |
| ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ | | ١٠٦ | ٢٥٤ |
| ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ﴾ | | ١٢٦ | ٣٢٧ |
| ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ | | ١٢٧ | |
| ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾ | الإسراء | ١٣ | ١٦٧ |
| ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ | | ٢٣ | ١٩٨ |
| ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً ﴾ | | ٣٢ | ٣٠٨ |
| ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ | | ٣٣ | ٣٢٨ |
| ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ | | ٣٥ | ٢٩٤ |
| ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ | | ٧١ | ٤٣٠ |
| ﴿ وَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ | | ٨٥ | ١٣٩ |
| ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ ﴾ | | ٩٣ | ١٦٦ |
| ﴿ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ ﴾ | | ١٠٣ | ١٩٣ |
| ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾ | الكهف | ١٧ | ٣٦٤ |
| ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾ | | ٥٠ | ٣٦٤ |

| الآية | السورة | رقم الآية | الصفحة |
|---|----------|-----------|-----------|
| ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ﴾ | طه | ٧٧ | ٢٣٨ |
| ﴿ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾ | | ١١٤ | ١٤٠ ، ١٣٧ |
| ﴿ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ | الأنبياء | ٧ | ١٣٣ |
| ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ﴾ | | ٢٥ | ٢١٩ |
| ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾ | | ٣٤ | ٣٦٣ |
| ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ | | ٦٦ | ٢٣٢ |
| ﴿ وَجَعَلْنَاهُ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ ﴾ | | ٧١ | ٢٣٧ |
| ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ | | ٧٩ | ١٣٨ |
| ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ ﴾ | | ٨٠ | ٤٢٧ |
| ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ | | ١٠٥ | ٤٥٠ |
| ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ | الحج | ٣٨ | ٤٤١ |
| ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِإِنِّهِمْ ظَلِمُوا ﴾ | | ٣٩ | ٤١٢ ، ٢٩ |
| ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ | | ٤١ | ٢٠٧ |
| ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ | | ٥٤ | ١٣٣ |
| ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ | المؤمنون | ٥ | ٣١٠ |
| ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ | | ٢٣ | ١٨٨ |
| ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ﴾ | النور | ٢ | ٣١٠ |
| ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ | | ٤ | ٣١٣ |
| ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَخِجُوا أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ ﴾ | | ١٩ | ٣١٣ |

| الآية | السورة | رقم الآية | الصفحة |
|--|----------|-----------|--------|
| ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ | النور | ٢٣ | ٣١٣ |
| ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ | | ٣٠ | ٣٠٩ |
| ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ | | ٣١ | ٣٠٩ |
| ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ | | ٣٣ | ١٦٧ |
| ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ ﴾ | | ٣٦ | ١٧٥ |
| ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ ﴾ | الفرقان | ٤٤ | ١٣٥ |
| ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ ﴾ | | ٥٢ | ٤٠٧ |
| ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ | الشعراء | ٢٣ | ١٩٣ |
| ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي ﴾ | | ٥٢ | ٢٣٨ |
| ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ | القصص | ١٤ | ١٣٨ |
| ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ | | ٥٢ | ٢٣ |
| ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ ﴾ | | ٨٣ | ٣٠٣ |
| ﴿ ففأمن لهم لوطٌ وقال إني مهاجرٌ إلىٰ ربي ﴾ | العنكبوت | ٢٦ | ٢٣٧ |
| ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴾ | | ٤٣ | ١٣٣ |
| ﴿ يَبْعَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ﴾ | | ٥٦ | ٢٤١ |
| ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ | | ٦٩ | ٤٥٩ |
| ﴿ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ | الروم | ٦٠ | ٤٠٥ |
| ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ | لقمان | ١٣ | ١٨٧ |
| ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾ | الأحزاب | ٩ | ٤٦٣ |
| ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ ﴾ | | ٢٥ | ٣٥ |

| الآية | السورة | رقم الآية | الصفحة |
|--|---------|-----------|----------|
| ﴿ وَلَا تَبْرَحْنَ تَبْرِجَ الْجَهْلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ | الأحزاب | ٣٣ | ٣٠٩ |
| ﴿ وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ | | ٣٤ | ١٧٣ |
| ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ ﴾ | | ٣٦ | ٣١٢ |
| ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ | | ٤٨ | ٤٤٣ |
| ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ ﴾ | | ٥٩ | ٣٠٩ |
| ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ | | ٧٠ | ١ |
| ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ﴾ | سبا | ١٠ | ٤٢٦ |
| ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ | فاطر | ٦ | ٣٦٤ |
| ﴿ إِنَّمَا سَخَشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ | | ٢٨ | ١٣٦ |
| ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا ﴾ | يس | ٩ | ٢٦٨ |
| ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾ | الصافات | ١٩٠ | ٨٣ |
| ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ | | ١٧١ | ٤٤١ ، ٨٢ |
| ﴿ يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴾ | | ٢٦ | ٢٨٨ |
| ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمُونَ ﴾ | الزمر | ٩ | ١٣٤ |
| ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ | غافر | ٢٨ | ٤٠٣ |
| ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ | | ٥١ | ٨٠ |
| ﴿ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ | | ٦٠ | ٤٦١ |
| ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ | فصلت | ١٥ | ١٨٨ |
| ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾ | | ٣٣ | ١٥٩ |
| ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾ | | ٣٤ | ٩٥ |

| الآية | السورة | رقم الآية | الصفحة |
|--|----------|-----------|-----------|
| ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ | الشورى | ١٣ | ٧٩ |
| ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ | | ١٧ | ٢٨٢ |
| ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ | الدخان | ٢٥ | ٥٨ |
| ﴿ وَلَقَدْ كَفَرْنَا بِنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْأَمِينِ ﴾ | | ٣٠ | ٢٣٨ |
| ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنصَرُوهَا اللَّهُ يَنْصَرُكُمْ ﴾ | محمد | ٧ | ٤٦٠ |
| ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْآعْلُونَ ﴾ | | ٣٥ | ٤٤٠ |
| ﴿ لِيَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ | الفتح | ٩ | ٣٣١ |
| ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ ﴾ | | ١٧ | ٤٢١ |
| ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ | | ١٨ | ٧٥ |
| ﴿ فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ | | ٢٧ | ٣٨٢ |
| ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ ﴾ | | ٢٩ | ٣٥٦ ، ١٩ |
| ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ | الحجرات | ٦ | ٢٣١ |
| ﴿ وَإِنْ طَافِئَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ | | ٩ | ٣٢٣ ، ٢٩٤ |
| ﴿ إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَنكُمْ ﴾ | | ١٣ | ٥٩ |
| ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْحِينَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ | الذاريات | ٥٦ | ٢١٩ |
| ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ﴾ | القمر | ١٠ | ١٨٨ |
| ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ | | ٤٩ | ٢٢١ |
| ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ | الرحمن | ٩ | ٢٩٤ |
| ﴿ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَرْكَةٍ زَوْجَانِ ﴾ | | ٥٢ | ٤٣٣ |
| ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ | الحديد | ٢٣ | ٢٢٠ |

| الآية | السورة | رقم الآية | الصفحة |
|---|-----------|-----------|----------|
| ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ | الحديد | ٢٥ | ٤٢٦، ٢٨١ |
| ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا ﴾ | المجادلة | ١١ | ١٣٤ |
| ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَالِحُونَ ﴾ | | ٢٢ | ٤٤١ |
| ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ | الحشر | ٢ | ١٨٥ |
| ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﴾ | | ٧ | ٣٣ |
| ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ | | ٩ | ١١٧، ٨٧ |
| ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ ﴾ | الصف | ٤ | ٤٥٤ |
| ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ | | ٨ | ١، ٤٩٦ |
| ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرٌ عَلَى تِحْرَةٍ ﴾ | | ١٠ | ٤٤٦، ٤٣٤ |
| ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا ﴾ | الجمعة | ٢ | ٢٢٨ |
| ﴿ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ | المنافقون | ٨ | ٩٧ |
| ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ | الطلاق | ١ | ٣٠٧ |
| ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ | | ٢ | ٤٤٣، ٢٩٤ |
| ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ | الملك | ٤٨٢ | |
| ﴿ نَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ | القلم | ١ | ٤٦٨، ١٦٦ |
| ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ | المعارج | ١٩ | ٢٢٠ |
| ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ | نوح | ٥ | ١٨٨ |
| ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ | الزمل | ٢٠ | ٣٢٠ |
| ﴿ لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ | القيامة | ١٦ | ١٣٧ |

| الآية | السورة | رقم الآية | الصفحة |
|---|----------|-----------|--------|
| ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ | النبا | ١٠ | ٢٤٦ |
| ﴿ وَتَحِيُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ | الفجر | ٢٠ | ٩٥ |
| ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُمْ ﴾ | الشمس | ١٤ | ١٨٩ |
| ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ | العلق | ١ | ١٦٦ |
| ﴿ وَالْعَنَدِيتِ ضَبْحًا ﴾ | العاديات | ١ | ٤٣٠ |
| ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ | النصر | ١ | ٤٣ |

فهرس الأحاديث النبوية

| الصفحة | الحديث |
|----------|---|
| ٢٥٨ | أبايعكم على أن تمنعوني |
| ٢٢١ | أتى على امرأة تبكي |
| ٤٠٦ ، ٨٢ | أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة |
| ٤٢٨ | احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر المسلمين |
| ٣١٣ | اجتنبوا السبع الموبقات |
| ٤٣١ | أجرى النبي صلى الله عليه وسلم ما ضمير من الخيل من الحفياء |
| ٤٤٧ | إذا تبايعتم بالعينة |
| ٢٩٢ | إذا حكم الحاكم فاجتهد |
| ١١٤ | إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه |
| ٢٢٩ | ارجع إلى ثوبك فخذه ولا تمشوا عراة |
| ٢٢٤ | ارجع فصل فإنك لم تصل |
| ٢٢٩ | استأخرن فإنه ليس لكن أن تحقن الطريق |
| ٢١٠ | استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم |
| ٢٢٥ | استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم |
| ٢٨٦ | اعدلوا بين أولادكم في النحل |
| ٢٥٤ | أ كان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم |
| ١٧٨ | ألا أخبركم عن نفر الثلاثة |
| ٢٥٦ | ألا رجل يبلغني قومي |
| ١٦٠ | ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب |
| ٢٨٥ | أ لك ولد سواه قال نعم قال فأراه |
| ١٠٤ | أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله |
| ٤٣٥ | أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً أن نتصدق |

| | |
|-----|---|
| ٢٤٠ | أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين |
| ٤٣٢ | أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب |
| ٤٤٦ | انتدب الله لمن خرج في سبيله |
| ٩٦ | أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنما بين جبلين |
| ١٥٦ | انفر على رسلك حتى تنزل بساحتهم |
| ١ | إن الحمد لله نحمده |
| ١٤٥ | إنك امرؤ فيك جاهلية |
| ١٥٦ | إنك تأتي قوما من أهل الكتاب |
| ١٧٣ | إن الله لا يستحي من الحق |
| ١٤٣ | إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة |
| ١٤٦ | إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه |
| ٤٥٢ | إن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا |
| ٢٣٢ | إنما أنا لكم بمنزلة الواحد أعلمكم |
| ١٤٧ | إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم |
| ٤١١ | إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل |
| ١٧٨ | إن من الشجرة لا يسقط ورقها |
| ٢٨٥ | إن المقسطين عند الله على منابر من نور |
| ٤٧٦ | إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه |
| ٣٢٢ | إنه ستكون هنات وهنات |
| ٢٧١ | اللهم اصصره |
| ٤٦٢ | اللهم انجز لي ما وعدتني |
| ٢٢٦ | اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد |
| ١٥٢ | اللهم علمه الكتاب |
| ٤٦٣ | اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب |
| ١٦٠ | اللهم هل بلغت |

| | |
|-----|---|
| ٢٥٣ | أول من أظهر إسلامه سبعة |
| ٣٢٠ | أيها الناس إنما ضل من كان |
| ٢٥٨ | بايعوني على السمع والطاعة |
| ٢٠٠ | بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقامة الصلاة |
| ٢٢٠ | بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة |
| ٢٢٥ | بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد |
| ٣٣٤ | بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قيل نجد |
| ٢٢٦ | بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل |
| ٢٢٣ | بينما أنا أصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم |
| ٤٠٢ | بينما النبي صلى الله عليه وسلم ساجد وحوله ناس من قريش |
| ٢٢٣ | تخلف النبي صلى الله عليه وسلم عنا في سفره |
| ١٧٤ | تربت يمينك فبم يشبهها ولدها |
| ٤٨٦ | ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم |
| ١٥٢ | تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن سمع منكم |
| ٢٥٧ | تعالوا بايعوني |
| ٣١٩ | تقطع اليد في ربع دينار |
| ٩٥ | تهادوا تحابوا |
| ٢٩٠ | ثلاثة لا يرد الله دعاءهم |
| ٢٢٤ | جاء ثلاثة رهط |
| ٣١٧ | جلد النبي صلى الله عليه وسلم أربعين |
| ٣٠٨ | حول الحمى يوشك أن يقع فيه |
| ٣١٠ | خذوا عني خذوا عني |
| ٤٥٦ | خيركم أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم |
| ١٥٢ | خيركم من تعلم القرآن وعلمه |
| ٤٣١ | الخيال معقود في نواصيها الخير |

| | |
|-----|--|
| ٢٠١ | دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح |
| ٩٢ | دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنه قد بلغني |
| ٣٣٤ | رأيت الذين يشتررون الطعام مجازفة |
| ١٧٠ | الرجل راع في أهل |
| ٤٠٣ | سألت ابن عمرو بن العاص قلت أخبرني بأشد شيء |
| ١٧٣ | سألت عائشة عن غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم |
| ٢٨٩ | سبعة يظلهم الله يوم القيامة |
| ٢٥٣ | صبرا آل ياسر |
| ٢٢٢ | صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم |
| ٣٣٣ | ضربا غير مبرح |
| ١٤٣ | ضرب النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء به من الدين |
| ١٤٩ | طلب العلم فريضة على كل مسلم |
| ٢٨٥ | الظلم ظلمات يوم القيامة |
| ١٤٢ | العلماء ورثة الأنبياء |
| ٤٥٦ | على المرء المسلم السمع والطاعة |
| ٣١٧ | عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين |
| ٢٨٥ | فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم |
| ٩٣٢ | فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة |
| ٩٩ | فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا |
| ١٦٩ | فتعلمها |
| ٢٠٠ | فحمد الله وأثنى عليه وقال عليكم باتقاء الله وحده |
| ٢١٤ | فسنأخذ فيه بالحق |
| ١٧١ | فعرض علي الإسلام فأسلمت |
| ١٧٦ | فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمر بن عوف |
| ١٥٢ | فلقد قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم |

| | |
|----------|--|
| ٤٨ | فمازلت موقنا أنه سيظهر |
| ١٨٠ | فلم يزل به حتى صعد المنبر |
| ٩٦ | قال صفوان والله لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم |
| ٢٦٤ | قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم |
| ٢٧٤ | قدم النبي صلى الله عليه وسلم فما رأيت أهل المدينة |
| ١٤٥ | القضاة ثلاثة واحد في الجنة واثنان في النار |
| ٢٦٠ | قد أخبرت بدار هجرتكم |
| ٢٩٣ | القضاة ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة |
| ٣١٩ | قطع النبي صلى الله عليه وسلم في بجن ثمنه |
| ٤٤٨ | قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض |
| ٤٣٢ | كان للنبي صلى الله عليه وسلم ناقة تسمى العضاء |
| ٣١١ | كما أمر برجم الغامدية |
| ١١٧ | كنا نؤتى بالشارب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم |
| ١٥٠ | كنت أنا وجار لي من الأنصار |
| ٢٢٧ | لا أنزل حتى يقتل |
| ٢٠١ | لا تبقيين في رقبة بغير قلادة من وتر |
| ٢٢١ | لا تجلسوا على القبور |
| ٢٤١ | لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة |
| ١٤٤، ٢٩٣ | لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه مالا |
| ٢٤١ | لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية |
| ٣١٤ | لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه |
| ٩٧ | لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه |
| ٢٩٣ | لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان |
| ٣٢٤ | لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله |
| ١١٣ | لئن عشت لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب |

| | |
|-----|--|
| ٣٣٨ | لتخرجن الخطاب أو ليلقين الثياب |
| ٣١٦ | لعنت الخمر على عشرة أوجه |
| ٢٢١ | لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم |
| ٤٠٢ | لقد أخفت في الله عزوجل وما يخاف أحد |
| ٢٢٦ | لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة |
| ٣٢٦ | لو كنت قاتلا رسولا لضربت أعناقكما |
| ١٦٣ | ليبلغ الشاهد الغائب |
| ٤٢٨ | ليس لني إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل |
| ١٧٩ | ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله |
| ١٦٧ | ما حق امرئ مسلم له شيء |
| ١٧٠ | ما من مولود إلا يولد على الفطرة |
| ٤٤٦ | ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يعود |
| ١٥٢ | الماهر بالقرآن مع الكرام البررة |
| ٤١٨ | المؤمن القوي خير وأحب إلى الله |
| ٤٥٤ | المؤمن للمؤمن كالبنيان |
| ٤٤٩ | مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم الحديبية |
| ١٩٩ | مثل القائم على حدود الله والواقع فيها |
| ١٤٣ | مثل ما بعثني الله به من الهدى |
| ٢٠٥ | مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها |
| ٤٢٠ | مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم |
| ٢٢٤ | مر وهو يطوف بالكعبة |
| ٣١٤ | المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده |
| ٤٥٥ | من أطاعني فقد أطاع الله |
| ٣٢٢ | من آتاكم وأمركم جميع على رجل واحد |
| ١٧٦ | من أكل من هذه الشجرة المنتنة |

| | |
|-----------------------|--|
| ٣٢٤ | من بدل دينه فاقتلوه |
| ١٧٦ | من بنى لله مسجدا |
| ٤٢١ | من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصى |
| ١٧٩ | من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا الخير |
| ٤٣٦ | من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا |
| ٤٧٦ ، ٤٧٤ ، ٤١٨ ، ٢٣٣ | من رأى منكم منكرا فليغيره بيده |
| ١٦٣ | من سئل عن علم يعلمه فكتمه |
| ١٤٩ | من سلك طريقا يطلب فيه علما |
| ٢٩٤ | من غشنا فليس منا |
| ١٨٥ | من قام رمضان إيمانا واحتسابا |
| ٢٨٧ | من كان له امرأتان يميل لإحداهما على الأخرى |
| ٢٦٢ | من لي بعياش بن ربيعة |
| ٤٤٨ | من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه |
| ١٧٤ | موعدكن بيت فلان |
| ١٤٢ | من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين |
| ٤٣٢ | ناس من أمتي يركبون البحر |
| ٢٧٥ | نزل في علو المدينة في حي يقال لهم بنو عوف |
| ١٥٢ | نضر الله عبدا سمع مقالتي |
| ١٧٤ | نعم النساء نساء الأنصار |
| ١٧٦ | نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل البصل |
| ٢٢١ | نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخصص القبر |
| ١٧٧ | هذا إن شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم |
| ٤٤٣ | هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون |
| ١٥٧ | وأعلمهم بالحلل والحرام معاذ |
| ٣٣٣ | والذي نفسي بيده لتضربوه إذا صدقكم |

| | |
|-----|--|
| ٢٨٥ | واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب |
| ٢٠٥ | والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف |
| ١٨٠ | وبايعة الناس المهاجرون والأنصار |
| ٣١٠ | وقد أمر صلى الله عليه وسلم برجم ماعز |
| ١٠٦ | وكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفي |
| ٣٣٦ | يا أبا ذر أعيرته بأمه |
| ١٥٨ | يا أيها الناس إنكم منفرون فمن صلى بالناس فليخفف |
| ٤٦٠ | يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو |
| ١٧٧ | يا بني النجار تامنوني بحائطكم |
| ٩٨ | يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض |
| ١٤٦ | يا رسول الله إن اليهود قوم بهت |
| ١٦٨ | يا زيد تعلم لي كتاب يهود |
| ٢٣٠ | يا غلام سم الله وكل يمينك |
| ٩٦ | يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتني عنكم |
| ٣١٠ | يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج |
| ١٥٧ | يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا |
| ١٧٣ | يقبل وهو صائم |
| ١٧٩ | يهل أهل المدينة من ذي الخليفة |

فهرس الأعلام

| العلم | الصفحة |
|--------------------------------|----------------------------|
| آذین بن هرمزان | ٦٠ |
| أبي بن كعب | ١٨٠ |
| أحمد بن حنبل | ٤٣٦، ٢٥٣ |
| الأحنف بن قيس | ٦٤ |
| الأرقم بن أبي الأرقم | ١٤١، ٧٧، ٢٠، ١٩ |
| أرها بن الأصعم | ٣٤٧ |
| أسامة بن زيد | ٢٩٦، ١٢٣، ١٠٧، ١٠٥، ٤٨، ٤٧ |
| ابن إسحاق | ٤٠٤، ٣٨٢، ٢٦٢، ٢٠، ١٨ |
| أسعد بن زراة | ٢٥٧، ١٥٥ |
| أسلم بن سعد | ١٦٥ |
| أسماء بنت أبي بكر | ٢٦٨، ٢٦٧ |
| أسيد بن الحضير | ١٥٥ |
| الأشتر = مالك بن الحارث النخعي | ١٢٦ |
| أكيدر بن عبد الملك | ١٥٦ |
| أمية بن خلف | ٣٣٣ |
| الأنذغر | ٥٠ |
| أنس بن مالك | ٢٧٥، ١٨٠، ٩٦ |
| إياس بن قبيصة | ٣٨٨ |
| أبو أيوب الأنصاري | ٢٧٥، ٢٠٤، ١٨١، ١٨٠ |
| باذان | ٣٩٤ |
| البخاري | ١٧٨ |
| البراء بن عازب | ٢٧٤ |

| | |
|--|-------------------------|
| ٢٢٦ | أبو بردة |
| ٢٧٣، ٢٨ | بريدة بن الحصين |
| ١٦٥ | بشر بن عبد الملك |
| ٤١ | بشير بن سعد الأنصاري |
| ٣٩ | أبو بصير |
| ٢، ١٨، ١٩، ٤١، ٤٩، ٥٢، ٥٥، ٥٧، ٦٩، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١٨، ١٢٠، ١٦٠، ١٧٠، ٢٩٦، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٨٨، ٤٠٣، ٤٣٥، | أبو بكر الصديق |
| ٤١ | بكر بن عبد الله |
| ٢٥٣، ٨٩، ٨١ | بلال بن رباح |
| ١٧٧، ٢٠٩، ٣٣١، ٣٣٩، ٣٤٠، ٤١٤، ٤١٥، | ابن تيمية = شيخ الإسلام |
| ٣٨ | ثابت بن قيس |
| ٣٦٥، ٣٦ | ثمامة بن أثال الحنفي |
| ٥٧ | جابان |
| ٢٥٨، ٢٥٦ | جابر بن عبد الله |
| ١٠٥ | الجارود بن المعلى |
| ٧١ | جرجير |
| ٤١ | جشم بن معاوية |
| ٣٩٧ | جعد بن هبيرة المخزومي |
| ٢٤٩، ١٩٧، ٤٠ | جعفر بن أبي طالب |
| ٢٢ | أبو جندل |
| ٢٣٣، ٢٦٦، ٢٦٤، ٢٦٢، ٢٦١، ٢٥٣، ٨١ | أبو جهل |
| ٣٨ | جويرية بنت الحارث |
| ٣٥٣ | جيفر |
| ٣٥٠، ٣٤٩ | الحارث بن أبي شمر |
| ٣٥٩ | الحارث بن عوف |

| | |
|---|------------------------|
| ٢٦١ | الحارث بن هشام |
| ٣٤٩٠ ٣٤٨٠ ٣٣٨ | حاطب بن أبي بلتعة |
| ٧٠ | حبيب بن مسلم الفهري |
| ٣٤٧٠ ٢٥١ | أم حبيبة بنت أبي سفيان |
| ١٥٧ | ابن حجر |
| ٢٨٢٠ ١٢٢٠ ١٠٩٠ ٦٩ | حذيفة بن اليمان |
| ٣٠٤٠ ٢١٦ | الحسن بن علي |
| ٣٠٤ | الحسين بن علي |
| ١٧١ | الحصيند |
| ١٢٢٠ ١٠٦ | حفصة بنت عمر |
| ٢٩ | الحكم |
| ٩٦ | حكيم بن حزام |
| ٣٦٠ ٢٠ | حمزة بن عبد المطلب |
| ٣٨٨ | حيري بن أكال |
| ٤٠ | حيي بن أخطب |
| ٦٤ | خاقان |
| ٣٥١٠ ٥٢ | خالد بن سعيد |
| ٩٩٠ ٩٢ | خالد بن سفيان |
| ١٢٣ | خالد بن ملحمة |
| ٤٤٩٠ ٤٢٧٠ ٣٨٩٠ ١٥٨٠ ١٠٨٠ ٦٠٠ ٥٥٠ ٥٢٠ ٥٠٠ ٤٩٠ ٤٢٠ ٦٩ ٤٥٤٠ | خالد بن الوليد |
| ٤٠٦٠ ١٧٢٠ ٨٢٠ ٨١ | خباب بن الأرت |
| ٢٥٥٠ ١٩ | خديجة بنت خويلد |
| ٦١ | خليد بن المنذر بن سلوى |
| ٣٩٨ | خليد بن قرعة اليربوعي |

| | |
|---------------------------------|-------------------------|
| ١٨١٤ ١٦١٤ ١٢٢ | أبو الدرداء |
| ٣٤٧ | دحية بن خليفة الكلبي |
| ٣٣٦٤ ١٧١٤ ٢١ | أبو ذر الغفاري |
| ٦٣ | ذو الحجاب |
| ٤٢٠ | رافع بن خديج |
| ١٦٠ | رافع بن أبي رافع الطائي |
| ٥٩ | ربيع بن الأكفل |
| ٦٥ | الربيع بن زياد |
| ١٣٦ | ابن رجب |
| ٩٤ | ابن رزام |
| ٥٨ | رستم بن الخرخزان |
| ٣٦٠٤ ٣٥٩ | رعية السحيمي |
| ٣٦٠ | رفاعة بن زيد الجذامي |
| ٥٢ | رومانوس |
| ٤٨ | الزبرقان |
| ٣٩٣٤ ٣٣٨٤ ١٧٠٤ ١٢٦٤ ١١٥٤ ٧٤٤ ١٩ | الزبير بن العوام |
| ٣٨٢٤ ٣٨ | الزهري |
| ٦٥ | ابن زياد |
| ٣٩٨٤ ١٢٧ | زياد بن أبيه |
| ١٦٨ | زيد بن ثابت |
| ١٢٢٤ ٤٧٤ ٣٢٤ ١٩ | زيد بن الحارثة |
| ٣٧ | زينب |
| ٣١٧ | السائب بن زيد |
| ٢٣٧ | سارة |
| ٢٧٢٤ ٢٧٢٤ ٢٧١ | سراقة بن جشم |

| | |
|--------------------------------------|----------------------------|
| ٦٤ | سراقة بن عمرو |
| ٢١٢، ٥٨ | سعد |
| ٧١ | سعد بن أبي سرح |
| ١٠٣، ٩٦ | سعد بن عبادة |
| ٥٨ | سعد بن مالك الزهري |
| ٣٨٠، ٣٥ | سعد بن معاذ |
| ٤٥٠، ٣٦٨، ٣٦٧، ١٧٠، ١١٥، ١٠٩، ٣٠، ١٩ | سعد بن أبي وقاص |
| ١٧٢ | سعيد بن زيد بن عمر |
| ٣٠٢، ٢١٤، ١٢٢، ٦٩ | سعيد بن العاص |
| ١٦٥ | سفيان بن أمية بن عبد الشمس |
| ٤٥٠، ٤٣٢، ٤٢٨، ٣٤٨، ٣٣٣، ٩٥، ٩٤، ٣٤ | أبو سفيان بن حرب |
| ٥٥ | سقلاب بن مخراق |
| ٩٩، ٩١ | سلام بن أبي الحقيق |
| ٣٦٩ | سلمان بن أبي ربيعة |
| ١٠٩، ٣٤ | سلمان الفارسي |
| ٤٤٩، ٤٢٠، ٤١٩، ٩٣ | سلمة بن الأكوع |
| ٣٣، ١٩ | أبو سلمة |
| ٢٦٥، ٨٤ | أبو سلمة بن عبد الأسد |
| ١٧٣ | أم سلمة |
| ٦٥ | سلمة بن قيس الأشجعي |
| ١٠٩، ١٠٨ | سليط بن قيس |
| ٦٤ | سماك بن خرشة |
| ٨١ | سمية |
| ٦٥، ٦٣، ٦١ | سهل بن عدي |
| ١٢٣ | سودان بن حمران |

| | |
|------------------------------------|---------------------|
| ٦٣ | سويد |
| ١٦٥ | ابن سيد الناس |
| ٦٢، ٦١ | أبو سيرة بن أبي هرم |
| ٣٤٠ | الشافعي |
| ٣٥٠، ٤١ | شجاع |
| ٥٥ | شرحبيل بن حسنة |
| ٣٠٣ | شريح |
| ٩ | شماس بن قيس |
| ١٦٢، ١٢٣ | الشوكاني |
| ٦٤ | شهريزاد |
| ٣٣٣ | شيبة |
| ٣٩٤ | صخر بن قيس |
| ٤٢٩، ٤٨، ٣٢، ١٣ | صفوان بن أمية |
| ٢٦٥، ٢٥٣، ١٧١ | صهيب الرومي |
| ٦٠ | ضرار بن الخطاب |
| ٢٢ | ضمام الأزدي |
| ٣٥ | ضمام بن ثعلبة |
| ٢٥٥، ٢٥٣، ٨٤، ٧٩، ٦ | أبو طالب |
| ١٣٤ | الطبري |
| ١٧٠، ١٢٩، ٣٩، ٢٣ | الطفيل بن عمر |
| ١١٥ | أبو طلحة |
| ١٢٦، ١٢٥، ٧٤ | طلحة |
| ١٧٠، ١١٥، ١٩ | طلحة بن عبد الله |
| ٦ | الطيب برغوث |
| ١٢٦، ١٢٦، ١٢٥، ١١٧، ٨٩، ٨٨، ٧٤، ٣٨ | عائشة |

| | |
|---------------------------|-----------------------------------|
| ٦٥ | عاصم بن عمرو |
| ١٨١ | ابن عامر |
| ١٦٥ | عامر بن جذرة |
| ٢٧٣ ، ٢٧٠ ، ٢٦٨ ، ٨١ | عامر بن فهيرة |
| ١٦١ | أبو عبادة |
| ١٨٠ | عبادة بن الصامت |
| ٤٢٨ ، ٢٥٨ ، ٢١٥ ، ٩٤ | العباس |
| ١٢٢ | عبد الرحمن بن الحارث بن هشام |
| ٦٤ | عبد الرحمن بن ربيعة |
| ٤٢٥ ، ١٣٢ ، ١٦٢ ، ٩٨ ، ٨٧ | الشيخ عبد الرحمن السعدي |
| ٤١٩ ، ١٧٠ ، ١١٤ ، ٣٧ | عبد الرحمن بن عوف |
| ٣٠٤ ، ١٢٨ ، ٧٥ | عبد الرحمن بن ملجم |
| ٢٦٨ | عبد الله بن أبي بكر |
| ٩٣ ، ٣٢ | عبد الله بن أبي |
| ٢٧٠ | عبد الله بن أريقط |
| ٩٢ | عبد الله بن أنيس |
| ٢٤٨ | عبد الله بن أبي ربيعة |
| ٦٥ | عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي |
| ٢٥١ ، ٢٩ | عبد الله بن جحش |
| ٣٥١ ، ٣٥٠ | عبد الله بن حذافة السهمي |
| ٤٤٩ ، ٢٨٤ ، ٩٣ | عبد الله بن رواحة |
| ١٢٢ | عبد الله بن الزبير |
| ٤٣٣ ، ٧٢ ، ٧٠ | عبد الله بن أبي سرح |
| ٣٩٥ | عبد الله بن سعد |
| ١٦٩ | عبد الله بن سعيد بن العاص |

| | |
|--|----------------------------|
| ٩٢ | عبد الله بن سلول |
| ١٢٣ | عبد الله بن السوداء |
| ٣٥٦، ٢٢ | عبد الله بن عباس |
| ٣٩١ | عبد الله بن عتبان الأنصاري |
| ٩١ | عبد الله بن عتيق |
| ٣٥٨ | عبد الله بن عكيم |
| ٣٣٤، ٢٢٥، ٢٢٣، ١٢٣، ١١٦، ١١٥، ١١٣ | عبد الله بن عمر |
| ١٦١، ١٥٢، ١٢٢، ٢٠ | عبد الله بن مسعود |
| ٥٩ | عبد الله بن المعتم |
| ٧٢ | عبد الله بن نافع بن الحصين |
| ٧٢ | عبد الله بن نافع عبد قيس |
| ١١٠ | عبد الملك بن مروان |
| ٤٥٤، ١٨٠، ١٠٣، ٥٧، ٥٥، ٥٢، ٤١، ٣٧، ١٩ | أبو عبيدة بن الجراح |
| ٣٦٧، ١١٧، ١٠٩، ١٠٨ | أبو عبيد بن مسعود |
| ٣٣٣، ١٨٢ | عتبة بن غزوان |
| ٦٤ | عتبة بن فرق |
| ٦٩، ٦٥ | عثمان بن أبي العاص |
| ٢١٤، ١٧٠، ١٢٧، ٧٤، ٧٢، ٧١، ٧٠، ٢٩، ١٩، ١٨ ٣٠٣، ٣٠٢، ٢١٥ | عثمان بن عفان |
| ٣٨٣ | عثمان بن طلحة |
| ٢٤٥، ٨٤ | عثمان بن مظعون |
| ٤٨٢ | ابن عثيمين |
| ٣٨٨، ٤٨ | عدي |
| ٤٠٣ | عروة بن الزبير |
| ٤٢٠ | عقبة بن عامر |

| | |
|---|---------------------|
| ٤٠٣، ٤٠٢ | عقبة بن أبي معيط |
| ٥١ | عقة |
| ٣٧ | عكاشة بن محصن |
| ٣٥٢، ١٠٥ | العلاء بن الحضرمي |
| ٢٤١ | علاء الدين المرادي |
| ٣٧٠، ٣٣٨، ١٢٦، ١٢٥، ١١٦، ١١٥، ٧٤، ٣٨، ١٩، ١٨ ٣٩٨، ٣٩٧، | علي بن أبي طالب |
| ٢٥٣، ١٧١، ١٦١، ١٢٣، ١١٦، ٨١، ٦٢ | عمار بن ياسر |
| ١٧١، ١٦١ | عمران بن الحصين |
| ١٠٣، ١٠٢، ٦٠، ٥٩، ٥٨، ٥٧، ٥٦، ٥٥، ٤١، ٣٦، ٢٠ ١٥٠، ١٢١، ١٢٠، ١١٩، ١٠٨، ١٠٧، ١٠٦، ١٠٥، ١٠٤، ٣٣٤، ٣١٧، ٣٠٠، ٢٩٨، ٢٩٧، ٢٩٦، ٢٦٣، ١٦١، ١٦٠، ١٥١، | عمر بن الخطاب |
| ٣٦١ | عمر بن حزم |
| ٢١ | عمر بن عبسة |
| ٣٨٨ | عمر بن عدي |
| ٢٠٤ | عمر بن قيس |
| ٦٠ | عمر بن مالك |
| ٣٤٦، ٢٥١ | عمرو بن أمية |
| ٢٩ | عمرو بن الحضرمي |
| ١٢١، ٧٤، ٧١، ٦٦، ٥٦، ٤٢، ٤١، ٣٩ | عمرو بن العاص |
| ٣٨٨ | عمرو بن عبد المسيح |
| ٣٦ | عمرو بن مرة |
| ٣١ | عمير بن وهيب الجمحي |
| ٢٦٢، ٢٦١ | عياش بن أبي ربيعة |
| ٢٤١ | العيبي |
| ٣٧٩ | عينة بن محصن |

| | |
|----------------------------------|------------------------------|
| ٤٣، ٤٠ | غالب بن عبد الليثي |
| ١٧ | فاطمة بنت الخطاب |
| ٣٢ | فرات بن حيان |
| ٦٣ | أبو الفرخان |
| ٨١ | أبو فكيهة |
| ٦٣ | الفيروزان |
| ٥٠ | قارون |
| ٢٤٠ | ابن قدامة |
| ١٥١ | القرطي |
| ٤٣٣ | قسطنطين |
| ٥٩ | القعقاع بن عمرو |
| ٣٩٧ | قليدو |
| ١٢٦ | قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري |
| ٤٣٦، ٤٢٠، ٤١٢، ٢٨٥، ١٣٥، ١٣٣، ٩٨ | ابن القيم الجوزية |
| ٤٠٤، ٢٨١، ١٦٢، ٧٢، ٥٢ | ابن كثير |
| ٤٨٧ | كسرى |
| ٩٩، ٩٠، ٨٩ | كعب بن الأشرف |
| ١٢٣ | كنانة بن بشر |
| ٢١٣، ١١٥ | أبو لؤلؤة المجوسي |
| ٤٠٤، ٢٥٥ | أبو لهب |
| ٣٤٠، ٤٤ | مالك |
| ٣٩٤ | ماهك |
| ٣٦٧، ١٠٩ | المثنى بن حارثة |
| ٦٥ | مجاهع بن مسعود |
| ٧٥ | محمد بن أبي بكر |

| | |
|--|------------------------|
| ٧٤ ، ٦٤ | الشيخ محمد الخضر |
| ٣٤٠ ، ٢١٢ ، ٩٠ | محمد بن مسلمة |
| ٣٧٨ | مخشى بن عمر الضمري |
| ١٦٥ | مراد بن مرة |
| ٢٢٩ | المسور بن مخرمة |
| ٣٢٥ ، ١٠٥ ، ٣٧ | مسيلمة |
| ٢٥٧ ، ١٥٩ ، ١٥٥ ، ٢٥ | مصعب بن عمير |
| ٢٥٦ ، ٨٥ ، ٦ | المطعم بن عدي |
| ١٨١ ، ١٨٠ ، ١٦١ ، ١٥٧ ، ١٥٦ | معاذ بن جبل |
| ٣٧٠ ، ٣٦٩ ، ٢٢٣ ، ١٢٧ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢١ ، ٧٤ ، ٧٠ ، ٥٦ ، ٣٧١ | معاوية بن أبي سفيان |
| ٢٧١ ، ٢٨ | أم معبد الخزاعية |
| ٢٤٥ | المغيرة بن شعبة |
| ٤٥٠ ، ٣٣٣ ، ٢٥٣ ، ١٢٢ ، ١١٦ ، ١١٥ | المقداد بن الأسود |
| ٣٤٩ ، ٣٤٨ | المقوقس |
| ٣٥٢ | المنذر بن ساوي |
| ٥٧ ، ٥١ | مهران |
| ٥٥ | ميتاس |
| ١٨٣ | هرثمة بن عرفجة البارقى |
| ٣٤٨ ، ٧٢ ، ٥٦ ، ٤٥ | هرقل |
| ٣٦٥ ، ٤٩ | هرمز |
| ٦٢ ، ٦١ | الهرمزان |
| ٦٠ | ابن الهزبل الأسدي |
| ٤١٩ ، ٣٨٢ ، ٧٧ ، ٣٨ | ابن هشام |
| ٢٦١ | هشام بن العاص |

| | |
|-----------------------|-------------------|
| ٥٩ | هشام بن عتبة |
| ٣٥٣ | هوذة بن علي |
| ٣٦٩، ٣١٧، ٢١٤، ٧٠، ٦٩ | الوليد بن عقبة |
| ٨٤ | الوليد بن مغيرة |
| ١٨١، ٥٥، ٥٢ | يزيد بن أبي سفيان |
| ٣٨٤ | يوحنة بن رؤبة |

فهرس القبائل

| اسم القبيلة | الصفحة |
|-------------------|---------------------------|
| بنو أسد | ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٧ |
| بنو الأصفر | ٣٤٨ |
| الأوس | ٩٠ ، ١٠٤ ، ١٦٦ |
| إياد | ٥٩ ، ٦٠ |
| بنو بكر | ٣٨١ |
| بلقين | ٤١ |
| بھراء | ٤١ |
| تغلب | ٥٩ ، ٦٠ |
| بنو ثعلبة | ٣٧ ، ٢٠٤ |
| ثقيف | ٤٣ ، ٤٤ |
| جزام | ٤١ ، ٤٥ |
| جهينة | ٣٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ |
| بنو الحارث بن كعب | ١٥٨ ، ٣٤١ |
| بنو الحجاج | ٣٣٣ |
| بنو حذيفة | ٢٢٥ ، ٣٥٣ |
| بنو حنيفة | ٣٦ |
| الخزرج | ٩٠ ، ٩١ ، ١٠٤ ، ١٦٦ ، ٢٥٧ |
| خزاعة | ٣٨١ |
| بنو زهير بن أقيس | ٣٥٨ |
| بنو سعد | ٣٥ ، ٣٨ ، ١٥٨ |
| بنو سليم | ٣١ ، ٣٤ ، ٣٧ |
| بنو سهم | ٢٧٣ |

| | |
|--|------------------|
| ٣٨٥ ، ٣٧٨ | بنو ضمرة |
| ٤٠ | بنو عبد بن ثعلبة |
| ٨٥ ، ٨٣ | بنو عبد المطلب |
| ٢٦٦ ، ٨٣ | بنو عبد مناف |
| ٤١ | عذرة |
| ٢٧٠ | عسفان |
| ٣٥٨ | بنو عكل |
| ٣٧٦ ، ٣٧٥ ، ٢٧٥ ، ١٠٤ | بنو عمرو بن عوف |
| ٤٠ | بنو عوال |
| ٤١ | الغابة |
| ٣٤٩ | الغساسنة |
| ٤١٩ ، ٤٠١ ، ٣٧٩ ، ٣٥٦ ، ٣٤ ، ٣١ | غطفان |
| ٢٠٤ | بنو غنم |
| ٩٣ ، ٤١ | فزارة |
| ٨٥ ، ٨٣ ، ٤٤ ، ٤٢ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٤ ، ٣٢ ، ٢٤٨ ، ٣٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٠٢ ، ١٠٣ ، ٩٦ ، ٨٩ ، ٢٦٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٠ ، ٢٥٧ ، ٢٥٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٤ ، ٣٨١ ، ٣٧٨ ، ٣٧٥ ، ٣٣٨ ، ٣٣٣ ، ٢٨٩ ، ٢٧١ ، ٤١٣ ، ٤٠٦ ، ٤٠٤ ، ٤٠٣ ، ٤٠٢ ، ٣٨٢ | قريش |
| ٣٦ ، ٣٥ | قريظة |
| ١٥٨ ، ٤١ | قضاة |
| ٩١ ، ٨٩ ، ٣١ | بنو قينقاع |
| ٣٦ | بنو كلاب |
| ٤٢٨ ، ٢٠٢ | كنانة |
| ٤٥ ، ٤١ | لخم |

| | |
|--------------------|-------------|
| ٣٨٥ | بنو مدلج |
| ٣٤ | بنو مرة |
| ٩٧، ٣٨ | بنو المصطلق |
| ٢٠٢ | مضر |
| ٩٦ | بنو معاوية |
| ٤٠ | بنو الملوح |
| ٣٧٦، ٢٧٥، ٢٠٤، ١٦٨ | بنو النجار |
| ٦٠، ٥٩ | بنو النمر |
| ٩١، ٣٣ | بنو النضير |
| ٨٥، ٨٣ | بنو هاشم |
| ٣٥٩ | بنو هلال |
| ٩٥، ٤٤، ٤٣، ٤١ | بنو هوازن |
| ٩٥ | بنو يزيد |

فهرس الأماكن والبلدان

| المكان | الصفحة |
|------------|----------------------------|
| الأبطح | ٨١ |
| الأبلة | ٤٩ |
| أجنادين | ٥٦ |
| أحد | ٤٢٨، ٧٥، ٣٢ |
| الأحزاب | ٣٥ |
| الأخشبين | ٢٤ |
| أذربيجان | ٣٩٣، ٣٨٥، ٣٨٤، ١٢٠، ٦٩، ٦٤ |
| أرض أسوان | ٣٩٦ |
| أرض علوة | ٣٩٦ |
| أرمينية | ٣٩٣، ١٢٠، ٦٩ |
| أسقلان | ٥٦ |
| الإسكندرية | ٣٩٣، ٧١ |
| أصبهان | ٣٩١، ٦٥، ٦٣، ٦٢ |
| اصطخر | ٦٢ |
| إفريقية | ٧٣، ٧٢، ٧١، ٦٩ |
| أليس | ٥٠ |
| أمج | ٢٧٠ |
| الأهواز | ٦١ |
| الأنبار | ٤٢٧، ١٦٨، ١٦٥ |
| الأندلس | ٧٣، ٧٢، ٧١ |
| أوروبا | ٧٢ |
| إيلياء | ٣٩٠ |

| | |
|--|--------------|
| ٦٩ ، ٦٤ | الباب |
| ٤٩ | بانقيا |
| ٦٩ | بلنجر |
| ٧٠ ، ٦٥ ، ٦٤ | بلخ |
| ٥٧ | بغداد |
| ٢١١ ، ١٨٢ ، ١٢٢ ، ١٦١ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١١٢ ، ٦١ | البصرة |
| ٥٢ | بصرى |
| ٤٠٤ ، ٣٧٩ ، ٣٤٧ ، ٣٣٣ ، ١١٠ ، ٨٩ ، ٣٠ | بدر |
| ٣٤ | بدر الآخرة |
| ٣٦ | البحر الأحمر |
| ٣٥٤ ، ٣٥٣ ، ٣٥٢ ، ١٠٥ ، ٦١ ، ٤٥ | البحرين |
| ٣٩٥ | بلاد النوبة |
| ٥٧ | البويب |
| ٣٩٠ ، ٣٨٩ ، ١٨٢ ، ٥٦ | بيت المقدس |
| ٥٦ | بيروت |
| ٤٣٥ ، ٤٣٢ ، ٣٨٥ ، ٣٨٤ ، ٩٨ ، ٤٥ ، ٤٤ | تبوك |
| ٦٢ ، ٦١ | تستر |
| ٥٩ | تكرت |
| ٦٥ | توَّج |
| ٦٥ | تيري |
| ٥٢ ، ٤٠ | تيماء |
| ١١٥ | الجاية |
| ١٠٩ | الجنبل |
| ٥٦ | الجبلة |
| ٨٩ | الجحفة |

| | |
|--|-----------------|
| ٣٨٥ ، ٣٨٤ | جرباء |
| ٦٩ ، ٦٣ | جرجان |
| ٢ ، ٢١ ، ٣٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٦٠ ، ١١٢ ، ٢٤٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٣٨١ ، ٣٨٦ | الجزيرة العربية |
| ٣٦٧ ، ١٠٩ ، ٥٧ | الجسر |
| ٢٧٣ ، ٤٤ | جعرانة |
| ٥٩ | جلولاء |
| ٣٧ | الجموح |
| ٣٧٠ ، ١٢٥ | الجمل |
| ٣٧ | الجنديل |
| ٦٢ ، ٦١ | جند سابور |
| ١٠٥ | جوانا |
| ٦٥ | جور |
| ٦٩ | الجوزجان |
| ٦٣ | جي |
| ٢١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٣٦ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٦١ ، ٤٠٧ | الحبشة |
| ٧٥ | الحجاز |
| ٣٨ ، ٣٩ ، ١١١ ، ١٢٠ ، ٣٥٧ ، ٣٨٠ ، ٣٨٢ | الحديبية |
| ١٨ | حراء |
| ٢٣٧ | حران |
| ٥١ | الخصيد |
| ٣٨٩ | حماة |
| ٣٣ | حمراء الأسد |
| ٣٨٩ ، ١٢١ ، ٥٥ ، ٥٢ | حمص |

| | |
|---|-----------------|
| ٥٩ | حلوان |
| ٤٥٦ ، ٤٣٢ ، ٤٢٩ ، ٧٥ ، ٤٤ ، ٤٣ | حنين |
| ٣٨٨ ، ٣٦٦ ، ٢٧٤ ، ١٦٥ ، ٥١ ، ٤٩ | الحيرة |
| ٣٩٧ ، ٣٩٣ ، ١٢٧ ، ٧٠ ، ٦٤ | خراسان |
| ٥٧ | الحنافس |
| ٣٧٩ ، ٩٢ ، ٣٦ ، ٣٤ | الخنديق |
| ٤٢ | الخدمة |
| ٣٥٦ ، ٣٤٧ ، ١١٨ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٣ | خير |
| ٥١ ، ٣٤ | دومة الجندل |
| ٣٩٦ | دنفلة |
| ٣٤٩ ، ١٨٢ ، ١٨١ | دمشق |
| ٦١ | دجلة |
| ٢٠ | دار الأرقم |
| ٤١٩ | ذو قرد |
| ٨٤ ، ٣٧ | ذو القصة |
| ٥٦ | الرملة |
| ٣٩٣ ، ٦٣ | الري |
| ٥١ | الزميل |
| ٦٩ | سابور |
| ٧٢ | سبيطلة |
| ٦٩ ، ٦٦ ، ٦٥ | سجستان |
| ١٠٧ ، ١٨ | سقيفة بني ساعدة |
| ١١٧ ، ١١٢ ، ١٠٩ | السواد |
| ٦٢ | السوس |
| ٥٧ ، ٥٦ ، ٥٥ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٤١ ، ٣٩ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٢ | الشام |

| | |
|--|--------------|
| ٦٥، ٧٠، ٧٤، ١٠٨، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٤، | |
| ١١٥، ١١٧، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٥، ١٦٠، ١٦١، ١٨١، | |
| ٢٠٩، ٢١٠، ٢٣٧، ٣٠٠، ٣٤٨، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٩، | |
| ٣٧٠، ٣٧٩، ٣٨٤، ٣٨٩، ٤٣٢، ٤٤٩، | |
| ٢٢، ٢ | شعب أبي طالب |
| ٢٤٦ | شعبية |
| ٢٠ | الصفاء |
| ٧٤، ١٢٥، ١٢٦، ٣٧٠، ٣٩٧، | صفين |
| ٧٢ | الصواري |
| ٢٤، ٤٤، ٨٤، ٨٥، ١٠٥، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٧٣، ٤٢٩، | الطائف |
| ٤٣٠، | |
| ٦٩ | الطالقان |
| ٦٣، ٦٩، ٧٣ | طبرستان |
| ٦٩ | طخرستان |
| ٣٧ | الطرف |
| ٤٩، ٥٢، ٥٧، ٧٥، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١٤، | العراق |
| ١٦٠، ١٨٠، ٢٠٩، ٢٣٧، ٣٦٥، ٣٨٨، ٤٥٠، | |
| ٣٧٩ | العشيرة |
| ٢١٥، ٢٤٦، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦١، | العقبة |
| ٥٦ | عكا |
| ٣٥٣، ٣٥٤ | عمان |
| ٣٧ | العيص |
| ٥١ | عين التمر |
| ٢٦٨ | غار |
| ٥٦ | غزة |

| | |
|----------------------------|---------------|
| ١٢٧، ١١٠، ١٠٩، ٥٥ | فارس |
| ٦٥ | فساودار أيجرد |
| ٢٣٨، ٥٢ | فلسطين |
| ١٨٢ | الفسطاط |
| ٦٩ | الفارياب |
| ٥٥ | فحل |
| ٤١ | فدك |
| ٥١ | الفراض |
| ٣٦٥، ٤٩ | فرج الهند |
| ٤٩ | الفرياب |
| ، ٤٥٠، ٣٦٧، ١١١، ١٠٩، ٥٨ | القادسية |
| ، ٤٣٢، ٣٩٤، ٧٣، ٧٢، ٧٠، ٦٩ | قبرص |
| ٣٢ | قرة |
| ٩٤، قرقيسيا، ٦٠، | قرقرة نيار |
| ٣٧ | القمر |
| ٦٣ | قم وقاشان |
| ٦٣ | قوس |
| ٧٢ | القيروان |
| ٥٦ | قيسارية |
| ٥٥ | قيسرين |
| ٤٩ | كاظمة |
| ٣١ | الكدر |
| ٤٠ | كديد |
| ، ٣٩٨، ١٢٧، ٦٩، ٦٥، ٦٣ | كرمان |
| ٢٣٧ | كوئي |

| | |
|--|----------------|
| ٦٥ | مكران |
| ٦١ | مناذر |
| ٢٥٧ | منى |
| ١٨٣، ٥٩ | الموصل |
| ٤٠ | الميفعة |
| ٥٦ | نابلس |
| ٤٥، ٣٦، ٣٢ | نجد |
| ٣٨٨، ٣٨٦، ١٥٨، ١١٨، ١١٤، ٢٢ | نجران |
| ٢٩ | نخلة |
| ٥٧ | النمارق |
| ٣٦٨، ٦٣، ٦٢ | نھاوند |
| ٦١ | نھرتيري |
| ٣٩٧، ١٢٧ | نيسابور |
| ٤١، ٤٠ | وادي القرى |
| ٣٧٨ | ودان = الأبواء |
| ٥٠ | الولجة |
| ٦٤ | هراة |
| ٦٣ | همزان |
| ٦٠ | هيت |
| ٥٦ | يافا |
| ٣٨٨، ٣٨٤، ٣٦٥، ٣٥٤، ٣٥٣، ١٠٧، ١٠٥ | اليمامة |
| ٣٨٦، ٣٥٠، ٢٦٨، ٢٢٦، ١٢٢، ٧٥، ٤٩، ٤٥، ٤١ | اليمن |
| ٣٨٧ | |
| ٤٥٤، ٤٥٠، ٤٤٩، ٣٦٦، ٣٠١، ١١١، ٥٧، ٥٦، ٥٥ | اليرموك |

فهرس المصادر والمراجع

- ١- إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء للشيخ محمد الحضري بك ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، مصر ، بدون تاريخ الطبع والطبعة .
- ٢- أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع للدكتور محمد حسين الذهبي ، دار الاعتصام ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- ٣- آثار تطبيق الشريعة الإسلامية في منع الجريمة للدكتور محمد بن عبد الله الزاحم ، دار المنار ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- ٤- أثر تطبيق الحدود في المجتمع من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقده جامعة الإمام بالرياض عام ١٣٩٦هـ ، طبع بمطابع الجامعة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- ٥- أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في منع الجريمة للدكتور أبو بكر إسماعيل محمد ميقات ، مكتبة التوبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .
- ٦- الأثر المفقى لقصة هجرة المصطفى أبو تراب الظاهري ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- ٧- الأثر والدلالات الإعلامية لرسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك و القادة لأحمد محمد العقلي ، مطابع حزام للأوفسن ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
- ٨- الأحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى الحنبلي ، دار الوطن ، الرياض ، بدون تاريخ الطبع .
- ٩- الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي ، شركة مكتبة مصطفى البابي بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .
- ١٠- أخبار جهينة وأنسابها في جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٨٢هـ .
- ١١- الأخلاق للأجري، تقديم وتعليق، ممدح حسن، مكتبة الثقافة الدينية، بدون الطبعة، والتاريخ
- ١٢- الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

- ١٣- الإدارة والقضاء الإداري في الإسلام ، لإحسان عبد المنعم عبد الهادي ، دار يافا العلمية ، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ .
- ١٤- أساس البلاغة لمحمود بن عمر الزمخشري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ١٩٨٥م .
- ١٥- أساسيات البحث العلمي بين النظرية والتطبيق للدكتورة حنان عيسى سلطان والدكتور غانم العبيدي ، دار العلوم ، الرياض ، الطبعة الأولى .
- ١٦- الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية ، طبعة جامعة الإمام ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ .
- ١٧- الإسلام والوعي الحضاري للدكتور أكرم ضياء العمري ، دار المنار ، جدة ، طبعة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- ١٨- الإسلام والأمن الاجتماعي للدكتور محمد عمارة ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ .
- ١٩- الإسلام والحرب لأبي لبابة حسين ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
- ٢٠- الإسلام والعلاقات الدولية في السلم والحرب للشيخ محمود شلتوت ، مكتب الجامع الأزهر للشؤون العامة ، الرسالة الأولى ، مطبعة الأزهر ، بدون تاريخ الطبع .
- ٢١- أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة لرفيق العظم ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٩٧٣م .
- ٢٢- الإصاابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٨هـ .
- ٢٣- أصول البحث العلمي ومناهجه للدكتور أحمد بدر ، وكالة المطبوعات ، الكويت .
- ٢٤- أصول التربية الإسلامية لعبد الرحمن النحلوي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية .
- ٢٥- أصول الحسبة في الإسلام للدكتور محمد كمال الدين إمام ، دار الهدى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
- ٢٦- أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ، دار عمر بن خطاب للطباعة والنشر ، الإسكندرية الطبعة الثالثة، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م .

- ٢٧ — أصول النظام الاجتماعي في الإسلام لمحمد الطاهر بن عاشور ، دار النفائس ، الأردن
الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .
- ٢٨ — أضواء على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعبد غالب أحمد عيسى ، دار الجليل ،
بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ٢٩ — الإعداد المعنوي للقتال في الإسلام للعميد فيصل بن جعفر بالي ، مطبعة السفير ،
الطبعة الثانية ، ١٤١٢هـ .
- ٣٠ — الأعلام لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، الطبعة السابعة ، ١٩٨٤م .
- ٣١ — الإعلام والبيت المسلم لفهمي قطب الدين النجار ، شركة الشعاع للنشر ، الكويت ،
الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ٣٢ — إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم لمحمد بن طولون ،
مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ٣٣ — أعلام المسلمين — عمر بن الخطاب — لخالد الطيار ، مكتبة المنار ، بدون تاريخ الطبع .
- ٣٤ — الإقناع لطالب الانتفاع للحجاوي ، بدارهجر ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
- ٣٥ — الإمام علي بن أبي طالب لمحمد رضا ، دار الكتب العلمية ، بدون الطبعة والتاريخ .
- ٣٦ — الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للسيد جلال الدين العمري ، شركة الشعاع للنشر
الكويت ، بدون تاريخ الطبع .
- ٣٧ — الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار العلوم الإسلامية ،
القاهرة ، طبع سنة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- ٣٨ — الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ، لعلاء الدين المرادوي ، دار الكتب العلمية
، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- ٣٩ — أوليات الفاروق السياسية لغالب عبد الكافي القرشي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة
الأولى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ٤٠ — آيات الجهاد في القرآن الكريم للدكتور كامل سلامة الدقس ، دار البيان ، الكويت ،
١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
- ٤١ — البحث العلمي التصميم والمنهج والإجراءات لغريب عبد الكريم ، محطة الرمل ، الإسكندرية

- ٤٢ — بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، لابن رشد، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثامنة ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م .
- ٤٣ — البداية والنهاية للحافظ ابن كثير الدمشقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- ٤٤ — بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخبار في شرح جوامع الأخبار لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ، طبع وزارة الشؤون الإسلامية .
- ٤٥ — تاريخ ابن خلدون ، دار الكتاب اللبناني ، بدون تاريخ الطبع .
- ٤٦ — تاريخ الدعوة الإسلامية عصر النبوة ، للدكتور محمود رزق محمود ، دار الهداية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م .
- ٤٧ — تاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن ، الطبعة السابعة ، ١٩٦٤ م .
- ٤٨ — تاريخ التربية الإسلامية للدكتور أحمد شلي ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٦ م .
- ٤٩ — تاريخ الحركة التعليمية في المملكة العربية السعودية للدكتور حمد إبراهيم السلوم ، مطابع انترناشنال كرافيكس ، الولايات المتحدة الأمريكية ، الطبعة الثانية ، ١٤١١ هـ .
- ٥٠ — تاريخ خليفة بن خياط ، دار طيبة للنشر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥ هـ .
- ٥١ — تاريخ الطبري لأبي جعفر الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار سويدان ، بيروت ، لبنان .
- ٥٢ — تاريخ عمر بن الخطاب للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تقديم وتعليق أسامة عبد الكريم الرفاعي ، الناشر دار إحياء علم الدين ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ
- ٥٣ — التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية لمحمد راكان الدغمي ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ/١٩٨٢ م .
- ٥٤ — تحفة المودود بأحكام المولود لابن قيم الجوزية ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٢ هـ .
- ٥٥ — تذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للشيخ عبد الله بن صالح القصير ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤ هـ .
- ٥٦ — تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم لابن جماعة ، دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ الطبع .

- ٥٧ — تدابير الأمن في الإسلام للدكتور عبد العظيم المطعني ، دار الرائد للطباعة والنشر ، ١٤٠٠هـ/١٨٠٠م .
- ٥٨ — التربية الإسلامية أمام التحديات ، مؤتمر التربية الإسلامية المنعقد في بيروت ، الكتاب الثاني ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- ٥٩ — التربية الإسلامية لأبي الحسن علي الحسن الندوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .
- ٦٠ — التربية والتعليم في الإسلام لسعيد الديود حي ، طبع بمساعدة اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري في الجمهورية العراقية .
- ٦١ — التشريع الجنائي الإسلامي لعبد القادر عودة ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- ٦٢ — التعريفات للجرجاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- ٦٣ — تفسير الفخر الرازي ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- ٦٤ — تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، دار المعرفة ، بيروت .
- ٦٥ — تقريب التهذيب ، دار الرشيد ، سوريا ، حلب ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- ٦٦ — تلك حدود الله لإبراهيم أحمد الوقفي ، دار العلم ، باكستان ، بدون تاريخ .
- ٦٧ — تهذيب إحياء علوم الدين الإمام أبو حامد الغزالي ، عبد السلام هارون ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .
- ٦٨ — تهذيب الأخلاق في الإسلام للدكتور عبد المقصود عبد الغني خيسة ، دار الثقافة العربية ، طبع سنة ١٤١٢هـ/١٩٩١م .
- ٦٩ — تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .
- ٧٠ — الثقافة الإسلامية في ضوء القرآن والسنة للدكتور عبد الواحد الفار ، دار العلم ، جدة ، بدون تاريخ .
- ٧١ — ثلاث رسائل في الجهاد لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار النفائس ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

- ٧٢ — الثمرات الجياد في مسائل فقه الجهاد لأحمد بن نصر الله المصري ، دار المجتمع ، جدة ، ١٤١١هـ .
- ٧٣ — جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .
- ٧٤ — جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .
- ٧٥ — جامع الترمذي ، تصنيف أبي عيسى الترمذي ، طبعة بيت الأفكار الدولية
- ٧٦ — جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/١٩٩١م .
- ٧٧ — الجامع لشعب الإيمان للبيهقي ، الناشر،الدار السلفية ،بومباي ،الهند
- ٧٨ — الجانب السياسي في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم للدكتور أحمد محمد ، دار العلم ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
- ٧٩ — الجرائم والعقوبات في الشريعة الإسلامية لتوفيق علي وهبة ، دار عكاظ ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
- ٨٠ — جميع الرسل كان دينهم الإسلام لابن رجب الحنبلي ، دار الصحابة للتراث ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/١٩٩١م .
- ٨١ — الجناية بين الفقه الإسلامي والقانون الوضعي لمسفر غرم الله الدميني ، بحث مقدم لنيل الشهادة العالية من كلية الشريعة بالرياض ، عام ١٣٩٢هـ . طبع في جامعة الإمام ١٤٠٢هـ .
- ٨٢ — الجهاد سبيلنا لعبد الباقي عبد القادر ، مطابع الشمال الكبرى ، تبوك ، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م .
- ٨٣ — الجهاد في التشريع الإسلامي للدكتور محمود محمد علي ، دار الاتحاد العربي للطباعة الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .
- ٨٤ — الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته للدكتور عبد الله بن أحمد القادري ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣ هـ/١٩٩٢م .
- ٨٥ — الجهاد ميادينه وأساليبه للدكتور محمد نعيم ياسين ، مكتبة الأقصى ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

- ٨٦ — الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- ٨٧ — الحدود في الإسلام حكماتها وأثرها في الأفراد والجماعات والأمم لعبد الكريم الخطيب ، دار اللواء ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
- ٨٨ — الحدود في الإسلام للدكتور أحمد فتحي ، مؤسسة الخليج العربي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- ٨٩ — حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول لشكري فيصل ، دار العلم للملايين ، بيروت .
- ٩٠ — الحسبة تعريفها ومشروعيتها للدكتور فضل إلهي ، إدارة ترجمان الإسلام ، باكستان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ/١٩٩٠م .
- ٩١ — الحسبة في الإسلام لشيخ الإسلام ابن تيمية ، مكتبة دار الأرقم ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ .
- ٩٢ — الحسبة في الإسلام لدسوقي الشهاوي ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .
- ٩٣ — حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للدكتور حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار ، دار إشبيليا ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .
- ٩٤ — حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .
- ٩٥ — حياة الصحابة لمحمد يوسف الكاندهلوي ، دار القلم ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٧هـ .
- ٩٦ — حياة محمد ورسالته لمحمد علي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٩٨٤م .
- ٩٧ — خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم للإمام محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي .
- ٩٨ — الخراج لأبي يوسف ، المطبعة السلفية ومكتبها ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٢هـ .
- ٩٩ — الخطايا في نظر الإسلام لعفيف عبد الفتاح طبارة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .
- ١٠٠ — الخطط للمقرئزي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، بدون تاريخ الطبع .
- ١٠١ — الخلفاء الراشدون من تاريخ الإسلام للذهبي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- ١٠٢ — الخلفاء الراشدون لعبد الوهاب النجار ، دار التراث ، القاهرة ، بدون تاريخ الطبع .

- ١٠٣ — الحمر في ضوء الكتاب والسنة للدكتور محمد عمر الشنقيطي ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، الطبعة الثانية .
- ١٠٤ — دراسة في السيرة للدكتور عماد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة .
- ١٠٥ — دور المسجد في التربية للدكتور عبد بن أحمد قادري ، دار المجتمع ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ١٠٦ — رؤية معاصرة لمواقف من السيرة للدكتور محمد بن عبد الله الشيباني ، دار عالم الكتب ، الرياض ، طبعة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- ١٠٧ — الرحيق المختوم ، صفي الرحمن المباركفوري دار الكتاب والسنة ، باكستان ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
- ١٠٨ — الردة عن الإسلام وخطرها على العالم الإسلامي لعبد الله أحمد قادري ، مكتبة العلم ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- ١٠٩ — رسالة المسجد في الإسلام للدكتور عبد العزيز محمد اللميلم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، بدون ناشر .
- ١١٠ — الرياض النضرة في منافي العشرة المبشرين بالجنة لأبي جعفر أحمد الشهير بالحب الطبري ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- ١١١ — زاد المعاد من هدى خير العباد لابن قيم الجوزية ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الخامسة عشرة ، ١٤٠٧هـ .
- ١١٢ — سبل السلام شرح بلوغ المرام للصنعاني ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٧هـ .
- ١١٣ — السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة للدكتور بريك محمد بريك أبو مايلة العمري ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
- ١١٤ — السلوك الاجتماعي في الإسلام لحسن أيوب ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ١١٥ — سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ .
- ١١٦ — السنة قبل التدوين للدكتور محمد عجاج الخطيب ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

- ١١٧ — سنن أبي داود، تصنيف، أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، الناشر بين الأفكار الدولية .
- ١١٨ — سنن ابن ماجة، تصنيف أبي عبد الله محمد يزيد القزويني الناشر بيت الأفكار الدولية
- ١١٩ — السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الكتب العربية، بدون تاريخ .
- ١٢٠ — السيرة النبوية، تأليف أبي الحسن علي الحسيني الندوي، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
- ١٢١ — السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .
- ١٢٢ — السيرة النبوية لابن كثير، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ .
- ١٢٣ — سيرة ابن هشام، مؤسسة علوم القرآن، بدون تاريخ الطبع .
- ١٢٤ — شرح حديث أبي الدرداء في طلب العلم، ابن رجب الحنبلي، مؤسسة الخافقين، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م
- ١٢٥ — الصارم المسلول على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام ابن تيمية، عالم الكتب، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
- ١٢٦ — صحيح السيرة النبوية لإبراهيم العلي، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .
- ١٢٧ — صحيح مسلم، بيت الأفكار الدولية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .
- ١٢٨ — صحيح سنن أبي داود للألباني، الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي
- ١٢٩ — صحيح سنن الترمذي للألباني، الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي
- ١٣٠ — صحيح سنن ابن ماجة للألباني، الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي
- ١٣١ — صحيح سنن النسائي للألباني، الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي
- ١٣٢ — الضياء اللامع من الخطب الجوامع للشيخ محمد صالح بن العثيمين، دار الريان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- ١٣٣ — الطبقات الكبرى لابن سعد، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .
- ١٣٤ — الطريق إلى المدينة دروس من السيرة النبوية، محمد العبد، دار الجوهري، عمان الأردن بدون ذكر الطبعة والتاريخ .

- ١٣٥ — عبقرية محمد عباس محمود العناد ، منشورات المكتبة العصرية صيدا ، بيروت .
- ١٣٦ — عثمان بن عفان ، محمد حسين هيكل ، مكتبة النهضة المصرية بدون ذكر الطبعة .
- ١٣٧ — العدالة الاجتماعية في الإسلام لسيد قطب ، دار الشروق ، بدون تاريخ .
- ١٣٨ — عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- ١٣٩ — عصر الخلفاء الراشدين للدكتورة فتحية عبد الفتاح ، دار اللوء ، الرياض ، الطبعة الثانية .
- ١٤٠ — العفو عن العقوبة في الفقه الإسلامي للدكتور زيد بن عبد الكرم بن علي بن زيد ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ .
- ١٤١ — العلاقات العامة والخاصة في الإسلام للدكتور يوسف محمود عبد المقصود وآخرين ، دار المعارف بحرم جامعة الأزهر ، بدون تاريخ .
- ١٤٢ — العلاقات الدبلوماسية والقنصلية للدكتور عدنان البكري ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، طبع ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
- ١٤٣ — العلاقات الدولية في الإسلام لمجموعة من الباحثين بإشراف الدكتورة نادية محمود مصطفى ، المعهد العلمي للفكر الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ .
- ١٤٤ — العمل والقيم الخلفية في الإسلام للدكتور أحمد ماهر البكري ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، طبعة سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .
- ١٤٥ — عمدة القارئ شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني ، بدون ناشر وتاريخ الطبع .
- ١٤٦ — عمر بن الخطاب علمه ومواقفه لصالح بن عبد الرحمن بن عبد الله ، دار القاسم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .
- ١٤٧ — العنبر من وحي المنبر للدكتور محمد أحمد هشام ، دار العلوم ، الإمارات العربية ، دبي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- ١٤٨ — عون المعبود شرح سنن أبي داود ، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي ، دار الفكر ، بدون تاريخ طبع .

- ١٤٩ — عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس ، مكتبة القدس ، القاهرة ، طبع سنة ١٣٥٦هـ .
- ١٥٠ — غاية الإرشاد إلى أحكام الجهاد للشيخ فرج محمد غيث ، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .
- ١٥١ — الفاروق وأسرتة لمحمود شاكر ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- ١٥٢ — فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ، دار الريان للتراث ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩هـ .
- ١٥٣ — فتح القدير، محمد علي الشوكاني، دار الفكر، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، بدون ذكر الطبعة
- ١٥٤ — فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب تحقيق الوليد بن عبد الرحمن آل فريان، دار عالم الكتب، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية بالملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩،
- ١٥٥ — فتوح البلدان للإمام أبي الحسن البلاذري، مراجعة وتعليق، رضوان محمد رضوان دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، بدون ذكر الطبعة
- ١٥٦ — فتوح الشام للأزدي البصري ، مؤسسة السجل العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ الطبع .
- ١٥٧ — الفضائل الخلفية في الإسلام للدكتور أحمد عبد الرحمن إبراهيم ، دار العلوم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ / ١٩٨٢م .
- ١٥٨ — فقه الاحتساب على غير المسلمين للدكتور عبد الله بن إبراهيم الطريقي ، دار المسلم ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥هـ .
- ١٥٩ — الفقه السياسي للوثائق النبوية لخالد سليمان الفهواوي ، دار عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
- ١٦٠ — فقه السنة للسيد سابق ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٧هـ .
- ١٦١ — فلسفة التشريع الإسلامي ، لفتحي رضوان ، دار ثقيف للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
- ١٦٢ — فلسفة العقوبة في الشريعة الإسلامية والقانون للدكتور فكري أحمد عكاز ، شركة ومكتبة عكاظ ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

- ١٦٣ — فن الحرب الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم للدكتور محمد زاهر وتر ، دار الفكر ، دمشق ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .
- ١٦٤ — في أساسيات التشريع الجنائي الإسلامي للدكتور عبد المنعم أحمد بركة ، مركز الإسكندرية للكتابة ، بدون ذكر الطبعة والتاريخ .
- ١٦٥ — في أصول النظام الجنائي الإسلامي للدكتور محمد سليم العوا ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ .
- ١٦٦ — في الدبلوماسية المعاصرة للدكتور السيد أمين شلي ، عالم الكتب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨ م .
- ١٦٧ — القتال في الإسلام لأحمد نار ، السعودية ، جدة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .
- ١٦٨ — قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية .
- ١٦٩ — الكامل في التاريخ لابن الأثير ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .
- ١٧٠ — كتاب الوحي للدكتور أحمد عبد الرحمن عيس ، دار اللواء ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- ١٧١ — الكلام على قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) للحافظ ابن رجب الحنبلي ، دار العاصمة للتراث بطنطا ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢ هـ .
- ١٧٢ — كلمة الحق في القرآن الكريم لمحمد الراوي ، جامعة الإمام ، طبعة ١٤٠٩ هـ .
- ١٧٣ — المؤيدات التشريعية للدكتور عبد العزيز الخياط ، دار السلام ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- ١٧٤ — مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منهما لناصر بن عبد الكريم العقل ، دار الوطن ، الطبعة الأولى .
- ١٧٥ — المجموع شرح المهذب ، للنووي ، دار الفكر ، بدون تاريخ الطبع .
- ١٧٦ — محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية الدولة الأموية للشيخ محمد الخضري بك ، المكتبة التجارية الكبرى ، بمصر ، بدون ذكر الطبعة وتاريخ الطبع .

- ١٧٧ — مختصر تفسير البغوي للدكتور عبد الله بن أحمد بن علي الزيد ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .
- ١٧٨ — المدخل إلى علم الدعوة د/محمد أبو الفتح البيانوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
- ١٧٩ — مستقبل الدبلوماسية في ظل الواقع الإعلامي والاتصال الحديث والبعث العربي ، لحيدر بدوي صادق ، العدد — ٥ — تصدر عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية .
- ١٨٠ — المصباح المضيء للشيخ محمد بن علي الأنصاري ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- ١٨١ — معالم التزليل للبغوي ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .
- ١٨٢ — معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأروبية لعبد الله ناصح علوان ، دار السلام ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- ١٨٣ — معالم القرية في أحكام الحسبة لابن الأخوة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طبع سنة ١٩٧٦م .
- ١٨٤ — معالم الثقافة الإسلامية للدكتور عبد الكريم عثمان ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية عشرة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .
- ١٨٥ — مع الهجرة إلى الحبشة لمحمود شاكر ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .
- ١٨٦ — المغازي لابن أبي شيبة أبي بكر عبد الله بن محمد ، تحقيق الدكتور عبد العزيز إبراهيم العمري ، دار إشبيليا ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- ١٨٧ — المغازي للواقدي ، تحقيق الدكتور مارسدن جونز ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- ١٨٨ — المغني ، لابن قدامة المقدسي ، هجر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ .
- ١٨٩ — مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة لأبي الأعلى المودودي ، الدار السعودية ، طبع سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ١٩٠ — مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية ، دار الكتاب العلمية ، بيروت .

- ١٩١ — مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .
- ١٩٢ — مفهوم المساواة في الإسلام د/رشادحسن خليل ص ٣١، دار الرشيد الرياض بدون ذكر الطبع
- ١٩٣ — مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لفاروق عبد المجيد جحود السامرائي ، مكتبة دار الوفاء ، جدة بدون ذكر الطبعة وتاريخ الطبع.
- ١٩٤ — من أخلاق المؤمنين والمؤمنات لسماحة الشيخ عبد العزيز بن بار، شعبة العلاقات والتوجيه والتوعية التربية ، شرطة منطقة الرياض .
- ١٩٥ — المنتخب من مسند عبد بن حميد ، مكتبة السنة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م .
- ١٩٦ — مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي ، تحقيق الدكتورة زينب إبراهيم الفاروط ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان.
- ١٩٧ — من تاريخنا محمد سعيد العامودي ، منشورات دار الأصالة ، الرياض ، ١٤٠١هـ .
- ١٩٨ — منتهى الإيرادات في جمع — مع التنقيح وزيادات لتقي الدين محمد أحمد الفتوحى مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م .
- ١٩٩ — منهج الإسلام في السلم والحرب لمحمد مهنا العلي ، دار أمية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .
- ٢٠٠ — منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية ، الطيب برغوث ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .
- ٢٠١ — نحو صياغة إسلامية لمنهج التربية والتعليم وهو خمسة من أساتذة التربية والتعليم ، من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر ، طبع ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م
- ٢٠٢ — نظام الحسبة في الإسلام لعبد العزيز بن محمد بن مرشد ، بدون طبعة وتاريخ
- ٢٠٣ — النظام السياسي في الإسلام للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس ، دار الفرقان ، عمان ، الأردن ، بدون تاريخ .
- ٢٠٤ — النظرية الإسلامية في بناء الروح المعنوية وإرادة القتال ، اللواء الركن محمد جمال الدين بن علي محفوظ ، دار العلوم للطباعة ، القاهرة ، بدون تاريخ طبع .

- ٢٠٥ — النظرية التربوية الإسلامية ومفهوم الفكر التربوي الغربي لآمال حمزة المرزوقي ،
تامة ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- ٢٠٦ — النظم الدبلوماسية في الإسلام للدكتور صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ،
بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ .
- ٢٠٧ — نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الحضري بك ، دار مكتبة الحياة ،
بيروت ، لبنان بدون ذكر الطبعة وتاريخ الطبع .
- ٢٠٨ — نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار للشوكاني ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، بدون تاريخ طبع .
- ٢٠٩ — الهجرة في ضوء الكتاب والسنة لعبد الله الشويمان ، (رسالة ماجستير غير مطبوعة)
نوقشت في كلية الدعوة والإعلام ، في جامعة الإمام عام ١٤١٧هـ .
- ٢١٠ — الهجرة النبوية د/محمد أبو فارس، دار الفرقان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م
- ٢١١ — هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً ، محمود محمد ... دار طيبة ، الرياض ،
الطبعة الخامسة ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- ٢١٢ — هذا هو الإسلام للدكتور أحمد عبد ، المعهد السابع ، الدوحة ، دار الثقافة .
- ٢١٣ — هداية المرشدين للشيخ علي محفوظ ، دار الاعتصام ، دون تاريخ الطبع .
- ٢١٣ — الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة ، جمعها الدكتور محمد حميد الله
الحيدرآبادي ، مكتبة الثقافة الدينية ، بالقاهرة ، بدون تاريخ طبع .
- ٢١٣ — وسائل النصر في القرآن والسنة للدكتور محمد جمعة عبد الله ، مكتبة الكليات
الأزهرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م . للألباني، الناشر مكتب
التربية العربي لدول الخليج العربي .

فهرس الموضوعات

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---|
| ١ | المقدمة |
| ٣ | التعريف بمفردات البحث |
| ٥ | أهمية الموضوع وأسباب اختياره |
| ٦ | الدراسات السابقة |
| ٧ | مشكلة البحث |
| ٨ | تساؤلات البحث |
| ٩ | منهج البحث |
| ١٠ | الصعوبات التي واجهت الباحث |
| ١٢ | تقسيم البحث |
| ١٧ | الفصل التمهيدي |
| ١٨ | تمهيد |
| ٢٧-١٩ | المطلب الأول: مكتسبات الدعوة في المرحلة المكية |
| ٤٦-٢٨ | المطلب الثاني: مكتسبات الدعوة في المرحلة المدنية |
| ٥٤-٤٧ | المطلب الثالث: مكتسبات الدعوة في مرحلة خلافة الصديق |
| ٦٨-٥٥ | المطلب الرابع: مكتسبات الدعوة في مرحلة خلافة الفاروق |
| ٧٣-٦٩ | المطلب الخامس: مكتسبات الدعوة في مرحلة خلافة عثمان |
| ٧٥-٧٤ | المطلب السادس: مكتسبات الدعوة في مرحلة خلافة علي |
| ٧٦ | البحث الثاني: أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة |
| ٧٧ | المطلب الأول: أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم |
| ٧٧ | الفرع الأول: بناء القدرات الذاتية للدعوة الإسلامية |
| ٧٨ | الفرع الثاني: تفادي المواجهة المبكرة مع المجتمع |
| ٧٩ | الفرع الثالث: الإصرار والثبات |

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---|
| ٨١ | الفرع الرابع: التثبيت والتصبير |
| ٨٢ | الفرع الخامس : تسلية الصحابة رضي الله عنهم بما أصاب من قبلهم |
| ٨٣ | الفرع السادس: الاستفادة من الجانب القبلي الذي كان سائداً في المجتمع |
| ٨٣ | الفرع السابع : قيام أبي بكر الصديق بعق بعض العبد المستضعفين في دينهم |
| ٨٤ | الفرع الثامن : الاستفادة من بعض الأعراف السائدة في المجتمع |
| ٨٦-٨٢ | الفرع التاسع : البحث عن موقع آمن للدعوة |
| ٨٧ | أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في المرحلة المدنية |
| ٨٩ | الانتقام من الشخصيات الإجرامية |
| ٩٠ | مبادرة الرسول صلى الله عليه وسلم في إطفاء نار الفتنة |
| ٩١ | عملية فدائية جريئة ضد سلام بن أبي الحقيق اليهودي |
| ٩٢ | عملية فدائية أخرى نفذت على خالد بن سفيان الهزلي |
| ٩٢ | إجراء تأديبي في إطفاء نكرة حزبية وقبلية |
| ٩٣ | فداء أسر المسلمين وأهميته في الحفاظ على مكتسبات الدعوة |
| ٩٤ | استدراج بعض الخصوم والقضاء عليهم |
| ٩٤ | التأليف بالجاء والعمو عما سلف حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٩٥ | التأليف بالمال حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٩٦ | المسارعة إلى تجلية الأمور وتطبيب النفوس حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٩٧ | الحرص على السمعة الحسنة للدعوة |
| ١٠١ | المطلب الثاني : أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين |
| ١٠١ | الفرع الأول : أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد أبي بكر الصديق |
| ١٠١ | موقف أبي بكر عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم |
| ١٣ | توحيد الأمة على مبايعة أبي بكر رضي الله عنه |
| ١٠٤ | تنفيذ جيش أسامة وإعلان الحرب على المرتدين |
| ١٠٥ | جمع القرآن الكريم |

| الصفحة | الموضوع |
|---------|--|
| ١٠٦ | العهد بالخلافة لعمر رضي الله عنه |
| ١٠٨ | الفرع الثاني : أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد الفاروق رضي الله عنه |
| ١١٠ | وضع السياسة المالية حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ١١٣ | وضع التاريخ له أهمية في الحفاظ على مكتسبات الدعوة |
| ١١٣ | إخراج اليهود من خيبر وفدك والنصارى من نجران |
| ١١٤ | منع المسلمين من دخول البلاد الموبوءة |
| ١١٥ | ترك الفاروق الأمر شري بين ستة من المبشرين بالجنة |
| ١١٩ | الفرع الثالث : أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد عثمان رضي الله عنه |
| ١٢٠ | بناء الأسطول البحري حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ١٢٢-١٢١ | جمع الأمة على قراءة واحدة حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ١٢٣ | متابعة الولاة واستدعائهم للتشاور من أجل الحفاظ على مكتسبات الدعوة |
| ١٢٥ | الفرع الرابع : أهمية الحفاظ على مكتسبات الدعوة في عهد علي رضي الله عنه |
| ١٢٥ | خطب علي ووصاياه حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ١٢٦ | توجيه الجيوش إلى بعض البلاد التي نقضت العهد |
| ١٢٩ | الفصل الأول : الاهتمام بالتعليم حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ١٣٠ | المبحث الأول : أهمية التعليم حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ١٣١ | المطلب الأول : الاهتمام بالعلم في القرآن الكريم |
| ١٣١ | الفرع الأول : مفهوم العلم |
| ١٣٦-١٣٢ | الفرع الثاني : إشادة القرآن الكريم بالعلم والعلماء |
| ١٣٩-١٣٧ | الفرع الثالث : امتنان الله على رسله عليهم السلام بالعلم |
| ١٤٠ | شمولية العلم الذي يدعو إليه القرآن الكريم |
| ١٤٢ | المطلب الثاني : الاهتمام بالتعليم في السنة النبوية المطهرة |

| الصفحة | الموضوع |
|---------|--|
| ١٤٣-١٤٠ | الفرع الأول : حث السنة النبوية على التعلم والتعليم |
| ١٤٧-١٤٥ | الفرع الثاني : ذم الجهل في السنة النبوية الشريفة |
| ١٤٨ | المطلب الثالث : أهمية طلب العلم والبعثات التعليمية والنهي عن كتمان العلم |
| ١٥٤ | أهمية بعثات المعلمين في نشر الدعوة |
| ١٥٥ | أول مبعوث للدعوة |
| ١٦٢ | النهي عن كتمان العلم |
| ١٦٤ | المبحث الثاني : إقامة مؤسسات التعليم حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ١٦٩-١٦٥ | المطلب الأول : الكتابات |
| ١٧٠ | المطلب الثاني : البيوت |
| ١٧٠ | الفرع الأول : البيوت في العهد المكي |
| ١٧٤-١٧٢ | الفرع الثاني : البيوت في العهد المدني |
| ١٦٣-١٦٥ | المطلب الثالث : المساجد |
| ١٨٤ | الفصل الثاني : الحسبة حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ١٨٥ | الحسبة تعريف الحسبة |
| ١٨٧ | المبحث الأول : أهمية القيام بالحسبة حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ١٩٥-١٨٧ | المطلب الأول : القيام بالحسبة من مهام الأنبياء عليهم السلام |
| ٢٠٦-١٩٦ | القيام بالحسبة حفاظاً على مكتسبات الدعوة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم |
| ٢٠٧ | القيام بالحسبة في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم |
| ٢٠٨ | الفرع الأول : احتساب أبي بكر الصديق رضي الله عنه |
| ٢١٠ | الفرع الثاني : احتساب الفاروق رضي الله عنه |
| ٢١٤ | الفرع الثالث : احتساب عثمان رضي الله عنه |
| ٢١٦ | الفرع الرابع : احتساب علي رضي الله عنه |
| ٣١٦ | المبحث الثاني : مجالات الحسبة ودرجات الاحتساب |
| ٢١٩ | المطلب الأول : مجالات الحسبة حفاظاً على مكتسبات الدعوة |

| الصفحة | الموضوع |
|---------|--|
| ٢٢٢-٢١٩ | الفرع الأول : الحسبة في مجال العقيدة |
| ٢٢٧-٢٢٣ | الفرع الثاني : الحسبة في مجال الشريعة |
| ٢٢٨ | الفرع الثالث : الحسبة في مجال الأخلاق والآداب |
| ٢٣١ | المطلب الثاني : درجات الاحتساب حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٢٣٥ | الفصل الثالث : الهجرة حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٢٣٦ | تعريف الهجرة |
| ٢٤٢-٢٣٧ | المبحث الأول : مشروعية الهجرة حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٢٤٣ | المبحث الثاني : الهجرة إلى الحبشة والتخطيط لها |
| ٢٤٤ | الفرع الأول : أسباب هجرة الصحابة رضي الله عنهم إلى الحبشة |
| ٢٤٥ | الفرع الثاني : التخطيط للهجرة إلى الحبشة |
| ٢٤٧ | الفرع الثالث : ما لقيه الصحابة في أرض الحبشة من الأمن وحسن الضيافة |
| ٢٤٧ | الفرع الرابع : رجوع المهاجرين إلى مكة ثم الهجرة منها إلى الحبشة مرة ثانية |
| ٢٤٨ | الفرع الخامس : النجاشي يستدعي المهاجرين للسمع منهم |
| ٢٤٩ | الفرع السادس : كيفية تحقيق أهداف الهجرة إلى الحبشة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة ونشرها |
| ٢٥٠ | الفرع السابع : العودة من أرض المهجر إلى دار الهجرة |
| ٢٥٢ | المبحث الثالث : الهجرة إلى المدينة والتخطيط لها |
| ٢٥٣ | المطلب الأول : مقدمات الهجرة إلى المدينة |
| ٢٥٣ | الفرع الأول : الإهانة والتعذيب لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم |
| ٢٥٥ | الفرع الثاني : البحث عن موطن قد في الجزيرة العربية |
| ٢٦٠ | المطلب الثاني : هجرة الصحابة والتخطيط لها |
| ٣٧٨-٢٦٦ | المطلب الثالث : هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم والتخطيط لها |
| ٢٧٩ | الفصل الرابع : العدالة وإقامة الحدود والعقوبات التعزيرية حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٢٨٠ | المبحث الأول : الاهتمام بالعد حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٢٨١ | المطلب الأول : أدلة الكتاب والسنة في وجوب العدل |

| الصفحة | الموضوع |
|---------|---|
| ٢٨٤-٢٨١ | الفرع الأول : أهمية العدل في حياة الناس |
| ٢٨٤ | الفرع الثاني : تحري العدل مع المخالفين |
| ٢٨٥ | الفرع الثالث : العدل بين الأولاد |
| ٢٨٦ | الفرع الرابع : وجوب العدل بين الزوجات |
| ٢٩٣-٢٨٨ | الفرع الخامس : عدالة الوالي والقاضي |
| ٢٩٤ | الفرع السادس : العدل في المعاملات بين الناس |
| ٢٩٥ | المطلب الثاني : مواقف من عدالة الخلفاء الراشدين |
| ٢٩٧-٢٩٥ | الفرع الأول : مواقف من عدالة الصديق رضي الله عنه |
| ٣٠١-٢٩٧ | الفرع الثاني : مواقف من عدالة الفاروق رضي الله عنه |
| ٣٠٢ | الفرع الثالث : مواقف من عدالة عثمان رضي الله عنه |
| ٣٠٣ | الفرع الرابع : مواقف من عدالة علي رضي الله عنه |
| ٣٠٦ | المبحث الثاني : إقامة الحدود حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٣٠٧ | تعريف الحدود |
| ٣١٤-٣٠٨ | المطلب الأول : إقامة حد الزنا والقذف حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٣١٧-٣١٥ | المطلب الثاني : إقامة حد شرب الخمر حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٣٢١-٣١٨ | المطلب الثالث : إقامة حد السرقة والحراية حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٣٢٣-٣٢٢ | المطلب الرابع : قتال البغاة حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٣٢٦-٣٢٤ | المطلب الخامس : إقامة حد الردة حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٣٢٩-٣٢٧ | المطلب : السادس تنفيذ القصاص حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٣٣٠ | المبحث الثالث : إيقاع العقوبات التعزيرية حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٣٣١ | تعريف التعزير |
| ٣٣٣ | المطلب الأول : عقوبة الحبس والجلد حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٣٣٦ | المطلب الثاني : عقوبة الوعظ والهجر والتوبيخ حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٣٣٨ | المطلب الثالث : عقوبة التهديد والتشهير حفاظاً على مكتسبات الدعوة |

| الصفحة | الموضوع |
|-----------|--|
| ٣٤٠ | المطلب الرابع : عقوبات تعزيرية أخرى |
| ٣٤٢ | الفصل الخامس : إرسال الرسل والمعاهدات والصلح حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٣٤٣ | المبحث الأول : إرسال الرسل والكتب حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٣٤٤ | تمهيد |
| ٣٤٦ | المطلب الأول : إرسال الرسل والرسائل إلى الملوك |
| ٣٤٧ | كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملك الروم |
| ٣٤٨ | كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط |
| ٣٤٩ | كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحارث بن أبي شمر الغساني |
| ٣٥٠ | كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى فارس |
| ٣٥٢ | كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوي |
| ٣٥٣ | كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى جيفر وعبد النبي الجلندي الأزديين ملكي عمان |
| ٣٥٣ | كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هوزة بن علي الحنفي ملك اليمامة |
| ٣٥٦ | المطلب الثاني : إرسال الكتب إلى القبائل وزعمائها وبعض الأفراد |
| ٣٥٦ | رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل خيبر |
| ٣٥٧ | كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى جهينة |
| ٣٥٨ | كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني زهير بن أقيش |
| ٣٥٩ | كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى رعية السحيمي |
| ٣٦٠ | كتاب النبي صلى الله عليه وسلم لرفاعة بن زيد إلى قومه |
| ٣٦٣ | المطلب الثاني : رسائل الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم |
| ٣٦٦-٣٦٣ | الفرع الأول : رسائل الصديق رضي الله عنه |
| ٣٦٨ - ٣٦٧ | الفرع الثاني : رسائل الفاروق رضي الله عنه |
| ٣٦٩-٣٦٨ | الفرع الثالث : رسائل عثمان رضي الله عنه |
| ٣٧١-٣٧٠ | الفرع الرابع : رسائل علي رضي الله عنه |
| ٣٧٢ | المبحث الثاني : المعاهدات والصلح |

| الصفحة | الموضوع |
|---------|--|
| ٣٨٣-٣٧٥ | المطلب الأول : المعاهدات والصلح والهدنة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم |
| ٣٨٧-٣٨٤ | المعاهدات والصلح مع بعض الزعماء في شمال الجزيرة العربية |
| ٣٩٨-٣٨٨ | المطلب الثاني : المعاهدات والصلح والهدنة في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم |
| ٣٩٩ | الفصل السادس : القيام بالجهاد في سبيل الله حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٤٠٠ | المبحث الأول : الظروف التي شر فيها الجهاد |
| ٤٠١ | تعريف الجهاد |
| ٤٠٨-٤٠٢ | المطلب الأول : الظروف التي سبقت تشريع الجهاد |
| ٤١٥-٤٠٩ | المطلب الثاني : التدرج في تشريع الجهاد |
| ٤١٦ | المبحث الثاني : الإعداد للجهاد حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٤٢٣-٤١٧ | المطلب الأول : الإعداد البشري للجهاد حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٤٣٠-٤٢٤ | المطلب الثاني : الإعداد المادي للجهاد حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٤٣٧-٤٣٠ | تهيئة المراكب وأدوات النقل في الإعداد للجهاد |
| ٤٣٦ | المبحث الثالث : الأخذ بعوامل النصر حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٤٤٠ | المطلب الأول : الإيمان بالله والتوكل عليه ثم التحريض على الجهاد حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٤٤٢ | التوكل على الله |
| ٤٤٥ | التحريض على الجهاد |
| ٤٤٦ | الترهيب من ترك الجهاد |
| ٤٤٨ | التحريض على القتال عند لقاء العدو |
| ٤٥٧-٤٥٢ | المطلب الثاني : الوحدة وطاعة الأمير وعدم الاغترار بالقوة في الجهاد حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٤٦٣-٤٥٨ | المطلب الثالث : الصبر والذكر والدعاء في الجهاد حفاظاً على مكتسبات الدعوة |
| ٤٦٤ | الفصل السابع : أوجه الاستفادة من وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة في العصر الحاضر |
| ٤٦٥ | المبحث الأول : أوجه الاستفادة من وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة في مواجهة الأخطار الداخلية |

| الصفحة | الموضوع |
|---------|--|
| ٤٧٣-٤٦٧ | المطلب الأول : الاستفادة من وسيلة التعليم في الحفاظ على مكتسبات الدعوة |
| ٤٧٨-٤٧٤ | المطلب الثاني : الاستفادة من وسيلة الحسبة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في العصر الحاضر |
| ٤٨٣-٤٧٩ | المطلب الثالث : الاستفادة من وسيلة العدالة وإقامة الحدود والعقوبات التعزيرية في العصر الحاضر |
| ٤٨٤ | المبحث الثاني : أوجه الاستفادة من وسائل الحفاظ على مكتسبات الدعوة في مواجهة الأخطار الخارجية |
| ٤٨٧-٤٨٥ | المطلب الأول : الاستفادة من وسيلة الهجرة في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في العصر الحاضر |
| ٤٩٢-٤٨٧ | المطلب الثاني : الاستفادة من وسيلة إرسال الرسل والمعاهدات والصلح في العصر الحاضر |
| ٤٩٥-٤٩٣ | المطلب الثالث : الاستفادة من وسيلة الجهاد في الحفاظ على مكتسبات الدعوة في العصر الحاضر |
| ٥٠٥-٤٩٦ | الخاتمة |
| ٥٠٦ | الفهارس |
| ٥٢٠-٥٠٧ | فهرس الآيات القرآنية |
| ٥٢٨-٥٢١ | فهرس الأحاديث النبوية |
| ٥٤٠-٥٢٩ | فهرس الأعلام |
| ٥٤٣-٥٤١ | فهرس القبائل |
| ٥٥١-٥٤٤ | فهرس الأماكن والبلدان |
| ٥٦٦-٥٥٢ | فهرس المصادر والمراجع |
| ٥٧٥-٥٦٧ | فهرس الموضوعات |